مجلة الدراسات الافريقية



العدد السادس 1977

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة

مجلة الدراسات الافريقية



العـدد السادس ١٩٧٧

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

ترسل المقالات والأبحاث على العنوان التالى :

الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب
معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القاهرة
٣٣ شارع المساحة ـ الدقى ـ القاهرة ـ مصر

محتويات العدد السادس ١٩٧٧

اولا ـ بحوث باللغة العربية :

صفحة

ثانيا ـ بحوث باللغة الانجليزية :

رقم الايداع بدرا الـكتب ٢١٣ سنة ١٩٨٠

هـــذا العدد

كان من المقرر أن يخرج هذا العدد فى عام ١٩٧٧ ولكنه لم يصدر الا هذا العام (١٩٨٠) وقد احتوى على مجموعة من البحوث المتخصصة التى تعطى أبعادا عميقة للحضارة الافريقية ، وتركز الأضواء على نواح لا يقلل أبدا من قيمتها العلمية صدورها بعد الموعد المحدد بفترة ثلاث سنوات حدثت فيهـا أحداث كثيرة فى القارة .

وفى هذه المناسبة لابد أن نقدم الشكر العميق عرفانا بالجميل لأسـتاذنا الجليل الدكتور محمد السيد غلاب ـ عميد المعهد السابق ـ بمناسبة بلوغ سيادته سن المعاش ، فقد أعطى وما زال يعطى الكثير من علمه الغزير وخلقه الرفيع وسوف يظل علامة مضيئة على المسار العلمى الذى يخطو عليه معهد الدراسات الافريقية فى مسيرته نحو ابراز حضارة افريقيا وسبر أغوارها وتركيز الضوء على ثرواتها الاقتصادية .

سبتمبر ١٩٨٠

سكرتير التحرير

حضارة زمبابوى

أصلها وأهميتها فى القاء الضوء على العلاقات العربية الأفريقية منذ أقدم العصور مع عرض وتحليل لأهم النتائج التى أسفرت عنها جهود البعثات الأثرية المختلفة فى هذه المنطقة

للدكتور / شوقى عطا الله الجمل
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية
بجامعة القاهرة

أصل كلمة زمبابوى ودلالتها :

يرتبط اسم زمبابوى بالمنطقة التى كانت تسكنها بعض قبائل (البانتو) أجداد قبائل الماشونا (١) ، والتى قامت فيها مملكة عظيمة على يد فرع من شعب الزولو وهى مملكة الميتابلى (Matabele) — والتى يرجع الفضل فى تأسيسها عام ١٨٣٠ م إلى الزعيم مزلكازى (MAZILIKAZI) وقد كانت هذه البلاد تحت سلطة الملك لوبنجيولا (Lobengula) حين بدأت الأنظار تتجه إليها بعد زيارة المستكشف الاسكتلندى دافيد لفنجستون (Dr. David Livingstone) لها فى عام ١٨٥١(٢).

---

(١) أطلق الأثريون على الشعوب التى وجدها الأوربيون فى روديسيا اسم الماشونا Mashona ، والحقيقة إن لفظ Shona لا يدل فقط على الجنس الذى يسكن المنطقة التى عرفت باسم أرض الماشونا Mashonaland — لكنه يشير إلى مجموعة لغوية كبيرة كما أننا نشير إلى أن الذين وفدوا إلى روديسيا واستقروا فيها من هذه المجموعة الكبيرة ينقسمون لعدة قبائل .

أنظر : Abraham, D.P. : The Early Political History of the Kingdom of Mwene Mutapa (Salisbury, 1962).

(٢) نشرت رحلات لفنجستون التى قام بها فى جنوب أفريقيا .

ودخل تاريخ هذه المنطقة كلها فى مرحلة أخرى بوصول سيسل رودس (Cecil Rhodes) فى عام ١٨٧٠ إلى جنوب أفريقيا ، فقد اتجهت جهود هذا المستعمر البريطانى إلى مد نفوذ بريطانيا إلى هذه المنطقة ليتحقق الحلم الذى راوده فى أن تستطيع انجلترا أن تمد نفوذها من الكيب (الرأس) إلى القاهرة ، وأن ، ترتبط كل هذه المناطق بعضها بالبعض الآخر بخطوط حديدية وتلغرافية لتيسير مهمة انجلترا الاستعمارية فيها.ولتحقيق هذا الهدف أرسل رودس بعثة على رأسها صديق له هو (Rudd) عقدت مع الملك لوبنجيولا اتفاقاً لإستغلال مناجم الذهب فى بلاده ، وكون شركة جنوب أفريقيا البريطانية (British South African Company) — وكان يرمز لها بالحروف الأولى (.B.S.A.C)، وقد وقعت ملكة بريطانيا فى ٢٩ أكتوبر (١٨٨٩) مرسوم إنشائها ، وكان هذا المرسوم يحدد نشاط الشركة فى تشجيع الهجرة إلى مناطق جنوب أفريقيا الواقعة شمال بتشوانالاند وشمال غرب الترنسفال وغرب أفريقية الشرقية البرتغالية ، والعمل على تنمية التجارة بين انجلترا وهذه الجهات ، واستغلال مناجمها — وذلك فى ظل اشراف الحاكم العام البريطانى لجنوب أفريقية .

والملاحظ أن اتفاق رود مع الملك لوبنيجيولا لم يكن يشتمل إلا على التصريح باستغلال مناجم الذهب لكن صدور المرسوم للشركة بهذا الشمول يدل على إتجاه رودس ، وعلى إقرار الحكومة البريطانية له ، والاحداث التالية التى انتهت باحتلال القوات التى أعدتها الشركة البريطانية لأراضى هذه المملكة الأفريقية وموت لوبنجيولا فى عام ١٨٩٤ تؤيد هذا الإتجاه . وقد كان الاسم الرسمى للمناطق الممتدة من الترنسفال إلى الطرف الجنوبى لبحيرة تنجانيفا — كما يبدو فى أوراق الشركة البريطانية هو زامبيزيا لكن منذ عام ١٨٩٥ غير هذا الاسم فاطلق على هذه الجهات

— أنظر :
— Livingstone, David : Missonary travels and researches in South Africa (London, 1837).
— Livingstone, David : Narrative of an expedition, Zambezi and its tributeries (1865).

اسم الرجل الذى ربط هذه البلاد بعجلة الإمبراطورية البريطانية فاصبحت تعرف باسم روديسيا(١) .

على أن الوطنيين الأفارقه — لا يميلون إلى اطلاق اسم روديسيا على بلادهم ذلك الإسم الذى يرمز للمستعمر البغيض الذى سلبهم حريتهم وحقهم فى الحياة الكريمة فى وطنهم ، ويصرون على اسم زمبابوى (Zeimbabwe) الذى يرمز لماضيهم المجيد .

ومنذ أن بدأت الأضواء تسلط على (زمبابوى) وآثارها — أخذت التكهنات تثار حول أصحاب هذه الآثار ، فالأوربيون الذين شاهدوا هذه الآثار لأول مرة دهشوا لوجود حضارة أفريقية بهذا المستوى فى هذه الأماكن ، وذكروا إنه ليس من المعقول أن تنسب مثل هذه الحضارة لقبائل الماشونا (Mashona) التى وجدوها فى هذه المنطقة ، فهى تعيش — كما شاهدوها — حياة بدائية ، ومساكنهم لا تتعدى الأكواخ ، ويزاولون الزراعة بطريقة بدائية أيضاً ، فليس من السهل — فى نظرهم — تصور أن يكون التقدم الصناعى والفنى الواضح فى هذه الآثار من صنع هؤلاء القوم — ولذا ذهبوا إلى أن آثار حضارة زمبابوى ترجع إلى شعوب غريبة وفدت على هذه المنطقة(٢) .

حقيقة إنه كان لبعض الأقوام التى سكنت هذه المناطق قديماً مثل (البوشمن) حضارة عبروا عن بعض مظاهرها برسوم على الصخور الجرانيتية ونقوش على أكثر من ١٥٠٠ كهف فى روديسيا واستخدموا الألوان (الرمادى ، والأسود،والاصفر والأحمر ، والأبيض) فى تلوين رسومهم — لكن مما لا شك فيه أن هذا الفن

---

(١) للدراسة التفصيلية للأحداث التى أدت لبسط بريطانيا نفوذها كاملا على هذه الجهات ، وكذلك ما طرأ عليها سواء فى فترة إدارة الشركة لها ، أو فترة دخولها ضمن اتحاد وسط أفريقيا البريطانى (١٩٥٣ — ١٩٦٣) وحتى اعلان ايان اسميث رئيس حكومة الأقلية البيضاء فى ١١ نوفمبر ١٩٦٥ استقلال روديسيا .

أنظر :
— Black Colin : The lands and peoples of Rhodesia and 'Nyassaland (London,1961).
— Lockhart and Woodhouse : Cecil Rhodes, the Clossus of South Africa (N.Y. 1965).

(٢) أنظر Abraham, D.P. : Op. Cit,. (الباب الأول)

أصابه تغيير واضح منذ طلائع القرن الأول الميلادى ثم تعرضت المنطقة لغارات الزنوج البانتو الذين أدى زحفهم على المنطقة إلى انقراض معظم سكانها من البوشمن(١).

كما أن أثار زمبابوى المعمارية وغيرها من البقايا الأثرية موضوع حديثنا تمثل بلا شك مرحلة حضارية ومغايرة تماماً لهذه المرحلة السابقة فى تاريخ هذه المنطقة — ولذا فقد أثيرت الشكوك وتباينت الآراء حول تاريخ زمبابوى وأصل الشعب أو الشعوب التى تركت بها هذه الحضارة الزاهرة وأكسبتها هذه الشهرة .

ولم يستطع الباحثون عن تاريخ زمبابوى أن يحصلوا من الوطنيين على معلومات دقيقة موثقة تجزم بالبناة الحقيقيين للآثار التى عثر عليها فى منطقة زمبابوى وتعطى توضيحاً حاسماً لأصل وأساس هذه التسمية — فالوطنيون لا يذكرون أكثر من أن أجدادهم هم الذين شيدوا هذه الآثار ، والبعض يتحدث عنها بشئ من التقديس لعلاقتها بأرواح هؤلاء الأجداد ، بينما يربطها البعض بقصص خرافية كأن يقولون ان طيوراً ضخمة جاءت من السماء وقامت بهذا العمل العظيم(٢) .

وبذا فتح الباب على مصراعيه لكثير من الآراء ليس فقط حول تاريخ هذه الآثار وارتباطه بتاريخ السكان أنفسهم بل أيضاً حول أصل كلمة زمبابوى نفسها .

ونجمل هنا بعض الآراء التى ذكرت فى هذا المجال :

١ — يذهب تيو دور بنت (Theodore Bent) — وهو من الآثريين الذين كان لهم دور بارز فى الكشف عن بعض خبايا أثار (زمبابوى) إلى أن زمبابوى

---

(١) للدراسة المستفيضة لهذه الرسوم والنقوش :

ا — أنظر الرسوم المرفقة مع هذا البحث .

Ronsford Oliver : The Rulers of Rhodesia from earliest times to Referendum (London, 1968), P. 748.

Desmond Clark, J. : The Prehistory of Africa (1970), P.P. 210 and 211.

(٢) اشتهرت بعض القبائل التى كانت تسكن هذه المنطقة مثل الباروتسى Barotse والماكالنجا Makalanga بمهارتهما فى فن العمارة والبناء . وهذه القبائل — كما يقول الرحالة الذين زاروا هذه المناطق تتميز بمستوى عقلى أكثر من القبائل الأخرى ، كما أن لديهم استعدادا أكثر للعمل ، ويمتازون بالنظافة وحبهم للغناء ولهم عاداتهم الخاصة بالزواج ، ويمارسون طقوسا معينة فى مختلف المناسبات .

أنظر : Hall, R.N. : Great Zimbabwe (London, 1909), P.P. 84—99.

كلمة بانتوية مركبة من كلمتين (قرية أو مجموعة قرى Zim ، الرئيسية — babwe) أى يعنى القرية أو المدينة الرئيسية ، أى المدينة الأولى فى المنطقة أو ما نعبر عنها فى وقتنا هذا (بالعاصمة) .

وأبحاث بنت تؤكد أن هذه الآثار الحجرية التى ترتبط بالعاصمة القديمة لهذه البلاد أسهم فيها عرب شبه الجزيرة العربية بسهم وافر(١) .

٢ — ربط آخرون بين لفظ زمبابوى وسبأ والعلاقات القديمة بين السبأيين وهذه البلاد الافريقية ، ويشير هؤلاء إلى أن هذا اللفظ أطلق على نهر سابى الذى لا يبتعد كثيراً عن مدينة زمبابوى ، وأن اللفظ حرف بعد ذلك(٢) .

٣ — ويرى (Selous) أن الإسم الصحيح هو (Zim-ba-gwi) وأنها تعنى المبانى الحجرية (Zimba = buildings, gwi = Stone) ، ويقول إنها مركز المنطقة الجنوبية فى روديسيا والمفتاح لمناطق تعدين الذهب ، والنحاس والفحم وأن الإسم يطلق على الخرائب والبقايا الأثرية الحجرية التى على التل المشرف على هذه المنطقة(٣) .

---

(١) Bent, J.T. : The Ruined cities of Mashonaland (1872).
وقد حصل (بنت) على درجة الشرف فى التاريخ من جامعة اكسفوز فى عام (١٨٧٥) وأصبح عضواً فى مجلس ادارة الجمعية الجغرافية البريطانية فى (١٨٩٠) ، وقام بدراسة وتنقيب فى أثار زمبابوى — وقد ركز فى دراسته على المقارنة بين حضارة جنوب غربى آسيا وحضارة زمبابوى ووصل نتيجة لدراسته — إلى أن الآثار التى ترتبط بمناطق التعدين فى زمبابوى ، ترجع إلى هجرة من جنوب شبه جزيرة العرب حيث اشتهر هؤلاء بالتجارة . وله بحث قيم آخر نشرته مؤسسة Hakluyt التى اشتهرت بنشر سلسلة عن الرحلات الهامة فى العالم Bent : Early Travels in the levant. وحين ألف Hall كتابه (Great Zeimbabwe, London 1909) الذى سنشير إليه هنا مراراً — أهداه إلى ذكرى (بنت) تقديراً لجهوده فى الكشف عن الكثير من خبايا وآثار زمبابوى — وتقديراً لكتابه السابق عن مدن الماشونا التى اندثرت "To the memory of the late Theodote Bent, explorer of the Great Zimbabwe, 1891 and author of the Ruined Cities of Mashonaland".

(٢) أشار إلى ذلك Professor Miller الأثرى المتخصص فى آثار شبه جزيرة العرب .

(٣) Selous, F.E. : Mashona and gold extracts (Royal Geographical Society, March 1899).

٤ – ويرجع البعض التسمية إلى إسم قبائل (MOZIBAS) أو (ZAMBAS) وقد تركزت هذه القبائل بصفة عامة فى مدينة (تيتى Tete) على نهر الزمبيزى(١).

هذه بعض الآراء التى أثيرت حول اسم زمبابوى وأصله ، وقد بدأ الاسم يبرز منذ عام (١٥٣٢) حين تحدث (De Barros) عن هذه الآثار باعتبارها بقايا القصر الملكى (The King's Palace on The Great Zimbabwe) ولما زار الرحالة دورات بربروسا (Duarte Barbosa) المناطق الساحلية فى فى شرق القارة أشار إلى أنه فى الداخل من (سوفالا) على مسيرة ١٥ أو ٢٠ يوماً من الساحل توجد مستعمرة ضخمة هى (Zimbaohe) ويشير إلى أن سكانها تجار يتبعون ملك (Benemotapa)(٢).

كما أن بعثات الجزويت التى بدأت تفد للمنطقة اثر استيلاء البرتغال على هذه الموانى منذ ١٥٠٥ فى شرق القارة – أخذت تردد اسم (زمبابوى) ، ومنذ (١٥٦٠) نجد هذا اللفظ يتردد بكثرة ملفتة للأنظار فى وثائق هذه البعثات التبشيرية(٣).

وكانت أبرز هذه البعثات البعثة التى رأسها جونسالفوسيلفيرا (Gonsalvo Silviera) ، وترجع شهرة هذه البعثة بالذات إلى النهاية التى انتهى إليها المبشر المذكور والأحداث التى ترتبت عليها – فقد استطاع المبشر المذكور أن يتقرب من الملك الأفريقى ، وقام بتعميده هو وكبار رجال دولته فى زمبابوى وأهدى للملك تمثالا للسيدة العذراء من الفضه ، لكن لم يلبث أن داخلت الملك الشكوك فى نوايا رجال الدين المسيحين وانتهى الأمر بقتل الآب (سلفيرا) فى عام (١٥٦١) ، وتتهم المراجع البرتغالية التجار العرب بأنهم أوغروا صدر الملك ضد المسيحين

---

(١) Gaton, Thompson : The Zimbabwe Culture (London, 1971), P. 12.

(٢) زار (بربوسا) موانى كلوه ، وممبسه ، ومالندى ، وبمبا ، وزنجبار – وغيرها من موانى الساحل الشرقى بعد اكتشاف طريق الرأس – وتحدث عن حضارة هذه البلاد التى بهرته .

(٣) أنظر: Coupland, R.: East Africa and Its Invaders (London, 1938), P. 39.: Jseuit Records (1560 — 1750).

وأثاروا مخاوفه منهم — وكان رد البرتغال على هذه الأحداث أن أرسلت قوة عسكرية حددت أهدافها كما يلي(١) :

١ — العمل على نشر المسيحية بين القبائل الوثنية فى هذه البلاد .

٢ — الثأر لمقتل الآب سلفيرا .

٣ — الحصول على ثروة المونوموتابا لتستخدم فى تحقيق أهداف البرتغال ونشاطهم فى المحيط الهندى .

ويبدو أن البرتغال نجحوا فى فرض سيطرتهم — لفترة قصيرة — على هذه البلاد،وتشير وثائق البعثات التبشيرية للجزوبت إلى أنه أقيمت كنيسة عظيمة فى (زمبابوى) . .

وتحدث ليفيوسانيوتو (Livio Sanute) الذى زار هذه المناطق فى ١٥٨٨ عن زمبابوى ، فذكر إنها مدينة هامة تقع فى وسط المناجم القديمة للمونوموتابا وأنها تعنى فى اللغة القومية للسكان (القصر) ، وهى تطلق ليس على مكان واحد محدد لكن حيث يحل ويستقر الملك الحاكم فهى مركز المملكة الحاكمة .

ويشير إلى نفس الفكرة الرحالتان مونتيرو (Monteiro) وجاميتو (Gamitto) اللذان ، قاما فى عام (١٨٣١) برحلة فى زمبيزيا فتحدثا عن عدة أماكن أطلق عليها هذا اللفظ(٢) .

هذا على أن الخريطة الفرنسية التى رسمت فى عام ١٧٠٥ ووضحت عليها المناطق التى ازاحت البعثات الكشفية النقاب عنها— تشير إلى (زمبابوى) (المدينة) الملكية (لمملكة المونوموتابا) .

هذا وكانت إشارة آدم ريندر (Adam Renders) الأمريكى لزمبابوى ١٨٦٣ ثم زيارة الرحالة الألمانى (Karl Mauch) وإشارته لآثار زمبابوى مما لفت الأنظار أكثر إليها(٣) .

---

(١) Hall and Neal : Ancient Ruins of Rhodesia, P.P. 190—191.

(٢) Ibid P. 193.

(٣) أنظر مجلة الجمعية الجغرافية الملكية (فبراير ١٨٩١) .
R. G. S. Journal, (February. 1891).

وسلطت رحلات لفنجستون — التى أشرنا إليها فى مقدمة هذا البحث — الضوء على هذه المنطقة أكثر خاصة أن هذا الرحالة الذى أنتهت حياته فى عام (١٨٧٣) فى قرية تشيتامبو (Chitambo) الواقعة على أحد روافد الكنغو — ونقلت جثته إلى انجلترا حيث دفن فى وستمنستر أبى (Westminster Abby) فى مقبرة العظماء — هز مشاعر العالم كله بما كتبه عن هذه البلاد — وتجارة الرقيق — وبالنهاية التى انتهت بها حياته — فاتجهت الأنظار لهذه المناطق التى كانت مسرح نشاطه (١) .

فقد قامت الجمعيات التبشيرية المختلفة من مختلف العواصم الأوربية ، وكذلك الجمعيات العلمية بارسال مبعوثيها لها وظل هذا لمدة ميداناً للتنافس بين هذه الجمعيات.

وكان نصيب الجمعية الجغرافية الملكية بلندن (R. G. S.) فى هذا المجال نصيب الأسد ، وكان منبرها مجالا للعديد من الأبحاث التى ألقاها الرحالة ، والأثريون وغيرهم عن زمبابوى وآثارها وحضارتها وتاريخها ، كما كان لمجلتها الفضل فى نشر العديد من الأبحاث التى لازالت هى المصدر الرئيسى للدراسات المتعلقة بهذه البلاد وآثارها — خاصة أنها ثمرة أبحاث ميدانية جادة فى نفس المنطقة .

وقبل أن نعرض أهم ما كشفت عنه هذه البعثات من آثار ودلالتها نشير إلى أهميتها فى القاء الضوء على العلاقات القديمة بين العرب والأفارقه فى هذه الجهات .

أهمية آثار زمبابوى فى توضيح العلاقة القديمة بين العرب والأفارقة :

لدراسة آثار زمبابوى أهمية خاصة بالنسبة للأفارقه الوطنيين وبالنسبة للعرب وعلاقاتهم بالقارة الأفريقية وشعوبها من أقدم العصور .

(١) أشار الرحالة (Stanley) الذى أرسلته الجمعية الجغرافية الملكية بلندن إلى ذلك بقوله : «إننى فى حياتى الصحفية جبت البقاع لأسجل أخطار المعارك فى ميادين القتال كما شاهدت أحداث الثورات والحروب الأهلية والنزاع ، بل حضرت اللحظات الأخيرة للمحكوم عليهم بالإعدام لأسجل كلماتهم وتوصياتهم لكن لم يهز مشاعرى أى حدث من هذه الأحداث كما هزتها العبارات التى سمعتها من لفنجستون معبراً عن آلامه وآماله

— أنظر : — Stanley, H.M. : How I found livingstone in Central Africa (2nd edition), P.P. 402—425.

— Walter, H. : The last Journals of David Livingstone in Central Africa (London, 1874).

فأولا : من جهة الوطنيين الأفارقه فى هذه البلاد ، فان هذه الآثار تكشف النقاب عن جانب من الحضارة الأفريقية التى قامت فى هذه المنطقة فى وقت سابق للغزو الاستعمارى الأوروبى .

وهذا يدحض إدعاءات المستعمرين الأوربيين بأنهم جاءوا لمناطق وشعوب لا حضارة لها ، ليمسكوا بأيدى هذه الشعوب فى مضمار الحضارة،والواقع عكس ذلك تماماً . فكما نعلم عمد المستعمرون لمحو الشخصية الأفريقية ، ومحاربة اللغات القومية وغيرها من مقومات الأفريقى التى تربطه بماضيه وحضارته(١) .

فحضارة زمبابوى ترتبط فى ذهن الروديسيين الوطنيين بتاريخهم القومى ، فهى ترمز إلى ماضيهم المجيد ، وبالتالى للمستقبل المرتقب ، ولعل هذا هو السبب فى أن الاحزاب الوطنية حرصت على أن تنتسب إلى هذا الإسم العريق ، فقد قام إتحاد شعب زمبابوى الأفريقى (Zimbabwe African Peoples Union) ويرمز له بالحروف الأولى زابو (Zabu) ، واتحاد زمبابوى الأفريقى القومى (Zimbabwe African Nationalist Union) زانو (Zanu) .

وقدم عبر د . ازيكوى (Dr. Ozikwe) فى نيجيريا عن هذا الشعور عند جميع الشعوب الأفريقية التى عانت من الاستعمار ، والتى تنظر — كما قال — إلى تراثها الماضى على أنه الأساس الذى تستند عليه التبرهن على أنه كان لها نصيب من الحضارة الإنسانية ، وعلى حقها فى الحرية والحياه الكريمة .

---

(١) أسدل الاستعماريون الأوربيون فى البداية على أعمالهم الاستعمارية ستاراً انسانيا ، لكن منذ أوائل القرن العشرين لم يجد الاستعماريون أنفسهم ما يدعوهم لذلك فكانت تصريحاتهم مكشوفة عن الدوافع الحقيقية وراء عملياتهم الاستعمارية – فمثلا فى عام (١٩٢٣) صرح البرت سرو ALBERT SARRAUT وزير المستعمرات الفرنسية بقوله « ما الفائدة فى التمويه على الحقيقة ؟ إن الاستعمار منذ البداية لم يكن عملا من أعمال المدنية ، أو رغبة فى تمدين المستعمرات – إنما كان عملا من أعمال القوة دعت إليه المصالح – إنه حدث هام فى المنافسة الحيوية المتصلة المتزايدة بين الناس أفراداً وجماعات.

وصرح أحد الكتاب الفرنسيين ساخراً «إن مهمة فرنسا الإنسانية فى بلد كالجزائر مثلا - انحصرت فى تعلم الوطنيين هناك شرب الخمور – الرديئة ، وطائفة أخرى كبيرة من الرذائل التى كانوا يجهلونها » .

أنظر : انكروما ، كوامى : نحو تحرير المستعمرات (ترجمة عبد العزيز عتيق ١٩٥٨) .ص ٥٠.

والوطنيون فى روديسيا يرون أن المبانى الحجرية والقباب والآثار الأخرى التى عثر عليها فى مدينة زمبابوى العظيمة كما يطلقون عليها ، والمناطق المحيطة بها ، والتى تنظر إليها الحكومة العنصرية فى روديسيا اليوم على أنها مجرد أحجار . وتدرجها ضمن المناطق التى يستطيع الأوربيون أن يقضوا فيها عطلة نهاية الأسبوع ترمز فى نظرهم لحضارتهم التى تمتد جذورها عبر التاريخ فهى بمثابة الشعلة التى تضئ أمامهم الطريق ، أو كما عبر عنها أحد الكتاب (Political Dynamite)(١).

فهى ذات مغزى سياسى عند الوطنين ، وقد عبر أحدهم لأحد الأجانب الذين أبدوا إعجابهم بهذه الآثار عند زيارته لها بقوله « إن الجميل الذى يمكن أن تقدمه لنا هو أن تكشف وتوضح للعالم ان هذه الحضارة فى زمبابوى قامت على أكتاف الأفريقيين أنفسهم»(٢) .

ولذلك يشعر الأفريقيون فى روديسيا بضيق ممن يحاولون أن يقللوا من شأن هذه الآثار أو ممن يحاولون أن يقللوا من دور الوطنيين أنفسهم فيها .

ثانياً : لآثار زمبابوى أهمية خاصة بالنسبة للعلاقات القديمة بين العرب والقارة الأفريقية وسكانها . وعلاقة العرب بالساحل الشرقى للقاره قديمة وطبيعية فقد جاء العرب إلى هذا الساحل الشرقى للقارة من الجزيرة العربية ، خاصة من الأقاليم الساحلية المواجهة لهذا الساحل ، واستقروا فى هذه المناطق وأصبحت لهم تجارة زاهرة ، بل اندمجوا فى السكان وكونوا إمارات فى شرق القارة شهد بعظمتها وتحضرها كل من زارها من الرحالة العرب والأجانب على السواء — ومعرفتنا بهذا الإستقرار العربى ومعلوماتنا عنه لا تصل إلى تحديد بدايته فالوثائق والكتابات عنه لا ترجع إلا للقرن السابع أو الثامن الميلادى(٣) .

---

(١) Mishali, Benedict Vulindela : Rhodesia, Background to Conflict (London, 1967), P. 19.

(٢) Ibid P. 20.

(٣) Keltie, Scott : The Partition of Africa (London, 1895), P. 10.

وأنظر كثل للرحالة العرب الذين تحدثوا عن هذا الموضوع . رحلة ابن بطوط (نشر دار التراث بيروت ١٩٦١) ص ٢٤ وما بعدها .

وللدراسة التفصيلية للاستقرار العربى فى هذه المهاجر لشرق أفريقيا أنظر :

شوقى الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (الفصل الثالث عن نشاط العرب فى شمال القارة وسواحلها الشرقية ص ٣٥ وما بعدها) .

لكن مما لا شك فيه أن هذا الاتصال العربي الأفريقي أقدم من ذلك بكثير ، فأهمية هذه الدراسة لآثار زمبابوى أنها ترجع بهذه العلاقات العربية الأفريقية إلى عصورها السابقة لهذا الإمتداد العربي الذى أشرنا إليه .

فكثيرون يرجحون أن – الآثار القديمة فى زمبابوى لها علاقة بعرب سبأ .

وقد تعرضت مصادر أخرى متعددة لهذه الرابطة وعالجتها ، ولعل أوفى ما كتب فى هذا الشأن الأبحاث القيمة التى قام بها البروفسور كين (Keane) نائب رئيس المعهد الانثرويولوجى فى انجلترا وأيرلندا ، والتى نشرت فى عام (١٩٠١)وقد خرج هذا العالم من أبحاثه بأنه يرجح أن المنطقة بين الزمبيزى اللمبوبو هى المصدر الرئيسى للذهب الذى كان يصدر من قرب ميناء (سوفالا) الحالى وأن العرب الحميريين هم الذين كانوا يقومون بعملية تسويقه ، وأنهم كانوا فى الغالب يشتركون فى بعض عمليات الإعداد والتعدين الخاصة بهذا المعدن .وقد بنى رأيه هذا على أساس دراسة مقارنة للآثار فى كل من زمبابوى ومأرب(١) .

وقد ذهب (O. Neill) الذى كان قنصلا لانجلترا فى موزمبيق فى بحثه الذى ألقى أمام الجمعية الجغرافية الملكية بلندن فى اجتماعها فى ١١ مايو سنة (١٨٨٥) إلى أن آثار زمبابوى ترتبط بنشاط الفينيقيين البحرى مشيراً بذلك إلى هجرة الفينيقيين من شبه جزيرة العرب ، وربط بين نشاطهم البحرى والتجارى وهذه الآثار .

وأيد هذا الرأى (Colonel Thomas Holdieh) فى بحث مستفيض نشرته الجمعية الجغرافية الملكية بلندن أيضاً فى أبريل سنة ١٨٩٩(٢) .

كما أن (Neal and Johnson) اللذين قاما بالتنقيب والدراسة فى هذه الآثار لمدة طويلة – يرجحان أن هذه المنطقة فى شرق أفريقيا هى مصدر الثروة الذهبية للعالم القديم وقد قاما فى عام (١٩٠٠)،بدراسة جيلوجية للمنطقة وصخورها

---

(١) Keane, A.H. : The Gold of Ophir, Whence brought & by whom (leading article), London, Morning Post — 24 September, 1901.

(٢) The Royal Geographical Society's Journal (April 1899).

أيدت رأيها هذا ،وقد عثرا أثناء عمليات التنقيب التى قاما بها على أكثر من أربعين أوقيه من الذهب ، وأسلاك حديدية وقطع معدنية أخرى فى أطلال زمبابوى(١) .

هذا على أن العالم الألمانى الأصل (Henry Schilchter) والذى أصبح مواطناً بريطانياً ، وتخصص فى بعض الدراسات التاريخية والجغرافية خاصة المتعلقة بالقارة الأفريقية – أبرز فى بحث عن (السمات السطحية) لشرق أفريقيا – قدمه للجمعية الجغرافية الملكية – غنى هذه المنطقة فى الذهب وأشار إلى أن الذين كانوا يقومون بتسويقه هم كما تدل الأبحاث – عرب شبه الجزيرة العربية (٢) وقد أتاح له دخوله فى خدمة شركة جنوب أفريقية البريطانية منذ ١٨٩٧ – فرصة القيام بأبحاث أخرى فى المنطقة أكدت استنتاجاته السابقة ، وقد قدم بحثاً آخراً للجمعية الجغرافية الملكية ضمنه نتائج أبحاثه الميدانيهالمتعددة التى تؤكد صلة هذه المناطق بشبه جزيرة العرب(٣) .

وقد أشار البروفسور ميلر (Professor Muller) الأثرى الاسترالى الجنسية ، وهو متخصص فى آثار شبه جزيرة العرب–إلى الساميين الذين كانوا يشغلون المنطقة الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة (اليمن) ومن هؤلاء خرج فرع هو الذى أسس فى عام ٢٠٠٠ ق . م مملكة الفينيقيين على شاطئ البحر المتوسط ، والتى مدت نفوذها التجارى والحضارى بل والسياسى علىمناطق شاسعة ،فكان من مظاهر نشاطها (حضارة قرطاج) فى شمال أفريقيا – بينما خرج فرع آخر إلى شرق أفريقيا واستقر هناك وهو الذى أسهم بنصيب فى حضارة زمبابوى . ويقارن بين (آثار زمبابوى) وآثار بلقيس (قرب مأرب) فى شبه جزيرة العرب ، ويذكر أن أغلب آثار زمبابوى فى روديسيا والتى ترجع إلى العصور الأولى تؤكد الهجرة من سبأ إلى أرض المونوموتابا ويدلل على ذلك بحقيقة أن شعب سبأ اشتهر بغناه فى الذهب فى الوقت الذى لا يكاد يوجد فيه هذا المعدن فى شبه جزيرة العرب ذاتها – وهذا

---

(١) Neal, W.G. and Johnson : The Ancient Ruins and Explorers (Bulawayo Chronicle, 1900).

(٢) Schlichter, Henry : Ptolemy's Topography of Eastern Equatorial Africa (G.R.S., Nov. 1893).

(٣) G. R. S. Journal, April, 1899.

ما أدى إلى أن يؤكد العالم بروكش (Brugsch) استقرار عدد من أهل سبأ بأرض المونوموتابا ، وأن الآثار التى عثر عليها هناك ترجع إلى هذا الحدث(١) .

وقد أكد هذا الرأى (Neill) الذى كان قنصلا لانجلترا فى موزمبيق ، وقدم للجمعية الجغرافية الملكية بلندن بحثاً أشار فيه إلى علاقات الفينيقيين وغرب (سبأ) بشرق أفريقيا .(٢)

وذهب إلى نفس الرأى (Wilmot) الذى يؤكد هذه العلاقة بين أهل سبأ وهذه البلاد ، ويذكر إنه من المحتمل جداً أن يكون أهل سبأ قد أبحروا من اليمن السعيد إلى ساحل (سوفالا) وتوغلوا حتى منطقة المناجم وأسسوا مستعمرة هناك حيث عملوا لاستخراج الذهب . ولعلهم هم الذين أسسوا المعابد فى هذه البلاد للقيام بعباداتهم .

ويورد (Wilmot) بعض الأدلة على رأيه هذا منها(٣) :

١ ـ أن النشاط التجارى الذى قام به الفينيقيون الذين خرجوا من شبه جزيرة العرب إلى المحيط الهندى ـ حقيقة معروفة والأبحاث التى أجريت على آثار زمبابوى ترجح أنها ترجع زمنياً إلى هذه الفترة من نشاط الفينيقيين التجارى .

٢ ـ المعابد التى عثر على بقاياها فى زمبابوى تدل على تشابه كبير بين العبادات التى كان يمارسها سكان شبه جزيرة العرب ، وسكان هذه المناطق فى أفريقيا ، بل وعبادات الفينيقيين الذين انتشروا فى البحر المتوسط والسواحل المطلة عليه .

٣ ـ ثبت أن بناة زمبابوى كانوا عبدة للطبيعة على شاكلة الفينيقيين فى الوقت الذى كانت فيه عبادة الأصنام الحجريه هى الشائعة بين الشعوب الأخرى والتشابه بين معتقدات وطقوس الفينيقيين ،وتلك التى تتضح من آثار زمبابوى ، ومعتقدات سكان شبه جزيرة العرب فى ذلك الوقت ظاهره ملفته للنظر .

---

(١) Hall and Neal : Ancint Ruins of Rhodesea (London, 1902), P. 23.

(٢) Neill, H.O. : Phoenician Enterprise — G.R.S., (May, 1885).

(٣) Wilmot : In Monomotapa, P,P. 36, 37, 48, 73 and 77.

٤ — إن آثار زمبابوى ، والتماثيل من الحجر الصابونى (Soapstones) تذكرنا لأول وهله بالمعبد الفينيقى المسمى (Emesus) فى سواحل الشام .

٥ — كذلك تماثيل الطيور فى زمبابوى ، والوصف الذى يورده لها (Bent) وصور الرسام (Swan) شبيهة إلى حد ملفت للنظر بما نراه فى الآثار الفينيقية ويشير على وجه الخصوص إلى القمم المخروطية (Cones) التى تشبه النمط الأغريقى فى المعابد(١) .

٦ — التاريخ يتحدث عن رحلات الفينيقيين سواء فى البحر الأحمر أو حول القارة الأفريقية صوب شرق أفريقيا .

٧ — البرتغاليون عندما زاروا هذه المناطق فى القرن الخامس عشر أشاروا إلى أن مشاهداتهم تؤيد فكرة هذا الأثر الفينيقى .

وقد أدى هذا الربط بين غرب سبأ ومناطق التعدين فى شرق أفريقيا — إلى الربط أيضاً بين أرض أوفير — التى ذكرت فى الكتب السماوية — والتى كانت مصدر الذهب الذى أهدته ملكة سبأ للملك سليمان ، والذى كان من الكثرة حتى أن الملك صنع التروس ، وكرسى العرش ، بل وجميع أوانى الشرب فى القصر منه .

وقد تعددت الإشارات إلى ذلك منذ بدأت الأضواء تسلط على آثار زمبابوى(٢) فأشار إلى هذه الرابطة (Thomas Holdich) فى بحثه الذى أشرنا إليه والذى نشرته له الجمعية الجغرافية الملكية — فقد تعرض فيه لعلاقات بين أوفير ومناطق التعدين فى شرق أفريقيا وما يدور حولها من قصص(٣) .

---

(١) قام Bent and Swan برحلة إلى أرض الماشونا سنة (١٨٩١) ، وقد عمل الفنان (سوان) عدة رسوم لآثار زمبابوى نشرتها الجمعية الجغرافية الملكية فى (١٨٩٢) — وقد قام بزيارات أخرى لأرض الماشونا فى (١٨٩٣) ، (١٨٩٤) وقاده بحثه وراء الحقيقة لزيارة ميادين أخرى للتعدين للدراسة المقارنة — فى استراليا وتسمانيا (١٨٩٦) ، وسيام (١٨٩٨) وتوفى فى كولالامبور إثر عملية جراحية

أنظر ترجمة حياته Biography فى G.R.S. Journal (May, 1904)

(٢) أشار إلى أرض أوفير — سفر الملوك ص ٩ : ٢٦ — ٢٨ ، ص ١٠ : ١٠ ، ١١

(٣) G.R.S. Journal, April 1899.

كما رجح هذا الرأى (Hall & Neal) وذكرا إننا نستنتج من الكتب السماوية أن أوفير هذه إما أن تكون فى الهند ، أو فى جنوب شرق أفريقيا – فالمرجح أنها فى البلاد التى يطلق عليها روديسيا حيث أنها هى التى اشتهرت بوفرة معدن الذهب فيها كما أن الآثار التى عثر عليها فى هذه البلاد تدل على أن صهر الذهب وإعداده للتصدير كان منتشراً ويزاول على نطاق واسع كما تدل على ذلك الآثار التى عثر عليها – فكل الأدلة ترجح أن هذه البلاد هى (أوفير) المشار إليها(١) .

وقد قام (Hays Hummond) مهندس التعدين فى عام (١٨٩٤) بأبحاث خرج منها بأن كميات كبيرة من الذهب فعلاً قد سحبت من مناطق المناجم فى روديسيا– ويرجح أن استغلال هذه المناجم على نطاق واسع كان فى الفترة بين القرن السابع والقرن الثانى قبل الميلاد وهى التى تقابل الأحداث التى ذكرها التوراه عن أوفير .

وقد أدى الربط بين أوفيرا ومناطق شرق أفريقية هذه – إلى أن اتجه عدد من الباحثين إلى دراسة العلاقة بين مناطق تعدين الذهب ، والمناطق التى عثر فيها على الآثار فى هذه البلاد – وخرج هؤلاء باقتناع بأن منطقة (حزام الذهب) هى إلى حد كبير نفس منطقة الآثار ، وشغل بعض الكتاب أنفسهم بمحاولة تحديد مسار عربات نقل الذهب فى طريقها صوب ميناء (سوفالا) أو غيره من موانئ التصدير . ولعل أوفى بحث فى هذا المجال هو الذى قام به الكولونيل بادين بول (Colonel Baden Powell) الذى حدد طريقاً منحوتاً فى الصخر تظله الأشجار من الجانبين كمسار لهذه العربات التى يعتقد أنها كانت تجرها الثيران ، ويمتد هذا الطريق بين مرتفعات (Matoppes) ، وقد أطلق على هذا الطريق إسم (King Soloman's Road) وإن كان يعتقد وجود طريق آخر للشمال يمتد من (هارتلى) ويسير مع خط السكة الحديد الحالية حتى الساحل .

---

(١) Hall and Neal : Op. Cit., P. 25.

(٢) Ibid P.P. 51 & 52.

ملاحظة : أشار المسعودى (على بن الحسن بن على أبو الحسن ٣٤٦ هـ–٩٥٦م : مروج الذهب ومعادن الجوهر (باريس ١٨٦٠ – ١٨٧٦) إلى أن العرب كانوا يترددون على شرق أفريقيا للحصول

وقد حاول بعض الكتاب أن يقوم بعملية حسابية تقديرية لكميات الذهب التى سحبت من هذه البلاد — ووصل أغلب هؤلاء إلى أرقام كبيرة خياليه . ويكفى أن نشير فى هذا المجال إلى بحث[1] (Telford Edwards) الذى حلل فيه نشاط العرب فى هذه البلاد ، فذكر أن العرب جاءوا إلى هذه المناطق ليس للاستعمار لكن للتجارة ، وأن الحصون التى بنوها ، والحوائط الضخمة كان الهدف منها حماية هذه الثروة حتى يتم تصديرها ويرجح أن السبأيين ظلوا قروناً فى هذه البلاد يعملون ، ودلل على ذلك باتساع نطاق الآثار وبنائهم المعابد لآلهتهم مما يوحى بالإستقرار الطويل ، وذكر أنه لو وضعنا فى الاعتبار المساحات الواسعة فى روديسيا التى — كما يبدو — كانت ميدان نشاطهم — يمكن أن نجزم بأن ما يقدر اليوم بملايين الجنيهات الإسترلينية — من الذهب قد استخرج من هذه الجهات . . . ويرجح أن عشرات الآلاف من العبيد كانوا يشتغلون فى هذا العمل — دون أجر لصالح سادتهم — ويذهب إلى أن هؤلاء السبأيين كانوا يسدون حاجة فينيقيا وروما ومصر وباقى العالم المعروف ، ونشير إلى أن هذا يفسر لنا الكميات الضخمة من الذهب التى عثر عليها فى آثار مصر القديمة(١).

على أننا لا نستطيع قبول هذا الرأى كله على علاته — ففيما يختص بمصر مثلا من المعروف أنها كانت تحصل على حاجتها من الذهب من بلاد (النوبه) التى ارتبطت بها من أقدم العصور(٢) .

وقد قيل « إن الذهب فى مصر مثل الرمال على ساحل البحر »(٣) .

—على الذهب والأحجار الكريمة من الأهالى ، وقد أشار عند حديثه عن سكان (سوفالا) إلى أنهم لا يعرفون الخيول . ، كما أشار الادريسى (محمد بن عبد الله بن أدريس) إلى (سوفالا) باعتبارها مدينة الذهب حيث يوجد فيها بكميات كبيرة . .

(١) Edwards, Telford : Gold Production in Matabeleland (Bulawayo Chronicle, 20 June 1891).

(٢) للدراسة التفصيلية لعلاقة مصر ببلاد النوبة أنظر :
سليم حسن : مصر القديمة ج ١ ص ١٤١ وكذلك
Budge : The Egyptian Sudan, Vol. I, P. 5—34.

(٣) Mac A. Michael : A History of the Arabs in the Sudan 1, P. 21.

ويرى بعض المؤرخين — ومنهم برستيد أن كلمة نوبه مرتبطه بكلمة (Nabu) أى ذهب .

وقد كانت بلاد النوبه السفلى (الواوات بالذات) ترسل لمصر جزية سنوية من الذهب، وقد قيل إن الوارد لمصر من ذهب بلاد النوبه فى السنة الحادية والأربعين من حكم تحوتمس الثالث — مثلا بلغ ثمانمائة رطل ذهباً(١) .

هذا بالإضافة إلى مناجم الذهب فى الصحراء الشرقية والتى استغلها المصريون القدماء وأقاموا الحصون عند مدخل (وادى العلاقى) وفى أماكن متعددة أخرى فى الطريق المؤدى إليها .

على كل هذا لا يتعارض مع قبول ما قيل عن ضخامة ما كان يستخرج من ذهب من هذه الجهات للتصدير لجهات أخرى من العالم .

على أن إدواردز (Edwards) فى بحثه الذى أشرنا إليه سابقاً عن استغلال الذهب فى زمبابوى فى هذه العصور القديمة يصل إلى نتائج هامة نجملها فيما يلى :

١ — أن استغلال الذهب فى مناجم زمبابوى بدأ فى وقت مبكر وامتد عبر عصور مختلفة .

٢ — أن القدماء الذين كانوا يقومون بعملية التعدين هذه كانوا يتخيرون أفضل الأنواع التى تحتاج إلى جهد معقول فى استغلالها بينما يتركون العروق الرديئة التى تقل فيها نسبة المعدن النفيس وتحتاج لجهود وتكاليف كثيرة .

٣ — أن قوة بشرية ضخمة خصصت للعمل فى هذا المجال — ولهذا فهو يرجح أن العبيد كانوا يعملون فيها دون أجر أو مكافأة — لكن لصالح سادتهم (٢) .

هذا ونشير إلى أن (Edwards) قد عاد مرة أخرى لزيارة منطقة الماشونا بعد ذلك بسبع سنوات تقريباً حيث قام بأبحاث جيولوجية فى المنطقة الممتده من

---

(١) Emery, Walter : Nubian Treasure, P. 23.
وكذلك برستيد : تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى (ترجمة د. حسن كمال) ص ٨٨ وما بعدها .

(٢) Edwards, Telford : Op. Cit.

اينونجا (Inyonga) إلى مناجم الذهب فى المنطقةالمعروفةبقيصر وبليلم (Kaiser Wilhelm) . وأكد بعد دراسته الجيلوجية هذه ما ذكره سابقاً عن غنى المنطقة فى الذهب وضخامة الكميات التى سحبت على مر العصور(١) .

على أن التاريخ يذكر أن المدن الفينيقية فى صور و صيدا كانت فعلا غنية بالذهب ، وكانت تمد أسواق العالم بحاجتها منه . وقد أكتشفت البعثات الأثرية المختلفة التى كانت تعمل لحساب (شركة جنوب أفريقيا البريطانيه) كميات كبيرة من الذهب على شكل حلقات أو خيوط أو أسلاك مما يستخدم فى تزيين ونسج الأقمشة بالإضافةإلى القطع المطعمة بالذهب من الأثاث الخشبى أو الأدوات كالأطباق ، والمسامير الذهبية الصغيرة التى كانت تستخدم لتثبيت رقائق الذهب فى الأثاث(٢) .

وهكذا تكشف هذه الآثار عن صفحة هامة فى العلاقات العربية الافريقية منذ أقدم العصور ، ولا شك أن هذه الصفحة تخدمنا أيضاً فى فهم حقيقة الوضع بعد ذلك فى العصور الأكثر تقدماً — حين أشار الرحالة إلى أن المنطقة تسودها نظم وتقاليد هى نوع من أشياء أفريقية أصيلة بالإضافة إلى أشياء عربية . ومن مظاهر هذا الاتصال أيضاً شيوع لغة أفريقية عربية تمثلت فيما بعد فى اللغة السواحيليه وفى الحضارة التى تحدث عنها البرتغاليون فى العصور المتأخرة — فى القرن الخامس عشر بعد أن نجح فاسكوداجاما (Vasco Dagama) فى عبور رأس الرجاء الصالح والوصول إلى موانى شرق أفريقيا التى ذكر أنه رأى الناس فيها يرتدون الملابس الحريرية الموشاه بالذهب ، كما شاهد المنازل العالية من عدة أدوار ، والقصور المفروشة بالسجاد ، والمؤثثه بالأثاث الفاخر —وذكر نفس الملاحظة دوارتبربوسا (Duarte Barbosa) الذى زار مناجم المونوموتابا فى (١٥١٦) وذهل للثروة التى شاهدها ، ولما رآه من مظاهر الغنى والتحضر .

---

(١) Edwards, Telford : Wonders of Mashonaland (Rhodesean Herald, 20 Dec. 1898).

(٢) Hall and Neal : The Ancient Ruins of Rhodesia, PP. 90 & 91.

ويعلق (كوبلاند) على هذا بقوله « إننا يجب ألا نندهش لما يذكره هؤلاء ، الرحالة من مظاهر الحضارة التى نقلها العرب لشرق أفريقيا — فإن العرب كانوا حملة لواء الحضارة ، وقد كانت مدارس بغداد والقاهرة وتونس حتى القرن الثالث عشر الميلادى تفوق تلك التى فى اكسفورد أو التى فى أية مدينة مسيحية أخرى(١) .

وهذه الشهادة لها أهميتها بلا شك خاصة أنها صادرة من أجنبى استعمارى .

وهكذا تبدو أهمية دراسة آثار زمبابوى فى تتبع العلاقات العربية الافريقية تلك العلاقات التى امتدت عبر عصور التاريخ حتى يومنا هذا .

وبعد أن أدركنا أهمية هذه الآثار يحسن أن نلقى نظرة على النتائج التى أسفرت عنها أعمال البعثات المختلفة والدراسات التى عملت على هذه الآثار — خاصة أن هذه الدراسة أيضاً قد تلقى أضواء أكثر على صحة الرأى القائل بوضوح التأثيرات العربية فى هذه الآثار . ولعل الدراسات الأثرية التى بدأت تلقى اهتماماً فى شبه الجزيرة العربية للكشف عن الحضارات التى قامت فى هذه البلاد ومظاهرها — تسهم هى الأخرى فى توضيح العلاقات الحضارية بين المنطقتين .

النتائج التى أسفرت عنها جهود البعثات الأثرية المختلفة فى زمبابوى :

لقد أجهد العلماء والكتاب أنفسهم — كما ذكرنا — فى البحث عن أصل هذه الآثار ومصدرها وإلى أى الشعوب تنتمى، بل وفى محاولة وراء دلالة اسم زمبابوى وغيره من الأسماء التى ارتبطت بهذه المنطقة وآثارها ، حتى أنهارها مثل نهر سابى. فقد ثار تساؤل هل له علاقة بسبأ أم لا ؟ . . . . وتشعب البحث لدراسات جنسية وأنثروبولوجية للسكان الحاليين لمعرفة مدى احتمالات ارتباطهم بهذه الآثار وبين أسهامهم فيها .

ولحسن الحظ أن جزءاً كبيراً من الجهد تركز على التنقيب والبحث ودراسة ما يسفر عنه التنقيب من آثار ، ومحاولة تسجيلها سواء عن طريق الوصف أو التصوير أو الرسم .

---

(١) Coupland : OP. Cit,. p.39.

وأهم المناطق التى شملها البحث والتنقيب :

١ ــ منطقة زمبابوى نفسها

وأهم الآثار التى وجدت بها : المعبد البيضاوى (The Elliptical Temple)، الأكروبول (Acropolis) ، وآثار وادى الخرائب (The Valley of Ruins) - والتماثيل المختلفة والمبانى المعمارية والأدوات التى عثر عليها بين آثار زمبابوى .

٢ ــ آثار منطقة خامى (Khami)

وهى المنطقة التى تطلق عليها بعض المراجع الانجليزية اسم منطقة هيدبارك (Hyde Park) ، وهى تقع غربى مدينة بولاوايو بمقدار ١٢ ميلا ، وهى كما يعتقد كانت مركزاً هاماً للتعدين .

٣ ــ آثار منطقة بلنجوى (Bel ngwe)

وهى تقع فى جنوب مقاطعة فكتوريا .

٤ ــ آثار دهلودهلو (Dhlo Dhlo)

وهى توجد شرق بولا إيو فى طريق (بولا ايو ــ جويليو)

٥ ــ آثار إنيانجا (Inyanga) أو مونت فيرو (Mount Furo)

وهى تتمثل فى آثار أرض الماشونا (شمالى أوميتالى Umtali) بما يقدر بـ ٨٠ ميلاً ــ وتقسم عادة إلى مجموعتين :

(أ) مصاطب التلال Hill Terraces

(ب) آثار الوديان فى وادى سابى وفروعه .

وقد شارك فى أعمال الحفر والتنقيب عدد كبير من الأثريين والرحاله والمغامرين والمهندسين الذين كانوا يعملون لحساب شركات التعدين أو غيرها ــ نذكر منهم :

١ ــ ويلى ، هارى بوسيت (Willie & Harry Posselt) وقد حظيت منطقة زمبابوى فى ١٨٨٩ بنشاطها ، وكان لها فضل اكتشاف عدد كبير من تماثيل الحجر الصابونى (Soapstones)

٢ — فيلبس (G. Philips) وقد زار منطقة زمبابوى وسجل ملاحظاته عنها فى نوفمبر سنة ١٨٩٠ .

٣ — تيودوربنت ، سوان (Theodore Bent and Swan) وقد قاما بنشاط ملموس فى شهرى يونيو ، ويوليو (١٨٩١) فى خرائب زمبابوى — وذلك بمساعدة الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية .

٤ — جون ويلجبى Sir John Willoughby ، وقد اشتهر بسبب اكتشافاته فى عام (١٨٩٢) فى منطقة زمبابوى .

٥ — ادوارد مولير Ed. Moler ، وقد كشف النقاب عن عدة آثار على بعد عشرة أميال من زمبابوى .

٦ — توماس بينس (Thomas Baines) ، وقد قام بعمل رسوم للأكروبول ، والمعبد البيضاوى ، والقلعة المخروطية وغيرها من آثار زمبابوى .

٧ — د. شيلستر (Dr. Schilchter) الأثرى المانى — زار منطقة زمبابوى فى (١٨٩٢) ونشر بحثاً عن ملاحظاته فى نفس العام فى مجلد الجمعية الملكيةالجغرافية.

٨ — نيل (G. Neal) — وقد قام بأبحاثه فى منطقة زمبابوى وكان نشاطه بالذات فى منطقة فكتوريا شمال غرب زمبابوى .

٩ — نيل وجونسون Neal & Johnson قاما ولمدة خمس سنوات كاملة بأبحاث فى أماكن متعددت من روديسيا ، وقد أسفرت أبحاثها عن الكشف عن عديد من الآثار منها آلات نحاسية وأوانى فخارية وغير ذلك .

١٠ — روجرز (H. Rogrs) وتركزت جهوده بالذات فى منطقة دهلو دهلو (Dhlo Dhlo).

١١ — فرانكلين هويت Franklin White قدم وصفاً مفصلا مع رسوم لآثار منطقة دهلو دهلو Dhlo Dhlo.

١٢ — د. كارل بيترز (Dr. Karl Peters) — قضى فترة طويلة بين أطلال (Mount Ruso) ونشر نتائج أبحاثه فى أبريل (١٨٩٩) ،

وقد أثار ضجة بعثوره على تمثال للالهأوزوريس (Osiris) بين الاطلال مما أثار مسألة الصلة بين مصر وآثار هذه المناطق .

١٣ — هول ، ونيل (Hall & Neal) ويعتبر كتابهما الذى نشر فى عام (١٩٠٢) عن البقايا الأثرية القديمة فى روديسيا ،
(The Ancient Ruins of Rhodesea–Monomotapa)
من أفضل ما كتب فى هذا الموضوع .

١٤ — هول (Hall) — سجل نتائج جهوده طوال عامى ١٩٠٢ ، ١٩٠٤ فى كتابه عن زمبابوى العظيمة . وقد صدر فى ١٩٠٩ وهو الكتاب الذى ذكرنا أنه أهداه لذكرى بنت (T. Bent) مكتشف زمبابوى العظيمة .

هذه بعض الجهود التى بذلت نذكرها على سبيل المثال لا الحصر على أننا سنشير إليها وإلى غيرها من البحوث أثناء حديثنا عن كل أثر على حده بالإضافة إلى الأبحاث الحديثة التى سنستعرض نتائجها .

ولنستعرض نتائج وجهود هذه البعثات .

أولا : آثار منطقة زمبابوى

تمتد الآثار فى مساحة واسعة — تشمل هذه المساحة تل زمبابوى الذى يصل ارتفاعه إلى حوالى ٣٥٠ قدماً فوق سطح البحر ، حيث يوجد (الاكر دبول ثم وادى سابى بطول ١٥ ميلا وعرض عشرة أميال ، وعلى بعد نصف ميل تقريبا جنوبى تل زمبابوى يوجد المعبد (البيضاوى الشكل Elleptical Temple) الذى يعتبر أقدم آثار هذه المنطقة .

والمعتقد أن زمبابوى كانت المركز الحضارى والادارى لهذه البلاد فى العصور الغابرة كما يعتقد أن معبدها الكبير كان بمثابة المعبد الرئيسى ، ويعتبر الأثريون هذه الآثار فى (زمبابوى الأساس الذى يحدد الخطوط المعمارية لكل الآثار فى كل أنحاء روديسيا .

وأهم الآثار التى عثر عليها فى منطقة زمبابوى :

(أ) المعبد البيضاوى الشكل (Elleptical Temple) :

المعبد بيضاوى الشكل ، محاط بعدة حوائط من أحجار الجرانيت المنتظمة الشكل بحجم قوالب الطوب العادى ، وارتفاع الحوائط الرئيسية يصل إلى ٣٥ قدماً ، بينما طولها يبلغ ٢٨ قدماً ، وفى داخل المعبد ممرات غير منتظمة . وهذا الشكل البيضارى للمعبد أثار انتباه كثيرين من الأثريين فقد ربطوا بين هذا المعبد ومعبد مارب الذى اشتهر هو الآخر بشكله البيضاوى .

وإن كان معبد زمبابوى يصل فى مساحته إلى٨٣٣ قدماً بينما لم يتجاوز معبد مارب(٣٠٠ قدما).وللمعبد ثلاثة مداخل(١) :

(أ) المدخل الرئيسى (الشمالى) فى الحائط الشمالى الشرقى للمعبد،وبجوار هذا المدخل سلالم مغطاة بالجرانيت والأسمنت(٢) ، والحوائط على جانبى هذا مقامة بعناية ودقة .

(ب) المدخل الشمالى الغربى — فى الحائط الشمالى الغربى للمعبد — ويبدو أن هذا المدخل لعب دوراً رئيسياً فى الماضى ، والدليل على أهميته أن كل الممرات تقريباً تؤدى إلى هذا المدخل .

(جـ) المدخل الغربى — وله الأهمية الثانية بعد المدخل الشمالى ، وهو الذى يستخدمه زوار المعبد اليوم . ولهذا المدخل (كتفين) من المبانى ولا تزال متن الأعمدة — قائمة عند مداخل المعبد ، بينما سقط البعض الآخر.والمدخل الرئيسى للمعبد يؤدى إلى ممر طويل ، لكنه يضيق فى بعض جنباته بحيث لا يسمح لشخصين للسير فى نفس الوقت — أما الحوائط الداخلية فيصل ارتفاعها إلى ٣٠ قدماً .

وبالداخل (المكان المقدس) تحيط به حوائط سميكة من كل جانب ، بينما توجد منطقة مرصوفة بكتل سميكة من الأسمنت ، كما أن أرضية المدخل السرى مرصوفة هى الأخرى بالأسمنت وهى التى يطلق عليها اسم (Sacred Enclosure)

---

(١) أنظر الرسم المرفق مع البحث وهو من وضع فرانكلين هويت (Franklin White) فى بولا ايو (١٩٠٣) وقد أشار إلى أنه وضع فى الإعتبار وصف (Bent) وأبحاثه كما ورد فى كتابه الذى نشر (١٨٩٢) "The Ruined Cities of Mashonaland".

(٢) وبالطبع لم يكن الأسمنت بشكله الحالى معروفا فى ذلك الوقت لكن استخدمت مادة تقوم بعمل الأسمنت الحالى وسنوضح ذلك فيما بعد بتفصيل أكثر .

وبالمعبد برج مخروطى كان ارتفاعه حوالى ٣٥ قدماً ، ومحيط قاعدته ١٧,١٧ قدماً وكانت القبة المخروطية (Conical Tower) مغطاة بطبقة خارجية وعلى مسافة قصيرة شمال شرقى هذا البرج برج آخر أصغر — ولا شك فى أن الصورة التى رسمها له فى عام ١٨٧١ (Karl Mauch) وتلك التى رسمها فى ١٨٩١ Bent تكتسب أهمية خاصة لما أصابه بعد ذلك من دمار(١) .

وقد أشار (Mauch) إلى سقوط الطبقة الهشة التى كانت تحمل — كما ذكر زخرفه بديعة تغطى القبة الرئيسية للبرج — أثناء محاولة اختبارها — والسلم المؤدى إلى القبة يرتفع لمسافة ٣٥ قدماً تقريبا(٢) .

وبالمعبد عدد من المسلات لا زال بعضها قائما فى مكانه بينما سقط البعض الآخر ويحيط به سبع سياجات .

(ب) الأكروبول (The Acropolis)

يقع معبد الأكروبول على تلال زمبابوى ، ويشرف على الوادى من ارتفاع ساحق. والحقيقة إن الطبيعة جعلت من هذا المكان بقعة ساحرة . . ويستنتج من موقعه وطريقة بنائه على أنه بنى لغرض دفاعى(٣) .

ويعتقد بعض الآثريين الذين درسوا هذه الآثار الواقعة على التل أنها ترجع إلى زمن بعيد ، وتمثل درجة كبيرة من التقدم الهندسى .

ويعبر هول (Hall) — الذى تعتبر كتاباته من أحسن ما كتب عن زمبابوى وآثارها — عن مشاعره عند زيارته لهذه المنطقة فيقول :

« إذا كان الانسان يحس عند زيارته للمعبد البيضاوى الشكل بشعور الرهبة — فانه يشعر وهو يزور الأكروبول بشعور الزهو والفخر — بتملكه هذا الشعور

---

(١) أنظر رسم فرانكلين هوايت Franklin White

(٢) موخ Mauch — رحالة ألمانى زار زمبابوى فى (١٨٧١) ووصف هذه الآثار ، ويتميز وصفه بالدقة — لكن إشارته إلى أصل هذه الآثار مبنية على الاستنتاج والتخمين .

(٣) Henaman, Howard : A History of Rhodesia Complied From Official Sources (Edinburg, 1900), P. 6.

مع كل خطوة فى ممراته اللابرنتية — على أن الحوائط الضخمة للأكروبول والمسلات الشامخة فى السماء تجعلنا نندهش من ضخامة كميات الأحجار الجرانيتية التى نقلت ورفعت إلى هذا المكان على ارتفاع مئات الأقدام لتشييد هذه الأبنية الضخمة(١) .

ويستنتج الذين درسوا آثار هذه المنطقة — من ضخامتها — أنه لا بد كان تحت تصرف الذين شيدوها عدد ضخم من العبيد استطاعوا تشغيلهم فى هذا العمل .

ولعل السؤال الأول الذى يتبادر لذهن الزائر لهذا المكان هو — أين يوجد الممر الأصلى الذى كان يستخدم قديما للصعود ، إذ لا شك فى أن الممر المستخدم اليوم ليس هو الممر القديم .

على أن هناك طريقين يؤديان إلى قمة الأكروبول — أحدهما فى الجانب الجنوبى للتل ، والآخر فى الأمام فى مواجهة الشمال الغربى — فلعل أحدهما هو الطريق القديم الرئيسى .

هذا وقد أطلق بعض الكتاب على هذه المجموعة الأثرية التى تتكون من (الأكروبول) والمعابد الملحقة به (المعبد الغربى ، والمعبد الشرقى) — اسم اللابرنت فشكلها ، والممرات الداخلية المتعرجة توحى بهذا التشبيه (٢) .

وتؤدى إلى المعبد سلالم متدرجة ، بينما يشتمل على عدة أبنية محاطة بحوائط سميكة يبلغ ارتفاعها فى بعض الجهات ٣٠ قدماً ، وعلى هذه الحوائط زخارف ، وهناك عدد من المسلات يرتفع فى السماء ، ويعتقد إنها كانت مرتبطة بمراقبة النجوم أو الشمس الساقطة عليها .

وقد قام جون ويللجى (John Willoughby) بدراسة دقيقة للآثار التى عثر عليها فى هذه المنطقة — وتميزت دراسته بوصفه الدقيق للصخور وبالقياسات التى قام بها للمسلات وغيرها وقد ذكر أن إحدى المسلات يبلغ

---

(١) Hall,: Great Zimbabwe (An Account of two years examination in 1902 – 1904) on Behalf of the Government of Rhodesia (London 1909).

(٢) أنظر بحث هول (Hall) الخاص عن الأكروبول الذى نشرته حكومة سالسبورى بالانجليزية (١٩٠٣) ص ٢٧٧ .

ارتفاعها ١٤ قدماً ، وفى اعتقاده أن ظل هذه المسلات يحدد بدقة الإنقلاب الشمسى الصيفى أو الشتوى ، بينما تحدد غيرها بداية الخريف أو الربيع .

المعبد الغربى :

يقع فى أقصى الغرب ولذلك أطلقت عليه هذه التسمية ، وهو على شكل ربع دائرة(١) .

ويتميز بضخامة حوائطه إذ يبلغ عرضها ٢٥ قدماً وتوجد فى هذا المعبد بقايا مسلات جرانيتية .

وإذا اتجهنا من هذا المعبد تجاه الجنوب الشرقى نجد الممر المغطى (Covered Passge) وهو مغطى بصخور جرانيتية وطبقة من الأسمنت ، والكهف — وهو عبارة عن منخفض يظهر تحت الممرين المتوازين (Parallel passages) ثم الحوائط الداخلية وعددها خمسة .

أما المعبد الشرقى :

فهو فى أقصى الشرق من تلال زمبابوى ، والحائط الرئيسى لهذا المعبد مبنى على منحنى واسع جهته الشرق ، وهذا المعبد مبنى بعناية أكثر من المعبد الغربى ، والأحجار الجرانيتيه التى استخدمت فى بناء حوائطه منتقاة بعناية أكثر ومثبتة مع بعضها بعناية(٢) .

وقد ذكر بنت (Bent) — كما أشار غيره من الكتاب — إلى أن المعبد الشرقى مبنى فى وضع يتيح للشمس أن تدخله فى وقت معين فقط من النهار ، وذلك من نقطة معينة ، ويلاحظ شعاع النور ينبعث للمعبد من هذه النقطة وقت الظهيرة فقط ، وقد عثر بنت فى هذه المنطقة بالذات على عدة تماثيل من الحجر الصابونى بالاضافة إلى عدة أوانى نحاسية — وقد سجل (بنت) عدة بيانات عن مواعيد دخول

---

(١) أنظر الرسم المرفق .

(٢) Hall & Neal: The Ancient Ruins of Rhodesia (London 1902), P. 204.

الشمس وسقوط أشعتها فى هذا المعبد واستنتج أن المعبد نفسه كان يستخدم لملاحظة الانقلاب الشمس الصيفى أو الشتوى — وقد لاحظ بنت :(١)

١ — أنه لا يوجد معبد آخر فى زمبابوى غير هذا المعبد يتميز بمثل هذه الزخارف ، والمسلات وتماثيل الحجر الصابونى ، والشكل اللابرنتى المتمثل فى ممراته وحوائطه الداخلية .

٢ — وجود زخارف على الواجهات خاصة الواجهة الشرقية للحائط الرئيسى للمعبد .

(جـ) وادى الخرائب The Valley of Ruins :

فى المنطقة الواقعة بين التلال التى يرتفع عليها شامخا الأكروبول وغيره من آثار زمبابوى على هذه التلال ، وبين المعبد البيضاوى الشكل — يمتد واد طويل يتجه من الشمال الغربى على بعد ما يقرب من ٣٠٠ ياردة من سفح تلال الأكروبول إلى الجنوب الشرقى . وكان هذا الوادى مغطى بغابات كثيفة ، ساعدت لسنوات عدة على إخفاء مجموعة الآثار المتناثرة بين ثناياها ، ويحد هذا الوادى من الشمال الطريق الذى عرف باسم (Victoria Road) . وقد كشفت البعثات المتتالية التى وفدت على هذه المنطقة عن عدد كبير من الآثار والبقايا ، ولذا اصطلح على اطلاق لفظ (وادى الخرائب — أو الآثار على هذا الوادى) . لكن البعض ينظم الآثار فى هذه المنطقة فى ثلاث مجموعات (٢) :

١ — مجموعة تضم الآثار التى كشف عنها كل من (Posselt) و(Philips)، (Rendors)،(Mauch)وهى تقع إلى الشمال الشرقى من المعبد البيضاوى الشكل .

٢ — المجموعة العلوية التى تشمل كل الخرائب التى تقع إلى أقصى الشمال من حافة المنحدر .

---

(١) Bent, Theodore & Swan : The Ruined Cities of Mashonaland (Longmans esscen & Co. London 1891), P. 170 & 171.

(٢) أنظر الرسم المرفق مع البحث بعنوان (General Plan of Zimbabwe Ruins).

٣ ـ مجموعة الآثار الواقعة إلى أقصى الشرق والجنوب الشرقى .

ومهما تكن من فروق أو مميزات يتميز بها أى أثر من هذه الآثار ، فاننا فى الحقيقة لم نستطع أن نميز خطوطاً واضحة تجعلنا نطمئن إلى تقسيم هذه الآثار إلى مجموعات ترجع لكل حضارة معينة .

ومع ذلك فإن هذه المجموعات الأثرية تشترك فى ميزات نجملهافيما يلى (١):

١ ـ تدل كلها على دقة فى البناء ، وتقدم فى فن المعمار ، كما أن المواد المستخدمة كانت تختار بعناية .

٢ ـ ظاهرةواضحة أن الطابع المستدير يغلب على المبانى والحوائط بحيثلا تكاد توجد مبانى ذات زوايا .

٣ ـ وجدت بين ثنايا هذه الآثار كميات كبيرة من الفخار ، الكوارتز لعلها من بقايا العمل فى هذه المبانى .

٤ ـ بعض هذه المبانى ـ على الأقل ـ كانت كما يظهر بوضوح من اختيار مواقعها ومن طريقة بنائها ـ أنها كانت لأغراض دفاعية .

٥ ـ وجدت على أطراف الوادى بقايا أكواخ من الطين ، ولا شك أنها أكثر حداثة فى تاريخها من المبانى والآثار الحجرية المتناثرة بطول الوادى .

والمعتقد ـ بناء على ما كشفعنهالنقابمن آثار فى هذا الوادى أن أرضهذه المنطقة لا تزال تخبئ الكثير من الآثار التى تحتاج لجهود أخرى للكشف عنها .

والسؤال الذى لا يزل لم يجد إجابة قاطعة حتى الآن هو ـ هل توجد علاقة بين آثار هذا الوادى وبين منطقة الأكروبول ، والمعبد البيضاوى الشكل وبين النشاط فى هاتين المنطقتين ؟

وقد ترددت فى هذا الشأن عدة آراء كلها ينقصها الدليل القاطع لكن نجمل أكثرها قبولا هنا :

---

(١) Hall : Great Zimbabwe, P. 364.

(١) أن الوادى كان يمثل المستعمرة السكنية للعمال والمشرفين على العمل فى المناطق الأثرية الأخرى – وقد أدى هذا الرأى إلى استنتاج أن بعض النشاط فى المناطق الأخرى كان يرتبط بالتعدين أى الذهب واعداده للتصدير .

(٢) إن هذه المنطقة تمثل المنطقة الزراعية التى كانت تمون العاملين بالمناطق الأخرى المرتفعة بحاجتهم اليومية من الغذاء .

(٣) يمثل الوادى منطقة سكنية عادية ، بينما المناطق المرتفعة تمثل مناطق النشاط الهامشى الذى لا يتصل بحياة الناس العادية اليومية المنتظمة كمناطق للدفن أو الرصد أو المراقبة .

ونلاحظ على آثار زمبابوى التى عثر عليها :

١ – يلفت النظر كثرة الممرات فى المعابد ، وشكلها اللابرنثى وكثرة التواءاتها فى الاكروبول بالذات ، وكل الممرات تقريباً ضيقة وطويلة ، وهى تستخدم كما يبدو للمرور من منطقة إلى أخرى بعضها عميق ، وهناك ممرات متوازية ، ولا توجد أدلة على أنها كانت تغطى إلا فى حالات نادرة .

٢ – أسقف المعابد وغيرها من المبانى محملة على أعمدة مثبته فى الأرض وقد استخدم الأسمنت لتقوية قواعد هذه الأعمدة – وكذلك الحوائط .

٣ – يبدو أن الأسمنت كان يصنع من قطع من الجرانيت تطحن ، وتخلط بكميات من الجير ، وقد استخدم هذا الأسمنت لتغطية أوجه السلالم واستخدمت كميات كبيرة منه فى (الاكروبول) وفى (وادى الخرائب) ، وغطيت به بعض الممرات – ويبدو أن نسب المواد الداخلة فى تركيبه كانت تختلف حسب الأغراض التى ستستخدم فيها ، وكانت هناك أنواع منه تميزت باللون الأحمر ، وذلك نتيجة إضافة مادة أخرى أكسبته هذا اللون .

٤ – لم يعثر على كتابة غائرة محفورة على حوائط المعابد – وإذا وجدت فى وقت من الأوقات ، فلعلها أزيلت أو تهشمت بمضى الوقت .

٥ ــ وجدت فى الأكروبول بالذات ثقوب فى الصخور (كالمغارات) والغرض منها غير معروف بالضبط ــ وقد عثر فى بعضها على رؤوس للسهام أو قطع من الفخار ونماذج لتماثيل من الحجر الصابونى ــ والبعض يرجح أنها كانت مخازن للذهب المصنع أو لتراب الذهب .

٦ ــ عثر على عدد كبير من المسلات والأعمدة الجرانيتية فى المعبد البيضاوى ، والمعبدين الشرقى والغربى ، وفى الأكروبول ، وخرائب فيلب .

٧ ــ وجدت أعداد كبيرة من تماثيل الحجر الصابونى (Soapstone) فى المعبد البيضاوى ، وفى الاكروبول ، وفى وادى الخرائب ــ وهذه التماثيل تمثل طيوراً واقفة على أرجلها وتتجه غالباً لجهة الشرق ، ولعل ذلك يتصل بمعتقداتهم الدينية ــ ويبدو أن هذه التماثيل طرأ عليها تغيرات وتطورات مع الزمن من حيث حجمها واتقان صنعها وزخرفتها .

والبعض ربط بين هذه التماثيل ، وبين عبادة السبأيين فى شبه جزيرة العرب(١).

وأهم مجموعة من هذه الآثار هى التى وجدها (Bent)، والتى شارك (Swan) فى رسمها وتصويرها ، وتحتوى متاحف كيبتون ، وبولايو وسولزبرى ، ولندن العديد منها(٢) .

وعلى كل فلعل دراسة أعمق وأوفى للبقايا والأدوات ، والأوانى التى عثر عليها فى هذه المنطقة تتيح فرصة أفضل للحكم على وضع السكان السابقين .

دراسة لبعض التماثيل والأدوات التى عثر عليها بين آثار زمبابوى(٣) .

١ ــ أوانى من الحجر الصابونى (Soapstone) :

وجدت أوانى مصنوعة من هذا الحجر الصابونى مختلفة الأحجام والشكل ،

---

(١) Bent & Swan : The Ruined Cities of Mashonaland (London 1891), PP. 181—187.

(٢) Hall & Neal: The Ancient Ruins of Rhodesea (London 1902), P. 122.

(٣) من الأبحاث الهامة فى هذا المجال البحث الذى قدمه (R.C. Dowie) فى ٣١ يوليو (١٩٠١) (Rhodesia Scientific Association—Bulawayo) ونشر فى نفس العام فى Bulawoy's Chronicle

وكانت معظمها تحتوى على زخارف ورسوم لحيوانات لها قرون وطيور — ولا ندرى الأغراض التى كانت تستخدم فيها هذه الأوانى(١) .

٢ — أدوات من الذهب :

وجد الذهب بكميات كبيرة هنا ، ويبدو إنه كان يستخرج من أماكنه الأصليه وينقل إلى هذه المناطق ليصنع ، ولعل عملية التصنيع كانت تتم تحت اشراف العرب ، وقد اشتهرت فى العصور الوسطى قبائل المكالنجا (Makalanga) بالمهارة فى تصنيع الذهب فصنعوا منه خيوطاً ذهبيه بل وجدت خيوط من الذهب الأصفر فى (الاكروبول) ويرجح أن هذه المهارة قد اكتسبوها عن طريق العرب ويعتقد أن بعض الأوانى التى وجدت كانت مخصصة لصهر الذهب .

٣ — الآلات والأوانى النحاسية :

وجد النحاس فى أشكال مختلفة ، فقد وجدت فؤوس ، ورؤوس سهام ، وقضبان نحاسية ، وغير ذلك من الأدوات النحاسية — وقد كان يخلط النحاس فى بعض الأحيان بالرصاص بكميات قليلة وعثر فى (خرائب) (Renders) على سلسلة نحاسية ، وقد عثر على بقايا أفران يعتقد أنها كانت مخصصة لإذابة وتعدين النحاس .

٤ — الآلات الحديدية :

وجدت أشياء والآلات وأسلحة كثيرة مصنوعة من الحديد ، وهى من أحجام وأشكال متباينة فمنها أسلحة مدببة الطرفين ، ومنها مثلا مثقاب حديدى له يد خشب حتى وسطه ، وبه ثقب يدخل فيه سلك حديدى يربط المثقاب باليد ، كما وجدت ملعقة من الحديد ، ورؤوس حراب حديدية ، ومسامير من الحديد ، ولفائف حديدية لعلها كانت لحفظ وحماية الأعمدة ، الخشبية ، كما وجدت فى الأكروبول وفى المعبد الغربى آلات حديدية مسننة كالشوك ، وبعضها مطعم بالذهب ، وجدت أجراس حديدية يقال أنها كانت تستعمل لتحية الضيوف والزعماء وكوسيلة للتحذير من عدو أو خطر مترقب(٢) .

---

(١) Hall : Great Zimbabwe (London 1909), P. 108.

(٢) Ibid P. 121.

٥ ــ الأدوات من البرنز :

وجدت بعض الآلات من البرنز ، ويبدو أن العرب كانوا يبادلون البرنز بالذهب وقد استخدم البرنز بالذات فى صنع أدوات للزينة للنساء وللرجال كالأسورة والأقراط ، والعقود ، هذا بالإضافة إلى خيوط مضفرة دقيقة الصنع (١) .

٦ ــ عقود الخرز :

صنعت حبات الخرز من النحاس ، والبرنز ، والفضه وعظام الحيوانات البحرية وبعضها ألوانها جميلة هذا بالإضافة إلى الخرز المستورد .

٧ ــ الأوانى الفخارية :

وجدت عدة أوانى فخارية ، ويغلب على الظن ــ كما يظهر ومن فحص الأوانى التى عثر عليها ــ إنها صنعت باليد وليست بالآلات ، وغالباً كانت عملية التجفيف تتم عن طريق الشمس، ويعتقد أن الأوانى التى عثر عليها ترجع لقبائل المكالنجا (Makalanga) .

٨ ــ أوانى وأدوات مستوردة :

وجدت بعض مصنوعات من الزجاج مثلا ، وكذلك من أحجار غريبة عن المنطقة كأدوات من أحجار الكوارتز أو الديلوريت ، ويرجح البعض أنه كانت هناك مراكز لفحص (الكوارتز) واختيار الصالح منه للأغراض المختلفة .

بعض التساؤلات والملاحظات التى تتصل بآثار زمبابوى :

كان طبيعياً أن تثير دراسة منطقة (زمبابوى) بما عثر عليه من بقايا عدة تساؤلات :

١ ــ فمثلا كان السؤال الهام الذى فرض نفسه هو من أين كان الأهالى يحصلون على الأحجار التى صنعوا منها تماثيلهم ؟

لقد كشفت الأبحاث أخيراً عن وجود ما يمكن أن نطلق عليه محجراً للحجر الصابونى وذلك على بعد ١٥ ميلا إلى الشمال الغربى من المنطقة الأثرية فى زمبابوى ــ

---

(١) Ibid., P. 124.

ومن المرجح أن هذا كان المصدر الذى أخذت منه كافة الأحجار التى أستخدمت فى صنع الآثار فى هذه المنطقة .

٢ — أثار الباحثون تساؤلا آخراً — عن أماكن أفران صهر الذهب ، طالما أن ، الكل يجمع على الربط بينها وبين أعمال التعدين—لكن لعل الرد على هذا التساؤل هو انه يبرز أن مثل هذه الأفران لم تكن تشيد فوق سطح الأرض ، لكنها كانت عبارة عن حفر غائرة فى الأرض — ويرجع هذا الرأى أن السيرجون ويللجوبى (Sir John Willowghby) قد عثر على ثلاث من هذه الحفر بجانب بعضها فى الأرض الواقعة بين المعبد البيضاوى ، والأكروبول ، كما عثر (Bent, Theodore) فى الصخور فى الاكروبول — على ما يرجح إنها كانت حفراً مخصصة لصهر الحديد(١) .

وبعض الذين أثاروا هذه المسائل أشاروا إلى شهرة قبائل الباروتسى (Parotsi) التى تعيش الآن شمال نهر الزمبيزى ومهارتها فى أعمال التعدين ، والمعروف أن هذه القبائل فى وقت من الأوقات كانت تسكن فى هذه المناطق فى زمبابوى ، وفى هذا إشارة إلى أنهم ربما كانوا هم الذين يعملون بالتعدين فى هذه المنطقة .

٣ — سؤال آخر ارتبط بعملية التعدين هذه — هو اين تقع مناجم الذهب من منطقة الآثار هذه ؟

يبعد أقرب هذه المناجم المعروفة عن منطقة زمبابوى الأثرية بما يقرب من ١٢ ميلا — والغريب أن بعض مناجم الذهب فى المناطق القريبة وجدت سليمة تقريباً لم تمس ، لكن لعل التعليل المعقول لهذه الظاهرة أن المنطقة المحيطة بها كانت صالحة للزراعة ، ولا شك فى أن الأعداد الكبيرة من السكان ومن العاملين فى هذه المناطق كانوا بحاجة لكميات كبيرة من القمح فترتب على ذلك أن استغلال المناجم لم يكن فى مقدمة الأعمال التى يقوم بها السكان هنا فان أعداداً غفيرة كانت تعمل بالزراعة ، ولا شك أن هذه كانت تعمل فى حمى قلاع زمباوى ، وتعد اليوم هذه المنطقة فى مقدمة مناطق إنتاج القمح فى روديسيا .

---

(١) أنظر أماكن هذه الحفر (Rock holes) فى الرسم المرفق بالبحث .

٤ — وهذا يدعو لتساؤل آخر — عن مصادر المياه التى كانت تمد المنطقة بحاجة سكانها ، وحاجة الزراعة بها من المياه — ويبدو أن المياه كانت تصل للمنطقة من ينبوع للمياه بجوار المعبد ، كذلك هناك منبع للمياه إلى الشرق من هذه المنطقة .

هذا ويستفاد من الأقوال المتواترة والتى تتردد بين القبائل أن المنطقة تعرضت فى العصور السابقة لزلزال لعله هو المسؤل عن بعض ما أصابها من تخريب .

ثانيا : أثار منطقة خامى (Khami Ruins)

مع أن أثار منطقة زمبابوى بالذات هى التى تهمنا فى هذا البحث — فإن أهمية ما عثر عليه من آثار وبقايا فى المناطق الأخرى بروديسيا بالنسبة لنا يتركز فى محاولة إلقاء الضوء على مدى ارتباطها باثار زمبابوى أو على الأقل ما هى الاختلافات الواضحة بين هذه الحضارات وحضارة زمبابوى إن وجدت . وأما أثار خامى فقد وجد معظمها فى شريط طويل يمتد من تلال ماتوبو صوب الشمال الغربى على الضفة الغربية للنهر الذى يعرف بهذا الاسم — ولعل الأثر الذى أعطى رقم ١١ والذى يوجد منفرداً فى منطقة بعيدة نوعا عن باقى هذه المجموعة الأثرية هو أهمها من الناحية الأثرية(١) .

وتشغل هذه الآثار مساحة ميلين مربعين تقريباً ، ومن دراسة هذه الآثار يرجح أن المنطقة كانت عاصمة لعدة أحياء لتعدين الذهب ، وأن الذهب كان يفد لهذه المنطقة حيث يصهر ، ويبدو أن المنطقة كان يسكنها عدد كبير من السكان ، ولعل النهر كان هو الوسيلة للنقل .

وهذه الآثار تتمثل فى عدة حوائط من الجرانيت ، وقد استخدم حجر (الديوريت) فى أحيان قليلة ، والمبانى أقل ضخامة بكثير من مبانى زمبابوى ، كما يظهر بوضوح أنه جرت عليها عدة اضافات فى أزمنة متباينة ، وقد عثر على قطع من الفخار بجوار الآثار متناثرة لمسافات طويلة — ويبدو أن السكان كانوا يسكنون وادى النهر حول هذه الآثار .

ومن جهة الأثر رقم (١١) الذى أشرت إليه سابقاً فهو أكثر هذه الآثار بعداً عن النهر — فى الجهة الجنوبية الغربية من مجموعة خامى هذه على بعد ٧٠٠ ياردة

(١) أنظر الرسم المرفق حيث رقمت وحدات المجموعة الأثرية بأرقام مميزة .

تقريباً منها ، ويتكون من حوائط دائرية الشكل يبلغ محيطها تقريباً ستين قدما وارتفاعها أربعة أقدام . ولا شك فى أن الشكل الدائرى هنا يذكرنا بشكل الكوخ الذى اشتهرت به هذه المنطقة والذى يشبه أكواخ بعض القبائل فى التلال الغربية من بحيرة (نجامى) اليوم(١) .

وقد عثر بين أطلال الآثار هنا على بعض الآلات ، والأدوات التى تدل على أن المنطقة كانت عامرة بالسكان .

وإلى الشرق من هذه المنطقة الأثرية توجد محاجر الجرانيت حيث يعتقد أنها كانت المصدر الرئيسى لهذا الحجر .

ويرجع الفضل إلى جونسون ، ونيل (Johnson & Neal) فى الكشف عن بعض خبايا المنطقة ودراستها فى فترة بقائهما هنا من يناير إلى أبريل عام ١٩٠٠ . وقد وجد أكثر من ٤٠ أوقية من الذهب، وأسلاك حديدية ،وقطعا معدنية وفخارية وغيرها — لكن مما لا شك فيه أن الكثير من آثار هذه المنطقة ما زال مدفونا فى الأرض ينتظر جهوداً أكثر للكشف عنه — فلا زال مثلا المعبد المتعلق بهذه المنطقة مدفونا ، وتكثر فى المنطقة أشجار التين وغيرها من الأشجار الهرمة والمعمرة .

ثالثا — آثار بلنجوى (Belingwe)

فى هذه المقاطعة الواقعة جنوب (فكتوريا) وجنوب غرب منطقة زمبابوى الأثرية وجدت بعض الحوائط المتناثرة ويعتقد أنها لنفس حضارة زمبابوى الأولى، والبقايا تدل على أن المبانى كانت بيضاوية الشكل ، ولعل المنطقة كانت أيضا مركزاً

---

(١) أنظر Caton, Thompson: The Zimbabwe Culture (London 1971), P. 60.

ومن أحسن البحوث عن هذه الآثار : بحث Franklin, White : On the Khami Ruins near Balawaye.

Journal Royal Anthoro ological Institute of Great Britan and Scotland (J.R.A.I.), Vol. xxvi (1901).

لصهر الذهب – ولا تزال آثار هذه المنطقة تحتاج للكشف عنها ودراستها بعناية أكثر .

رابعا – آثار دهلو – دهلو (Dhlo—Dhlo)

توجد هذه الآثار فى طريق بولايو – جويلو Bulawayo-Gwelo على مسافة ٥٠ متراً شرق بولوايو ، وهى فى موقع ساحر ، – وباستثناء المبنى الذى يطلق عليه د. شلشتر (Dr. Schlichtor) اسم المعبد ، فإن باقى الآثار ترجع للزمن الثانى فى حضارة زمبابوى – والملاحظ أن العمل فى الحوائط الخارجية لهذه الآثار أكثر دقة ، ويدل على عناية أكثر من الوضع فيما يختص بالحوائط الداخلية(١).

ويعتبر بحث فرنكلين هويت (Franklin White) الذى نشر فى (١٩٠١) من أوفى وأحسن ماكتب عن هذه الآثار – هذا بالإضافة إلى الرسم الذى رسمه لها ، والصور الفوتوغرافية التى توضح شكل الحوائط ، ومختلف أنماط الزخارف وغيرها التى ظهرت فيها(٢) .

والمبنى الرئيسى بيضاوى الشكل بطول (٣٥٠) قدماً وعرض ٢٠٠ قدم ويمتد المحور الرئيسى من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى – ويرتبط بالبناء الخارجى حائطان خارجان .

والمبانى عملت من كتل من حجر الجرانيت تختلف فى الشكل والطول ، والطبقة السفلى من كتل أكبر من التى استخدمت فى الطبقات العليا ، ولم تستخدم المونة فى الحوائط لكن غطيت القمة بطبقة من الطمى وحصى الجرانيت – وقد بنيت بعض الحوائط كالأعمدة من جهتين بينما ملء الفراغ بينها (بالدبش) والمدخل الرئيسى للمبنى فى جهة الشمال ، ويؤدى الى ممر ضيق .

وقد لاحظ فرنكلين هويت (F. White) أن هناك اهتماما بزخرفة الوجه الخارجى فقط للحوائط . لكنه لاحظ أيضاً أن الزخرفة غير منتظمة وأنها

---

(١) أنظر : Caton, Thompson : The Zimbabwe Culture (1971), P. 8.

(٢) J.R.A.I., Vol. xxl, P. 23.

وأنظر الرسوم والأشكال فى ملحق البحث .

تبدأ وتنتهى فجأة دون نظام معين وهذه الزخرفة عملت إما باستخدام أحجار مختلفة الألوان أو بطريقة الزخرفة المموجة أو غير ذلك .

وعلى الإمتداد الواقع شرقى المدخل الرئيسى توجد آثار مبنى مستدير وقد عثر (فرانكلين) فيه على أعمدة خشبية مثبتة فى الحائط بالأسمنت .

وقد تباينت الآراء حول الهدف من هذه المبانى – بينما يعتقد شلستر (Dr. Schlicter) أنها لعبادة الشمس ، ويعتقد إنها من أفضل الآثار التى وجدت فى أفريقيا جنوب خط الاستواء(١) فإن (Hall & Neal) يعتقدان أنها تمثل حصناً أكثر منها معبداً ، وأنها تمثل حلقة فى سلسلة القلاع الممتدة من الساحل الشرقى قرب (سوفالا) نافذة هذه المنطقة، بل إن البعض ارجع هذه الآثار إلى الفينيقيين ، وأن قبائل الكفير (Kafir) بحثاً عن المواد اللازمة لبناء أكواخهم عبثوا بها(٢) .

وإذا أخذنا بهذا الرأى فإن هذا يعنى أن هذه البقايا يرجع عمرها إلى ٢٣٠٠ سنة على الأقل .

هذا ونشير إلى بعثة د . راندال ماكيفر (Dr. Randall Maciver) فى عام ١٩٠٢ فى هذه المنطقة والتى نشرت تقريرها فى عام ١٩٦٦(٣) .

وقد عثر ماكيفر بين الخرائب فى هذه المنطقة على بعض الأوانى الفخارية لحفظ المياه ، وبعض الأدوات والأسلاك من الصفيح والزجاج وغيرها ، وهو يرجح أن الصفيح كان يصنع هناك محلياً وإنه كانت هناك فرص لصهره(٤) .

---

(١) Geographical Journal (April 1819).

(٢) Hall & Neal: The Ancient Ruins of Rhodesia (London 1902), P. 20.

(٣) نشرت أبحاثه بعنوان Mediaeval Rhodesia ، وهويرى أن هذه الآثار ترجع للعصور الوسطى ، ويرى أن (زمبابوى) قد يرجع تاريخها للقرن السابع الميلادى وإن كان من المرجح أنها لم تكن فى ذلك الوقت ذات أهمية . فلم تبلغ أهميتها إلا فى القرون الوسطى المتأخرة ، أما باقى المناطق الأثرية التى يرجح إنها أصبحت مراكز هامة للنشاط . لكن أقل أهمية من زمبابوى – فقيامها ونشاطها لاحق لزمبابوى وحضارتها .

(٤) أنظر : Maciver : Mediaeval Rhodesia, P. 86.

ومن أهم ما عثر عليه ماكيفر بقايا الأوانى الفخارية السوداء والتى تميزت بزخرفتها باللون الأحمر – ويرجعها إلى قبائل الباروزى (Barozwi) التى يرجح إنها كانت فى ذلك الوقت تسكن هذه المنطقة(١) .

هذا وسنشير فيما بعد بتفصيل أكثر إلى أبحاث ماكيفر فى هذه المنطقة بالإضافة إلى الأبحاث الأخرى المتأخرة والتى تعتبر آخر ما وصل إلينا من أبحاث فى هذه الجهات مثل أبحاث كاتون تومبسون (Caton Thompson) وسيمسميرس (R. Sumsmers) ورينسون (K. Robinson) وهويتى (Whilty) .

خامساً – آثار انيانجا Lnyanga

تقع هذه المنطقة الأثرية على بعد ٨٠ ميلا شمال اوميتالى (Umtali) وتمتد لمسافة طويلة تصل إلى ما يقرب من ميل ونصف .

زار هذه الآثار وكتب عنها كثيرون تذكر منهم د. شلشتر (Dr. Schlichter)(٢)، تلفورد ادواردز (Telford Edwards) (٣) ، وكذلك د. كارل بيترز (Dr. Karl Peters)(٤) وكذا ماكدونالد (G. Macdonald)(٥)

وآثار هذه المنطقة يمكن أن نقسمها إلى قسمين :

(١) مصاطب التلال Hill Terraces

(٢) آثار الوديان ، فى وادى مالى (Valley Ruins)

ويعتقد د . شليشتر (Dr. Sechlichter) إن آثار مصاطب التلال (Hill Terraces)

---

(١) Ibid : P. 49.

(٢) Royal Geographical Society (21 Feb. 1899).

(٣) Telford Edwards : Wonders of Mashonaland.
وقد ظهر بحثه فى : Rhodesian Herald (20 Dec. 1898).

(٤) Among the Ruins in the Mount. (Oct. 1899).

(٥) ظهر بحثه فى : Bulawayo Chronicle (18 Sept. 1901).

ترتبط باشياء وعوامل متصلة بالزراعة وهى متأخرة عن حضارة زمبابوى ولعل لها صلة بالعرب من الشرق ، أما آثار الوادى فهو يذكر إنها ترجع لحضارة أقدم وترتبط بآثار زمبابوى مع فروق .

ويلاحظ ويشلشتر أن المبانى هنا أقل منها فى آثار زمبابوى ، وأن الأحجار المستخدمة كثيراً ما تكون غير منتظمة وبشكل مضطرب .

بينما يسجل إدواردز (Edwards) إنطباعاته بعد رحلته فى (١٨٩٨) فيذكر « بعد عودتى من رحلتى — فيما اعتقد أنه الجزء غير المطروق من أرض الماشونا أسجل مشاهداتى فى المنطقة بين (انيانجا) وحقول الذهب فى المنطقة المعروفة بقيصر ويلهلم (Kaiser Wilhalm) .. .. فلقد شاهدت مايزيد على ١٥٠ ميلا مربعاً من الأرض فى هذه المنطقة مملوءة بأطنان الأحجار .. مما يدل على أن هذه المنطقة كانت تعج فى العصور الماضية ، بالآلاف العمال ، ولا يمكن تقدير مبلغ ما بذلوا من جهد هنا إلا لمن يشاهد ضخامة العمل الذى تظهر آثاره أو بقاياه ».

ويصف (Edwards) المصاطب على التلال فيذكر إن المصاطب ترتفع عمودياً وإنها كانت تستخدم لزراعة المحاصيل التى يعيش ويعتمد عليها السكان ، ويذكر أن المياه توجد فى شمال منطقة انيانجا وإنها كانت بلا شك ترفع إلى هذه المناطق لرى هذه الأراضى .. كما يشير إلى المبانى التى أطلق عليها اسم مصائد العبيد (Slave Pits) — وهى عبارة عن انفاق واسعة تحت سطح الأرض لكن لها مدخلا واحداً يؤدى للداخل لمسافة طويلة بينما سقوفها مغطاة بالأحجار ، وبعض الفلاحين حالياً — كما يذكر — يستخدمونها كزرائب لحيواناتهم بعد أن عملوا فتحات فى السقف للتهوية (١) .

على أن ماكدونالد (Macdonald) يشير إلى الحفر المنتشره فى هذه المنطقة ويجدها الإنسان كل ياردتين أو ثلاثة — ويحدد عمقها بما يقرب من عشرين قدماً ، وقطرها بما يقرب من ١٢ أو ١٥ قدماً ويقول إنها الآن أغلبها مملوءة بالأحجار والأتربة . والحوائط مبنية من أحجار الجرانيت المرصوص بطريقة غير منتظمة ، والمدخل

(١) Hall & Neal : Op. Cit., P. 556.

معمول على مسافة من السطح ويؤدى إلى ممر ضيق وهى بهذا الشكل تشبه الخندق ويسهل لفرد واحد حراسته ، ولذا توحي بأنها كانت بمثابة مخزن للعبيد حتى يتيسر التصرف معهم ، وقد لاحظ أن سلسلة من القلاع تمتد لمسافة طويلة ، وقال إنه من بعيد تشبه هذه القلاع المنازل المعلقة ، ويعتقد أنها للمراقبة ، ولما كانت منطقة أنيانجا هي الضاحية الزراعية الرئيسية فى المنطقة فقد تكون القلاع أيضاً لحماية المزارع بالإضافة للقوافل التجارية(١) .

الأبحاث والحفريات الحديثة ونتائجها :

تتميز الأبحاث الحديثة التى أجريت فى منطقة زمبابوى ، والمناطق المرتبطة بها ، بأنها قامت على أسس علمية حديثة ، واستخدمت فيها وسائل لم تكن تحت أيدى الباحثين السابقين بالإضافة إلى المنهج المتبع فى الدراسة والبحث وتسجيل النتائج .

وقد أجريت أبحاث على المبانى نفسها من حيث طريقة البناء — أى الفن المعمارى والمواد التى أستخدمت ، ثم أجريت دراسات للبقايا والآثار التى عثر عليها ، واتجهت الأبحاث لمحاولة تقدير عمرها بالاستعانة بالكربون (١٤) المشع (Radio Carbon 14) كما أخذت عينات من المعادن وأجريت عليها تحاليل (Metallurgical Analysis) بهدف معرفة طبيعتها الكيماوية ، وطريقة خلطها إلى غير ذلك من الخصائص ، كما أن أنواع الخرز التى عثر عليها جرت محاولة لتصنيفها وتوصيفها وربطها بعمرها الحضارى .

هذا بالإضافة إلى ما أجرى على بقايا الهياكل العظمية من أبحاث ، وعلى التربة من تحاليل .

وفى النهاية محاولة رؤية النتائج فى ضوء الدراسة التاريخية للمنطقة وعلاقاتها بالمناطق الأخرى فى أفريقيا وخارجها ، والتيارات التاريخية والحضارية والسياسية التى تعرضت لها — فقد ثبت أن هذه المنطقة بالذات كانت من أكثر مناطق القارة تعرضاً للموجات المختلفة من الهجرات البشرية .

وتميزت الأبحاث الحديثة أيضاً بمحاولة التعمق أكثر ، إلى المناطق الواقعة تحت

---

(١) Bulawayo Chronicle (18 September 1901).

الأرض التى أقيمت عليها هذه المبانى والتى اعتبرها الباحثون السابقون الأساس ، بينما اتجهت الأبحاث الحديثة للتعمق فى محاولة لاكتشاف حضارات أو آثار حضارية سابقة زمنياً لتلك التى كشف عنها النقاب .

وسنشير هنا إلى أهم هذه الأبحاث الحديثة فى محاولة القاء الأضواء على النتائج التى توصلت إليها .

أولا : أبحاث راندال ماكيفر : (R. Maciver)

لعل من أهم الأبحاث الحديثة فى أثار زمبابوى أبحاث (د . راندال ماكيفر (Dr. Randall Maciver) الذى أوفدته الجمعية البريطانية لتقدم العلوم (British Association for the Advancement of Science) لدراسة هذه الآثار وكتابة تقرير عنها — وذلك فى عام ١٩٠٥ .

وقد نشر تقريره عنها فى عام ١٩٠٦(١) .

وكانت النتيجة التى خرج بها — أن هذه البقايا ترجع إلى العصور الوسطى المتأخرة ، وقد اعتمد — أكثر ما اعتمد — فى تقرير هذه النتيجة على دراسة لأنواع الخزف وقطع الزجاج الذى عثر عليه بين بقايا هذه الأطلال ، والتى لا يشك فى أنها مستوردة من الخارج . وكان من السهل أن يرجعها لأصلها التاريخى فى بلادها الأصيلة(٢) .

وكان ميدان عمل (ماكيفر) على الخصوص مناطق دهلودهلو (Dhlo Dhlo) وخامى (Khami) وانيانجا (Inyanga) وامتالى (Umtali) وزمبابوى (Zembabwe) .

وكانت منطقة (دهلودهلو) بالذات قد تميزت بكثرة ما وجدته البعثات الكشفية فيها من بقايا الفخار ، والزجاج بالإضافة إلى البقايا المعدنية .

---

(١) Medicavel Rhodesia (Macmillan 1900). "The Rhodesian Ruins ; Their Probable Origin and Significance, Geographical Journal, April 1906.

(٢) Maciveri M.R. P. 83

وقد عثر (ماكيفر) فى هذه المنطقة ، كما فى منطقة خامى (Khami) على نوع من الفخار من النوع الذى أطلق عليه (Hall) إسم فخار باروسوى (Barozwi) ، وهو يصنفه إلى نوعين(١) .

١ — نوع خشن الصنع ، وليست به أية زخرفة ، وهو مصنوع باليد دون إستخدام لأية آلة ، وقد طلى السطح الخارجى بمادة نباتية رصاصية اللون .

ب — نوع آخر استخدمت الآلة فى صنعه وسطحه أملس ، ويتميز بزخرفة عن طريق الحفر ، وغالباً يترك سطحه دون طلاء .

وقد عثر فى دهلودهلو و خامى على بقايا خبث الصفيح مما يدل — من وجهة نظره على أنه كان يصنع محلياً ولم يكن مستورداً(٢) .

كما عثر فى (دهلودهلو) على أسلاك من البرنز ملفوفة حول فرع نبات .

وقد خرج من دراسته للفخار والزجاج الذى عثر عليه بين أطلال هذه الآثار إلى أنه يرجع لنفس تاريخ إقامة المبانى الذى حدده فيما بين القرن العاشر ، والقرن السادس عشر الميلادى ، وهو يرجح أن آثار (دهلودهلو) ترجع إلى عصر متأخر بعض الشئ عن آثار زمبابوى .

ومن جهة المبانى لاحظ قبل كل شئ أن سكان دهلودهلو استخدموا بدلا من الطين نوعاً من الأسمنت مصنوعاً من خليط من مسحوق الجرانيت ، والجير (Granite Cement) — وهو يعطى تصوره لطريقة تشييد المبانى هنا ، بأنه فى البداية تنشر طبقة الأسمنت على الأرضية فى مساحة واسعة ثم تقام الأكواخ على أعمدة خشبية ، وإن لم يشر إلى كيفية تثبيت هذه الأعمدة فى الأرضية هل مثلا تعمل حضر أو تترك فراغات لهذه الأعمدة أثناء عمل الأرضية من الأسمنت أم ماذا ؟(٣) .

---

(١) Maciver : Ibd P.P., 49 & 50.

(٢) Ibid P.P. 43 & 58.

(٣) لاحظت كاتون توسون Caton Thompson — تشابهاً بين هذه الطريقة التى يصفها لنا ماكيفر وبين ما تتبعه بعض القبائل الحالية فى إقامة أكواخها .

أنظر : Caton, Thompson : The Zimbabive Culture (London 1971) P230

وقد لفتت أنظار ماكيفر عند زيارته لآثار دهلودهلو الحوائط التى تبدأ من الناحية الغربية للمدخل الرئيسى بارتفاع من ٦ إلى ٨ أقدام وتمتد إلى جهة الجنوب والشرق إلى أن تتاخم إمتداد الحائط الشمالى الشرقى ، وبداخل هذا الحائط ممر أو نفق بعمق من ٨ إلى ١٥ قدماً ، وقد ذهب فرانكلين هوايت (Franklin White) إلى أن الهدف من هذا النفق والحوائط هو حصر أى عدو مهاجم بين الحائطين الخارجى والداخلى(١) .

وإن كان عدد غيره من الباحثين ذهبوا إلى أن هذا الممر بين الحائطين يشبه الممرات المتوازية التى وجدت فى آثار زمبابوى ، وإنها كلها مرتبطة بالشعائر والطقوس الدينية(٢) .

ويعتقد ماكسيفر أن آثار انيانجا (Inyanga) أسبق زمناً من الآثار الرئيسية فى زمبابوى .

وعند تعرضه لدراسة آثار زمبابوى كانت النقطة الرئيسية بالطبع هى محاولة القاء الضوء على التاريخ الزمنى لهذه الآثار ، وقد أشار (ماكيفر) بصراحة إلى أنه لو عثر على المقابر المرتبطة بحضارة زمبابوى العظيمة هذه لحسمت مسألة عمر هذه الآثار — لكن يغلب على الظن أن منطقة تلال مابنجوبوى (Mapungubwe) المطلة على اللمبوبو هى التى اتخذت كمدافن .

وقد لفتت نظره فى آثار زمبابوى — الأرصفة المتصلة بالمبانى الملحقة بزمبابوى والرصيف عادة يتصل بالمبنى الأصلى بسلم ، وبينما يعتقد البعض إنها لهدف دينى فإن (ماكيفر) يرجح إنها كانت بمثابة منبر يمكن منه للحاكم أو رجل الدين أن ، يخاطب الجماهير ، كما أنه يشير أيضاً إلى ملاحظة أخرى وهى — إنه لاحظ أن هذه الآثار تشير إلى أنها كانت مسقوفة وربما المداخل أيضاً (٣) .

(١) Franklin, White : (S.R.A.I. Vol xx1-1890), 25 & 26

(٢) Caton : Op. Cit. P. 168.

(٣) Maciver : OP. Cit P. 84.

وفى نهاية بحثه يثير ماكيفر تساؤلا هاماً – هو هل ياترى يوجد ما يجعلنا نعتقد أنه كان هناك استقرار فى هذه المناطق لشعوب وقبائل سابقة لتلك التى تنتسب إليها آثار وحضارة زمبابوى ؟

ويذكر أنه لا يستطيع أن يقرر ما إذا كانت الطبقات السفلى المطمورة تحت مبانى زمبابوى كانت مسكونة بشعوب سابقة لشعب زمبابوى أم لا ؟ .. لكنه يعود فيقرر إنه من المحتمل أن يكون هناك استقرار سابق فى هذه الأماكن ، لكن على كل – فمن وجهة نظره – حتى إذا ظهر ذلك فهذه المبانى القائمة حالياً لا تنسب إلى مثل هذه الشعوب السابقة .

ثانيا : ابحاث كاتون ثومبسون (Caton Thompson)

كانت نتائج أبحاث دكتور رندال ماكيفر المتعلقة باثار زمبابوى والتى أشرنا إليها تؤكد – من وجهة نظره – أن كل ما عثر عليه من آثار معمارية – أفريقية الأصل ؛ وكذلك البقايا التى عثر عليها بين أطلال هذه المبانى باستثناء بعض أشياء محددة كالزجاج الذى ثبت أنه مستورد من الصين وبلاد الفرس وغيرها من البلاد التى ارتبطت تجارياً بهذه المناطق ، كذلك أكد ماكيفر أن هذه المبانى الأثرية ترجع للعصور الوسطى المتأخرة وليس قبل ذلك بأى حال .

لكن فى الحقيقة لم تحسم هذه الأبحاث الأمر ، فلم تكد تنشر هذه النتائج حتى ثارت عدة أسئلة تتركز كلها تقريباً حول المشكلة الرئيسية المتعلقة بالعمر الزمنى لهذه الآثار ، وكان مما أثير تساؤل هو : ألا يحتمل وجود بقايا أخرى تحت أرضية الطبقات التى كانت موضع الدراسة – ترجع لعصور أسبق ؟

وللاجابة على هذا التساؤل – والوصول لحقيقة الأمر أرسلت الجمعية البريطانية لتقدم العلوم (Britcsh Association for the advancement of science) مس جرترود كانون تومسون (Miss Gertrude Caton -Thompson) لروديسيا فى عام (١٩٢٩) لتقوم بعمل ما تراه لازماً من حفريات جديدة ولتعد تقريراً وافياً عن نتائج أبحاثها إلى الجمعية فى جوهانسبرج. ومن أهم ما أسفرت عنه أبحاث مس كاتون :

١ ـ العثور على كميات كبيرة من (الخرز) الصغير الحجم جمعها من إحدى عشر مكاناً فى منطقة زمبابوى نتيجة أعمال الحفر التى تمت فى الطبقات الواقعة أسفل الأرضية الأسمنتية للآثار التى كشفت عنها، وقد قام بفحص هذه العينات وتصنيفها وكتابة تقرير عنها هوراس بيك (Horace Beck) ونتيجة دراسته هذه منشورة مع رسوم للأنواع والأشكال المختلفة فى ملحق كتاب كاتون(١) .

٢ ـ أخذت عينات متعددة من المعادن من التى عثر عليها فى مناطق متعدده ـ وقد قام البروفسور ستانلى (J.H. Stanley) من جامعة ويتوانزسراند (Witwatersrand) والبروفسور ديسن (C.H. Desen) من جامعة شيفيلد يبحث العينات التى ترجع لمنطقة زمبابوى . بينما قام البروفسفور سبنسر (J.F. Spencer) من جامعة لندن بتحليل العينات التى أخذت من منطقة دهلودهلو(٢) .

وقد أثبتت هذه الدراسات وجود الذهب، والبرنز ، والحديد ـ على الخصوص ويعتقد أن الذهب كان يحصل عليه من طبقات سطحية غير عميقة .

٣ ـ عملت دراسات على قطع الجرانيت وغيره من الصخور فى هذه المنطقة وقد قام الجيلوجيون المختصون فى سولزرى (Geological Survey Office Sasbury) بدراسة هذه الصخور ، وقد وجد أن أهم الأحجار التى عثر عليها من الكوارتز ، والفلسبار (Felspar) والبيوتسيت (Bsotite)(٢) .

---

(١) "Rhodesain Beads" P.P. 229—242.

وقد قامت مس جرترود كاتون نفسها بدراسة طريفة عن تجارة الخرز فى العصور المختلفة حتى اليوم ، واستعانت بما ذكرته التقارير والسجلات البرتغالية ، هذا بالاضافة إلى دراسة ميدانية لها ومناقشتها لزعماء القبائل عن أهمية الخرز ونظرة القبائل الافريقية له . . وقد خرجت بنتائج مثلا أن الخرز الصغير مطلوب أكثر ، وأن اللون الأسود هو الأكثر – رواجا Caton : OP. Cit. P.P. 242& 243

ملاحظة : هناك دراسة تفصيلية قام بها Beck نفسه عن (الخرز) – تصنيفه وعلاقته بالحضارة البشرية

(٢) Caton : OP. Cit. P. 248 .

وتشير كاتون إلى إن القول بأن السكان الأصليين فى روديسيا لم تكن لهم دراية بعمليات التعدين الدقيقة – قبل الغزو الأوربى(البرتغالى)لا يستند على أدلة قوية ، وبالعكس فإن ما عثر عليه من أدوات يرجح أنها كانت تستخدم فى التعدين (حبال ، جرادل ، فحم ، الآلات من الكوارتز ، فؤوس مدببة ، ما يشبه البوتقه) جعلت بعض الكتاب يعطى صورة للمراحل التى يعتقد أن عملية التعدين كانت تمر بها(١) .

٤ – عملت دراسات وفحوص على بقايا بعض الجماجم التى وجدت فى هذه المناطق وقد قام ارثركيث (Arthur Keith) من الكلية الملكية للجراحين بفحص هذه الجماجم ، وفى تقريره عنها يشير إلى أنها تشبه جماجم بعض قبائل (البانتو) اليوم ، كما أشار إلى أنها كلها تعرضت للنار ، لكنه لم يستطع أن يجزم هل هذا نتيجة حادث طارىء أو نتيجة عمل متعمد مرتبط بالتقاليد(٢) .

٥ – هذا وقد قرنت مس كاتون بين ما يمكن استنتاجه عن تقاليد وعادات سكان زمبابوى وحياتهم الإجتماعية وبين الدراسة الأنثروبولوجية التى قام بها هيوج ستايت (Hugh Stayt) والتى خرج منها بوجود تشابه كبير يدعو للدهشة بين حياتهم وحياة قبائل البافندا (Bavenda) فرع الكارنجا (Karanga) بالبرتغال (٣) .

٦ – تعرضت (كاتون) فى تقريرها عن نتائج أبحاثها ودراساتها فى منطقة زمبابوى لمسألة هامة هى مسألة العملة – فلا شك فى أنها تعتبر من أهم العوامل التى يمكن أن ترشد إلى التاريخ الزمنى للآثار – وقد كانت البعثات الآثرية قد أشارت إلى العثور على عملات ترجع لعصور مختلفة فمثلا أشار (Hall & Heal) إلى العثور على عملة رومانية فى أومتالى (٤) .

---

(١) أنظر : Selous. F.C : Travels & Adventures in South Rhodesea Africa. (1893) PP. 335—8.

(٢) Caton : OP. Cit. P'.P. 244 & 245.

(٣) Ibid. P.P. 249—259.

(٤) Hall, R.N. & Neal : The Ancient Ruths of Rhodesea (1925) P. 143.

وقد ثبت أن هذه العملة دخيلة على المنطقة ولا يمكن ربطها بعلاقات رومانية مع هذه البلاد ، كما أن ما أشار إليه البروفسور دارت (Dart) من وجود عمله بطلمية وما تدل عليه من علاقات قديمة بالمنطقة قد فنده سكوفيلد (Schofield) وأكد إنها دخلت المنطقة ضمن عملات أخرى ترجع للقرن العاشر الميلادى(١) .

وتذهب كاتون إلى أن أقدم عمله وجدت هناك يمكن أن نبنى عليها أية تعليقات هى عملة انجليزية ترجع للقرن السادس عشر – ولذلك فللأسف لا يمكن الإستناد إلى هذا الاتجاه من الدراسة لتحديد التاريخ الحضارى للمنطقة .

٧ – تذكر كاتون أن التأثير الحضارى العربى لا شك فيه ، فمنذ القرن العاشر الميلادى كان عدد كبير من التجار العرب قد استقروا فى الساحل الشرقى وكانوا يزاولون نشاطهم التجارى بين الساحل الأفريقى وبين شبه جزيرة العرب والهند والصين لكن المشكل يتعلق بالفترة السابقة لذلك ، وهى ترجح أنه يمكن أن نفترض أن استقرارهم كان سابقاً لذلك بثلاث قرون،وذكرت أن مؤرخى القرن العاشر من أمثال المسعودى وابن الوردى قد أشاروا إلى تجارة الذهب والعاج مع سوفالا .

لكن مس (كاتون) تشير إلى نقطة أخرى وهى أن دراسة آثار زمبابوى من فن معمارى، وسلالم ، وأرصفة حجرية وغير ذلك مما نجد له شبيها فى الآثار الهندية قد تدل على العلاقات التى كانت قائمة بين هذه المناطق والهند ، والوثائق البرتغالية بالذات تحدثت عن العلاقات التجارية مع الهند ، وقد أشار دوارت بربوسا (Duarte Barbosa) إلى هذه الحركة التجارية وإلى أن كميات ضخمة من الذهب كانت تخرج من هذه البلاد مقابل الأقمشة القطنية الملونة ، والحريرية والخرز ، وبعض البضائع الأخرى .

وتعلق مس كاتون على ذلك بقولها أن ما تذكره لنا المراجع عن غنى وثروة ممالك الهند فى القرن الرابع عشر تدعو للدهشة لكن لعل الكميات الضخمة من الذهب التى نزحت من روديسيا تعطى تفسيراً لذلك (٢) .

---

(١) Dart : Natare (March 21, 1925).
Schofield, Nature, (March, 1926.)

(٢) Caton : OP. Cit, P. 198.

هذا ولابد فى هذا المجال من الإشارة إلى البحث العميق والقيم الذى قام به كينيون (Kenyon) حول كشف ساحل أفريقيا الشرقى وعما تعرض له هذا الساحل طوال تاريخه من موجات بشرية — وقد نشر هذا البحث كملحق لأبحاث كاتون (١) .

هذا على أن (مس كاتون) تخرج من دراستها هذه — إلى إرجاع الحضارة التى قامت فى هذه المناطق إلى القرن الثامن أو التاسع الميلادى ، وهى تشير إلى أن هذه الحضارة ترجع لعصرين متعاقبين من غير أن تكون بينهما فترة زمنية كبيره وتشير إلى أن الأوانى من الحجر الصابونى (Soap Stone) والتى عثر عليها ، والتى تمثل شكل حيوانات لها قرون تدل على حضارة رعوية سابقة لحضارة زمبابوى التى تميزت باستغلال الذهب وصهره وتصنيعه — وتذكر كذلك إن حضارة دهلو

---

(١) أشار فى هذا البحث إلى أن هذا الساحل الشرقى للقارة كان مطروقا من قديم الزمان للأسيويين خاصة من شبه جزيرة العرب ، وأشار إلى رحلة حتشبوت ، البحرية ، وإلى ما أشار إليه هيرودوت عن رحلة الفينيقين الذين أرسلهم نخاو فداروا حول القارة ، وإلى ما أشار إليه Play عن معرفة إتجاه الرياح الموسمية (وأثرها على حرية السفن — كذلك ما جاء فى كتاب البحار الأرثيرى وهو يرجع من ٦٠ إلى ٨٠ ق.م The periplus of the Erythean Sea عن الرحلات من شبه جزيرة العرب للساحل الأفريقى ، وكذلك لإشارات بطليموس الجغرافى إلى ذلك وإلى تدهور مملكة حمير ، ومد مملكة اكسيوم نفوذها إلى اليمن فى القرن الثالث الميلادى وبالتالى السيطرة على تجارة المحيط الهندى ، ثم منافسة الفرس للعرب فى تجارة المحيط الهندى ، لكن عادت السيطرة للعرب من جديد ، وهو يشير إلى هجرة العرب لشرق أفريقيا خاصة بعد أن زادت الصراعات السياسية فى شبه جزيرة العرب فى القرن السابع الميلادى — ثم يشير لما ذكره المسعودى وغيره من الكتاب العرب عن الاستقرار العربى فى شرق أفريقيا — ولعل ماركوبولو أول أوربى أشار لذلك (١٢٩٨) ، لكن ابن بطوطه الرحالة العربى (١٣٠٤ — ١٣٦٩) يشير للأمارات العربية الزاهرة هنا .

ملاحظة : هناك أيضا دراسة تفصيلية قيمة عن تاريخ الساحل الشرقى الافريقى والموجات التى تتابعت عليه قام بها (Theal) .

أنظر :

Theal, Hage : Records of South Eastern Africa (Printed for the Government of Cape Colony 1896—1963)
Vol. VI P. 233.

دهلو (Dhlo) امتداد لحضارة زمبابوى ولاحقة لها . وهذا يؤكد من وجهة نظرها عامل الاستمرار فى حضارة زمبابوى (١) .

وتذكر مس كاتون أيضاً أن جميع أبحاثها تجعلها ترجع هذه الحضارة إلى أصل أفريقى صرف ، لكن هذا لا ينفى وجود تأثيرات فينيقية أو رومانية أو مصرية ، قديمة أو عربية أو هندية — نتيجة الاحتكاك التجارى والسياحى على مر العصور التاريخية (٢) .

وترى مس كاتون أن الأمر إذاً يحتاج إلى أن نقف مع عقولنا لنصل إلى الأسباب المعقولة التى تبرر تدهور حضارة زمبابوى ونزولها من أوجها فى القرن العاشر أو حوالى ذلك التاريخ إلى الوضع الذى وجدها عليه البرتغاليون حين قدموا للمنطقة فوجدوا قوما يسكنون أكواخاً صغيرة محاطة بأسوار من القش بدلا من المبانى الحجرية الضخمة المحاطة باسوار حجرية منيعة .

وتشير مس (كاتون) إلى عدة أسباب تقول لعلها كلها أو بعضها أدت إلى هذا التدهور — منها هجرات (البانتو) وزحفهم الذى يمكن أن نشبهه بزحف الجراد ، ولعل موقع روديسيا يجعلها كمعبر فى الطريق وليست مثلا كجنوب القارة حيث ينتهى الأمر بالإستقرار ، وتضيف إلى أن (الاكروبول) لعله كان فى عصور القوة بمثابة قلعة أو حصن دفاعى (٣) .

ومن المعروف أن قبائل (البانتو) الزاحفة من وسط أفريقيا لم تكن فى وقت من الأوقات ممن إشتهر بالمبانى الحجرية — لكن لا شك فى أن توفر الصخور الجرانيتية فى هذه البيئة قد تدفع إلى استخدام الأحجار بدلا من جمع الأحطاب وفروع الأشجار ، لكن يحتاج الأمر لوجود شخصية قوية حازمة على رأس الجماعة تدفعها لهذا التغيير ، فالأمر متوقف على أن تكشف لنا الدراسة عن هذه الشخصية التى ارتبط بها هذا التغيير .

وقد يرجع الأمر إلى حروب داخلية وثورات القبائل على حكم (المونوموتابا)

(١) Caton : OP. Cit P. 135.

(٢) Ibid : P. 196.

(٣) Ibid : P. 198.

كما أن تيلور (Tylor) — وهو من أول الذين كتبوا عن هذه الآثار بعد أن ألقى (Mauch) الضوء عليها — يرجع الأمر هنا إلى موجة غزو خارجى بالاضافة إلى تجارة الرقيق وما سبقه من خراب بشرى وعمرانى (١) .

وتختم كاتون كلامها بأن الأمر يرجع فى الحقيقة إلى أسباب متعددة طبيعية وسياسية وروحية غير معروفة تماماً ولا نستطيع إخضاعها للعقل والمنطق . . لكن الأمر محتاج لمزيد من الدراسات الأنثروبولوجية المتعلقة بالبانتو الجنوبيين وترجو ألا يكون الوقت المناسب لهذه الدراسات قد فات — أو كما تعبر هى أن يكون المريض قد وصل لدرجة الاحتضار قبل أن نقدم له العلاج — وإن كانت دراسات (Dr. Stagt) بين قبائل البافندا (Bavinda) — كما تذكر — تعطى الأمل فى أن الأمر ما زال تداركه ممكنا (٢) .

ثالثاً : أبحاث سمرس ، وروبنسون ، وبتى

(R. Summers. K, Robinson & A. Bitty)

فى عام (١٩٥٨) قام ثلاثة من الباحثين بتكليف من لجنة المتاحف الوطنية والآثار التاريخية بروديسيا الجنوبية (National Museums andHistoical Monuments Commession, Southern Rhodcsia) بأبحاث فى هذه المناطق الأثرية بروديسيا ونشرت هذه الأبحاث بعد ذلك(٣) .

وقد عكف الباحثون الثلاثة على دراسة الآثار المعمارية والأدوات والآلات وقطع الخرز وغيرها التى عثر عليها فى هذه المناطق ، والنتيجة الهامة التى اسفرت عنها هذه الدراسة هى محاولة تصنيف لهذه الآثار يمكن فى ضوئه تكوين صورة عن التطور الحضارى للسكان الذين عاشوا هنا .

وقد قسم الباحثون الثلاثة — نتيجة دراساتهم — حضارة زمبابوى إلى أربعة عصور زمنية حضارية رمزوا لها بالرموز (A.B.C, D) بينما قسموا المجموعة B

(١) Tylor, E.B. : Primitive Culture (1973) P. 47.

(٢) Caton OP. Cit. P. 194.

(٣) "Occasional Papers at the National Museum of Southern Rhodesia- Vol. 3" 1961.

إلى قسمين، ولكل عصر أو زمن من هذه العصور له ميزانيته الفنية التى تتضح فى نوع الفخار وغيره من الدلائل الحضارية .

فالزمن الأول : يتمثل فى الحوائط الضخمة القائمة على أسس عميقة ، وأحجارها متماثلة ، والمدخل فى نهاية الحوائط ومستدير ، بينما الأرضية من حجر الجرانيت ويشمل هذا الزمن المدة من القرن الثامن إلى الحادى عشر .

الزمن الثانى : يتمثل فى آثار أقل ضخامة من الزمن الأول ، والمدخل غير مستدير ، ولا يصل الأساس عادة إلى أعماق بعيدة ، لكن ازدادت محاولة تزيين الحوائط الخارجية ،ويشمل هذا الزمن الفترة من القرن الحادى عشر إلى الثالث عشر.

الزمن الثالث : يتمثل فى زيادة الاهتمام بانتقاء الأحجار وتهذيبها .

ويشمل هذا الزمن الفترة من القرن الثالث عشر إلى الخامس عشر .

الزمن الرابع : يتمثل فى استخدام حجارة عولجت بحيث أصبحت زواياها مستديرة ، ويلاحظ فى هذه الفترة كثرة الأبنية التى على شكل قلاع للحماية .

ويشمل هذا الزمن الفترة من القرن الخامس عشر إلى الثامن عشر .

هذا ويرجح الباحثون — أن حضارة زمبابوى — فى أصلها حضارة رعوية ، لكن تعرض السكان لضغط عناصر أخرى متفوقة بأسلحتها وآلاتها الحديدية التى تتميز عن الآلات العظمية والخشبية أو الحجرية التى كان يستخدمها السكان — وترتب على ذلك تطور فى حياة السكان — ويعتقد الباحثون أن هذه العملية لم تتم نتيجة هجوم جماعى لكن تسرب بطىء — ولعله لم يكن منتظماً كما تدل على ذلك الآثار التجارية وغيرها .

ويذكرون أن هؤلاء الناس استخدموا المعادن كالحديد والنحاس فى صنع أدواتهم خاصة أدوات الزينة لكن الغريب أنهم لم يستخدموا الذهب مثلا فى صنع الحرز أو أدوات الزينة بل اعتبروه مجرد مادة كالعاج يخدم عملية التبادل التجارى .

وفيما يتعلق بالتحديد الزمنى فقد رجحت هذه الأبحاث أن الفترة بين القرن الثامن والعاشر تمثل البداية المرجحة — لكن ما زال الأمل معقوداً على العثور على مقابر هؤلاء السكان فى تلال مابنجوبوى (Mapungubawe) أو فى غيرها فلعل هذه تحسم مشكلة التحديد التاريخى هذه(١) .

كلمة ختامية :

إن هذه الدراسات كلها بلا شك توضح أهمية الحضارة التى قامت فى هذه المنطقة من إفريقيا .

وقد انتهت الدراسات السابقة كلها إلى أنها أفريقية ترتبط بالشعب الأفريقى الذى عاش فى هذه المنطقة لكن هذا لا يمنع أنها تأثرت نتيجة احتكاكات تجارية وسياسية .

ولعل النتيجة التى وصلت إليها (مس جرترود كاتون) فى مقدمة الطبعة الجديدة لكتابها (١٩٧١) ، وبعد دراستها لكافة الأبحاث التى نشرت حتى هذا التاريخ — من أن حضارة زمبابوى مرت فى مراحل ثلاث — منطقية .

وهذه المراحل هى :

(أ) المرحلة الرعوية الزراعية .

(ب) مرحلة استخدام الحديد وما يرتبط بها من مظاهر حضارية مختلفة .

(ج) المرحلة المرتبطة بالنشاط التجارى — المتمثل على وجه الخصوص فى تبادل الذهب والعاج بالخرز ، والأقمشة الملونة وما ترتب على ذلك من إحتكاك حاضرى ومن تطوير فى حياة السكان ونشاطهم .

---

(١) عثر صدفة فى عام (١٩٦٠) أثناء اقامة سد كاريبا على جماجم بشرية فى منطقة تبعد ٣٠ ميلا تقريبا عن السد المذكور وليست بعيدة عن مناطق مناجم الذهب ، بالإضافة إلى كثير من الآلات الحديدية ، والخرز — وقد أرجع تاريخها إلى القرن ١٢ أو ١٠ م ، فهى بذلك تكون معاصرة لحضارة زمبابوى — ومن الجثث التى وجدت جثتان يبدو أنهما لشريفين يعتقد أنهما من شبه جزيرة العرب أو من الهند .

على أن الانتقال من مرحلة إلى أخرى ارتبط بتغيرات سياسية واجتماعية فى المنطقة وبوجود قيادات استطاعت أن تفرض سلطانها ونفوذها على السكان وأن توجه نشاطهم فى إتجاه معين .

ومن جهة التحديد الزمنى لعمر هذه الآثار — فمع أن الأبحاث الحديثة ترجعها للعصور الوسطى ، وللفترة بين القرن الثامن ، والثالث عشر بالذات — فإنها كلها تشعر فى نهاية المطاف بأن الأمر لا زال يحتاج للمزيد من البحث والدراسة .

وقد أثارت مشكلة الفروق الحضارية بين ما تمثله هذه الآثار من حضارة متقدمة وبين الأوضاع فى المنطقة فى الوقت الذى وصل فيه البرتغال إلى الساحل الأفريقى الشرقى — مناقشات طويلة ، واضطر كل من تعرض لهذه الآثار الحضارية من الدارسين للبحث عن أسباب لهذا التدهور الحضارى .

أما عن علاقة هذه المناطق بالعرب فى شبه جزيرة العرب فأمر لم يختلف فيه إثنان لكن المشكلة انحصرت فى تحديد بداية هذه العلاقات ومدى الأثر الحضارى العربى على هذه المناطق — وهل يرجع إلى حضارة سبأ . وهل هو العامل القوى المؤثر فى حضارة زمبابوى فى عصر استغلال مناجم الذهب وتعدينه بالذات . . . أم أن هذه العلاقات العربية بتأثيراتها القوية لا تمتد إلا للعصر الإسلامى .

وفى الختام أجد من الواجب أن أقدم شكرى للذين عاونونى فى الحصول على كافة الأبحاث المنشورة عن هذه الحضارة الأفريقية — وهى عديدة ومتناثرة وهم كثيرون أيضاً — لكننى أخص بالشكر السيد — مدير المعهد البريطانى بالرباط (Mr. Potter) والقائمين بالأمر فيه،والمشرفين على المكتبة العامة فى بريكستون بانجلترا (Central Library) فلولا معونتهم الصادقة وتفهمهم الحقيقى للهدف العام من البحث لما استطعت الحصول على العديد من الكتب ، ومعظمها نسخ وحيدة هذا بالإضافة إلى النشرات والصور التى ذيل بها هذا البحث والتى تحمل إسم المكتبة المذكورة .

والله ولى التوفيق .

دكتور — شوقى الجمل

بيان بالأشكال الملحقة بالبحث

رقم الشكل

١ — رسم عام لآثار زمبابوى
(لبيان موقع كل أثر منها)
رسم (Franklin White)

٢ — رسم تخطيطى للأكروبول (زمبابوى)
رسم (Franklin White 1903)

٣ — المعبد البيضاوى (زمبابوى)
رسم (Franklin White 1928)

٤ — خرائب خامى (Khami)
رسم (Franklin White 1903)

٥ — خرائب دهلودهلو (Dhlo Dhlo)
رسم (Franklin White 1903)

٦ — رسوم لبعض البقايا الأثرية فى وادى الخرائب
خرائب موند (Maund) — لبيان أرضية الأسمنت ، والفن المعمارى وطريقة صف الأحجار .
(Caton : The Zimbabwe Culture P.P. 17—18) and 38

٧ — الأكروبول — المبانى المتدرجة (المرتدة) لتكون السلالم .
— ورسم من المعبد البيضاوى يوضح المدخل الشمالى من السرادب السرى
— ورسمان من المعبد البيضاوى لتوضيح الزخرفة على الحوائط
Caton : P. 102 & 105.

٨ – بعض الحوائط فى زمبابوى لتوضيح الزخارف المختلفة
Hall : Great Zimbabwe

٩ – بعض التماثيل من الحجر الصابونى (زمبابوى)
(من متحف جنوب أفريقيا)

١٠ – البرج المخروطى بالمعبد البيضاوى (زمبابوى)

١١ – عملة (فينيقية) عليها البرج المخروطى .
– اناء خشبى (سلطانية) عليه رسم يمثل دائرة البرج (وجد بجوار زمبابوى) .

١٢ – بعض الأدوات التى عثر عليها بين آثار زمبابوى (متحف بولايو)

١٣ – الخرز من خرائب زمبابوى
Caton : P. 187.

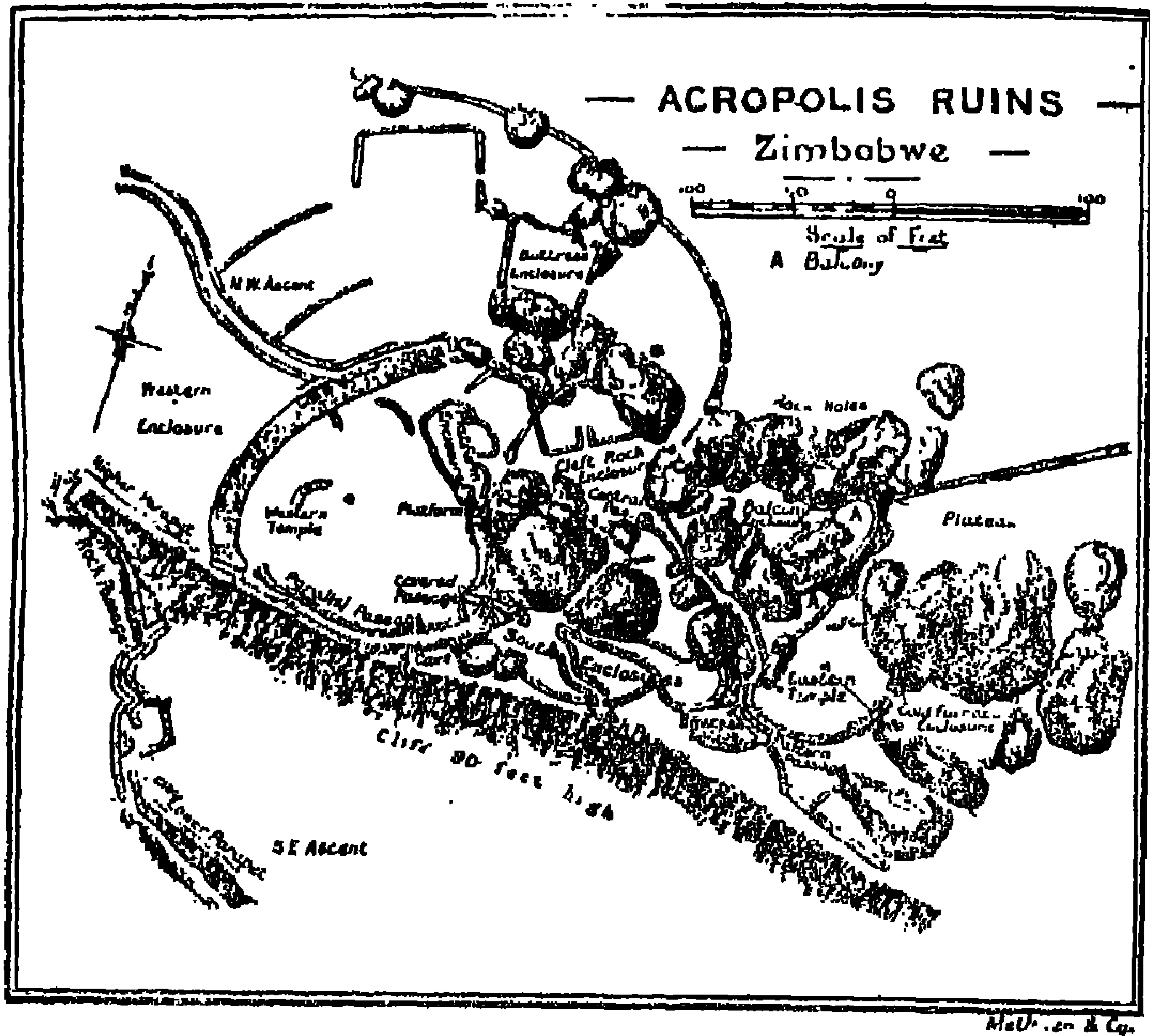
١٤ – دهلو – دهلو
بعض الأوانى الفخارية التى عثر عليها .
Caton : P. 133 & 177

١٥ – أسطوانة من الحجر الصابونى .
وردية الشكل (وجدت بجوار زمبابوى ، وأخرى فينيقية للمقارنة)
Hall : Great Zimbabwe

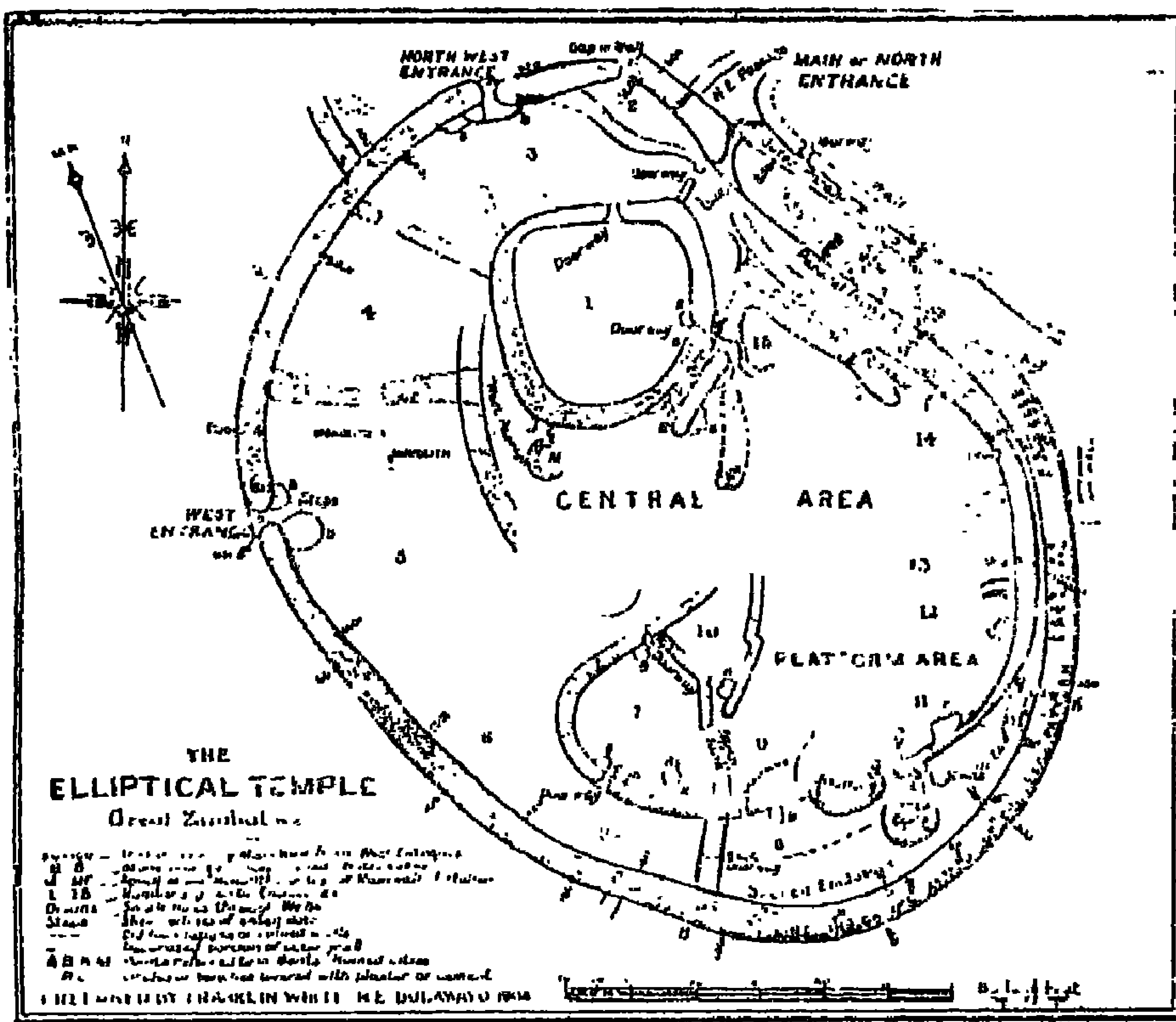
١٦ – أدوات من الأحجار
من آثار زمبابوى ودهلودهلو
Caton : P. 285.

١٧ – خريطة لزمبابوى (روديسيا الجنوبية) لتوضيح الأماكن الأثرية والمدن الهامة

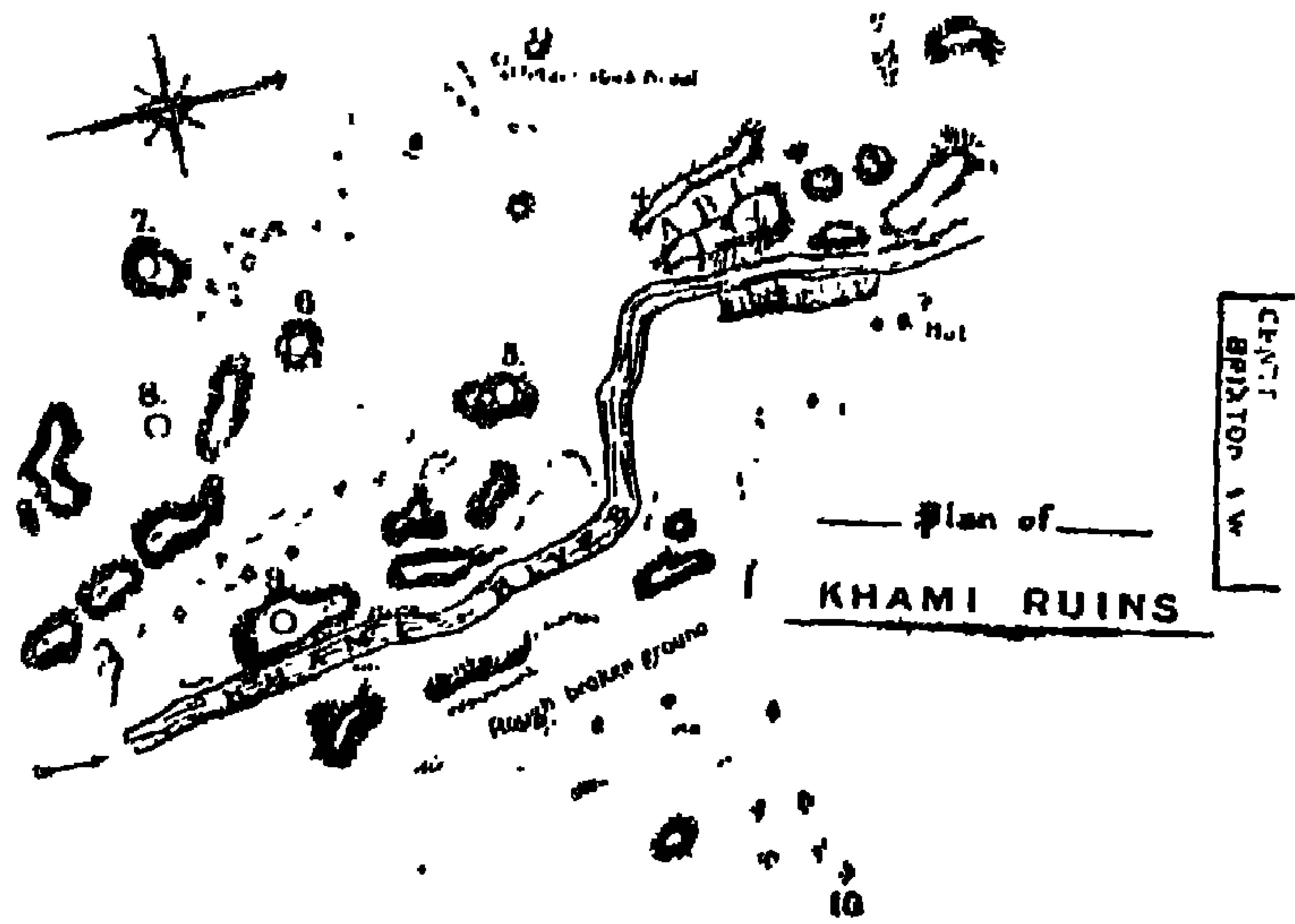
شكل (١)


— ACROPOLIS RUINS —
— Zimbabwe —
Scale of Feet
A Balcony
N.W. Ascent
Buttress Enclosure
Western Enclosure
Western Temple
Platform
Cleft Rock Enclosure
Covered Passage
South Enclosures
Eastern Temple
Plateau
Cliff 90 feet high
S.E. Ascent

شكل (٢)


NORTH WEST ENTRANCE
MAIN or NORTH ENTRANCE
CENTRAL AREA
PLATFORM AREA
WEST ENTRANCE
THE
ELLIPTICAL TEMPLE

شكل (٣)



شكل (٤)

شكل (٥)

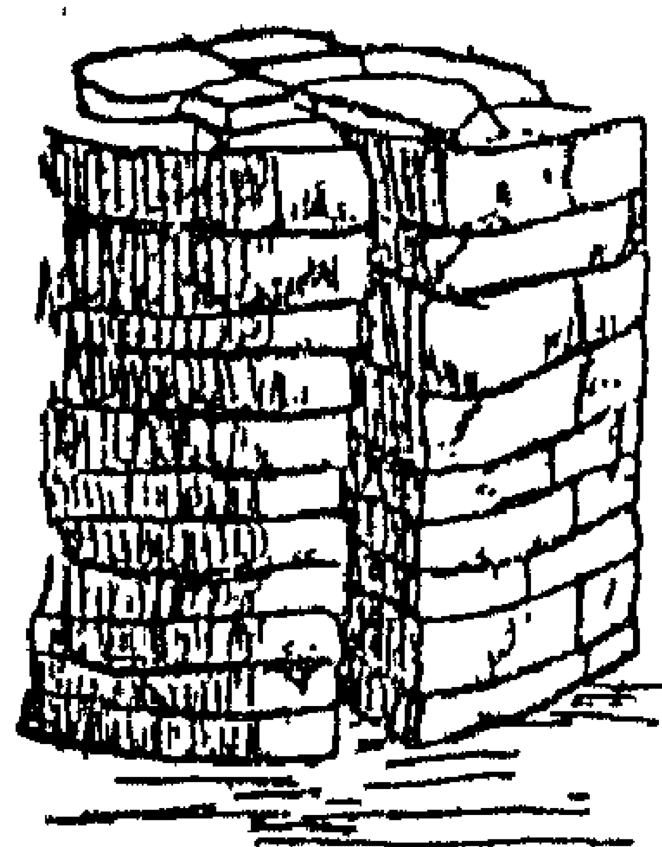


FIG. 1 Maund Ruins
V-shaped chase in Bastion 10

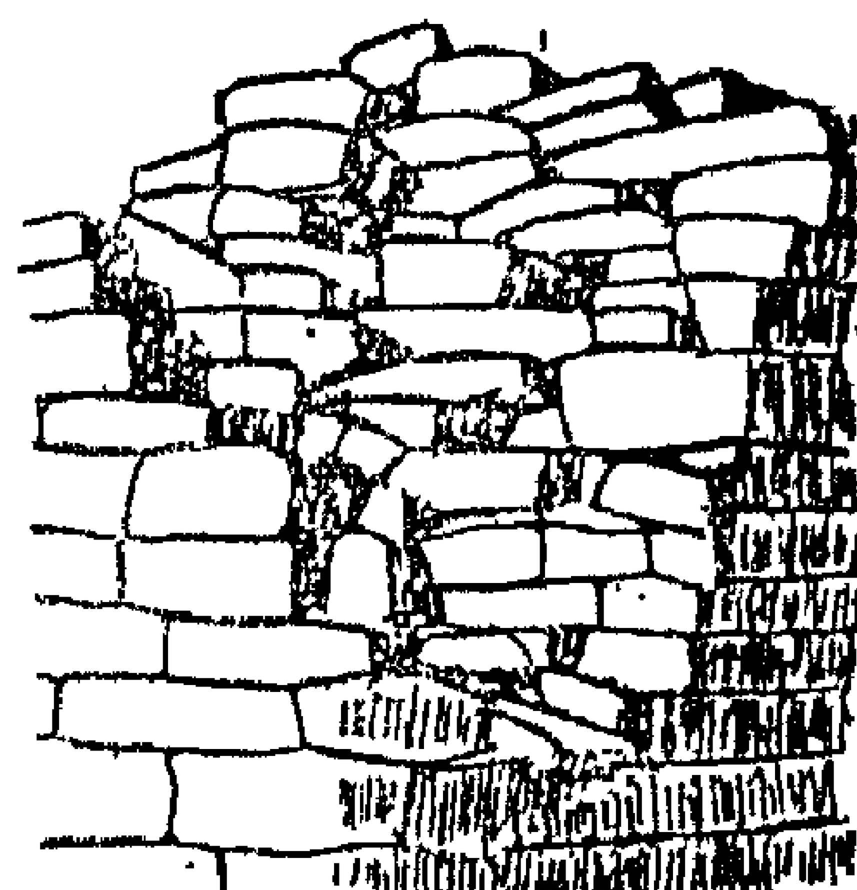


FIG. 2 Maund Ruins
Internal construction of Wall 5

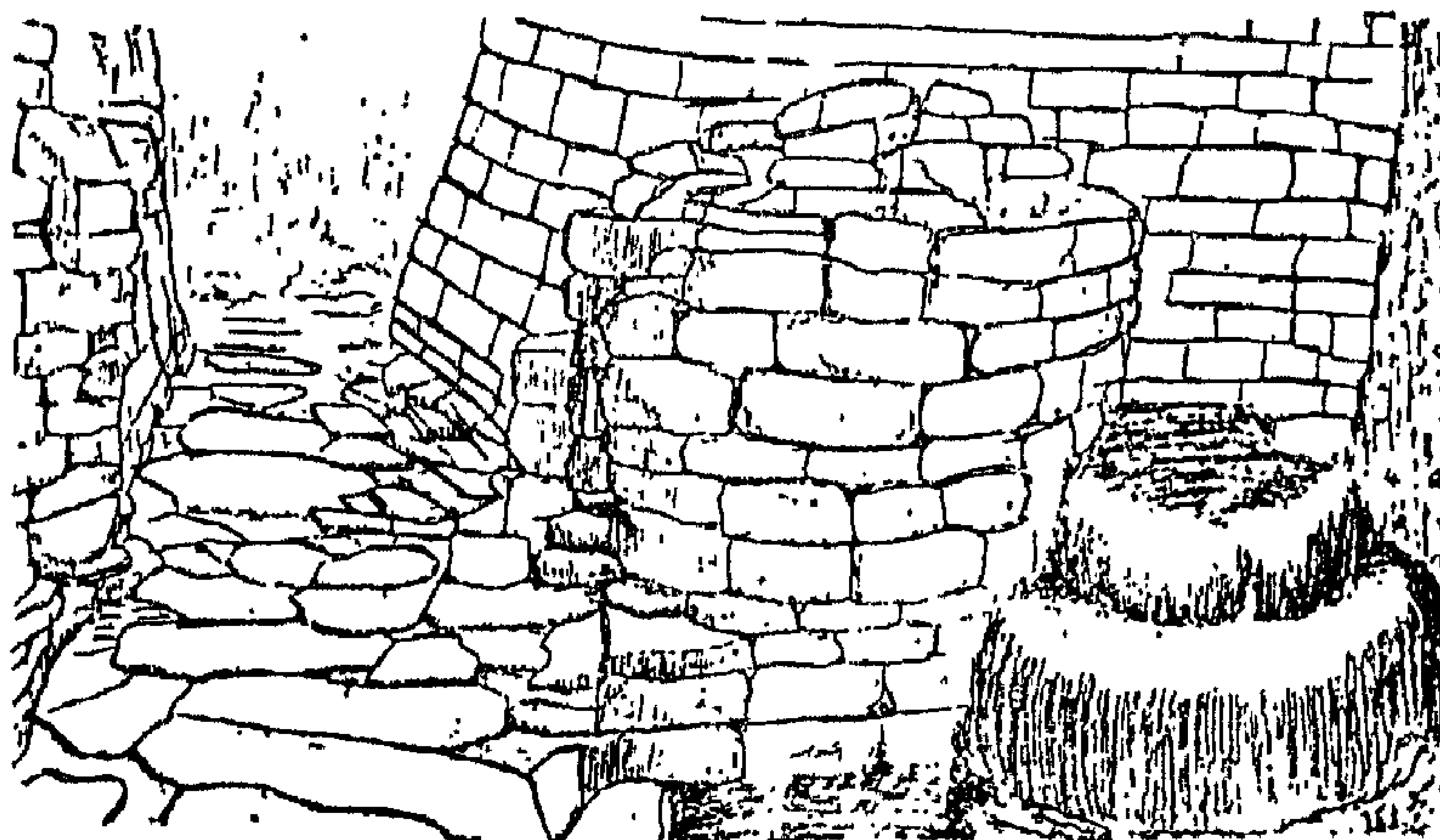


FIG. 3 Maund Ruins. Vertical end of Wall 2 pressed against Daga Mound (right background). Chased bastion and bevelled cement bench (foreground)

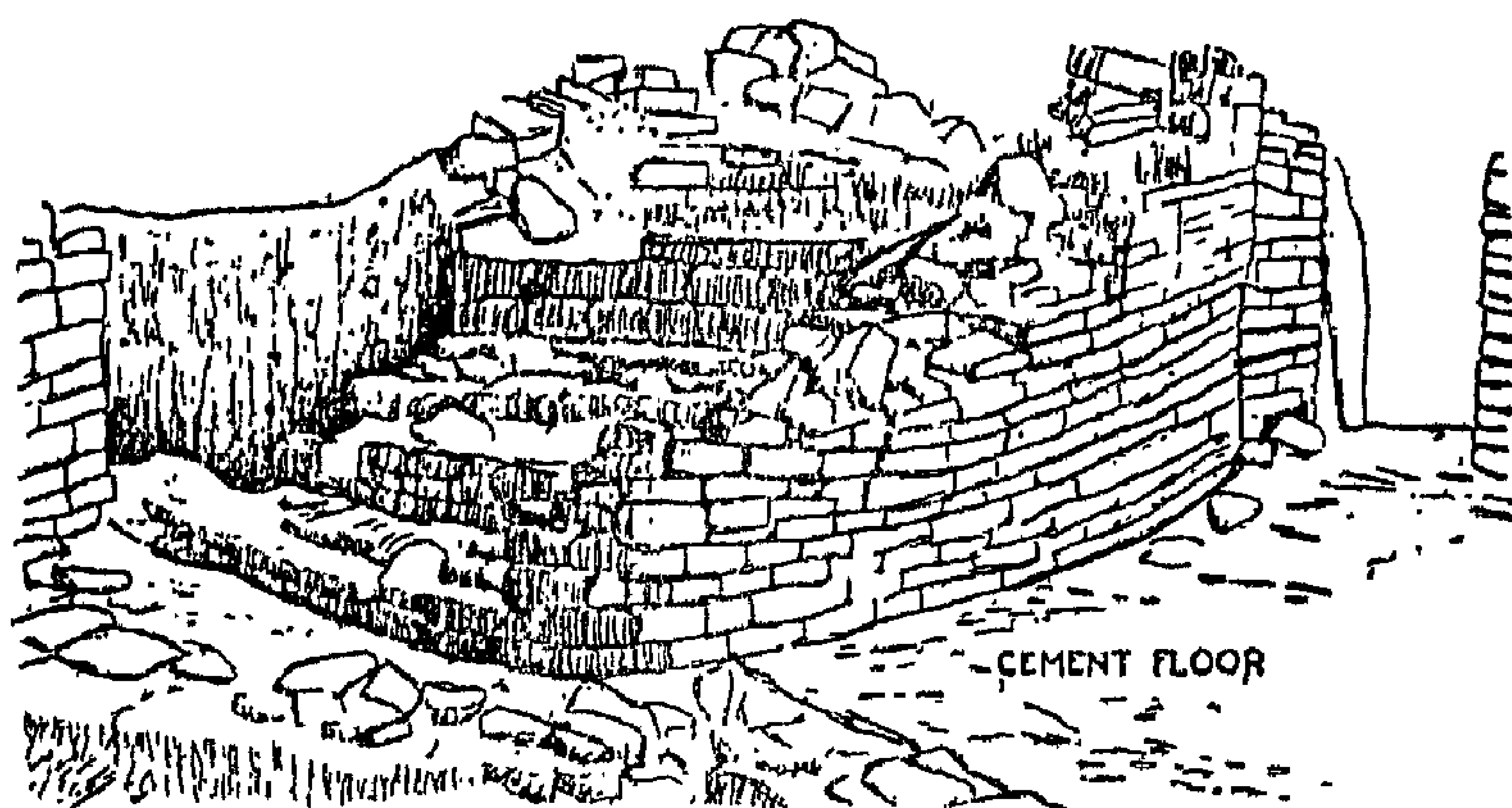


FIG. 4 Maund Ruins. Platform 10, with abutment of daga mound (4) seen in section

شكل (٦)

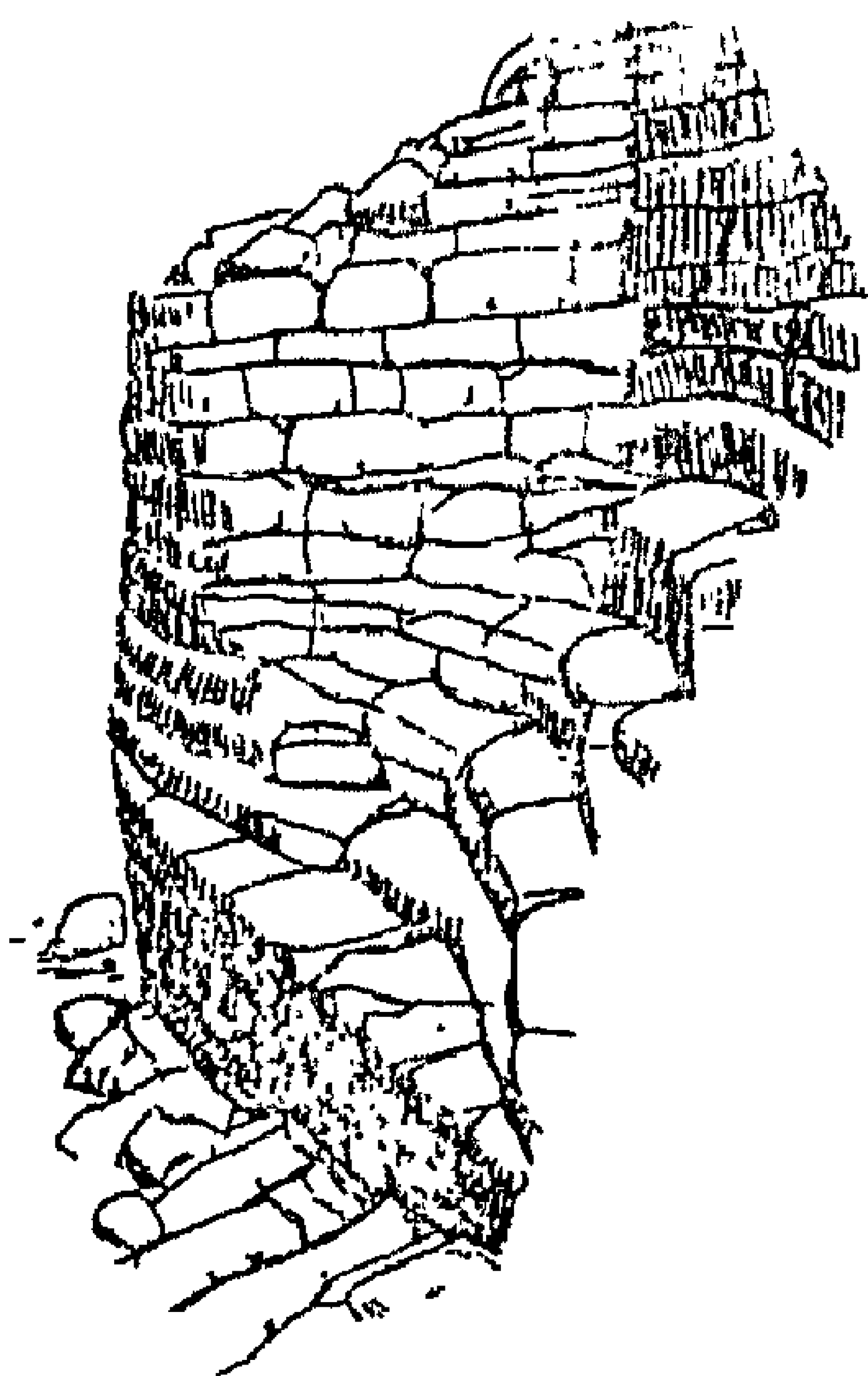


FIG. 5 Acropolis. Recessed courses forming blind steps



FIG 3.
CHEVRON PATTERN ON WALL OF ELLIPTICAL TEMPLE
ZIMBABWE



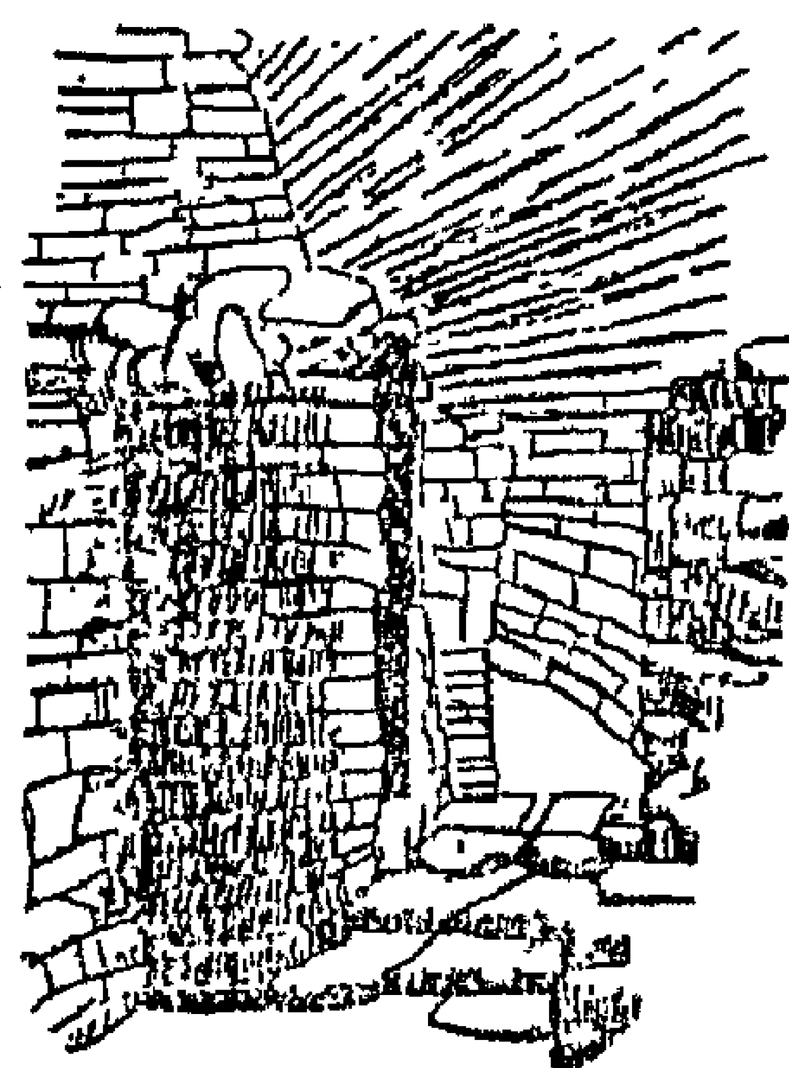


FIG. 2 Elliptical Building
North Entrance to Sacred Enclosure from the Parallel Passage, with chased bastion

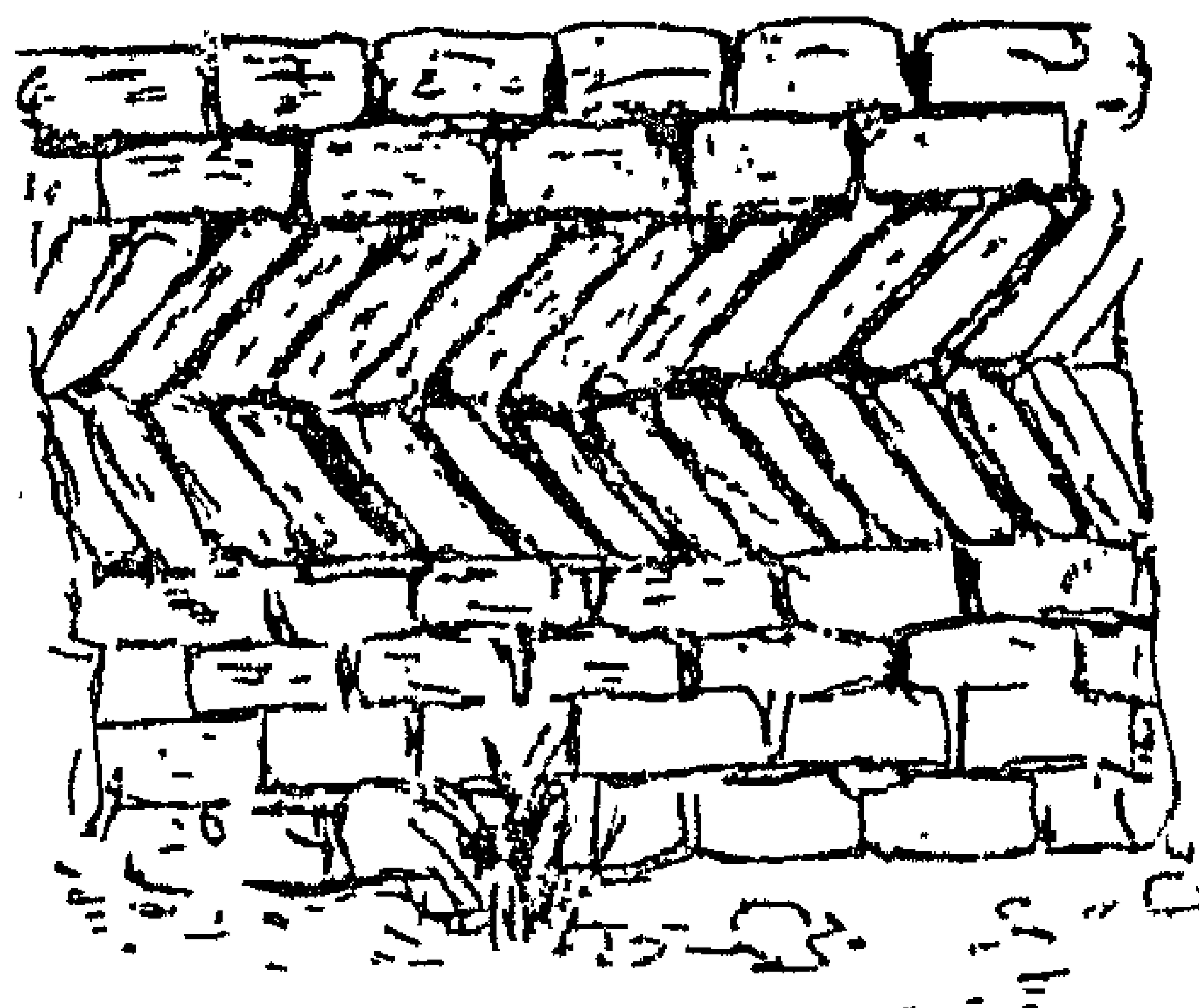
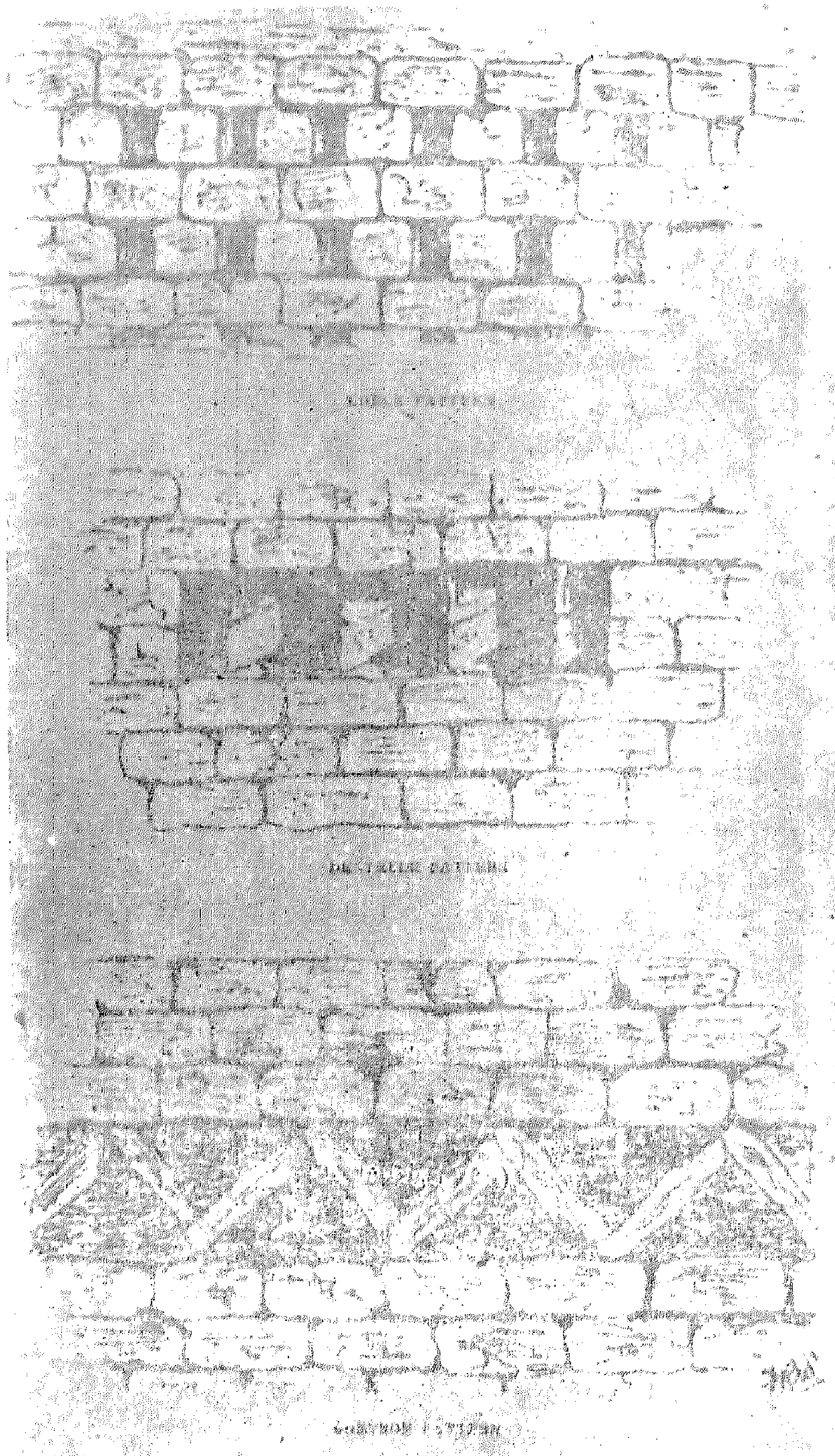


FIG 4
HERRINGBONE PATTERN FORMED OF LARGE TILE-LIKE STONES, LITTLE [illegible] RUINS

شكل (٧)



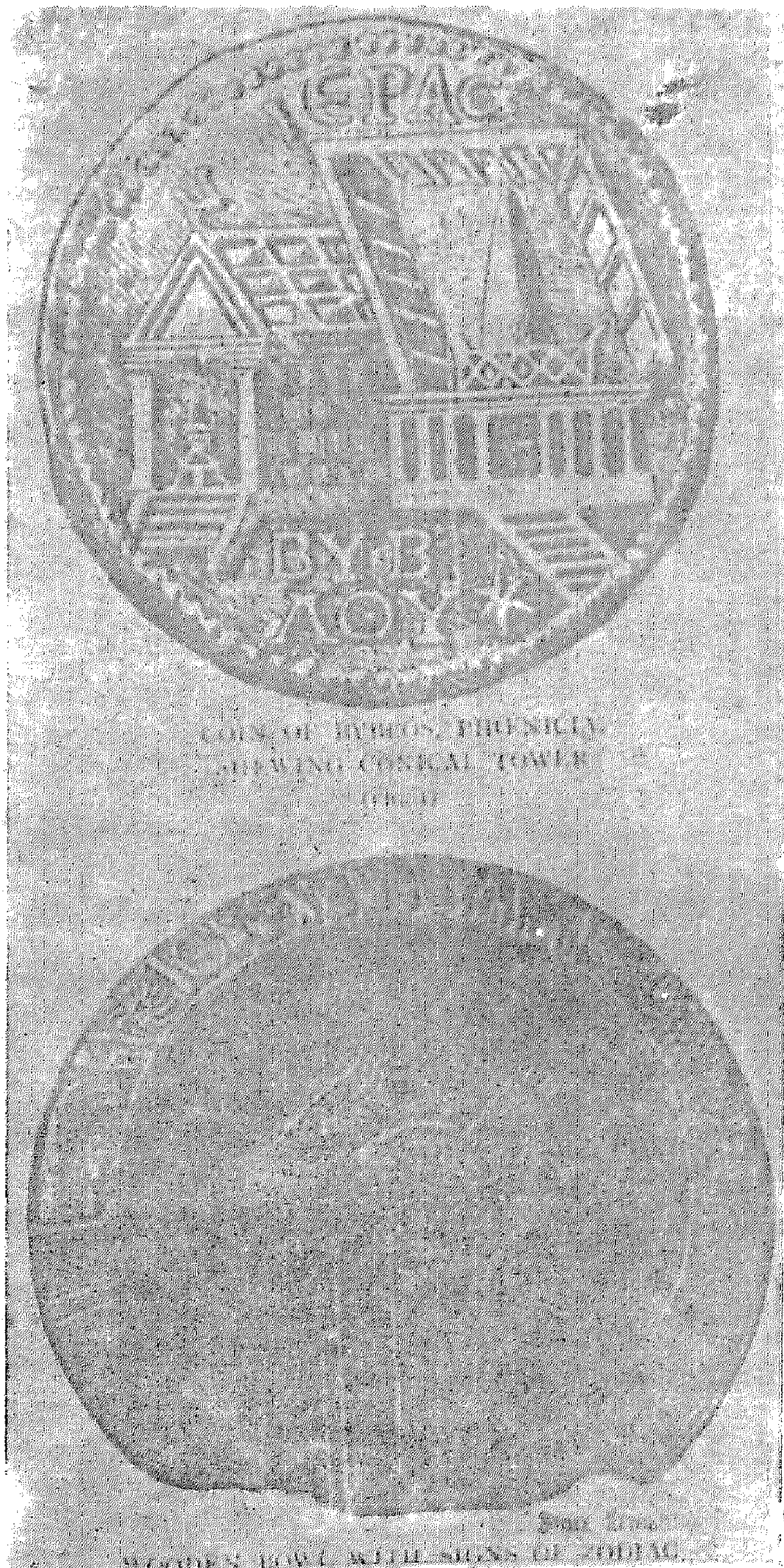
شكل (٨)



شكل (٩)



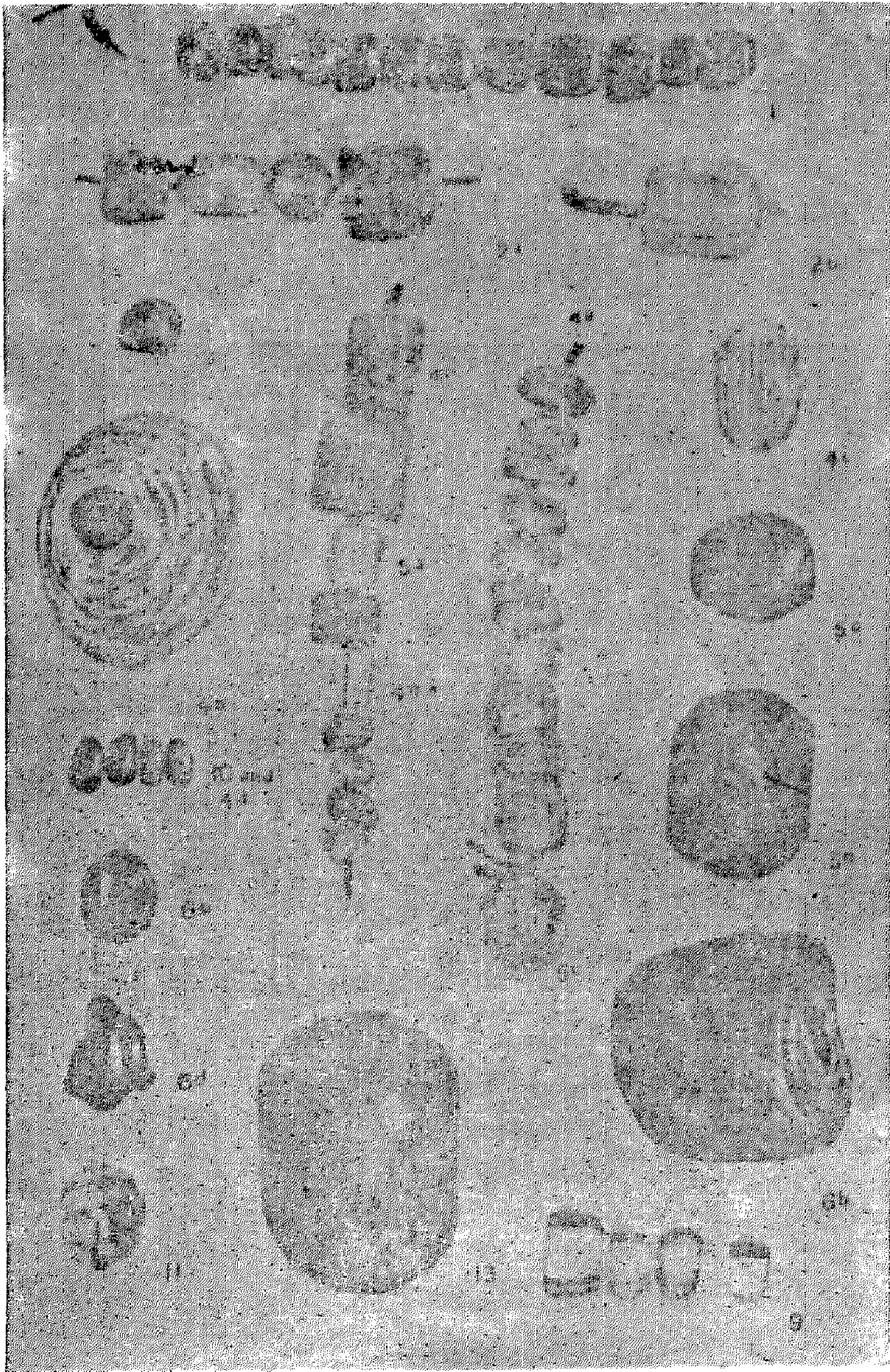
شكل (١٠)



شكل (١١)



شكل (١٢)



شكل (١٣)



DHLO-DHLO

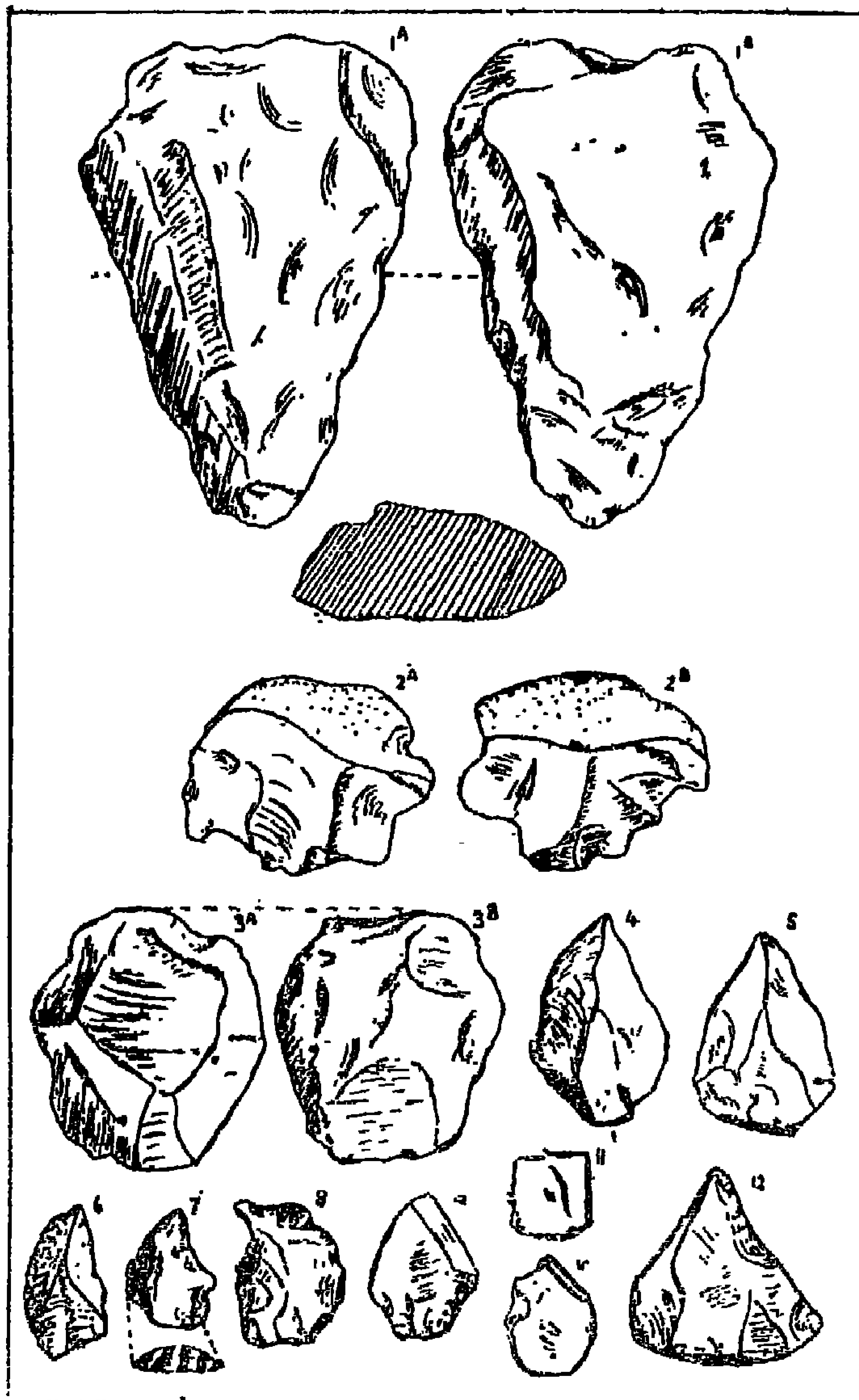
Group of bowls and jars from lower occupation level

شكل (١٤)



CYLINDER WITH ROSETTES, FOUND IN PHENICIAN TEMPLE OF PAPHOS, IN CYPRUS

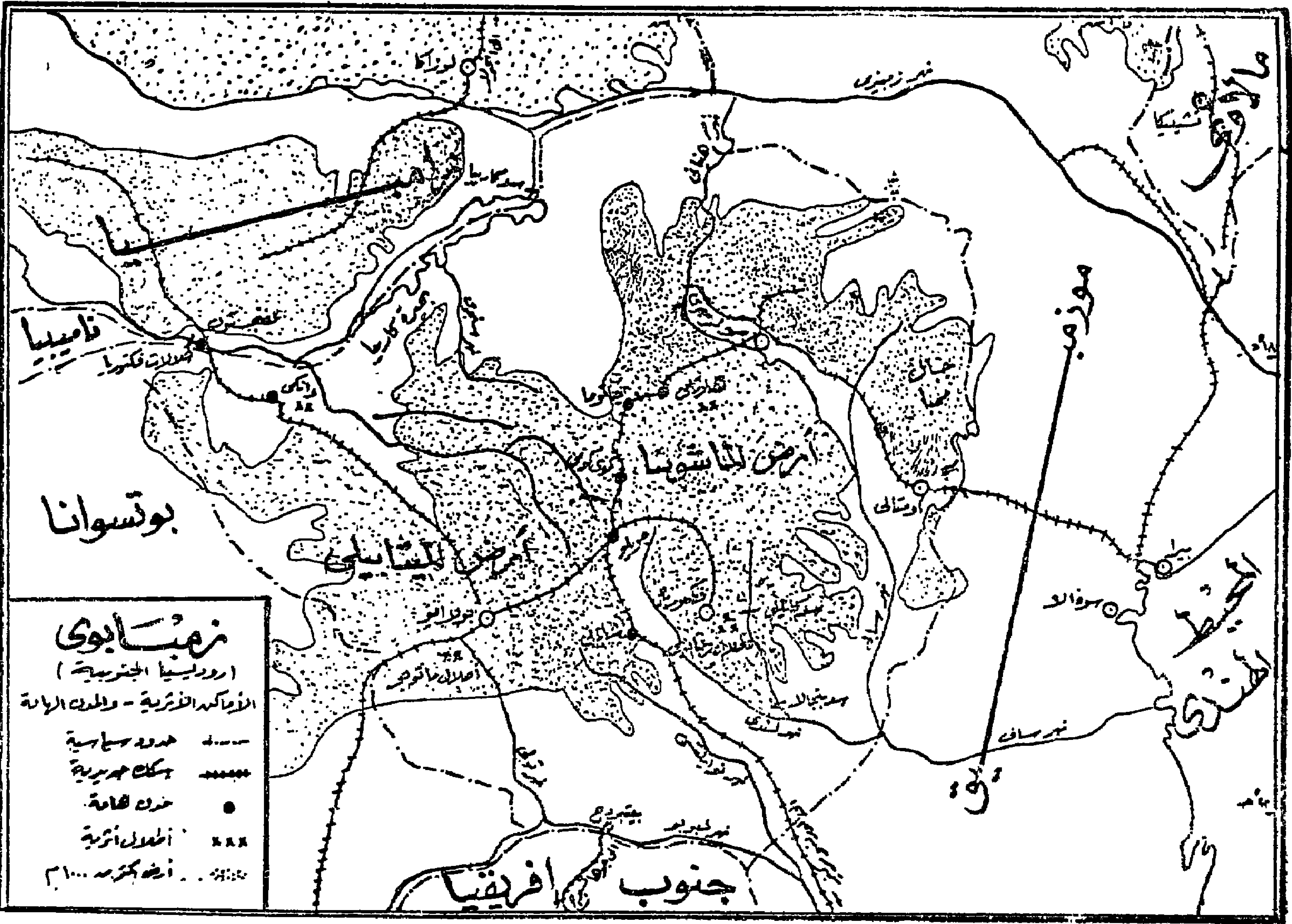
شكل (١٥)



STONE IMPLEMENTS

1A–2B. From beneath Conical Tower, Zimbabwe
3A 3B–12. From basal deposit Dhlo-Dhlo

شكل (١٦)


زمبابوى
(روديسيا الجنوبية)
الأماكن الأثرية - والمدن الهامة
حدود سياسية
سكك حديدية
مدن هامة
أطلال أثرية
أرض أكثر من ١٠٠٠ م
بوتسوانا
ناميبيا
جنوب افريقيا
موزمبيق
المحيط الهندى
أرض الماشونا
أرض الماتابيلى

التدخل البريطاني في مملكة بنين
١٨٥١ - ١٨٩٧

دكتور سعد زغلول عبد ربه
أستاذ التاريخ الحديث المساعد
بكلية الآداب ــ جامعة طنطا

The British intervention in Benin Kingdom

The Benin Kingdom is inhabited by a people who call themselves, their Capital City and their language Edo.

The end of the sixteenth and the beginning of the seventeenth centuries saw widesprade of unrest in these regions to the northwest of Benin. The Benin empire had reached its natural boundaries. It was able to resist any encroachment.

Large scale trading in palm oil came to Benin River and the British firms had factories in Bobi and Jakba.

In 1849 the British government appointed Tohn Beecroft the first consul for the Bights of Benin and Biafra.

British government was anxious to conclude a treaty with Benin Kingdom and Burton visited Benin City in 1862.

The British intervention in Benin was reduced after Burton's visit. and no British official paid a visist to Benin till 1890, when Annesley made a fruitless visist to Benin City.

In 21 March 1892 Galway the vice – consul left for Benin and met the king of Benin on 26 March,. In these meeting Galway concluded a treaty with the king. The treaty remained ineffective till 1895.

In 1895 Moor send a dispatch to the king of Benin that the treaty will be observed. Moor obtained an impertinent message from the king and the situation demanded a British expedition to deal with Benin.

In 1897 Phillips left for Benin City without the permission of Foreign Office and was killed on the road between ughoton and Benin City. Moor gathered troops and invaded the City on 18 february. The king was desposed and the kingdom was under British rule for sixty years.

سكن مملكة بنين شعب أطلق على نفسه وعلى مدينته ولغته اسم الادو Edo وتقع مملكة بنين غربى المجرى الأوسط لنهر النيجر ، وتحتل منطقة يحدها من الشمال منطقة تلال تفصلها عن شعب اجالا Igala ، ومن الجنوب المستنقعات الساحلية حيث يقيم شعبي اجو Igo وإتسكيرى Itsekiri ، ومن الغرب شعب يوربا Yoruba ، ومن الشرق شعب إيبو Ibo (١) . وكان شعب بنين فى شبه عزلة عن الشعوب المجاورة مما أدى إلى عدم فهم لغتهم وبعض لهجاتهم . وكانت قراهم تمثل وحدات سياسية أساسية . وكان الرجال هم الذين يمثلون السلطة السياسية ومن حقهم الوراثة(٢) .

وقد شهدت نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر انتشار عدم الاستقرار فى المناطق الواقعة فى الشمال الغربى من مملكة بنين . واتسعت مملكة بنين ووصلت فى بعض المناطق إلى حدودها الطبيعية حيث يوجد نهر النيجر فى الشرق والمحيط الأطلنطى فى الجنوب . وأصبحت المملكة على درجة كبيرة من القوة بحيث تستطيع قواتها العسكرية مقاومة وصد أى هجوم قد تتعرض له من جيرانها(٣) .

اشتهرت مصبات نهر النيجر التى تصب فى خليج بنين بأنها المورد الأول لزيت النخيل المستخدم فى الصناعات الأوربية . وقد أدى هذا إلى قيام شركات كثيرة بالاشتغال فى تجارة الزيت ، وأنشأت مؤسسات هرسفال Horsfall وهاريسون Harrison وهمنجواى Hemingway التجارية مصانع لها فى منطقتى بوبى Bobi وجاكبا JaKpa الواقعتين على نهر بنين ، وبلغ رأس المال المستغل حوالى ربع مليون جنيه استرلينى(٤) . وقد صدرت تلك الشركات ألفين وخمسمائة طن من زيت النخيل فى سنة ١٨٥٦ بلغت قيمتها ١١٢٥٠٠ جنيهاً استرلينياً(٥) .

وعلى الرغم من افتتاح خط ملاحى تسير فيه السفن البخارية بين خليج بنين وبريطانيا وإنشاء شركة ستيوارت ودجلاس Steward and Douglas مصنعاً لها فى المنطقة فى سنة ١٨٦٠ فان المبلغ المستغل فى تجارة المنطقة لم يزد عما كان عليه

فى سنة ١٨٥٦ فى وقت تسيدت صناعة زيت النخيل اقتصاديات النهر ، وأحدثت ما يشبه الثورة فى تجارة المنطقة . وترتب على ذلك حدوث اهتمام سياسى بالمنطقة من الدول الأوربية . ولما كانت المؤسسات التجارية البريطانية تتحكم فى أغلب التجارة المصدرة من المنطقة فى القرن التاسع عشر فقد أصبح من المؤكد أن تهتم الحكومة البريطانية بشئون نهر بنين . خاصة وأن الموقف الاقتصادى والسياسى فى منطقة أنهار دلتا نهر النيجر قد اتخذ نفس الشكل الذى حدث على نهر النيجر . ونظراً لما لنهر بنين من أهمية كبيرة فى تجارة زيت النخيل منذ سنة ١٧٤٠ فقد تدخلت بريطانيا لحماية رعاياها المشتركين فى تجارة المنطقة وممتلكاتهم .

عملت الحكومة البريطانية على استكشاف نهر النيجر فأرسلت كلابرتون فى سنة ١٨٢٥ والأخوين لاندر Landers فى سنة ١٨٣٠ وغيرهما من الحملات التالية ، ولكنها بقيت لفترة طويلة وبصفة رسمية تجهل الموقف السياسى على طول أنهار الزيت . وقد أرسلت الأميرالية البريطانية فى سنة ١٨٤٧ مذكرة إلى وزارة الخارجية البريطانية تتعلق بالممتلكات الأوربية فى منطقة غرب أفريقية ، تعرضت فيها لملكية البرتغال للمنطقة وذكرت أنه من المشكوك فيه أن تكون البرتغال قد احتلت فعلا جميع المنطقة خاصة وأن منطقتى واداه Whydah وبنين Benin كان ينظر إليها على اعتبار أنها من الممتلكات الوطنية(٦) . ولم يمض على تلك المذكرة سوى عامين اثنين حتى أعطى بالمرستون Palmerston الإشارة بإنهاء الوضع السياسى فى المنطقة الذى أشارت إليه مذكرة الأميرالية البريطانية فأمر بتعيين بيكرفت Beecroft أول قنصل بريطانى لمنطقة خليجى بيافرا Biafra وبنين لإعطاء صورة كاملة للمصالح البريطانية فى المنطقة . وكان بيكروفت متحمساً لقيام بريطانيا بالتدخل السلمى فى شئون الدول الساحلية إذا ما دعت الضرورة إلى ذلك . وقد ترتب على السياسة التى اتبعها فى لاجوس Lagos وبونى Bonny وكالابار Calabar ازدياد المصالح البريطانية فى المنطقة وإعلان الحماية البريطانية على لاجوس فى سنة ١٨٥١ ، وتقسيم المنطقة إلى قنصليتين أحداهما لمحمية لاجوس والأخرى لخليج بيافرا . وبذلك أصبح الإشراف على المصالح البريطانية فى منطقة نهر بنين من اختصاص القنصلية البريطانية فى خليج بيافرا . وكان بيكروفت يمارس

اختصاص قنصلية بيافرا من جزيرة فرناندو بو Fernando Po

مارس بيكروفت ومن تبعه من القناصل البريطانيين سلطات غير محددة فى فى المنطقة وكانوا يوجهون انتباههم لرعاية البريطانيين والمصالح البريطانية. ولما كانت المنطقة الداخلية بعيدة عن الإشراف الفعلى أو الحماية العسكرية فقد اتخذ القناصل البريطانيون سياسة مرنة تجاه التجار البريطانيين والحكام الوطنيين فى منطقة نهر بنين . وكان القناصل يزورون المناطق الداخلية فى أوقات متفرقة ويقومون فى بعض الأحيان باستخدام القوة العسكرية لتأديب الوطنيين مثلما حدث فى سنة ١٨٥١ عندما هاجم بيكروفت قرية بوبى Bobi وفى سنة ١٨٥٧ عندما هاجم رجال السفينة الحربية بلود هاوند Blood Hound مستوطنة أروجو كريك Orogu Creek . ولم يكن لتلك العمليات الانتقامية أى أثر فعال على الوطنيين . ولم يحاول البريطانيون فى محاولاتهم السابقة الاعتداء على أراضى مملكة بنين باستثناء اعلان الحماية البريطانية على لاجوس التى كانت من الممتلكات الخاضعة لمملكة بنين(٨). وعلى الرغم من اعتراف بريطانيا الصريح بسيادة ملك بنين على لاجوس(٩) فقد قامت فى سنة ١٨٦١ بضمها إلى الممتلكات البريطانية بناء على مشورة قنصلها فى لاجوس(١٠) .

عاصر احتلال بريطانيا للاجوس تفكك مملكة اتسكيرى المجاورة لمملكة بنين. وكانت مملكة اتسكيرى تعتمد فى اقتصادياتها على التجارة ، ولذلك كانت أكثر حساسية من مملكة بنين للتغيرات التجارية الأوروبية . وقد تأثرت كثيراً بعد وقف تجارة الرقيق والتحول إلى تجارة زيت النخيل . وأدى ذلك إلى حدوث كثير من الحوادث العنيفة بعد موت ملكها فى ١٤ يونيو سنة ١٨٤٨ ، خاصة وأن ملكها قد حاول من جانبه الاحتفاظ بتماسك دولته وعدم تعرضها للفوضى ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل ولم يستطع القضاء على الثورة التى قام بها أحد مواطنيه . واستطاع الثوار فى ١٨ يونيو سنة ١٨٤٨ قتل اثنين من أولاده كما قتل ابن ثالث له بعد عامين(١١) وقد ترتب على تحطيم مركز الدولة وانتشار الفوضى هجرة العديد من سكان اتسكيرى إلى المستوطنات القائمة على مصب نهر بنين للاشتغال بتجارة زيت النخيل(١٢) وانقسم شعب اتسكيرى إلى مجموعات مستقلة يقوم اقتصادها على

الاقتصاد المنزلى ، وقامت بينها منافسات سياسية وتجارية شديدة لتصريف منتجاتها وبذلك دخل عنصر جديد زاد من عدم الاستقرار فى المنطقة .

لاقت الحوادث التى حدثت فى منطقة اتسكيرى قبولا فى مملكة بنين لأن سقوط مملكة اتسكيرى معناه زوال دولة قوية معادية مجاورة . وكانت هناك بيوت ملكية قوية فى منطقة نهر بنين من أشهر أفرادها ديارى Diare ونانا Nana . وعلى الرغم من تعيين بريطانيا لهما حاكمين لبعض مناطق نهر بنين فانهما كانا يدفعان جزية سنوية للملك بنين ويحصلان منه على التقليد الرسمى(١٣) .

حدث نزاع على العرش فى مملكة بنين بعد وفاة ملكها أوسمويد Osemwde فى أواخر سنة ١٨٥٠ بين ابنيه أودين — أوفبا Odin-Ovba وأجبويكون Ogbewekon ، وانتصر أودين على منافسه واعتلى عرش بنين فى مارس سنة ١٨٥١ وتسمى باسم أودولو Adolo (١٤) . أما الأخ الآخر فقد هرب إلى قرية اجوبن Igueben حيث توجد القبيلة التى تنتمى إليها أمه . ، وهناك جمع عدداً كبيراً من المؤيدين له ، وقام بعدة ثورات ترتب عليها حدوث حالة غليان فى منطقة ايشان Ishan استمرت حتى وفاته فى سنة ١٨٨٠ (١٥) .

قامت الحرب الأهلية فى مملكة بنين فى سنة ١٨٥٤ ، وكانت فى غير صالح الملك أدولو وهرب الكثير من سكان بنين وانضموا إلى أخيه المنافس على العرش وكان وزراء أدولو على استعداد للاعتراف بمنافسه لولا خوفهم على حياتهم(١٦) . وازداد الاضطراب فى مملكة بنين مما شجع سكان منطقة نوب Nupe على القيام بعدد من غارات صيد الرقيق فى منطقة ايشان (١٧) . ويتبين من الحوادث السابقة أن مملكة بنين قد تعرضت فى فترة حكم الملك أدولو للعديد من الظروف غير المناسبة أدت إلى حدوث حالة عدم استقرار ، كما تعرضت هيبة ونفوذ الملك أدولو للكثير من الضربات المدمرة . وكان من نتيجة كل هذه الظروف توجيه انتباه الحكومة البريطانية ونشاطها إلى المنطقة .

كان لاضطراب الأمور فى مملكة بنين فى الفترة الأولى من حكم أدولو أثرها فى غموض المعلومات التى وصلت للأوربيين عن مدى اشتراك مملكة بنين فى تجارة زيت النخيل وازدياد الشعور بعزلة المملكة . وقد زاد من ذلك الانطباع وجود

المصانع البريطانية عند مصب نهر بنين ، وكانت تلك المنطقة تخضع لسيادة ملك اتسكيرى . وعلى أساس تلك الأفكار والمعلومات الخاطئة اجتمع بيكروفت فى أول أبريل سنة ١٨٥١ ببعض الزعماء الإفريقيين والتجار الأوربيين لاتخاذ سياسة تجارية مشتركة . وفى ذلك الاجتماع انتخب المجتمعون ديارى Diare ملك جاكبا Jakpa ملكاً لمنطقة نهر بنين. واستمر ديارى محتفظاً بذلك المركز حتى وفاته فى سنة ١٨٧٠ (١٨).

تمت عملية تعيين ديارى بدون الرجوع إلى ملك بنين الذى تخضع المنطقة لسيادته والحصول على موافقته . ونظراً لأن عدد السفن التى كانت تبحر فى النهر حتى أوجتن Oghoton كان قليلا فقد ترتب على ذلك العمل فقد ملك بنين لمصدر مهم من مصادر الدخل الذى كان يحصل عليه من رسوم الجمارك المفروضة على البضائع التى تنقل بنهر بنين. وقد حاولت مملكة بنين تعويض ذلك النقص عن طريق فرض ضرائب جديدة على تجارة زيت النخيل فى مكان انتاجها الأصلى . وكان تجار اتسكيرى الذين يبيعون زيت النخيل للاوربيين يحصلون على حاجتهم منه من منطقة أورهوبو Urhobo التى كانت تخضع لسلطة ملك بنين . وقد عينت بنين موظفين من قبلها فى مناطق انتاج زيت النخيل وتوجيه تلك التجارة لمصلحتها ، ووضعت نوعاً من التنظيم يماثل الذى أنشأه الأوربيون لتنظيم التجارة الأوربية على نهر بنين (١٩).

كانت الصلة التجارية والسياسية مقطوعة بين مملكة بنين والبريطانيين . وعلى الرغم من ذلك الانقطاع فقد بدأت بنين تحتل جزءاً من تفكير البريطانيين ، وبدأ التفكير فى اتخاذ سياسة محددة تظهر فى المراسلات الرسمية للقنصلية البريطانية . وفى تلك المراسلات رسمت القنصلية البريطانية صورة غريبة للمنطقة تختلف كثيراً عن الصور التى رسمها الأوربيون الذين زاروا بنين من قبل ووصفوا فيها التقدم الحضارى الذى وصلت إليه بنين وتقدمها فى ذلك المجال عن الدول الافريقية المجاورة . ويرجع ذلك الاختلاف إلى التغيير الذى حدث فى الحضارة الأوربية فى القرن التاسع عشر بحيث أصبح الأوربيون يحكمون على الافريقيين بالمقارنة بالشعوب الأوربية (٢٠) .

كانت بنين تمارس طقوس التضحية البشرية ، وكانت هذه الممارسة تجذب انتباه الزائرين الأجانب ، وكانوا يوجهون انتباههم إلى شكل تلك الطقوس ، وانطبع فى أذهانهم أنها تمارس بكثرة فى أوائل القرن التاسع عشر . وقد وجه هؤلاء

أنظار الأوربيين إلى استخدام حكام بنين الأشجار لصلب الضحايا ، وأنه قد أصبح من المألوف رؤية جثث الضحايا معلقة بأفرع تلك الأشجار. وقد ذكر أعضاء حملة كشف نهر النيجر فى سنة ١٨٤١ أن ملك بنين يضحى يومياً بثلاث رجال أحدهم فى الصباح والثانى عند الظهر والثالث فى المساء(٢١) . وقد خصص بورتون Burton الجزء الأكبر من كتاباته لوصف الفظائع التى شاهدها عندما زار بنين فى سنة ١٨٦٢(٢٢) . كما ذكر فى مجلة فرازر Fraser تفصيلات أكثر عن موضوع التضحيات البشرية فى بنين ، فذكر أن القصر تنتشر به رائحة الدم ، وأن جثث الضحايا تلقى خارج المدينة فى العراء بدون دفن . وقد أصبحت عملية التضحية البشرية تمارس فى فترة حكم الملك أدولو بدرجة غير معتادة ولو أنها أقل وحشية(٢٣) وعلى الرغم من أن ملك بنين لم يكن راضياً عن ممارسة طقوس التضحية البشرية إلا أنه لم يكن يستطيع وقفها لأنها من العادات المتوارثة عن الأجداد ، وأن وقفها سيؤدى إلى ثورة الشعب عليه(٢٤) .

وفى الواقع فان جملة عدد الضحايا فى تلك الطقوس قد قل فى فترة حكم الملك أوفنرامين ولكنها استمرت معمولا بهالأغراض مختلفة مثل التضحية للمطر والطقس الجاف . وكانت جثث الضحايا تلقى فى حفر بحوش القصر مقطوعة الرأس ، كما كانت الجثث المبقورة البطن تلقى فى الطرق التجارية بعد إزالة أحشائها . وكان الهدف من ذلك إغلاق تلك الطرق فى وجه التجارة . وقد لاحظ جالواى Galway نائب القنصل البريطانى عند زيارته لقصر ملك بنين وجود خمس أشجار من أشجار الصلب خارج وداخل القصر ، كما رأى العديد من جثث الضحايا المشوهة ملقاة فى الأماكن العامة وعدداً من أوانى تبخير الدماء فى قصر الملك(٢٥). وكان للأقوال السابقة أثرها واعتقد الأوربيون أن عدد الأفراد المضحى بهم فى مملكة بنين قد ازداد فى القرن التاسع عشر بعد ظهور أشكال جديدة للتضحيات البشرية . وقددخل على التضحية البشرية فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر شكل لم يكن موجوداً بها من قبل وهو التضحية بالنساء طلباً لتغيير الطقس أو حماية مداخل مدينة بنين وهو ما لم يشاهده الأوربيون من قبل(٢٦) .

كانت المعلومات التى تصل إلى ساحل بنين عن مملكة بنين معلومات قليلة ولذلك لم تتضمن التقارير الرسمية وجهة النظر الحقيقية أو تفسير أسباب ذلك التغير . ومن المحتمل أن ملوك وزعماء بنين قد واجهوا ازدياد العداء من الدول المجاورة فى

القرن التاسع عشر بسبب الحروب الأهلية فالتجأوا إلى الإفراط فى ممارسة طقوسهم الدينية خاصة بعد انتشار الإسلام فى أيو Oyo ووصول المبشرين المسيحيين إلى الجزء الجنوبى من أرض يوربا وعلى طول نهر النيجر وتقسيم مملكة اتسكيرى . ولا شك أن فقد مملكة بنين لبعض أراضيها ونفوذها السياسى قد شجع ملوكها على الالتجاء إلى قوى ما وراء الطبيعة عن طريق استخدام السحر والشعوذة وما يستلزم ذلك من تضحيات بشرية .

كانت بريطانيا تضع علاقاتها مع مملكة بنين فى الاعتبار الأول ، وأعلن الموظفون البريطانيون فى المنطقة ضرورة عقد معاهدة مع ملك بنين للقضاء على العادات البربرية المنتشرة فى بنين(٢٧) . وحاول كامبل القنصل البريطانى فى المنطقة إقناع الحكومة البريطانية بضرورة التدخل لعقد معاهدة مع بنين على أساس أن سكانها كانوا منغمسين فى البربرية ، وأن الذين أعتقوا منهم من الرق واستقروا فى سيراليون لم يحاولوا تعلم أى صناعة لرفع مستواهم الاجتماعى(٢٨) .

أبحر بورتون فى نهر بنين فى أغسطس سنة ١٨٦٢ للتحقيق فى الشكوى التى تقدم بها أحد الوكلاء التجاريين البريطانيين يتهم فيها أحد زعماء اتسكيرى بمهاجمة مصنعه ونهب ما به من سلع . وقد رفض ديارى Diare ومن معه من الزعماء مقابلة برتون ومناقشة الشكوى ، فأمر برتون بوقف التجارة مع المنطقة وطلب من لاجوس التعليمات اللازمة للتصرف (٢٩) . وصمم على الذهاب إلى مدينة بنين على أمل أن يكون لملك بنين من السلطة ما يرغم سكان منطقة نهر بنين على طاعته . وقد وصل برتون إلى مدينة بنين فى ١٧ أغسطس دون انتظار وصول موافقة ملك بنين على زيارته . ولم يستقبله الملك إلا فى اليوم التالى . وفى تلك المقابلة أثار برتون مشكلة عدم السماح للاوربيين بالاشتغال بالأعمال التجارية فى مدينة أوجتن Ughoton والاعتداء على المصنع البريطانى . وقد وعد الملك بارسال رسول من قبله إلى المنطقة لمطالبة المعتدين بالخروج من المنطقة . وقد اتهم بورتون سكان بنين بالسكر والسرقة والفوضى . وكان لكتاباته أثرها على الرأى العام البريطانى والحكومة البريطانية (٣٠). بسبب سمعته الحسنة وكونه أول موظف بريطانى يزور مدينة بنين(٣٠) ؛

استمرت الحالة السياسية والاقتصادية فى بنين التى وصفها بورتون على ما هى

عليه فترة طويلة من الزمن ، ولم يلبث أن ظهر على المسرح السياسى والاقتصادى في المنطقة موثر جديد هو تحرك شانومى Chanomi زعيم دجيلى(٣١) Deghele لإنهاء النزاع العائلى الذى كان قائماً بين مدينتى جاكبا Jakpa وإبروهيمى Ebrohimi (٣٢)، بهدف إعادة فتح نهر فوركادوس Forcados لتجارة زيت النخيل . ووصل النزاع إلى أقصاه فى سنتى ١٨٦٤ و ١٨٦٥ عندما استطاع أولومو Olomu زعيم إبروهيمى هزيمة قوات شانومى ، وبذلك أصبحت له السيادة التجارية على نهر بنين . وعلى الرغم من هزيمة شانومى على يد أولومو فقد عينته الحكومة البريطانية فى سنة ١٨٧٠ حاكماً على نهر بنين تعويضاً له عن خسارته فى الحرب(٣٣) . وهذا يدل على أن قيام شانومى بمحاربة أولومو كان بايعاز وتحريض من الإدارة البريطانية لكسر سيطرة أولومو على تجارة نهر بنين .

نشاط التجارة على نهر فوركادوس جعل وكلاء الشركات التجارية القديمة ينشطون ويتحالفون مع زعماء منطقة نهر بنين لمقاومة تحول التجارة إلى نهر فوركادوس حتى لا يتعرضون للخسارة نتيجة المنافسة وتخفيض الأسعار . وقد وجدت تلك الشركات تأييداً من القناصل البريطانيين الذين لم يكونوا يعيرون المؤسسات التجارية التى لا تخضع لسيطرتهم أى انتباه . وقد وافق القنصل البريطانى لفنجستون Livingstone فى سنة ١٨٧٣ على قرار مجلس حكم نهر بنين الخاص بانسحاب التجار الأوربيين من منطقة اتسكيرى وحصر نشاطهم التجارى على نهر بنين(٣٤) .

ازدادت سلطة القنصل البريطانى زيادة كبيرة بصدور مرسوم ملكى فى سنة ١٨٧٢ منح القنصل سلطات قضائية وإدارية على الرعايا البريطانيين والخاضعين للحماية البريطانية من الوطنيين الإفريقيين (٣٥) . ولكنه من الناحية العملية لم يكن لديه الوسائل اللازمة لممارسة تلك السلطات . وكانت السلطة الحقيقة على النهر بعد سنة ١٨٦٥ فى يد الزعيم أولومو الذى كان تحت يده أسطول من القوارب الحربية وكان ذلك الأسطول من أنشط القوارب منذ القرن الثامن عشر . واستطاع أولومو بذلك الأسطول اخضاع شعب اتسكيرى المنافس ، ثم استطاع بعد ذلك احتكار تجارة الزيت ، ووصل إلى مناطق إنتاجه فى أعالى النهر . وكان أغلب وكلاء التجار

البريطانيين يؤيدونه لرغبتهم فى التعامل مع فرد واحد يستطيع ضمان حصولهم على حاجتهم من السلع التجارية بأسعار مقبولة بدلا من الدخول فى نزاع وتنافس مع بعضهم . ولم يكن القنصل البريطانى يوافق على تصرفات أولومو العسكرية . وقد انتهى عدم الرضا هذا من جانب القنصل البريطانى بعد تولى نانا Nana ابن أولومو حكم المنطقة فى سنة ١٨٧٩ ، وكان من آثار ذلك قيام ايستون Easton القائم بأعمال القنصل البريطانى بتعيينه حاكماً على نهر بنين خلفا لشانومى الذى أتهمه وكلاء التجار البريطانيين بالتدخل فى شئون التجارة(٣٦) . وعلى هذا فقد شهد النصف الثانى من فترة حكم أدولو تحكم التجارة البريطانية فى الجزء الأدنى من نهر بنين وسيادة الطبقة الوسطى من رجال شعب اتسكيرى ، وأصبح الأمل فى إحياء التجارة مع مدينة أوجتن بطريق مباشر أمراً بعيد المنال . وما تبع ذلك من التأثير بصفة مباشرة على تجارة مدينة بنين ومصادر دخلها .

حاولت بنين التغلب على المصاعب التى ظهرت فى طريق سيطرتها على تجارة المنطقة وتنمية مصادرها الاقتصادية عن طريق الحصول على السلع الأوربية من تجار اتسكيرى فى نظير تزويدهم بزيت النخيل والرقيق ثم بيع تلك السلع فى المناطق الوطنية الداخلية . وبذلك أصبحت هذه التجارة فى سنة ١٨٦٠ أحد المصادر الأساسية للتزود بالأسلحة النارية والذخيرة ، واستخدامها فى الحروب التى كانت دائرة فى أرض يوربا واكيتى Ikiti . وكانت المؤسسات التجارية فى مدينة بنين ترسل الأسلحة والذخائر إلى المتحاربين الذين لم يلبثوا أن وجدوا مصدراً مباشراً للحصول على الأسلحة والذخائر من الساحل مباشرة . وبذلك انتهت تجارة الأسلحة التى قامت بها مملكة بنين فترة قصيرة من الزمن . وقد ترتب على الحروب التى قامت فى الجزء الشمالى من أرض يوربا تهديد نفوذ بنين خاصة بعد قيام مجموعة من شعبى اكيتى وايدو Edo بسكنى الممر الموصل بين بنين وابدان Ebadan . وقد دخلت ابدان فى سنة ١٨٧٢ فى عمليات عسكرية ضد هذين الشعبين للسيطرة على ذلك الممر وبذلك امتدت العمليات العسكرية لتشمل أراضى أكورى Akure وهى احدى الدول الخاضعة لبنين . وأرسلت بنين قواتها العسكرية إلى أكورى لرد المغيرين(٣٧) . واستطاعت أكورى بمساعدة بنين وبعض الخارجين على القانون التخلص من سيطرة ابدان فى سنة ١٨٨٦(٣٨) .

بدأت الحرب بين أكورى وابدان فى سنة ١٨٧٨ وانتهت فى سنة ١٨٨٦ . واسستطاعت أكورى عن طريق الحرب كسب استقلالها عن ابدان . وترتب على ذلك الاستقلال مد السيادة البريطانية على أرض يوربا ، وكان هذا العمل ضد مصالح بنين . كما أغتصبت مملكة النوب – الورين Nupe-Ilorine الجزء الأكبر من أرض إيشان Ishan والجزء الشمالى من أرض أدو (٣٩) من سيطرة ملك بنين (٤٠) وقد ترتب على كل تلك الأعمال تقلص المنطقة التى تحت حكم حكم ملك بنين ، وانحصر ذلك الحكم فى أراضى بنين الأساسية .

قل التدخل البريطانى فى الجزء الجنوبى من نيجيريا (أرض اتسكيرى) بعد زيارة برتون (٤١) ، وترتب على ذلك عدم قيام أى موظف بزيارة تلك المنطقة خاصة بعد توصية اللجنة البريطانية البرلمانية المنتخبة فى سنة ١٨٦٥ بحصر وتقليل التصرفات البريطانية على ساحل غرب افريقية ، وبذلك يقل التهديد البريطانى لمملكة بنين (٤٢) . وقد أقنعت توصية اللجنة البرلمانية القناصل باتخاذ موقف الحذر فى جميع تصرفاتهم تجاه بنين ، ولم يحاولوا الذهاب إليها مدة عشرين عاماً .

اضطرت الحكومة البريطانية إلى التخلى عن السياسة التى اتبعتها فى سنة ١٨٦٥ بناء على توصية اللجنة البرلمانية المنتخبة (٤٣) بسبب المنافسة التجارية الدولية التى أثرت على جميع منطقة غرب أفريقية ، وضغط التجار البريطانيين الذين كانوا يسيطرون على تجارة المنطقة فى الفترة التى تلت الغاء تجارة الرقيق ، وتهديد المصالح البريطانية التجارية على نهر بنين بسبب وجود المؤسسات التجارية الألمانية والهولندية فى المنطقة(٤٣) .

انتهت فترة عدم التدخل البريطانى فى المنطقة فى سنة ١٨٨٤ عندما اجتمع هوايت القنصل البريطانى بالزعماء الأفريقيين والتجار البريطانيين لتعيين حاكم جديد لنهر بنين ، واختار المجتمعون نانا Nana ابن علومه Olomu الحاكم السابق للنهر ، ووافق هوايت على ذلك الاختيار ، وانتهز الفرصة فعقد معاهدة حماية مع نانا وشانومى وغيرهما من زعماء شعب اتسكيرى(٤٤) . وكان التجار البريطانيون العاملون على نهر بنين يأملون أن يقوم هوايت بتوطيد مصالحهم فى المنطقة عن طريق عقد معاهدة مشابهة مع ملك بنين بهدف فتح التجارة بين بنين والساحل الأفريقى ؟

وحاول التجار الأوربيون الضغط على هوايت فأعلنوا أن ملك بنين قد أجبر التجار البريطانيين على هجر مصنع لهم فى أوجتن بسبب تعسفه معهم ، ووقفه الأعمال التجارية فى المنطقة . ولم يكن هوايت على استعداد للتحرك خارج المنطقة الساحلية الا بعد الحصول على الإذن بذلك من الحكومة البريطانية ، ولذلك طلب من الحكومة البريطانية السماح له بالقيام بتلك الرحلة فى شهر ديسمبر أو يناير سنة ١٨٨٥ مع أخذ هدايا تبلغ قيمتها حوالى مائة جنيه لأهدائها للملك وزعماء بنين(٤٥) .

وافقت وزارة الخزانة البريطانية على تخصيص المبلغ المطلوب ، ولكن ظروف العمل لم تسمح لهوايت القيام بتلك الزيارة ، فكلف بلير Blair نائبه القيام بها . وتحرك بلير فى مايو سنة ١٨٨٥ من الساحل متجها إلى مدينة بنين وبصحبته حامية عسكرية من قوات الهوسا . ولم يستطيع بلير إتمام الزيارة بسبب مرضه فى أوجتن واضطراره إلى العودة ووفاته وهو فى الطريق إلى الساحل . وقد عرض شيثام Cheetham وهو تاجر بريطانى القيام بتوصيل الهدايا التى كانت مع بلير إلى ملك وزعماء بنين ، ومحاولة عقد معاهدة مع الملك أدولو Adolo ملك بنين (٤٦) . ولم يحاول شيثام أو أى قنصل بريطانى القيام بتلك الزيارة حتى سنة ١٨٨٨ . ويرجع ذلك إلى أن مؤتمر برلين لغرب أفريقية الذى عقد فى سنة ١٨٨٤—١٨٨٥ أعترف بالحماية البريطانية على الأراضى الساحلية الواقعة بين محمية لاجوس والشاطىء الأيمن (الغربى) لنهر ريو دل رى Rio del Rey . وقد ترتب على ذلك الأعتراف ضمنيا بخضوع الأراضى الداخلية الواقعة أمام مستعمرة لأجوس للسيطرة البريطانية وبذلك يصبح الاستيلاء على مملكة بنين والأراضى المجاورة لها مسألة وقت لا غير سواء رغبت بنين أم لم ترغب فى الخضوع للادارة البريطانية .

بوفاة الملك أدولو تولى الحكم مكانه ابنه إدجبوا Idugbewa بدون حدوث الحرب الأهلية المعتادة لعدم وجود أخ أكبر مشهور . وقد تلقب إدجبوا بعد تولية الحكم باسم أوفنرامين Ovionramen . ولم يلبث أن هاجم خصومه وقتل بعض الزعماء وعدداً كبيراً من الرجال الذين حاولوا التآمر عليه وخلعه عن العرش لمصلحة أخيه أورخورو Orkhorho ، كما دمر قرية أوجبينى Ugbini الكبيرة (٤٦) . بسبب عدائها . ومن المحتمل أن أماكن أخرى قد شاركت أوجبينى نفس المصير

بناء على اقتراح الزعيم أوانجوى Uwangwe الذى قتله أوفنرامين فى سنة ١٨٩٥ نتيجة مؤامرة دبرها ضده بعض زعماء شعب إويبو Iwebo . وقد كشفت التحريات التى أجراها أوافنرامين المؤامرة فقام بحركة تطهير أجبر بموجبها الكثير من زعماء إويبو على الانتحار . وكان لهذه التصرفات السريعة من جانب أوفنرامين فى بداية حكمه أثرها فعاد الهدوء إلى العاصمة وباقى المقاطعات كما أستطاع عن طريق إرسال حملة تاديبية إلى أكور Akure إخماد الثورة التى قامت بها (٤٩) . حقيقة أن أوفنرامين قد نجح فى القضاء على الخارجين على طاعته لكن مملكته قد نقصت بعض الشئ، فقد قامت مملكة نوب Nupe باختراق منطقتى إتساكور Etsakor وافبيوساكون Ivbiosakon وأنشات قاعدة لغارات الرقيق فى مواجهة إده Idah (٥٠) .

بانتهاء حروب يوربا امتد النفوذ البريطانى حتى أودو Odo ، كما أصبح الشاطىء الأيمن لنهر بنين يمثل الحدود الشرقية لمستعمرة لاجوس بموجب إعلان ٥ فبراير سنة ١٨٨٦ . وتقدمت شركة النيجر الملكية شرقا حتى الحدود الغربية لمنطقة ايبو وشمال غرب إدو . وقد تم ذلك التقدم من مدينة أسبابا Asaba التى اتخذتها الشركة مركزا لادارتها . وكانت هذه المدينة داخلة قبل تلك الفترة ضمن منطقة نفوذ مملكة بنين . وقد تحرك وكلاء شركة النيجر الملكية فى يونيو سنة ١٨٨٨ ، وناقشوا مع زعماء منطقة نهرى فوركادوس Forcados وراموس Ramos اتفاقيات مد نفوذ الشركة إلى هاتين المنطقتين . وترتب على ذلك قيام مشكلة تتعلق بالحدود بين الشركة ومحمية أنهار الزيت . كما قام جونستون Johnston نائب القنصل البريطانى بتقوية النفوذ البريطانى فور تولى أوفترامين الحكم عن طريق تشكيل المجلس الحكومى الجديد الذى مثل جميع محميات أنهار الزيت وحل محل مجلس العدل (٥١) . وكان إنشاء المجلس الجديد يشكل خطوة جديدة متقدمة تجاه إنشاء نظام سياسى وقانونى يختلف كلية عن النظام الذى كان موجودا من قبل ، ويؤدى إلى قيام محمية بريطانية فعالة يمتد نفوذها داخليا عن طريق المعاهدات (٥٢) وبعث تقريرا إلى حكومته فى العاشر من ديسمبر سنة ١٨٨٨ أكد فيه أن أوفنوآمين قد وافق على معاهدة الحماية التى وقعها نانا فى سنة ١٨٨٤ (٥٣) واعتبر نفسه تحت الحماية البريطانية . وقد حصل جونستون على تلك المعلومات

الخاطئة عن طريق التجار البريطانيين الذين زاروا مدينة بنين فى أبريل سنة ١٨٨٨ . وعلى الرغم من خطأ تلك المعلومات فقد زادت من الأهمية التى يلقيها البريطانيون على مملكة بنين وزادت من أمل جونستون فى التمكن من الوصول إلى المناطق الداخلية الواقعة وراء نهر بنين من مناطق مختلفة عن طريق مدينة بنين التى يخرج منها عدة طرق تجارية تتجه إلى أرض يوربا وبورجو Borgu وحوض نهر النيجر . وكان جونستون يرى أن العقبة الرئيسية أمام تنفيذ ذلك هى رؤوس أموال االطبقة الوسطى من السواحلية المستغلة فى تجارة المنطقة بسبب إثارتهم لكراهية زعماء بنين (٥٤) .

عينت الحكومة البريطانية ماكدونالد Macdonald مندوبا بريطانيا لمنطقة أنهار الزيت ، وكان الهدف من ذلك التعيين هو اختيار أفضل نظام لحكم المنطقة الواقعة ضمن منطقة النفوذ البريطانية فى منطقة أنهار الزيت . وكان على مكدونالد الاختيار بين نظام الحكم المباشر أو غير المباشر أو الشركة ذات المرسوم الملكى . ورأى ماكدونالد أن أمثل طريقة للوصول إلى ذلك الهدف هى زيارة كل نهر من أنهار الزيت على حدة وسماع آراء الإفريقيين والأوربيين المقيمين هناك ، ثم بعد ذلك محاولة الوصول إلى اتفاق معهم على طريقة الحكم . ونفذ ماكدونالد عزمه وزار نهر بنين فى أبريل سنة ١٨٨٩ . وفى تلك الزيارة وجد أن نانا وتجار إتسكيرى يفضلون تولى الحكومة البريطانية شئون الحكم . وقد وجد نفس الآراء فى المناطق الأخرى التى زارها من أنهار الزيت . وعلى هذا الأساس طلب من الحكومة البريطانية إنشاء محمية عامة لجميع أنهار الزيت مع إدارة مناسبة تتولى أعمال التنمية الاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة (٥٥) . واستجابت الحكومة البريطانية لتقرير ماكدونالد وعينته فى أول يناير ١٨٩١ مندوبا وقنصلا عاما لمحمية أنهار الزيت ، ولم تلبث حدود المحمية أن امتدت بعد ذلك فى الأراضى الداخلية ، وأصبحت فى سنة ١٨٩٣ تعرف باسم محمية ساحل النيجر .

لم يحاول ماكدونالد دخول مملكة بنين عند تجوله فى منطقة أنهار الزيت لمعرفة رأى زعمائها ، كما لم يتعرض لتلك المملكة فى تقريره . وعلى الرغم من ذلك فقد كان لتوصياته السابقة آثار خطيرة عليها ، ووجهت بريطانيا أنظارها إليها بسبب ازدياد النشاط الاقتصادى لرجال الطبقة الوسطى من سكان المنطقة الساحلية والتجار

البريطانيين ، ومحاولة هاتين الفئتين مد نشاطهم التجارى إلى ما وراء حدود المحمية حيث توجد مملكة بنين (٥٦) . وكان هذا إيذانا بانهاء عزلة بنين وسقوطها تحت نير الاستعمار الأوروبى .

كانت أول خطوة قامت بها الحكومة البريطانية فى سنة ١٨٩١ لإقامة إدارة بريطانية دائمة على نهر بنين هى تعيين نائب قنصل للمنطقة ، والموافقة على اقتراح ماكدونالد باعتبار مملكة بنين داخلة ضمن منطقة حكم محمية أنهار الزيت (٥٧) . وقد عينت الحكومة البريطانية هنرى جالواى H.Galway نائب قنصل لها فى منطقة نهر بنين . وكان جالواى يعارض أفكار ماكدونالد ، ويرى أن الضرورة تتطلب فتح طريق تجارى مباشر مع مناطق انتاج زيت النخيل بدلا من الاتجاه إلى مملكة بنين . وعلى أساس تلك الفكرة تحرك فى أكتوبر سنة ١٨٩١ عن طريق النهر إلى أسواق الزيت فى أورهوبو Urhobo واستمر فى تحركه حتى وصل إلى مقاطعة أبراكا Abraka (٥٨). وكان يهدف من وراء تلك الزيارة إلى اختيار موقع لإقامة مقر لنائب القنصل والمخازن والحامية العسكرية ، ومناقشة زعماء المنطقة فى موضوع قيام شعب أورهوبو بزراعة البن والكاكا و وغيرها من المحاصيل النقدية ، وتقصى الأسباب التى أدت إلى كساد التجارة ، وتعريف السكان بنظام الحكم الجديد الذى أقيم على نهر بنين (٥٩) .

وصل جالواى فى رحلته السابقة إلى مناطق لم يصل إليها إلا عدد قليل من التجار الأوربيين بسبب عداء الوطنيين للتجار الأوربيين . وكانت تلك المناطق تخضع منذ قرون عديدة لسيادة ملك بنين . وعلى الرغم من تلك الحقيقة فان شعب أورهوبو لم يذكروا لجالواى أنهم يخضعون لسيطرة ملك بنين ، بل أعطوه انطباعا بعدم وجود حقوق إدارية لأى ملك فى منطقتهم . واعتقد جالواى أن شعب أورهوبو يفضلون الحكم البريطانى . ولم يحاول جالواى فى تلك المرحلة ممارسة الحكم البريطانى فى المنطقة باستثناء إصداره الأوامر بتبادل المساجين بين كل من أورهوبو وانسكيرى وأوكبارا Okpara (٦٠) ، ونشر نبأ وصوله إلى المنطقة ،وطلب زعماء القبائل للمثول أمامه.ولم يحاول جالواى إنشاء نظام حكم جديد عن طريق عقد معاهدات حماية مع زعماء المنطقة . وقد أوصى جالواى الحكومة البريطانية

ببناء مقر نائب القنصل فى سابيلى Sapele على أساس أن هذه القرية تقع على الحدود الفاصلة بين أورهوبو وإتسكيرى ، بالاضافة إلى وجود عدد من مستوطنات تجار زيت النخيل فى المنطقة الواقعة وراءها ، وأن إقامة نائب القنصل بها سوف يؤدى إلى القضاء على احتكار نانا لتجارة زيت النخيل ، وفى نفس الوقت تشجيع شعب أورهوبو على زراعة المحاصيل النقدية الأخرى ، والقضاء على معارضة شعب اتسكيرى للنفوذ البريطانى(٦١) .

ازداد اهتمام بريطانيا بمصالحها الاقتصادية على نهر بنين منذ سنة ١٨٨٠ بسبب المنافسة الأوربية . وأسرع البريطانيون للحصول على الامتيازات من الزعماء الوطنيين ، وإنشاء المصانع فى المنطقة . وترتب على ذلك الاهتمام حصول كوكسن Coxon أحد وكلاء التجار البريطانيين على تصريح من الزعيم أكنبودو Akinbodo باقامة مصنع بالقرب من مدخل خور أوجتن ، وأعلن ضرورة إقامة مصنع بريطانى فى أوجتن نفسها . ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى قرر البريطانيون إقامة مركزين آخرين فى سبيلى بناء على اختيار جالواى لنشر النفوذ البريطانى فى المنطقة . كما نجح البريطانيون فى إنشاء عدد من المصانع على نهر فوركادوس حول وارى Wary . وقد وجد ماكدونالد أربعة من هذه المصانع عند زيارته للمنطقة فى سنة ١٨٨٩(٦٢) .

أصبح من الضرورى قيام الممثلين الرسميين لبريطانيا بزيارة مدينة بنين وعقد معاهدة مع ملكها تكملة للجهود التى بذلها جالواى . وقد حاولت الحكومة البريطانية القيام بذلك العمل من قبل عندما أرسلت بلير فى سنة ١٨٨٥ لزيارة مدينة بنين ، ومحاولة الاتفاق مع ملكها (٦٣) . كما قام أنسلى Annesley برحلة مماثلة إلى مدينة بنين فى سنة ١٨٩٠ . وقد صحبه فى تلك الرحلة سيريل بونش Cyril Punch أحد التجار البريطانيين فى المنطقة . وقد لاحظ أنسلى أثناء تقدمه إلى بنين نظرة العداء التى كان الإفريقيون يوجهونها إليهم ، كما لاحظ بقايا الضحايا البشرية التى وضعها سكان بنين أمامهم فى الطريق كمظهر من مظاهر العداء ، ولم يستقبلهم سكان المدينة وزعماؤها بود أو يحسنوا استقبالهم مما جعلهم يرفضون دخول المدينةويعسكرون فى الخلاء والعودة دون تحقيق هدفهما(٦٤) .

رأى جالواى أن الموقف بعد فشل بعثة أنسلى يتطلب إعادة هيبة بريطانيا إلى المنطقة وإجبار ملك بنين على الاستجابة للمطالب البريطانية ، وفى نفس الوقت الاستجابة لشكوى التجار من القيود التى فرضها الملك أوفنرامين على بيع نوى نخيل الزيت (٦٥) ، واحتكاره للمطاط والصمغ والبخور والأخشاب . وقد حاول جالواى إنجاح الزيارة المنتظرة لمدينة بنين فبعث بعدد من الرسل لاخطار الملك برغبته فى زيارة المدينة ، وإنه لن يقوم بمنح أى هدايا إلا بعد توقيع معاهدة معه . وقد رد الملك معلنا أنه قد أساء التصرف مع أنسلى واستعداده لعقد المعاهدة المقترحة فورا وبدون أى تاخير . وبناء على تلك التاكيدات تحرك جالواى فى ٢١ مارس سنة ١٨٩٢ متجها إلى مدينة بنين وبصحبته وكيل القنصلية والتاجر سوانسون Swainson وأحد الأطباء ومترجم بالإضافة إلى خدمة الخصوصيين وحوالى ثلاثين حمالا ، ولم يصحب معه فى تلك الرحلة أى قوات عسكرية . وقد وجد جالواى فى أوجتن ثلاثة من الأدلاء الذين أرسلهم الملك لارشاد جالواى ومرافقيه إلى مدينة بنين . وعلى الرغم من وجود هؤلاء الأدلاء فان البعثة لم تصل إلى مدينة بنين إلا بعد ثلاثة أيام بسبب بطئها غير المتوقع فى السير (٦٦) . ومن المحتمل أن ذلك البطء فى التقدم يرجع إلى رغبة جالواى فى ملاحظة ومعرفة الأشياء والأماكن التى يمر بها ، أو أن ملك بنين قد دبر ذلك البطء رغبة منه فى تأخير وصول البعثة إلى مدينة بنين خاصة وأن رسل الملك كانوا يصلون باستمرار للتداول مع الادلاء .

وصل جالواى إلى مدينة بنين فى الثالث والعشرين من مارس وطلب مقابلة الملك فى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى ، ولكن ذلك الموعد أجل بناء على طلب الملك إلى الساعة الثامنة . وما أن وصل جالواى إلى مكان الاجتماع حتى علم أن الملك قد أجل الاجتماع مرة أخرى . وشغل جالواى نفسه فى يوم ٢٥ مارس بمقابلة كبار زعماء بنين لتفسير الهدف من وصوله والمعاهدة المقترحة . واستمر الملك يؤجل الاجتماع ، واضطر جالواى فى صباح السادس والعشرين من مارس إلى التهديد بالرحيل فورا عن المدينة وعدم العودة إليها بعد ذلك كصديق ، وحاول اضفاء الجدية على تهديده فارسل بعض الحمالين المرافقين له إلى خارج المدينة . وقد ترتب على ذلك التهديد استجابة الملك ومطالبته جالواى بمقابلة الزعماء مرة

أخرى والتشاور معهم . وأعلن الملك بعد ظهر نفس اليوم عن استعداده لمقابلة جالواى . وما أن وصل جالواى إلى القصر حتى عمد الملك مرة أخرى إلى التسويف بحجة ارتداء ملابسه . وانتظر جالواى ساعتين قبل أن تتم المقابلة . وفى تلك المقابلة فسرجالواى للملك نصوص المعاهدة المقترحة ، وكانت تماثل المعاهدات الأخرى التى عقدتها بريطانيا من قبل مع زعماء الحمية البريطانية . وقد تشاور الملك مع الزعماء بسبب شكه فى مسلك جالواى ، وخشيته أن يؤدى توقيع المعاهدة التى تعرض ملكه للنكبات ، خاصة وأن أحد العرافين كان قد تنبا له فى مايو سنة ١٨٩١ بان ملكه سوف يتعرض للدمار على يد رجل أبيض (٦٧) . وقد أقنع جالواى الملك والزعماء بنوايا بريطانيا السلمية فوقعوا المعاهدة . وقد تمت مقابلة أخرى بين الملك وجالواى فى اليوم التالى (٢٧ مارس) قبل مغادرته لمدينة بنين . وفى تلك المقابلة دارت المناقشة حول الأمور التجارية ، ووعد الملك بتنظيف طريق أوجتن من الجثث الملقاة به وتوسيعه ، كما وعد برفع الحظر المفروض على تجارة الصمغ (٦٨) .

إذا نظرنا إلى نصوص المعاهدة يتبين أنها قد نصت فى مادتيها الرابعة والخامسة على ضرورة خضوع الملك لنصح القنصل البريطانى فى جميع الشئون الداخلية وفى السياسة الخارجية (٦٩) . كما نصت المادة السادسة على فتح التجارة لجميع الجنسيات ، وأصبح من حق الوزراء المسيحيين دخول مدينة بنين بموجب المادة السابعة . كما نصت المادة التاسعة على سريان نصوص المعاهدة منذ توقيعها (٧٠) . ولا شك أن ملك وزعماء بنين كانوا يخشون أن تكون زيارة جالواى مقدمة لحدوث حرب بينهم وبين البريطانيين ، ولذلك وقعوا على المعاهدة التى قدمها لهم جالواى . ولا شك أنهم لم يفهموا شروطها خاصة وإنها كانت تختلف كلية عن النظام القائم فى دولتهم ومجتمعهم ، ولو كانوا قد فهموا نصوصها لعرفوا أنها قد أفقدتهم استقلالهم لأن نص المادتين الرابعة والخامسة يلزمهم بعدم القيام بأى تصرف إلا بعد الحصول على مشورة القنصل البريطانى ، وأن جميع الشئون الداخلية والخارجية تخضع لتوجيهات القنصل البريطانى .

بتوقيع المعاهدة لم تنته المشاكل فقد ظهرت فى الأفق مشكلة أخرى هى كيفية تطبيق نصوصها . وكان جالواى يعارض استخدام القوة لتنفيذ المعاهدة على أساس

أن اتخاذ تلك الخطوة سوف يدفع سكان بنين إلى هجرها والالتجاء إلى الغابات والتحول إلى التوحش . أما ماكدونالد فقد كان يرى وضع حد للتضحيات البشرية عن طريق استخدام القوة المسلحة على أساس أن استمرار ممارسة طقوس التضحيات البشرية يقف حائلا فى وجه نمو التجارة وتنمية مصادر بنين الاقتصادية (٧١) . ولم تكن مشكلة وقف التضحيات البشرية تشغل بال الرسميين البريطانيين بدرجة كبيرة مثلما شغلتها مشكلة عدم إيفاء ملك بنين بارتباطاته التى نصت عليها المادة السادسة من المعاهدة والخاصة بفتح التجارة أمام الجنسيات الأوروبية المختلفة . وقد ترتب على ضغط المصالح الاقتصادية دفع المشكلة إلى الأمام ، كما أن وزارة الخزانة البريطانية طالبت القنصلية فى المحمية بخصم نفقاتها من الرسوم المفروضة على الواردات والتى تم تحصيلها فى سنة ١٨٩١ (٧٢) .

أرسل جالواى تقريراً إلى الحكومة البريطانية عن مملكة بنين ذكر فيه أن التجارة تسير سيراً غير مرض فقد بلغت قيمتها حوالى ١٣٩١٠٩ جنيهاً استرلينيا وأن الدخل الذى أدرته بلغ حوالى ٥٥٥٠ جنيهاً إسترلينيا فقط . ومعنى هذا أن حجم التجارة فى سنة ١٨٩٢ لم يزد كثيراً عن حجمها فى سنة ١٨٥٠ . وعلى الرغم من تعدد السلع التجارية فإن تجارة زيت النخيل كانت أهم صادرات المنطقة . وتعرض جالواى فى تقريره للعاج على أساس أنه من السلع غالية الثمن ، وذكر أن نصف كمية العاج المجموع يستولى عليها ملك بنين ويخزن الجزء الأكبر منها . وكان شعب إدو يستخدم جزءاً كبيراً من العاج الذى لا يستولى عليه الملك . وقد أرجع جالواى عدم زيادة حجم التجارة فى زيت النخيل إلى سوء حكم الملك الذى كان يحتفظ باغلب السلع التجارية والقيود التى يفرضها على التجارة . وكان تجار إتسكيرى مجبرون على الإتجار مع وكلاء الملك ودفع الضرائب العالية للملك كل عام . وكان وقف التجارة ومصادرة السلع هو المصير المنتظر لهؤلاء التجار إذا لم يقوموا بدفع الضرائب المفروضة . كذلك كان الملك يحتكر التجارة ويوقف العمل فى بعض الأسواق . وبين جالواى أن الملك كان على استعداد للاستماع إلى صوت العقل ، ولكنه كان مرتبطا بالعادات الدينية وأن تجارة بنين سوف تستمر مصدرا مشكوكا فيه مادامت سلطة رجال الدين قائمة فى بنين ، وأن علاج تلك الحالة يتطلب مرور

بعض الوقت ، وقد يتطلب إرسال حملة تأديبية لأجبار الملك على الاستجابة للمطالب البريطانية(٧٣) .

كان جالواى يعتقد أن رجال الطبقة الوسطى من الإتسكيرى يشكلون عقبة فى سبيل نمو التجارة بسبب استمرار المعارك بينهم وبين بنين ومنتجى زيت النخيل من شعب أورهوبو بسبب عدم الثقة بين الجانبين . وكانت تلك النزاعات تؤدى إلى وقف التجارة . وقد ترتب على تلك النزاعات مهاجمة قوة عسكرية من مملكة بنين لإحدى مستوطنات إتسكيرى فى يوليو سنة ١٨٩١ والقبض على حوالى مائة فرد من سكانها والإستيلاء على كميات كبيرة من سلعهم . وكان هناك أتهام آخر موجه ضد شعب إتسكيرى بأنهم يحاولون منع إنشاء المصانع الأوروبية فى الأراضى الداخلية . وقد أدى انخفاض حجم التجارة المتبادلة فى سنة١٨٩٢–١٨٩٣إلى حوالى ١٣٤٣٣٧ جنيها استرلينيا إلى الإسراع بالأزمة . وقد ألقى الأوربيون مسئولية ذلك التدهور على رجال الطبقة الوسطى من الإتسكيرى وعلى نانا الذى عزل من منصبه فى سنة ١٨٩٠ بسبب تدخله غير القانونى فى شئون التجارة(٧٤) .

وقد حاول نانا الذى كان لايزال يحتفظ بقوته السيطرة على الموقف عن طريق منع تجارة الإتسكيرى من الوصول إلى بنين وخاصة تجارة الملح التى كان يحتكرها ، كما احتكر رجاله التجارة فى منطقة أورهوبو ، ورسموا خط حدود يبعد عن النهر ثلاثة أميال ، ومنع شعب أورهوبو من تخطى تلك الحدود والا تعرض من يحاول منهم ذلك للقبض عليه واسترقاقه(٧٥) .

كثرت الحوادث بين رجال نانا وشعب أورهوبو ، وبلغت ذروتها فى يونيو سنة ١٨٩٤ ، واضطر مور Moor القائم باعمال القنصل العام إلى زيارة النهر لتقصى حقائق المشكلة . وقد اضطرت الظروف نانا إلى الدخول فى صراع مع السلطات البريطانية واستطاعت قوة بحرية بريطانية الإستيلاء على إبروهيمى فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٩٤ . وكان لهذا العمل أثر كبير على زعماء إتسكيرى الذين خشوا مقاومة القوى التجارية الأوربية(٧٦) .

لم يحاول ملك بنين الأشتراك فى الصراع الذى أدى إلى فقد نانا لملكه ، ولكن النزاع هدده مثلما هدد نانا . وعلى الرغم من عقد معاهدة سنة ١٨٩٢(٧٧) . فقد

بقيت بنين فى عزلة أغلب القرن التاسع عشر . كما بقيت تجارتها بعيدة عن ما كان ينتظره البريطانيون بسبب وقوف ملك بنين فى وجه التعديلات التى فرضتها المعاهدة وكان رجال الملك الذين يرسلهم إلى المراكز التجارية المختلفة فى مملكته للاشراف عليها من أسباب تعرض التجارة للشلل لابتزازهم الأموال ومنعهم التجار من بيع سلعهم لغيرهم(٧٨) .

إنشاء محمية أنهار الزيت فى سنة ١٨٩١ مكن الإدارة البريطانية من التحكم فى جلب الأسلحة والذخائر إلى نهر بنين ، وأدى هذا التحكم إلى التحول نحو جلب الملح والملابس والمشروبات الروحية ، وأصبحت من المواد الأساسية فى تجارة المنطقة . واستمرت الأصداف تشغل مكاناً بين السلع الأساسية الواردة من أوربا . وجلبت مؤسسة ستيوارت ودوجلاس Stewart and Douglas كميات كبيرة من أصداف ساحل ملبار للاتجار بها على نهر بنين . وقد فضل أوفنرامين الحرير والخرز وزاد طلبه على ألواح النحاس وبعض المواد المستخدمة لحلفنة ألواح الصاج المستخدم فى تسقيف المبانى وتزيين القصر . وقد أعتمدت مملكة بنين على صادراتها من زيت النخيل للحصول على حاجتها من السلع الأوربية . وكان التجار الأوربيون مقتنعون بوجود مصادر ثروة طبيعية أخرى فى مملكة بنين ، فحاولوا الحصول عليها . وقد أرسل وكيل شركة ميللر Miller مذكرة إلى القنصل البريطانى فى سنة ١٨٩٦ ذكر فيها توفر المطاط فى المملكة ولكنه لا يستطيع التوغل فى المناطق الداخلية للحصول عليه ، كما ذكر وجود كميات كبيرة من بللورات الصمغ يمتنع الوطنيون عن بيعها ، وإنه قد أشترى كميات منها ومن نوى النخيل من الملك . وبين وجود كميات كبيرة من نوى النخيل مكدسة فى مدينة بنين ولكن من غير المسموح للسكان عصرها لإستخراج الزيت منها أو بيعها بسبب أنتشار فكرة أنبعاث غاز ضار بالصحة عند عصر البذور . كما عمد السكان إلى وقف تجارة الزيت عن طريق تخزين الزيت فى أوانى فخارية كبيرة ذات عنق ضيق (زلع) تستطيع الاحتفاظ بالزيت فى حالة جيدة فترة طويلة (٧٩) . ويستدل من هذا التقرير على أن التجار البريطانيين كانوا يحاولون إغراء ودفع الحكومة البريطانية على اتخاذ الإجراءات الكفيلة بمد سيطرتها ونفوذها على المناطق الداخلية بما فيها أراضى مملكة بنين حتى يتمكنوا من وضع أيديهم على تجارة المناطق الداخلية واستغلالها .

انتهت مقاومة شعب الإتسكيرى للتقدم التجارى والإدارى الذى عملت بريطانيا على فرضه فى منطقتهم ، وأصبح مور يتوق إلى مد حدود محمية ساحل النيجر إلى المناطق الداخلية التى وقع زعماؤها وملوكها معاهدات مع بريطانيا ولا تدخل ضمن أراضى مستعمرة لاجوس أو ضمن منطقة أمتياز شركة النيجر الملكية . وكان يهدف من وراء ذلك تنفيذ المرسوم الملكى الصادر فى سنة ١٨٩٣ . ولا شك أن النجاح الذى أحرزته بريطانيا فى أرض يوربا(٨٠) ، فى سنة ١٨٩٣ قد حث مور على القيام بمحاولة أخرى من جانبه لإقرار الأمور فى الأراضى الجديدة التى أمتدت إليها حدود محمية ساحل النيجر . وكانت بنين تمثل التحدى المباشر والفورى لمد أراضى المحمية ونشر النفوذ البريطانى . وكانت تعتبر آخر دولة مهمة فى جنوب نيجيريا تقف فى وجه المطامع البريطانية ، وفى نفس الوقت لم تقم بتنفيذ اتفاقية سنة ١٨٩٢(٨١) . ولذلك ما أن أستولى البريطانيون على إبروهيمى(٨٢) . حتى قرر مور تنفيذ أهدافه فى بنين . وأرسل رساله إلى ملك بنين يطلب تنفيذ بنود المعاهدة المعقودة بين الجانبين ، وفى نفس الوقت كان يستعد لزيارة مدينة بنين . وكان رد ملك بنين على طلب مور رداً غير شاف وأعتبره مور رداً وقحاً ، ولذلك ألغى مشروع زيارته الودية لمدينة بنين على أساس أن هيبة المحمية قد أهدرت ، وأن الأمر يتطلب أرسال حملة كبيرة معدة أعداداً جيداً لإعادة تلك الهيبة(٨٣) .

كان تحرك رجال شركة النيجر الملكية فى المنطقة الداخلة ضمن أراضى المحمية البريطانية من أسباب غضب مور ومحاولته التحرك عسكرياً لفرض النفوذ البريطانى عن طريق استخدام القوة العسكرية خاصة وأن فشل رسله فى الحصول على رد شاف من ملك بنين يرجع إلى سبق الشركة وإرسالها قوة عسكرية من قبلها بقيادة ملك تاجارت MacTaggart . وقد حاول مور صب جام غضبه على الشركة لأنها استغلت حدوث الإضطرابات على نهر بنين ، وحاولت الأعتداء على حقه فى إدارة المنطقة ، خاصة بعد تحرك ماك تاجارت وفلنت Flint الوكيل العام للشركة فى أوائل سبتمبر سنة ١٨٩٤ إلى أرض أورهوبو ومحاولتهما عقد معاهدات مع زعمائها وخاصة زعماء منطقة أوجورو Egoro الواقعة على نهر بنين ، وكانت تحت إدارة نانا . وقد نجح تاجارت وفلنت فى تنفيذ هدفهما . وأعتبر مور نشاطهما

تحدياً خطيراً له وللمحمية لما سوف يترتب على ذلك من حدوث نقص كبير فى دخل المحمية إذا نجحت الشركة فى تحويل تجارة زيت النخيل إلى محطاتها القائمة على نهر النيجر(٨٤) . واحتج مور على غزو الشركة لأراضى المحمية ، وطلب من الحكومة البريطانية إعادة النظر فى الحدود القائمة بين أراضى التاج وأراضى الشركة على أساس أن الشركة تقف حائلا بين تجار نهر بنين والأسواق التجارية الواقعة وراء مبونا Mbona وطلب أن تعود التجارة التى كان يمارسها نانا وتجار الإتسكيرى حتى أبراكا إلى مصب النهر(٨٥) .

أعتذرت الشركة لمور عن وصول ماك جارت إلى مدينة بنين ، وأعلنت أنه كان متجهاً إلى أرض أدو Ado لتاكيد بنود معاهدة عقدت مع زعيمها ولكن تاجارت ورجاله وصلوا بطريق الخطأ إلى مدينة بنين . ولم يمح ذلك الاعتذار الشك القائم عند مور فى قيام ماك تاجارت بعقد معاهدة مع ملك بنين معتدياً على حقوق محمية ساحل النيجر ، خاصة وإنه من الصعب تفسير الكيفية التى ضل بها ماك تاجارت الطريق ، ووصوله إلى مدينة بنين . وقد صمم مور على التحرك والتعامل مع مملكة بنين بسرعة وقوة قبل أن تفلت الفرصة من يديه . فاستعد فى نوفمبر سنة ١٨٩٤ عسكرياً لإعداد حملة قوية تتحرك إلى مملكة بنين لإقامة مركز عسكرى فى عاصمتها . وكان مور يرغب فى أن تتم العمليات العسكرية فى فصل الجفاف ، ولم يكن يتوقع أن تلقى قواته مقاومة جدية من قوات ملك بنين معتمداً فى ذلك على رأى جالواى القائل بأن شعب بنين بعيد عن الشجاعة . ولم يستطيع مور حتى أوائل سنة ١٨٩٥ التحرك بسبب عودة رئيسه ماكدونالد من بريطانيا فى ٥ ديسمبر سنة ١٨٩٤ وقد أوقف ماكدونالد الإستعدادات العسكرية التى يجريها مور على أساس تجربة الوسائل السلمية أولا ، ولم يلبث مور أن سافر فى أجازة إلىبريطانيا ، كما أن حدوث ثورة فى منطقة النحاس قد شغل المسئولين فى المحمية حتى عودة مور فى يوليو سنة ١٨٩٥ . وقد بذل المسئولون البريطانيون فى تلك الفترة المحاولات لفتح طرق المواصلات مع مملكة بنين ولكن محاولاتهم انتهت بالفشل(٨٦) .

أزعج عزل نانا عن حكم نهر (٨٧) بنين أوفنرا مين ، وجعله أكثر عصبية من قبل بسبب خوفه من ملاقاة نفس المصير الذى لاقاه نانا ، وانعكس ذلك الخوف

على تعامله مع البريطانيين بحيث أصبح لا يرغب فى التعامل معهم أو الآتصال بهم ، ورفض جميع العروض التى قدمها البيض له . كما أن قتله للزعيم أوانجوى (٨٨) فى سنة ١٨٩٥ جعله يشعر بالخوف وعدم الأمن ، كما أن قيام الثورة فى أجبور أضاف لمتاعبه متاعب جديدة . وأصبح أوفنرامين يواجه تهديدات لسلطته وحياته من الداخل والخارج فاتجه إلى الانغماس فى ممارسة طقوس دينه(٨٩) .

[ ] غادر ماكدونالد المحمية نهائياً فى أغسطس سنة ١٨٩٥ ، وبذلك أصبح مور مرة أخرى فى مركز القيادة،وقادراً على تنفيذ مخططاته السياسية . وقد صدرت التعليمات لكوبلاند — كراوفورد Copland – Crawford نائب القنصل للقيام بزيارة عاصمة مملكة بنين فى أوائل سبتمبر سنة ١٨٩٥ . وقد فشلت تلك الزيارة ولم يستطع كوبلاند تحقيق الهدف الذى أرسل من أجله ، وتبين مور فشل كل الجهود التى تبذل فى ذلك الاتجاه ، وبعث تقريراً إلى وزارة الخارجية البريطانية أعلن فيه فشل مثل تلك المحاولات وأوصى بأن تستخدم القوة العسكرية لفتح بلاد مملكة بنين للحضارة والتجارة ووقف عمليات التضحيات البشرية المخيفة والقسوة المستخدمة هناك . وكان رد وزارة الخارجية البريطانية على ذلك هو ضرورة استخدام الوسائل السلمية فترة أخرى قبل الإلتجاء إلى استخدام القوة(٩٠) .

عينت الحكومة البريطانية مور فى سنة ١٨٩٦ قنصلا عاماً للمنطقة ، وبهذا التعيين زالت من أمامه جميع العقبات التى كانت تقف حائلا بينه وبين الذهاب إلى بنين وإخضاعها . ولذلك صمم مور على إخضاعها فى العام التالى سواء باستخدام الطرق السلمية أو الطرق العسكرية . وكانت المشكلة التى واجهت مور هى الحصول على موافقة الحكومة البريطانية على الإجراءات التى سوف يتبعها لاحتياج الحملة إلى نفقات كثيرة وقوات عسكرية كبيرة . وقد أعطى ملك بنين الفرصة لمور بوقف التجارة مع الإتسكيرى بحجة أن شعبه قد اشتكوا من عمليات الغش التى يرتكبها شعب الإتسكيرى عند الإتجار معهم(٩١) . ويمكن القول أن السبب الأول لوقف التجارة هو رفع التجار الأوربيين والإتسكيرى لأسعار البنادق والبارود . وقد وقد وجد ملك بنين نفسه عاجزاً عن شراء تلك السلع بالأسعار التى يحددونها ، ولذلك أوقف التجارة حتى يستطيع ابتزاز أكبر قدر من المال . من هؤلاء التجار .

وعلى الرغم من أن بنين كانت تقوم دائماً بوقف التجارة فى إحدى المناطق لفترات قصيرة لإجبار التجار على دفع مبالغ مالية قبل إعادة فتح تلك الأسواق إلا أن التجار البريطانيين والإتسكيرى قد اشتكوا من ذلك لما يتعرضون له من خسائر(٩٢) .

اتهم كل جانب الجانب الآخر بابتزاز الأموال . ومن المحتمل وجود بعض الحقيقة فى كلام كل جانب ، ولكن وقف التجارة فى هذه المرة لم يكن عملا عادياً فقد كان يمثل إنتهاكاً لنصوص معاهدة سنة ١٨٩٢ المعقودة بين بنين وبريطانيا . وقد التمس تجار الإتسكيرى من القنصل البريطانى فى ١٣ أبريل سنة ١٨٩٦ العمل لإعادة التجارة إلى ما كانت عليه من قبل لأنهم يعتمدون بصفة كاملة فى معيشتهم على التجارة الآتية من مملكة بنين(٩٣) .

كان التجار الأوربيون وتجار الإتسكيرى يحصلون على كميات كبيرة من زيت النخيل التى تاتى من الجزء الأعلى من نهر بنين حيث قل نفوذ بنين على المنطقة بعد إنشاء نيابة القنصلية البريطانية فى سابيلى . ولكن مور استغل وقف الملك لتلك التجارة للتدليل على أن سياسة الاتصال سلمياً مع بنين سياسة فاشلة وأعلن أن الملك رفض جميع العروض السلمية ، وأن العلاقات معه تزداد سوءاً كلما حاول البريطانيون الإتصال به . ويرجع ذلك إلى أن الملك يعتبر المحاولات السلمية دليلا على خوف وضعف البريطانيين(٩٤) . وقد حاول مور تقوية مركزه وتأييد آرائه فذكر أن ملك بنين قد نقض شروط المادة الخامسة من المعاهدة المعقودة معه ، ويرفض استقبال الموظفين الحكوميين أو السماح لهم بدخول بلاده ، وكان يعاقب من يستقبلهم من أفراد شعبه الذين يسكنون المقاطعات الخارجية(٩٥) . ومن المحتمل أن هذا الاتهام كان بسبب العراقيل التى وضعها ملك بنين أمام كوبلاند — كراوفود عندما حاول التقدم على رأس قوة مسلحة من أوجتن إلى مدينة بنين والشكوى التى قدمها ليكى Leky الذى زار بلاد كوالى Kwale فى أبريل سنة ١٨٩٦ بناء على تعليمات القنصل البريطانى العام(٩٦) .

ناقش مور مع وزارة الخارجية البريطانية فكرة استخدام القوة مع مملكة بنين وذكر أنه يرى أن كل الجهود التى بذلت واستمرت حتى نهاية فترة الجفاف كانت فاشلة ، وأن الضرورة تتطلب إرسال حملة عسكرية فى شهر يناير أو شهر

فبراير لخلع الملك وإبعاد أتباعه لمصلحة شعب بنين الذى قاسى كثيراً تحت حكمه ، وإن القيام بمثل ذلك العمل يتطلب إنشاء مركز عسكرى فى بلاد بنين يمكن استخدامه كقاعدة عسكرية للتقدم منها إلى المناطق الداخلية (٩٧) . ولكن وزارة الخارجية البريطانية لم تقتنع بحجج مور وطلبت منه أن يتم التعامل معه بعناية وبالطرق السلمية إلى أن يحين الوقت المناسب لإستخدام القوة لأن ذلك يتطلب وجود قوات كافية . ويرجع ذلك إلى أن الميجور إيوارت Ewart حاكم لاجوس أعلن أنه يستطيع دخول مدينة بنين سلمياً وبسهولة إذا كانت داخلة ضمن منطقة حكم مستعمرة* لاجوس . وكان من رأيه أن الصبر والهدايا يمكن أن يؤكد للملك بنين النوايا السلمية للحكومة البريطانية وتقنعه بفتح بلاده للأوربيين بينما إستخدام القوة سوف يلاقى مقاومة شديدة من جانب الملك(٩٨) .

كان مور مضطراً إلى عمل مبادرة أخرى مع ملك بنين للوصول إلى اتفاق سلمى معه ، ولذلك أرسل بعثة من الإتسكيرى إلى الملك للتمهيد لوصول بعثة حكومية . وقد استجاب الملك لطلب البعثة وأمر بفتح أسواق بورو Boro ونيومى Nueme وجبيكوى Gbeque وجواتو Gwato وإكيتى Eketi ، وطلب من البعثة إرسال الهدايا إلى سكان المنطقة لأنهم يرفضون التعامل مع الأوربيين ، كما طلب تزويده بالواح الصاج اللازمة لسقف منزل كان يقوم ببنائه وذخيرة لمسدسه قبل فتح أية أسواق أخرى . وحاول إثبات حسن نواياه فأرسل اثنين من رجاله مع البعثة عند عودتها . وقد رفض الملك زيارة موظفى الحكومة لمدينة بنين على أساس أن رجال الحكومة الذين زاروا المدينة مرتين كانوا مسلحين ، ودلل على ذلك بأن مالك تاجارت ذهب إلى بنين عن طريق سابونا Sapoba والميجور كراوفورد إلى جواتو وكانا مسلحين . وقد بين أفراد البعثة للملك أن تاجارت كان تابعا لشركة النيجر الملكية ولا علاقة لحكومة المحمية به ، أما الميجور كروافورد فقد كان يرغب فى الذهاب إلى مدينة بنين لرؤية الملك . وقد عاد أفراد البعثة مرة أخرى إلى بنين لاقناعه باستقبال ضباط الحكومة ، وأن الحكومة سوف ترسل له ألواح الصاج التى طلبها ، وإنها لن تستطيع تزويده بالذخيرة التى طلبها لمسدسه لعدم وجودها(٩٩) .

غادر مور المحمية متجها إلى بريطانيا فى أجازة ، وأصبحت المحمية أثناء غيابه

* أصبحت لاجوس مستعمرة فى سنة ١٨٦١ .

تحت إشراف فيلبس Phillips القائم بأعمال القنصل العام ، وكان من مؤيدى سياسة استخدام العنف التى كان ينادى بها مور ، ولكنه لم تكن له نفس خبرة مور. وقد زار فيلبس نهر بنين فى آوائل نوفمبر سنة ١٨٩٦ ، وفى تلك الزيارة وجد أن جميع الأسواق فى أرض الملك قد أغلقت مرة أخرى . وطلب الملك أن تزوده الإدارة البريطانية بثلاثة آلاف لوح من الصاج لازمة لبناء منزله الجديد قبل أن يعيد فتح الأسواق . وقد تعهد زعماء الإتسكيرى للملك بتسليم ألواح الصاج المطلوبة فور إعادة فتح الأسواق ، كما طلبوا منه استقبال أحد ضباط الحكومة ، ولكنه اعتذر عن ذلك بسبب انشغاله فى إنشاء جمرك كبير منذ أربعة أشهر ، وأنه لن يستطيع استقبال أى فرد من الحكومة قبل الانتهاء من إنشاء الجمرك(١٠٠) .

تشاور فيلبس مع جالواى وزعماء الإتسكيرى والوكلاء التجاريين البريطانيين حول موقف ملك بنين . وبعث فيلبس خطابا إلى وزارة الخارجية البريطانية سرد فيه تاريخ العلاقات بين المحمية ومملكة بنين . وبين أن الوسائل السلمية أثبتت عدم فعاليتها ، وأن زعماء الاتسكيرى قد نصحوا بعدم تقديم هدايا جديدة لملك بنين ، وعدم تسليمه ألواح الصاج المطلوبة . وأعلن فيلبس إنه لن يتبع أية إجراءات سلمية أخرى مع ملك بنين ، وإنه سوف يعمل على خلع الملك عن العرش على اعتبار أن ذلك هو الحل الوحيد للمشكلة . وطلب من الحكومة البريطانية تزويده بالسلطات اللازمة للقيام بذلك العمل ، وأن يسمح له وزير الخارجية البريطانية زيارة مدينة بنين فى شهر فبراير سنة ١٨٩٧ ، وخلع الملك ، وإنشاء مجلس وطنى يتولى حكم المملكة ، واتخاذ إجراءات أخرى لفتح البلاد للتجارة حسبما تقتضيه الظروف . وذكر أنه سوف يصطحب معه قوة تتكون من ٢٥٠ فرداً من قوات المحمية و ١٥٠ من الهوسا ومدفعين عيار سبعة أرطال ومدفع ماكسيم والذخيرة والإمدادات اللازمة للحملة(١٠١) .

وصلت رسالة فيلبس إلى وزارة الخارجية البريطانية أثناء وجود مور فى لندن فحولها وزير الخارجية إليه . وعلى الرغم من أن مور كان يفضل إرسال حملة عسكرية إلى مملكة بنين لخلع الملك إلا أنه خشى أن يتم ذلك فى غيبته بحيث ينسب الفضل فى ذلك إلى فيلبس ، ولذلك أعلن عن استعداده للعودة إلى المحمية لتوجيه

العمل إذا وافقت الحكومة البريطانية على ذلك . وطلب تزويد الحملة بقارب يحمل مدفعا وبعض السفن الحربية(١٠٢) .

لم يقتنع وزير الخارجية البريطانية بالعملية ، ولذلك تشاور مع وزير الدولة لشئون المستعمرات فيما يتعلق بحجم القوات العسكرية التى يمكن تخصيصها لتلك العملية ، ولم يلبث أن أبرق فى الثامن من يناير سنة ١٨٩٧ إلى فيلبس يطلب منه تأجيل العملية إلى عام آخر . وقد فسر لورد سالسبورى قراره بأن العملية تحتاج إلى ٤٠٠ فرد من القوات العسكرية ، وأن مستعمرتى لاجوس وساحل الذهب غير قادرتين على تزويد المحمية بعدد من قواتهما ، وأن القوة الموجودة فى محمية ساحل النيجر تكفى فقط للاحتفاظ بالنظام بها فى الأوقات العادية . ونظراً لوجود حالة عدم استقرار على نهرى النحاس وكالابار الجديد ، ووجود قوات شركة النيجر الملكية فى الجزء الشمالى من أراضيها فانه من غير المرغوب فيه بالنسبة للمحمية الاشتباك فى عمليات عسكرية قبل الاستعداد لملاقاة الأحداث غير المتوقعة(١٠٣) .

لم ينتظر فيلبس ورود رد وزارة الخارجية وأرسل رسالة إلى ملك بنين ذكر فيها إنه سوف يعود إلى نهر بنين فى العام الجديد وسوف يزور مدينة بنين . ولم يلبث أن تحرك فجأة فى حملة غير مسلحة وبدون اتخاذ أية احتياطات متجها إلى مدينة بنين (١٠٤) . ومن المحتمل أن عدم انتظار فيلبس وصول تعليمات وزارة الخارجية البريطانية يرجع إلى توقعه أنها لن توافق على قيام الحملة ، ورأى إنه يستطيع إجبار ملك بنين على استقباله ، وأن نجاحه فى غيبة مور سوف يؤدى إلى رفع هيبته ومركزه على أساس إنه عمل ما لم يستطع مور عمله .

أرسل فيلبس الرسل لإخطار ملك بنين بأنه سوف يصل إلى مدينة بنين خلال أيام قليلة وبصحبته ثمانية أو تسعة أفراد من البيض . ورد ملك بنين مبدياً استعداده لاستقباله . ووصلت الأنباء إلى مدينة بنين فى ٣ يناير تعلن عن تجمع سبعة من الموظفين البريطانيين واثنين من التجار البريطانيين وأكثر من مائتى حمال فى أوجتن(١٠٥) . وعلى الرغم من وصول الأنباء تعلن أن البعثة غير مسلحة فقد أرسل الملك عدداً من رجاله لتجريد البعثة من كل المظاهر العسكرية . وعلى الرغم من

التاكد من عدم تسلح أفراد حملة فيلبس فقد انتشر الخوف فى مدينة بنين من محاولة البريطانيين مهاجمة المدينة . وقد طلب الملك من السكان السماح لأفراد الحملة بالوصول إلى مدينة بنين على احتمال أن يكونوا آتين للهو أما إذا كانوا يرغبون فى الحرب فسوف يتم التصرف معهم . ولم يوافق بعض زعماء بنين على كلام الملك وطلبوا من السكان التحرك ومقاتلة الحملة(١٠٦) .

وصلت أنباء استعداد سكان مدينة بنين للحرب إلى أسماع تجار الإتسكيرى المقيمين فى المراكز التجارية داخل أراضى بنين فأسرعوا بمغادرة أماكنهم وحذروا فيلبس من الخطر المنتظر ولكن فيلبس لم يعر ذلك التحذير أذناً صاغية ، وتقدم إلى جواتو ، وأمضى ليلته بها ثم تحرك فى الصباح متجهاً إلى مدينة بنين ، ولم يلبث الوطنيون أن أطلقوا النار على رجال الحملة عند قرية أجيبنى وقتلوهم جميعاً(١٠٧).

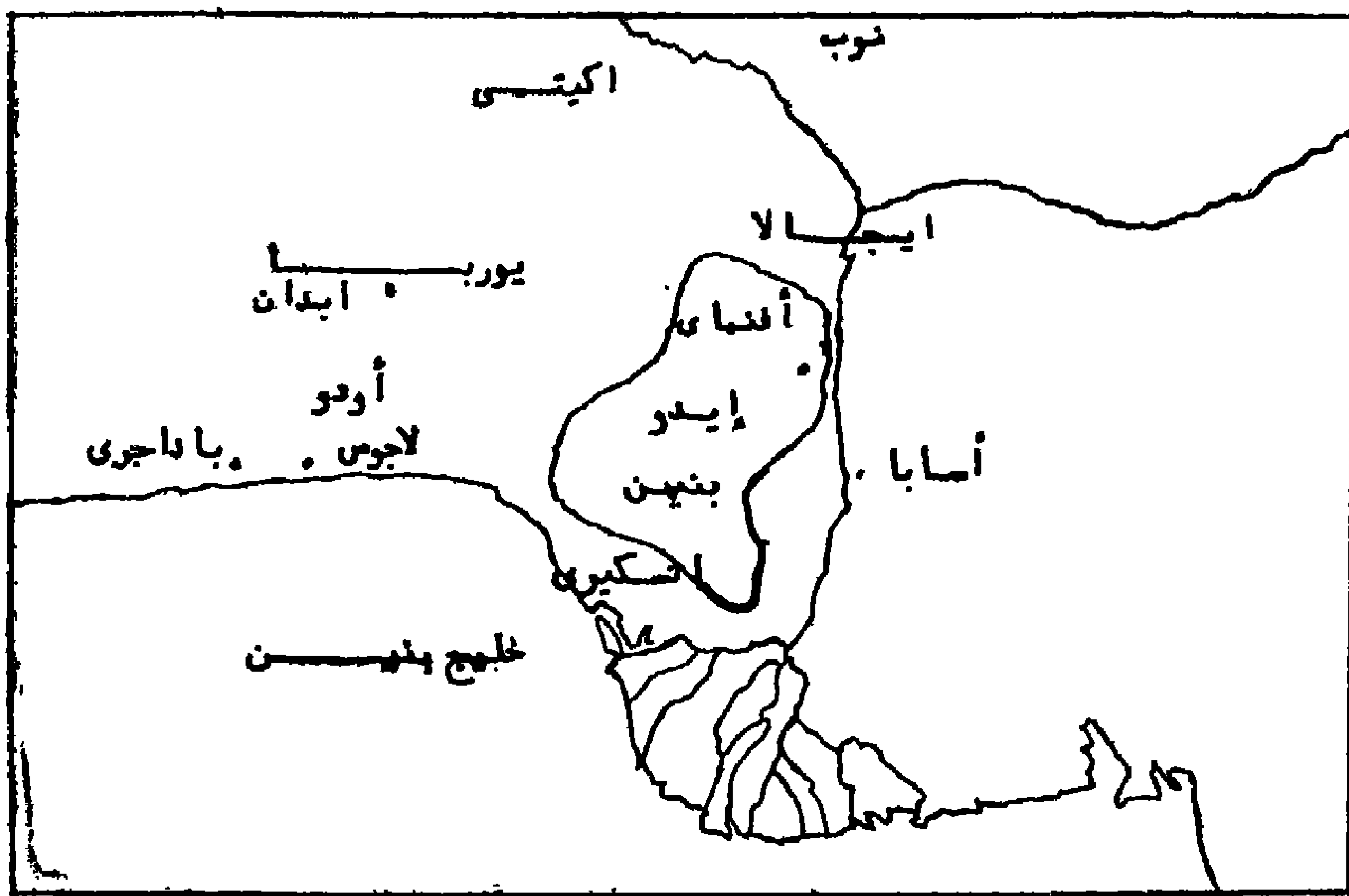
أدرك ملك بنين بعد مقتل فيلبس ومن معه أن الحرب مع البريطانيين قد أصبحت محتمة ووشيكة الوقوع ، وأنهم سوف يهاجمونه بسرعة وبقوة . ووصلت أنباء الكارثة إلى مأمور مقاطعة سابيلى فى السابع من يناير ثم إلى لندن فى العاشر من نفس الشهر . وترتب على ذلك عودة مور إلى المحمية وجمعه قوة عسكرية ، واستدعى عدداً من سفن أسطول مستعمرة الرأس ومن أسطول البحر المتوسط ومن بريطانيا ، كما جمع حمالين من ساحل الذهب ومن سيراليون ، وأسند الإشراف على النظام والأمن فى المحمية إلى قوات من فرقة غرب الهند . وبذلك استطاع مور فى نهاية الأسبوع الأول من شهر فبراير جمع حوالى ١٥٠٠ من قوات البحارة ومن قوات المحمية استعداداً للهجوم على مدينة بنين . وتحرك الطابور الأساسى من سابيلى فى وجه مقاومة نشطة من الوطنيين ، وقد تعرض ذلك الطابور للخطر فى بعض الأوقات بسبب نقص المياه . ووصلت هذه القوات إلى مدينة بنين فى ١٨ فبراير . وفى نفس الوقت تحركت قوة أخرى فى اتجاه مدينة أوجتن بهدف تحويل الأنظار عن هدف الطابور المتحرك من سابيلى . ونظراً لأن زعماء بنين كانوا يتوقعون الهجوم البريطانى عن طريق أوجتن فقد لاقت تلك القوات مقاومة شديدة(١٠٨) .

بقى ملك بنين فى قصره حتى وصلت القوات البريطانية إلى أبواب مدينة بنين وسقطت إحدى قذائف المدفعية البريطانية فى أحد أفنية القصر . وبذلك اقتنع الملك

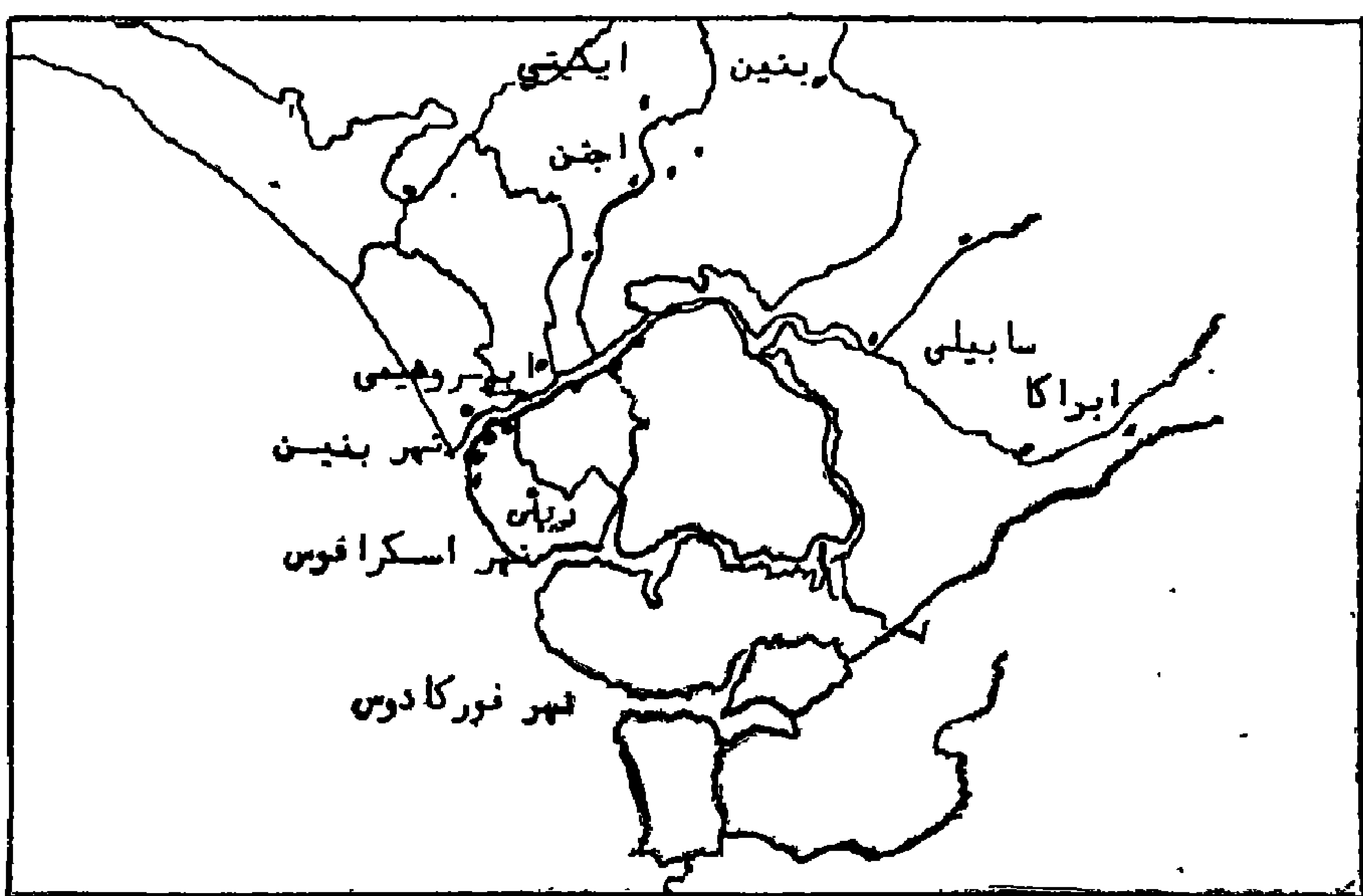
بضرورة مغادرة القصر مع أغلب الزعماء والبحث عن مأوى آخر آمن فى المملكة . وتبع عدد كبير من السكان الملك والزعماء ورحلوا عن المدينة ، وبذلك لم تجد القوات البريطانية عند احتلالها للمدينة سوى عدد قليل منهم ، ولم تلبث النار أن اشتعلت فى المدينة بعد يومين من احتلالها . وعلى الرغم من احتلال القوات البريطانية للمدينة فان مقاومة الوطنيين العسكرية لم تنته ، ولكن لم تمض سوى أيام قليلة حتى أبدى بعض الزعماء رغبتهم فى التعاون مع سلطات الاحتلال . وكانوا يهدفون من وراء ذلك إلى الاحتفاظ بممتلكاتهم وامتيازاتهم والعمل فى المجلس الوطنى الذى أنشاه البريطانيون لحكم البلاد . أما الملك أوفنرامين وحوالى عشرة من الزعماء فلم يبدوا خضوعهم إلا فى الخامس من شهر أغسطس من نفس العام ، وكان يصحب الملك حوالى ٧٠٠ أو ٨٠٠ فرد من أتباعه . وأعلن الملك خضوعه للسلطات البريطانية بالسجود ثلاث مرات على الأرض . وأعلن المقيم البريطانى عزل أوفنرامين من حكم البلاد ، ووجه إليه تهمة الاشتراك مع الزعماء فى قتل فيلبس ورجاله . وبدأت محاكمة المتهمين فى ٣١ أغسطس بعد وصول مور . وانتهت المحاكمة بادانة ستة من الزعماء بقتل فيلبس وجماعته . وقد انتحر أحد المتهمين ومات الثانى وكان الثالث طفلا وبذلك عفى عنه . واستمر أحد الزعماء المتهمين ومعه قوة من الفدائيين فى محاربة القوات البريطانية إلى أن تم القبض عليه فى مايو سنة ١٨٩٩(١٠٩) .

بقى اثنان من الزعماء المتهمين ، وهذان أعدما باطلاق النار عليهما فى الرابع من سبتمبر سنة ١٨٩٧ . وبانتهاء المحاكمة بدأ مور فى بحث مشكلة الملك المعزول ومركزه فى النظام الإدارى الجديد . وفى اجتماع عقده مع أوفنرامين والزعماء فى السابع من سبتمبر أعلن مور أنه على استعداد لمنح أوفنرامين وظيفة زعيم فى مدينة بنين بشرط أن يثبت أهليته وتعقله وتفهمه للأمور ، وفى هذه الحالة فان مركزه كزعيم سوف يكون كبيراً ، ومن المحتمل أن يكون ذلك المركز أكبر وظيفة بعد وظيفة الحاكم البريطانى . وبين مور لأفنرامين إنه لن يستطيع بعد ذلك استخدام شعب بنين كما لو كانوا خدماً له ، وسوف تبقى له ممتلكاته الخاصة . واقترح مور قيام أوفنرامين برحلة إلى منطقة نهر كالابار القديم وغيره من مناطق المحمية ، وزيارة مدينة لاجوس ومدن بلاد يوربا لمشاهدة الكيفية التى تحكم بها تلك المناطق ثم العودة بعد ذلك إلى

بلاده على أن يصحبه فى جولته بعض الزعماء . وأعلن مور أن الهدف من القيام بتلك الرحلة ليس طرد أوفنرامين من بلاده ولكنه سوف يعود إليها بعد أن تصبح المحاصيل على وشك الحصاد . ومنح مور أوفنرامين والزعماء مهلة للتفكير فى اقتراحه وحذرهم من الهرب ، وبين لهم أن كل من يحاول منهم الهرب سوف يعرض نفسه للموت . وعلى الرغم من أن أوفنرامين قد أظهر استعداده لقبول اقتراح مور إلا إنه اختفى فى صباح يوم ٩ سبتمبر ، ولم يحضر الاجتماع المحدد مع مور . وقبضت القوات البريطانيه عليه فى اليوم التالى ، وقدمه مور للمحاكمة أمام محكمة قنصلية برئاسته . ولم تأخذ المحكمة بدفاع أوفنرامين ، وحكمت عليه بالسجن والنفى(١١٠) . وبذلك انتهت فترة من فترات سوء الفهم بين الأوربيين وشعب إدو Edo (بنين) ، ولو كان هناك قليل من الصبر من جانب مور وقليل من الاستعداد من جانب أوفنرامين لكان من الممكن أن لا ينفى الملك الفترة الباقية من عمره التى دامت ستة عشرة عاماً . وبذلك سقطت مملكة بنين والأسرة الحاكمة التى حكمتها أكثر من ٥٠ سنة . واستمر الحكم البريطانى للمنطقة من سنة ١٨٩٣ إلى سنة ١٩٦٠ ، ومرت المملكة بعدة تجارب فى الحكم إلى أن أصبحت بعد ذلك ضمن دولة نيجيريا الاتحادية .



خريطـة رقم (١)



خريطة رقم (٢)

الهوامش

1. Armstrong, R.G. : The study of West African Languages, pp. 12—13.
2. Bradbury, R.E.; The Benin Kingdom. pp. 14—15.
3. Egharevba, J. U. : A Short History of Benin, p. 34.
4. F.O. : 84/1002, Campbelli to F.O., 24. 3. 1856.
5. Gertzel, C.J. : Historians in Tropical Africa, pp. 289—290.
6. F.O. : 2/3, Admiralty to F.O., 17. 2. 1847.
7. Dike, K.O. ; Trade and Politcs in the Niger Delta, ch. viii.
8. Egharevba, J.U. : op. cit., pp. 47—48.
9. F.O. : 84/886, Beecroft to F.O., 31. 12. 1851.
10. Talbot. P.A. : The peoples of Southern Nigeria, vol. I, p. 175.
11. F.O. : 2/3 commander of H. M.S., Firefly to Admiralty, 1.3. 1849, F.O. : 84/1031, Campbell to F.O., 4.4. 1857.
12. Proceedings of Royal Geographical Society, vol. xii., 1890, p. 606.
13. F.O. : 84/1882, a report on the British Protectorate of Oil Rivers, 1. 12. 1888.
14. Burton, R.F. : My wanderings in West Africa, p. 415.
15. Okojie, C.G. : Ishan Native Low and Customs, pp. 311, 330.
16. Burton, R.F. : op. cit., p. 415.
17. Okojie, C.G.; op. cit., p. 234.
18. F.O. : 84/1061, Campbell to F.O., 1.3. 1858.
19. F.O. : 84/1061, Campbell to F.O., 1.3. 1858.
20. Curtin, P.D. : The Image of Africa (Journal of Historical Society . of Nigeria), vol. II, no. I, 1960.
21. Crowther, S. and Schon, J.E.: Journals, of the Frederiv Schon and Samuel Crowther, p. 107.
22. F.O. : 84/1176, Burton to F.O., 26. 8. 1862.
23. F.O. : 84/1882, Johnstone to F.O., Report on the British Protectorate, 1.12, 1888.
24. Roth, H.L. : Great Benin, p. 66.
25. F.O. : 84/2194, Galway to F.O., a report on his visit to Benin, 30.3. 1892.
26. Hensley, F.M. : Niger Dawn, p. 95.

27. F.O. : 84/976, Cambell to J. Dawson, Wesleyan Mission agent, 15. 10. 1855.

28. F.O. : 84/1088, Campbell to F.O., 22. 3. 1859.

29. Burton, R.F. : My wanderings in W. Africa, (Frasers Magazine) vol. LxvII, pp. 135—137.

30. F.O. : 2/102, Brownride to Moor, 9/11. 1896.

31. ٣١ – أنظر الخريطة رقم (٢)

32. ٣٢ – أنظر الخريطة رقم (٢)

33. F.O. : 84/1308, Livingstone to F.O., 24. 11. 1869.

34. Gertzel, C.J. : Commercial Organisation on the Niger Coast, (Historians in Tropical Africa), p. 298.

35. Dike, K.O., : op. cit. pp. 198—202.

36. F.O. : 84/1541, Easton to F.O., 18. 12. 1879.

37. Egharevba, J.U. : op. cit., p. 49.

38. Johnstone, S. : The History of the Yorubas, p. 448.

٣٩ – أنظر الخريطة رقم (١)

40. Bradbury, R.E. : The Benin Kingdom, p. 86.

٤١ – أنظر ص ٦ من هذا البحث

42. P.P. : 1865, vol. 412, Report of Select Committee of British settlement on the West Coast of Africa.

43. F.O. : 84/1882, minute by governor Molony, pp. 58—62.

44. F.O. : 84/1660, Hewitt to F.O., 28. 7. 84.

45. F.O. : 84/1939, Hewitt to F.O., 14.9. 1884.

46. F.O. : 84/1701, Acting-Consul White to F.O., 27. 5. 85.

47. F.O. : 2/102, Brownridge to Moor, 9. 11. 96.

48. Egharevba, J. U. : op. cit., p. 50.

49. F.O. : 2/51, Report on the Benin District, Oil River's Protectorate for the year ending 31.7. 1892.

50. Dupigny, E.G.M. : Gazetteer of Nupe Province, p. 19.

51. F.O. : 84/1881, Regulation for the constitution of a govering council to manage the local affairs of Benin and the Jekri country, 3.3. 1888.

52. Oliver, R. : Sir H. Johnston and the Scramble for Africa, p. 122.

٥٣ – أنظر ص ٩ من هذا البحث .

54. Gertzel, C.J. : Historians in Tropical Africa, "Commercial Organization on the Niger Coast, (1852—1891), p. 303.

55. Great Britain : C. 7596, Report on the administration of the Niger Coast Protectorate, 1891—1894.
56. Ajaji, J.F.A.& ESPIE, I(ED.) : A THOUSAND YEARS of West African History, p. 368.
57. F.O. : 84/2111, Macdonald to F.O., 13. 5. 91.
58. F.O. : 84/2194, Macdonald to F.O. , 9.3.92.
59. F.O. : 84/2111, a report on a visit to the Sobo and Abrakar Markets, 3.11.91.
٦٠ – أنظر الخريطة رقم (١) المرفقة .
61. F.O. : 84/2111, a repoıt on a visit to the Sobo and ¡Abrakar markets, 3.11.91.
62. Great Britain : Report by major Macdonald of his visit as Her Majesty's Commissioner to the Niger and Oil Rivers, 1890, p. 38.
٦٣ – أنظر ص ١٠ من هذا البحث .
64. Roth, H.L. : Gıeat Benin, p. 66.
65. Galway, H.L. : Journeys in the Benin country (Geographical Journal) no,2. 1893, p. 123.
66. Galway, H.L.; Nigeria in the Nineties (Journal of African Society) vol. xxIx, no. CXV, April, 1930.
67. Egharevaba, J.U. : op. cit. p. 50.
68. F.O. : 84/2194(Macdonald to F.O., 16.5.92.
69. Egharevba, J.U. : op. cit. appen. XIII.
70. F.O. : 84/2194, Macdonald, to F.O. 16.5.92.
71. F.O. : 84/2194, Macdonald to F.O. 16.5.92.
72. F.O. : 84/2111, F.O. to Macdonald, instructions to impose the duties, 6.6.91.
73. F.O. : 2/15, Annual repoıt for the year ending 31.7.92.
74. Egharevba, J.U. : op. cit. p. 51.
75. F.O. : 2/63, Coxon, to Pinnock, 1.7.94.
76. Roth, H.L.; ob. cit. 136.
٧٧ – أنظر ص ١٥ من هذا البحث .
78. F. O. : 21102, Brownridgetomoor, 9. 11· 96.
79. F. O. : 2/1102, Phillips to F.O., 10.11.96.
٨٠ – أنظر ص ٩ من هذا البحث .

٨١ – أنظر ص ١٠ من هذا البحث .

٨٢ – أنظر ص ١٧ من هذا البحث .

83. F. O. : 2/64, Moor to F.O., 21.10.94.
84. F. O. : 2/64, Moor to F.O., 10.10.94.
85. F. O. : 2/64, Moor to F.O., 11.2.94.
86. F. O. : 2/102, Moor to F.O., 26.12.96.

٨٧ - أنظر ص ١٧ من هذا البحث .

٨٨ – أنظر ص ١٠ من هذا البحث .

89. F. O. : 2/1102, Galway to F.O., 20.10.96.
90. F. O. : 2/102, Moor to F.O., 26.12.96.
91. Egkarevba, J.U. : op. cit., p. 51.
92. F. O. : 2/102, Brownridge to Moor, 9.11.96.
93. F. O. : 2/102, Acting Councul — General Phillips to F.O., 16.11.96.
94. F. O. : 2/102, Moor to F.O., 6.6.96.
95. F. O. : 2/102, Moor to F.O., 14.6.96.
96. F. O. : 2/101, Lecky to Moor, 28.4.96.
97. F. O. : 2/101, Moor to F.O., 14.6.96.
98. F. O. : 2/102, Galway to F.O., 20.10.96.
99. F. O. : 2/102, Lock to Moor, 23.9.96.
100. F. O. : 2/102, Phillips to F.O., 16.11.96.
101. F. O. : 2/102, Phillips to F.O., 16.11.96.
102. F. O. : 2/102, Moot to Under-Secretary of State, 26.12.96.
103. F. O. : 2/120, Salisbury to Phillips, 9.1.97.
104. Douglas, A.C. : Niger Memories, p. 35.
105. F. O. : 2/123, Proceedings of the trial, encl. in Moor to F.O., 18.10.97.
106. F. O. : 2/123, Moor to F.O., 18.10.97.
107. Great Britain : CD. 8677, papers relating to the masscare of British Officials near Benin and the consequence punitive expedition presented to both Houses, Aug. 1897.
108. British Government : CD. 8677, Corresp. relating the punitive expedition.
109. British Government: CD. 9529, Crres. relating to the Benin territories expedition, 1899.
110. F. O. : 2/123, Moor to F.O., 18.10.97.

REFERENCES

A) Unpublished Documents :

1. F.O. : 84/886, 976, 1031, 1061, 1088, 1115, 1176, 1308, 1541, 1660 1701, 1881, 1882, 1939, 2111, 2194.
2. F.O. : 2/3, 51, 63, 64, 101, 102, 123, 1102, 64, 120.

B) Published Documents :

1. British Government : Cd. 8677 (1897), Cd. 9529 (1899).
2. British Government : Report by Major Macdonald of his visit as Her Majesty's Commissioner to the Niger and Oil Rivers, 1890.
3. P.P. : Report of Select Committee of British Settlement on the West Coast of Africa, 1865, vol. 412.

C) Printed Sources :

1. Ajayi, J.F.A. & Espie, I. (ed) : A thousand Years of West African History, London, 1965.
2. Armstron, G. : The Study of W. African Language, Ibadan, 1964.
3. Bradbury, R.E. & Lloyd, P.E. : The Benin Kingdom and the Edo Speaking peoples, London, 1957.
4. Burton, R.O. : Wanderings in West Africa, London, 1863.
5. Crowther, S. & Schon, J.E. : Journals of the Revernd Fredrick Schon and Samuel Crowther, London, 1842.
6. Dike, K.O. : Trade and Politics in the Niger Delta, Oxford, 1956.
7. Douglas, A.C. : Niger Memories, London, 1937.
8. Dupigny, E.G.M. : Gazetteer of Nupe Province, Lodon, 1920.
9. Egharevba, J.U. : A Short History of Benin, Ibadan, 1960.
10. Gertzel, C.J. : Historians in Tropical Africa, "Commercial Organization on the Niger Coast", Salisbury, 1962.
11. Hensley, F.M. : Niger Dawn, Nigeria, 1955.
12. Johnston, S. : The History of Yorubas, London, 1921.
13. Okojie, C.G. : Ishan Native Laws and Customs, Yaba, Undated.
14. Oliver, R. : Sir H. Johnston and the Scramble for Africa, London, 1957.

15. Roth, H.L. : Great Benin, Halifax, 1963.

16. Talbot, P.A. : The Peoples of Southern Nigeria, London, 1926.

D) Periodicals :

1. Fraser's Magazine, Vol. LXVII, Feb. 1865.
2. Historical Society of Nigeria, Vol. II, No. 1, 1960.
3. Geographical Journal, Vol. I, No. 2, 1893.
4. Journal of the African Society, Vol. XXIX, No. CXV, April 1930.
5. Royal Geographical Society, Vol. XII, 1890.

المجموعة الكيبوانية الأفريقية (*)
دراسة فى الجغرافية الأنثروبولوجية

للدكتور فاروق عبد الجواد شويقة
استاذ مساعد الأنثروبولوجيا الطبيعية
جامعة القاهرة

الكلمات الدالة : الأكلوجيا ، السلالات ، افريقيا

The African Capoid Group
An Anthropogeographical Study

ABSTRACT

The capoid group which is indisputably contain the Bushmen and their kin are the indigenous inhabitants in the continent of 'Africa. Their area of characterization is mostly in the northern-west of Africa, and their ancestors were dioved mostly by caucasoid groups to leave their original homeland and take way on the heightlands of east Africa, and take their life cycle in their nowadays homeland in : Namebia, the Kalahari desert and the Okavange swamp region.

All in all, Khoisan languages and culture are still recognizably primitive, one in all its basic patterns. The capoid group is still the extremely secret African anthropogeographical problem.

Shuwayqah, F.A.

مقـدمة

تعتبر المجموعة(١) الكيبوانية Capiod من أعرق المجموعات الأفريقية نشأة واستقراراً فى القارة الأفريقية ، بالإضافة إلى أنها كانت أوسعها انتشاراً على أرض القارة ، وتعتبر من أوضح المجموعات والجماعات الأفريقية تميزاً فى سماتها المورفولوجية

(١) المجموعة group مجموعة تصنيفية سلاليا taxonomic .

(*) رقم تصنيف موضوع المقال :

L. C. C. Oeam G 3rd. ed	GN660. S45
D. D. C. I8 th. ed	573. 8688
B. C,	HA : CO : VP

وصفاتها الثقافية والأجتماعية ، مما جعلها لصيقة ومعبرة عن مفهوم الأفريكانية Africanism من وجه النظر الأثنولوجية أكثر من غيرها من الجماعات الأفريقية الأخرى .

كان بداية ظهور تعبير كيبوانية Capoid عندما أستعمله بروم Broom, Robert (١٩٤٦) (١) ، وذلك لصلته بأهالى منطقة رأس الرجاء الصالح ، وباعتبار الكيبوانية Capoid أحد الأنماط الخمسة لأشباه الأنواع (تحت النوع Subspecies) البشرية الحالية (٢) . وكان غلاب هو صاحب التعبير العربى (الكابوانية) عند استعماله أياه فى ترجمته لكتاب :

(٣)Coon, C.S. & Hunt, E.E. : The Living Races of Man. New York, Alfred A. Knopf, 1965.

ولكن يبدو أن تعبير كيبوانية هو أقرب إلى الدقة (*) .

ويعتبر كون أن المجموعة الكيبوانية Capoid معبرة أساساً عن البوشمن Bushmen (٤) الحالين وأترابهم وأيضاً أسلافهم (٥) ، حيث تشمل البوشمن الحالين وكذا الهوتنتوت الحالين ، وفرع الهوتنتوت المعروف باسم الكورانا Korana ، ونمط من البوشمن الأوائل الساحلين المعروفين باسم ستراند لوبرز Strandloopers (رواد الشواطىء) ، وبعض الجماعات المتفرقة فى تنزانيا وربما نحو الشمال أكثر (٦) ، ومن الجدير بالذكر أن البعض يطلق أيضاً على هذه المجموعة تعبير البوشمنية Bushmanoid (٧) .

---

(١) Coon, C.S. : The Origin of Races, London, Jonathan Cape, 1963, p. 236–237.

(٢) Loc. cit.

(٣) محمد السيد غلاب (مترجم) : السلالات البشرية الحالية . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٥ .

(*) نسبة إلى الكيب Cape وليس إلى الكاب

(٤) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 354.

(٥) Ibid, p. 360.

(٦) Ibid, p. 637.

(٧) Murdock, P.G.: Africa ; Its Peoples and Their Cultural History, New York, McGraw Hill, 959, p. 7.

ويتفق مفهوم الكيبوانية Capoid مع مفهوم الجماعات الخواسانية Khoisan وأن كان يستعمل التعبير الأول للدلالة السلالية والتعبير الثانى للدلالة الثقافية واللغوية أساسا . وقد كان شابيرا Schapera, I. هو الذى أطلق تعبير خواسان Khoisan على هذه الجماعة باعتبار أن الهوتنتوت يطلقون لفظ Khoi على أنفسهم ولفظ San على البوشمن (١) . فمصطلح كخوى Khoi يدل على الشخص من ناما Nama وايكورا Ikora خاصة عند قبيلة جريكوا Grikwa من جماعات الهوتنتوت ، كما يدل مصطلح كوى kwe (Khoe) أيضا على الشخص ، ويضاف كلاحقة Suffix إلى أسماء كثير من قبائل وسط كلهارى (مثـل : فواكوى fumakwe ، تفوماكوى tfumakhwe . . . الخ)(٢) . أما مصطلح « خواسان Khoisan » فهو كلمة مركبة غير صحيحة لغويا(٣) . معنى هذا أنها ليس لها دلالة رغم شيوع استعمالها نقلا عن بعض الأنثروبولوجيين من جنوب افريقيا للتفرقة بين البوشمن والهوتنتوت من ناحية وبين البانتو من ناحية أخرى. هذا بينما يحمل مصطلح «سان San» معنى : « يجمع ، ويلتقط » .

ويعتبر الكيبوانيون أو الخويسانيون البقية الباقية من شعب عظيم كان يعيش ويسود فى نواح كثيرة من القارة الأفريقية خاصة المناطق الشرقية منها ، بل والشمالية أيضا (٤) . وهم يمثلون مع الأقزام مجموعة السلالات قصيرة القامة فى أفريقيا (٥) . وهى بحق تمثل الأصالة الأفريقية من حيث النشأة والأصل والسمات الفيزيقية والثقافية .

---

(١) Schapera, I.: The Khoisan peoples of South Africa, London, Routledge, 1930, p. 420.

(٢) Westphal, E.O.J. : "The Non–Bantu Languages of Southern Africa" In : Handbook of African Languages, Part II, The Non–Bantu Languages of North–Eastern Africa, by : Tucker, A.N. : Bryan, M.A. London, Oxford Univ. Press, 1956, p. 166.

(٣) Schapera, I. : The Khoisan peoples of South Africa, p. 18.

(٤) محمد رياض ، كوثر عبد الرسول : أفريقيا . دراسة لمقومات القارة . بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦ ، ص ٢٠٢ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٠٤

وقد اتجهت الدراسات إلى مجال البحوث البيولوجية والأنثروبولوجية مثل وراثة تركيب ADA (١) .

هذا ويدخل هذا المقال من حيث المنهج والموضوع فى مجال الأنثروبولوجية الجغرافية Anthropogeography التى تهتم بدراسة التفاعل المتبادل بين الانسان والبيئة ، وهو ما يتفق مع مجال دراسة الأكلوجيا البشرية Human Ecology (٢) وهى التى تتفق بالتالى إلى حد كبير مع مجال الجغرافيا البشرية Human Geography التى ظهرت على يد فريدريك راتزل Ratzel, Friedrich (١٨٤٤ — ١٩٠٤) فكان بذلك المجدد الحديث للمدرسة البيئية Environmentalism وهى النزعة القديمة التى تزعمها أولا من قبل هيبوقراط Hippocrates (٣) (٤٢٠ ق.م.) ، ورغم ما يقابل بعض أفكار هـــذه المدرسة من نقد فأنه اعتنقها كثير من الجغرافيين والأنثروبولوجيين المعاصرين أمثال: ألزورث هنتنجتون Huntington, E. (١٨٧٦— ١٩٤٧) ، وفلير Fleure, H.J. (١٨٧٧ — ١٩٦٩) ، وكون Coon, C.S. (١٩٠٤ —) وغيرهم كثيرين فى الشرق والغرب .

ورغم ما قوبلت به فكرة الحتم الجغرافى أو البيئى كما دعى إليها راتزل (٤) من مناقشة وأحياناً معارضة ، فانه يفضل تأكيد الفكر الشائع من أن راتزل كان يدعو إلى مفهوم الجغرافيا البشرية Human Geography مع أنه استعمل تعبير Anthropogeography ، ويبدو أنه كان يعنى أساساً العلم الذى يدرس التفاعل المتبادل بين البيئة والإنسان .

وتدخل الدراسة أيضاً فى مجال الدراسة الأثنولوجية باعتبار أن الأثنولوجيا Ethnology هى الدراسة التحليلية للمعلومات التى تتجمع من الدراسة الوصفية للشعوب (Ethnography) (٥) وهى بذلك لا تبعد كثيراً عن مجال دراسة

(١) Jenkine T. et al : Anmale of Human Genetics. London. Vol 42, Par 4, Mary 1979, P. 525-433.

(٢) فاروق عبد الجواد شويقه : «الاكلوجيا البشرية : المفهوم والمجال والهدف» . فى : مجلة الدراسات الافريقية ، مج ٣ . القاهرة ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١٨٣ — ٢٠١ .

(٣) محمد السيد غلاب : البيئة والمجتمع. ط ٣ . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٣ ، ص ١٤ .

(٤) محمد صبحى عبد الحكيم : دراسات فى الجغرافيا العامة . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ ، ص ١٣ .

(٥) حسن شحاته سعفان: علم الانسان (الأنثروبولوجيا) . بيروت ، مكتبة عرفان ، ١٩٦٦ ، ص ١٤ .

جغرافية الشعوب Ethnogeography التى تدرس العلاقة والتفاعل بين الشعوب وبين البيئة الجغرافية. وأن كانت أشد قربا إلى جغرافية السلالات البشرية Racial Human Geography التى تكاد تتفق فى المنهج والموضوع مع الجغرافيا الأنثروبولوجية Anthropogeography باعتبارها أحد مجالات دراسة الأكلوجيا البشرية (١) .

السلالة والمجموعات السلالية فى افريقيا

مفهوم السلالة :

شاع خطأ فى اللغة العربية أستعمال الألفاظ « جنس ، نوع ، سلالة » ، إذ أستعملت للدلالة على غير مفهوماتها العلمية الصحيحة ، ذلك أن استعمالها الشائع العام يقصد به غالباً — إذا كان الإنسان هو محل الدراسة — أقسام الإنسان وأنواعه المتعددة ، وهذا غير صحيح علمياً بالنسبة للفظ الجنس ، والنوع . فالمعروف علمياً أن المملكة الحيوانية Z. Kingdom التى يدخل تحتها الإنسان كاحد فروعها تنقسم إلى مستويات تصنيفية متعددة تشمل: المملكة Kingdom وفيها عدة قبائل Phyliums ، كما تنقسم القبيلة الواحدة منها إلى عدة طوائف Classes ، وتشمل الطائفة عدة رتب Orders ، والرتبة بدورها تشتمل على أكثر من عائلة Family ، وهذه تنقسم إلى أكثر من جنس Genus ، وهو بالتالى يشمل أكثر من نوع Species ، ويشمل النوع الواحد أكثر من سلالة Race .

هذا وينتمى الإنسان الحالى إلى النوع العاقل Sapiens ، وجنس الهومو Homo لذا يطلق عليه « الهوموسابينز Homo Sapiens » ، ويشترك فى ذلك كل أفراده فى كل مكان على سطح الأرض . أما إذا قسمنا الجنس البشرى والنوع الإنسانى إلى مجموعات على أساس الصفات الفيزيقية (الظاهرية — الباطنية) فإنه يظهر ما يعرف باسم السلالات Races وهى غالباً ما تكون متداخلة (٢) فى توزيعها الجغرافى.

فالسلالة Race عامة تعنى : « جماعة من الكائنات الحية تتفق فى صفاتها العرقية

---

(١) فاروق عبد الجواد شويقة : المصدر السابق ، ص ١٨٣ — ٢٠١ .

(٢) Goldsby, Richard A. : Race and Races. London, Collier-Macmillan, 1971, p. 31.

الموروثة » (١) ، وسلالة الإنسان تعنى جماعة من الأفراد يشترك أفرادها فى صفات موحدة متشابهة (٧٥٪ على الأقل قانون الـ ٧٥٪) (٢) ، وقد عرف الأنثرويولوجيون السلالة بانها قسم رئيسى من النوع الإنسانى يتحدد ببعض الصفات الظاهرية أساساً ، وعلى ذلك فان التعبير المقصود يصف الناحية البيولوجية لجسم الإنسان من حيث تفرقة جماعة من الناس عن أخرى . ولكن مع ذلك يجب التأكيد على التشابه القوى بين أفراد كل السلالات بعضها مع بعض بحيث يمكن القول بانها كلها تكون نوعاً أحيائياً واحداً ، فليس هناك كما يقول كنج King, James (٣) ؟ « أحسن من الإنسان للتعبير عن النوع » .

هذا ويطلق أحياناً على السلالات البشرية التى ظهرت لأسباب جغرافية بحتة أشباه الأنواع أو الأنواع الفرعية Subspecies (٤) ، وهى التى تظهر نتيجة تغير ولو بسيط فى ميكانيكية ترتيب الجينات ، ويعتبر كون Coon, C.S. العزلة الجغرافية هى أساس ظهور الأنواع الفرعية (٥) . ويتفق معه فى ذلك لورنز Lorenz, K. (٦) وكنج King, J. (٧) .

فهو يقول أن النوع الفرعى Subspecies هو جماعة من جماعات محلية ذات نمط معين من أنماط متعددة Polytypic (أى نوع يحوى عدة جماعات) (٨) ويتميز النوع الفرعى :.

---

(١) مجمع اللغة العربية : المعجم الجغرافى ، باشراف محمد محمود الصياد . القاهرة ، المجمع ، ١٩٧٤ ، ص ٢٢ .

(٢) يسرى الجوهرى : الانسان وسلالاته . اسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٣ ، ص ١٤٥

(٣) The Biology of Race. New York, Harcourt Brace Jovanovick, 1971, p. 138.

(٤) King, J.C. : Ibid, p. 11.

(٥) Coon, C.S.: The Origin of Races. New York, Alfred A. Knopf, 1962, p. 27.

(٦) Lorenz, Konrad : Evolution and modification of behavior. Chicago, Univ. of Chicago Press, 1965, p. 23—24.

(٧) King, James C. : The Biology of Race, p. 110.

(٨) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 15—16.

(أ) بان أفراده تعيش فى بيئة جغرافية متميزة .

(ب) يختلف عن أفراد الأنـــواع الفرعية الأخرى من نفس النوع فى درجة ونوع بعض الصفات، والملاحظ أنه لا يقتصر نوع فرعى معين بنوع معين من المناخ حيث تمتد أوطان المجموعة المغولية من المناطق القطبية إلى المناطق المدارية المطيرة مثلهم مثل المجموعة القوقازية بل ولا يقل عنهم فى ذلك الاسترالين والبوشمن (١). هذا ويفضل هنا إيضاح أن تخلف الأفريقيين لا يرجع إلى أسباب سلالية أفريقية بقدر ما يرجع إلى عوامل خارجية استمرت أزماناً طويلة (٢) عملت على تجميد ثقافتها وتقدمها الحضارى .

وقد تأكد ذلك بدراسات كثيرة لعل كان من أهمها الدراسة التى أجراها اليونسكو العالمية (١٩٥٠) والتى انتهت إلى أن « السبب الأول فى ظهور الاختلافات الرئيسية ليس الوراثة وإنما التجارب الثقافية التى عاشتها كل جماعة بشرية ، لذا ليس هناك دليل على وجود عنصر نقى كما إنه لا يوجد مبرر بيولوجى يدعو إلى منع التزاوج بين أفراد السلالات المختلفة ، وأن نتاج هذا التزاوج يتأثر : بالعوامل الاجتماعية » (٣) .

تصنيف كون للسلالات الافريقية :

تعددت التصنيفات للسلالات البشرية ، ولكنها فى أغلبها كانت تعتمد على السمات المورفولوجية للانسان خاصة الظاهرية منها . فهناك تصنيف هادون Haddon, A.C. (١٩٢٧) (٤) الذى إتخذ من شكل الشعر أساساً لتصنيف النوع الإنسانى كله إلى سلالاته ، وتصنيف هوتون Hooton, E.A. (١٩٤٦) (٥) وهو

(١) Ibid., p. 59.

(٢) Leakey, L.S.B.: The progress and evolution of Man in Africa. London, Oxford Univ. press, 1961, p. 13.

(٣) UNESCO : Unesco and its programme III : The Race Question, 1950, pp. 5—11.

(٤) Haddon, A.C. : The Races of Man and their Distribution. New York, Macmillan Co., 1915, p. 22 ff.

(٥) Hooton, E.A. : Up from the Ape. New York, Macmillan, 1946, p. 752 FF.

الذى إتخذ من كل من لون الشعر والعين وشكل الرأس اساساً له . وتصنيف مونتـــاجو .Montagu, A (١٩٤٥) (١) الذى صنف الجنس البشرى إلى أربع مجموعات بشرية واعتبارها أوعية جينية خاصة معتمداً على كل من لون البشرة وشكل كل من الشعر والرأس والأنف .

أما كون .Coon, C.S فقد وضع تصنيفه (١٩٣٩) (٢) على أساس عدة صفات تكوينية ، وتوصل إلى خمس مجموعات سلالية كبرى هى : — القوقازية Caicasoid ، والمغولية Mongoloid ، الكونجولية Congoid ، الاسترالية Australoid ، الكيبوانية (٣) Capoid ، وذكر أن توزيعاتها الجغرافية قد طرأ عليها كثير من التغيير خلال البليستوسين (خريطة ١) .

وقد اعتقد كون بوجود أنواعاً فرعية Subspecies تمثل حلقة وسطى بين النوع Species وبين السلالة Race ، وظن أن المجموعات السلالية الرئيسية الخمس التى يشملها الجنس البشرى حالياً تمثل كل منها نوعاً فرعياً منها ، وعلى هذا الأساس بنى نظريته فى تعدد أصول الإنسان ، وهى التى ربط فيها بين أصل الإنسان ومجموعاته السلالية وبين الأصول الحفرية القديمة للانسان (٤) . وبحق فإن نظريته لجديرة بالدراسة وإن كان قد جانبه الصواب كثيراً فيها مما حدى بغلاب (٥) إلى نقده بعنف وبحق .

---

(١) Mantagu, A. : An Introduction to Physical Anthopology. Springfield, Charles, 1960, p. 387.

(٢) Coon, C.S. : The Races of Europe, 3rd Pr. New York, Macmillan, 1954, p. 279 ff.

(٣) كان جيتس .Gates, R.R هو أول من قسم النوع الانسانى إلى هذه المجموعات الرئيسية وتبعه بعد ذلك كون ولكن بينما اعتبرها جيتس (نوعا Species)

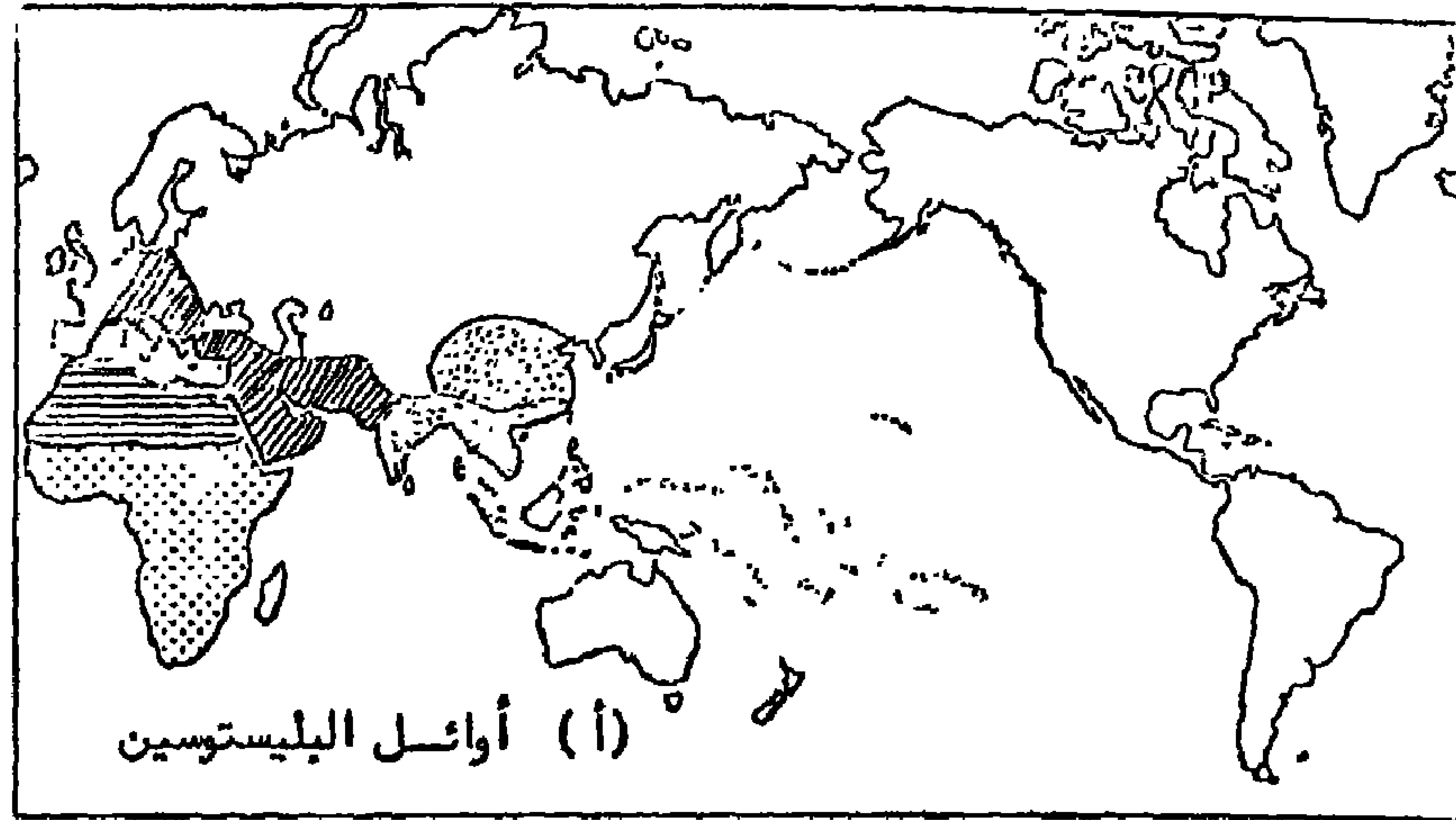
Gates, R.R. : Human Ancestry. Combrid Mass., Harvard Univ. Press, 1948, p. 337.

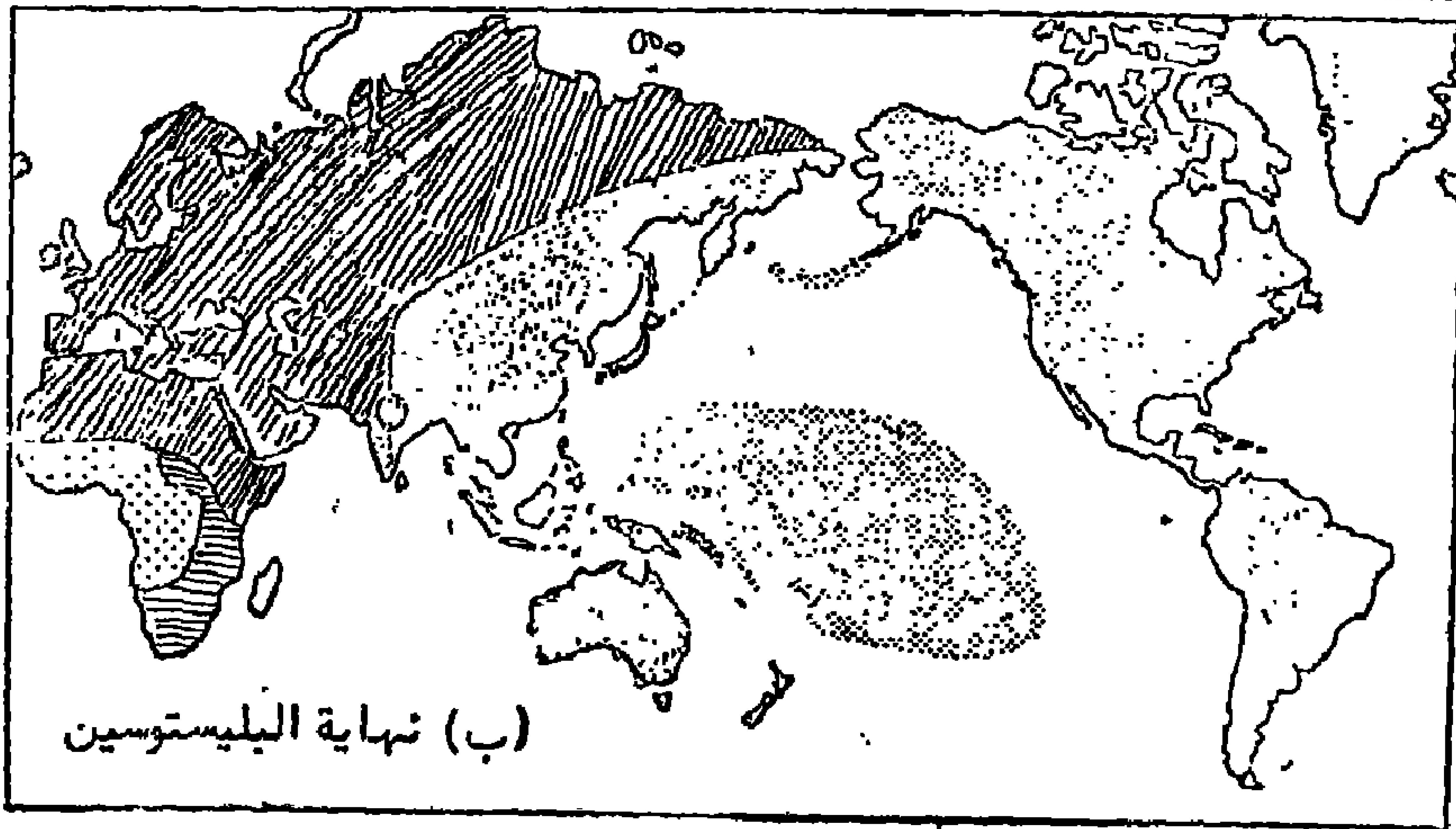
إعتبرها كون أنواعا فرعية Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 15—17. Subspecies.

(٤) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 371 ff.

(٥) محمد السيد غلاب : مائة سنة بعد داروين ؛ ثلاث كتب فى الانثروبولوجيا فى : المجلة الجغرافية العربية . س ١ ، ع ١ ، القاهرة ، الجمعية الجغرافية المصرية ، ١٩٦٨ ، ص ١١٨-١٣١

حريطة ١ — توزيع المجموعات السلالية الرئيسية





الأسترالية — المغولية

القوقازية — الكونجولية

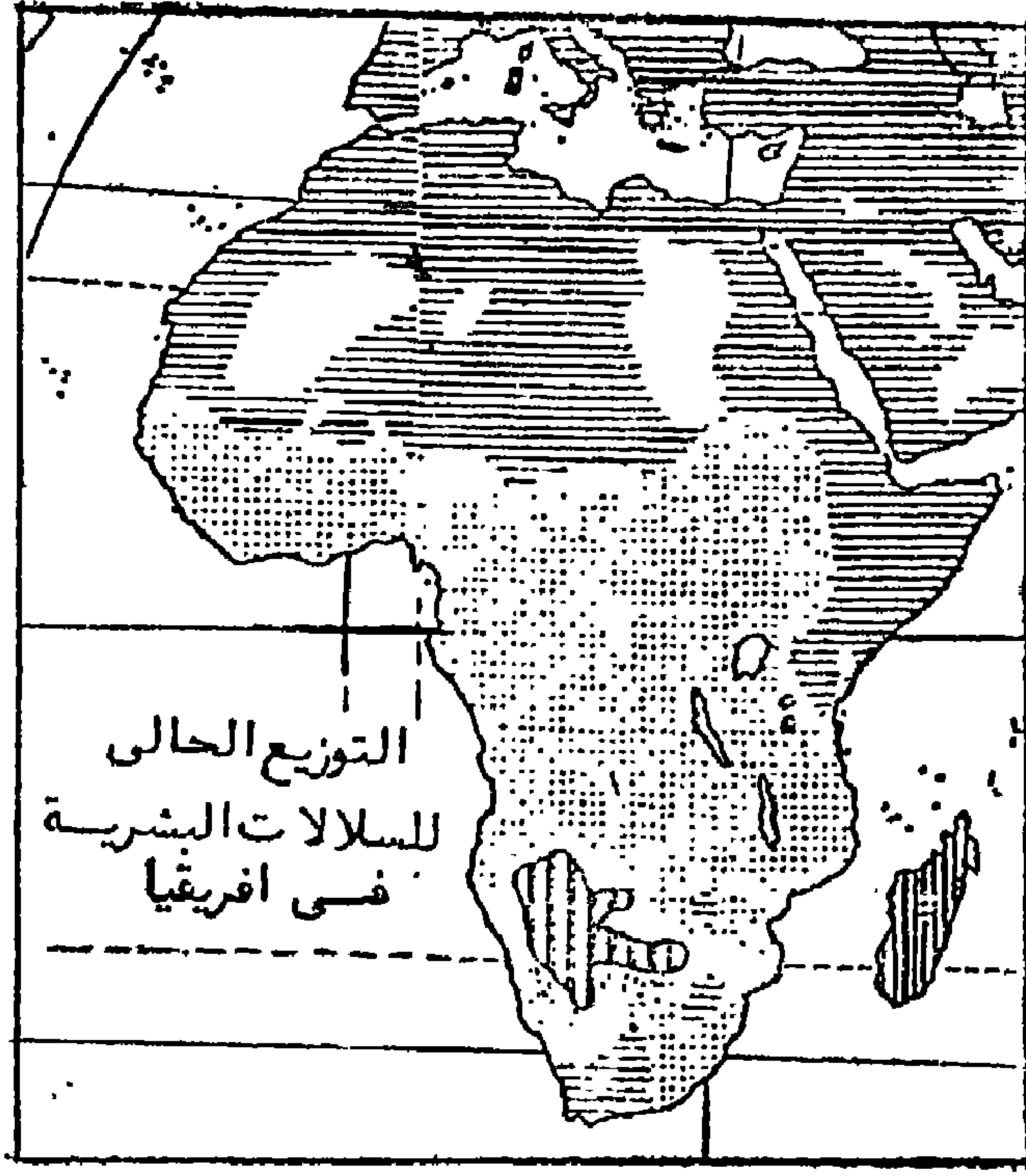
الكابوانية

(عن كون : أصل السلالات)

ويتمثل فى القارة الأفريقية الآن أربعة أنماط سلالية على الأقل من الأنماط السلالية التى ذكرها كون (خريطة ٢) ، وفى هذا المجال تعتبر المجموعة الكيبوانية أعرقها جميعاً ، فقد عثر (١٩٦٤) على بقايا عظمية بالقرب من وندهوك إتضح بعد فحصها بالكربون ١٤ المشع أنها ترجع إلى عام ٣٠٠٠ ق . م تقريباً (١) ،

(١) De Villiers, Hertha : "The First Fossil Human Skeeleton From =

(خريطة ٢)



(عن كون : السلالات الحالية)

وهذا يدل على عراقة هذه السلالة فى أفريقيا ، بل إنها السلالة الأيفريقية الوحيدة التى لا يوجد لها إنتشار جغرافى خارج أفريقيا .

وعراقة هذه السلالة فى أفريقيا يزيد أيضاً من قيمة القارة الأفريقية فى دراسات أنثروبولوجية ما قبل التاريخ تلك التى أثبتت أن الإنسان عريق فى القارة الأفريقية فقد ظهرت حفريات شبيه الإنسان near man كما أسماه ليكى Leakey, L.S.B. (١)

= South West Africa". In : Tremsactions oг the Royal Society of South Africa. Vol. 40, No. 3, 1972, p. 187—202.

(١) Leakey, L.S.B. : The Progress and Evolution of man in Africa, p. 2.

فى خانق أولدوفاى Olduvai Gorge حيث كشف عظامه وأطلق عليه إنسان الزنج Zinjanthropus ، واعتبره ليكى أقدم حفرية بشرية إذ أرجعها إلى عصر البليستوسين الأسفل Lower Pleistocene Age وأسمى ثقافته الحجرية ثقافة أولاوان Olowan culture لذا اعتبر أفريقيا الموطن الذى اكتسب فيه الإنسان كنوع من المملكة الحيوانية القدرة على صناعة الآلات (١) .

وعلى ذلك فإن المجموعة الكيبوانية Capoid من المجموعات السلالية الرئيسية التى ينقسم إليها الجنس البشرى (٢) .

وفى الغالب إنه لم تتح أمام كل من الأنواع الفرعية الخمس التى فرضها كون كأساس للمجموعات السلالية البشرية إلا اتصالا محدوداً مع أنواع معينة منها ، وأن الجينات الكيبوانية لم تخرج عن النطاق الجغرافى للقارة الأفريقية كما يوضح ذلك الجدول التالى : —

جدول ١ — يوضح مدى الاتصال المحدود الذى تم بين الأنواع الفرعية للجنس البشرى (٣)

النوعى الفرعى	الأنواع الفرعية الأخرى التى تبادل معها الجينات
القوقازية	المغولية ، الكونجولية ، الكيبوانية
المغولية	الاسترالية .
الكونجولية	الكيبوانية (أكيد) ، القوقازية (إحتمال)
الكيبوانية	الكونجولية ، القوقازية .
الاسترالية	المغولية ؟

(١) Ibid., p. 3.

(٢) Goldsby, Richard A. : Race and Races. London, collier Macmillan Limited, 1971, p. 31.

(٣) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 484.

والملاحظ أن تصنيف كون للسلالات الافريقية لا يختلف كثيرا عن آراء كثير ين من الانثروبولوجيين المهتمين بالدراسات الافريقية، فعند مردوك Murdock, G.P.(١) أنه قد إستوطن أفريقيا منذ العصر الحجرى خمس مجموعات سلالية كبرى هى : البوشمن Bushmanoid والقوقازية Caucasoid ، والمغولية Mongoloid والزنجية Negroid والقزمية Pygmoid .

والمعتقد أن أفريقيا لم تكن موطنا لنوع فرعى واحد من النوع الانسانى ، بل كانت موطنا لاثنين منهم هما : البوشمن Bushman ، الكونجولين Congoid (الزنوج Negroid ، الأقزام Pygmies) . وقد دفعت الجماعات القوقازية Caucasoids التى وفدت إلى شمال القارة أمامها الجماعات القديمة نحو الجنوب(٢).

ومما يزيد من صعوبة تاريخ أفريقيا السلالى أنها على العكس من كل من أوربا وآسيا التى لم يكن فى كل منها إلا جماعة سلالية أصيلة واحدة (فى رأى كون) (٣) ، فان أفريقيا قد واجهت عمليتى إحلال سلالى وليست واحدة ، كما أنه غالبا كان السكان القدامى فى وسط أفريقيا من البوشمن (٤) خاصة وأن هوتون Hooton, E.A. يعتبر المجموعة الكيبوانية خليط من الأقزام الافريقيين Negrito وبوسكوب العصر الحجرى Palaeolithic وبعض تأثيرات من زنوج البانتو ، بالاضافة إلى تأثيرات حامية شمالية فى الهوتنتوت بالذات (٥) .

والملاحظ أن الفاصل الحالى بين الجماعتين الكيبوانية والكونجولية (الزنوج) ليس حاسما حيث تتداخل كل منهما فى الأخرى فى نطاق متسع من أفريقيا الجنوبية(٦)

---

(١) Africa : It Peoples and their Culture History, p. 7.

(٢) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 588.

(٣) Loc. cit.

(٤) Stamp, L.D. : Africa ; A study in tropical Development, 2rd, London, John Wiley, 1964, p. 416.

(٥) Hooton, E.A. : Up From the Ape. Delhi, Motilal Banarsidass, 1965 ,p. 628.

(٦) Coon, C.S. : The Origin of Taces, p. 589.

رغم أنه لم يعثر على بقايا عظمية لزنوج من عصر البلاستوسين فى غرب أفريقيا مع أنه عثر فى شرق وجنوب القارة على العديد من الجماجم التى ترجع إلى البلاستوسين المبكر ذات صفات زنجية خاصة جمجمة كيب فلاتس Cape Flats وبوردر كيف Border cave ، وهاتين الجمجمتين تسبقان بوضوح أسلاف البوشمن التى عثر عليها فى هذه المناطق ، وهى تمثل حلقة الصلة بين جمجمة روكن هل Broken Hill ذات الصفات الكونجولية Gongoid وبين أسلاف البوشمن فى جنوب أفريقيا (١) . وكان هذا أيضا من الأسباب التى جعلت البعض يعتبر البوشمن سلالة فرعية من أشباه الزنوج (٢) .

هذا ويطلق — أيضا — على أفراد المجموعة الكيبوانية جماعات الخوزان Khoi-San وهى تتكون من جماعات البوشمن والهوتنتوت ومن على شاكلتهما فى الصفات الفزيائية والثقافية خاصة الصفات اللغوية . وكلمة خوى Khoi أو Khoi-khoi يطلقها الهوتنتوت على أنفسهم ، كما يطلقون كلمة سان San على البوشمن الذين ليس لديهم كلمة واحدة يطلقونها على شعبهم بل نجد جماعات منهم يسمون أنفسهم الناس (كونج = الناس) .

أما كلمة هوتنتوت فهى كلمة هولندية تعنى الناس الذين يتأتأون فى الكلام ، بينما تعنى كلمة بوشمن وهى هولندية الأصل كذلك سكان الأكواخ المصنوعة من فروع وجدائل الأغصان والشجر (٣) .

ويبدو أن تصنيف كون يتفق مع الواقع إلى حد كبير حيث كان من الصعب على الأنثروبولوجيين الطبيعيين تسكين البوشمن والهوتنتوت داخل إحدى المجموعات السلالية الرئيسية الثلاث الكبرى (القوقازية ، المغولية ، الزنجية) (٤) إذ أنهم

---

(١) Coon, C.S. : The Origin of Races, P. 614.

(٢) Lenton, R. : Tree Culture. New York, Algred A. Knopf, 1955, P. 166.

(٣) محمد رياض ، كوثر عبد الرسول : أفريقيا ؛ دراسة لمقومات القارة . بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦ ، ص ٢٠٢

(٤) Gibbs, James L. (ed) : Peoples of Africa. New York, Holt Rinehart and Winston, 1965, P. 241.

يكونون جماعة مستقلة بذاتها من حيث الصفات الفيزيقية ومن حيث النمط الثقافى خاصة اللغوى ، لذلك نجد من يطلق عليهم السلالة الخواسانية (١) .

اصل المجموعة الكابوانية وصفاتها الفيزيقية

تنتشر الصفات الكيبوانية حاليا عند جماعات البوشمن والهوتنتوت المتوطنة فى المناطق الجافة وشبه الجافة فى القسم الغربى من جنوبى القارة الافريقية (صحراء كلهارى)(٢)،كما تنتشر أيضا هذه الصفات بين جماعات وقبائل متفرقة فى شرق القارة وشمالها .

وكان لانتشار هذه الصفات بين جماعات افريقية تستقر بعيدا عن النطاق الخواسانى فى جنوب القارة أثره فى ظهور الرأى القائل بأنها كانت نقطة فى مناطق كثيرة من شرق أفريقيا بل وشمالها أيضا(٣) ، وذلك بدليل الصور والنقوش الفنية ذات اللمسات الخواسانية المنتشرة فى هذه المناطق .

أما الموطن الحالى فيتركز أساسا فى اقليم ناميبيا الذى تحيطه أنجولا Angola وزامبيا Zambia من الشمال وجنوب أفريقيا South Africa من الجنوب والجنوب الشرقى وبوتسوانا Botswana وزامبيا من الشرق والمحيط الأطلنطى من الغرب . وهى ينقسم إلى ثلاث أقسام رئيسية : ناميب Namib وهى منطقة منعزلة صحراوية جافة جدا على طول السهل الساحلى بعرض يتراوح بين ٨٠ — ١٣٠ كم ولا يتعدى ارتفاعه ١٠٠٠ متر ولا يتعدى متوسط ما يسقط سنوياً عليه من تساقط ٥٠ مم ، ويلى هذا القسم الهضبة الوسطى التى ترتفع إلى أكثر

---

(١) محمد السيد غلاب : تطور الجنس البشرى . ط ٤ . القاهرة . الانجلو المصرية ، ١٩٧٣ ، ص ٣٠٢

(٢) تسببت عدة عوامل جغرافية فى ظهور صحراء كلهارى وامتدادها على الساحل نحو الشمال (صحراء ناميب Namib) إلى خط عرض ١٠ جنوبا تقريبا وهى عروض مدارية تظهر فيها الغابات المدارية فى مناطق مماثلة أخرى كثيرة ، ومن هذه العوامل أن الاقليم فى الداخل عبارة عن حوض منخفض نادر المطر وعلى الساحل يسير بمحاذاته تيار بنجويللا البارد من الجنوب إلى الشمال وهو الذى يتسبب مع موازاة الرياح للساحل فى انعدام المطر تقريبا فى هذه المناطق .

(٣) محمد رياض ، كوثر عبد الرسول : إفريقيا ، ص ٢٠٢

من ألفين متراً بل تقترب بعض المرتفعات حول وندهوك Windhook من ٣٥٠٠ متراً وتكثر فى هذه الهضبة التى تغطى نحو ٥٠٪ من مساحة البلاد الجبال والمسطحات الرملية والوديان والسهول الجافة ، وتغطى صحراء كلهارى الأجزاء الشرقية والشمالية والشمالية الشرقية من اقليم ناميبيا وأهم مميزات هذا الجزء الطبقات السميكة من الرمال والحجر الرملى وبصفة عامة ندرة المياه السطحية ، هذا بينما تزداد فرص سقوط المطر من ٥٠ مم قرب الساحل إلى ٦٠٠ مم فى منطقة أصبع كابريفى ، والقسم الثالث هو الهضبة الداخلية التى تأخذ فيها الأرض فى الانحدار التدريجى حيث تقل عن ١٥٠٠ متر نحو الداخل حتى تصل إلى مستنقعات أوكافانجو Okavango وماكاريكارى فى شمال بوتسوانا ، هذا والملاحظ بعامة ارتفاع درجة الحرارة (خاصة فى الصيف يناير) وتزايد سقوط المطر (خاصة فى الصيف : نوفمبر — أبريل) كلما إتجهنا نحو الشمال الشرقى حيث تبلغ مداها (الحرارى فوق بوتسوانا حيث يتركز خط الاستواء الحرارى ٣٥ م ، والمطرى فوق أصبع كابريفى نحو ٧٥٠مم) ونتيجة لهذه الظروف الطبيعية تتدرج الحياة النباتية من صحراء قاحلة على الساحل إلى شبه صحراء فى الداخل فى السفوح الغربية للمرتفعات ثم إلى حشائش قصيرة ومراعى تغطى الداخل كله وتمتد بحيث تغطى كل بوتسوانا تقريباً وأراضى بتشوانا لاند البريطانية فى شمال جمهورية جنوب أفريقيا ، وتلك البيئة هى والمناطق الصحراوية السابق الاشارة إليها هى موطن الجماعات الكابوانية Capids (لوحة ١)

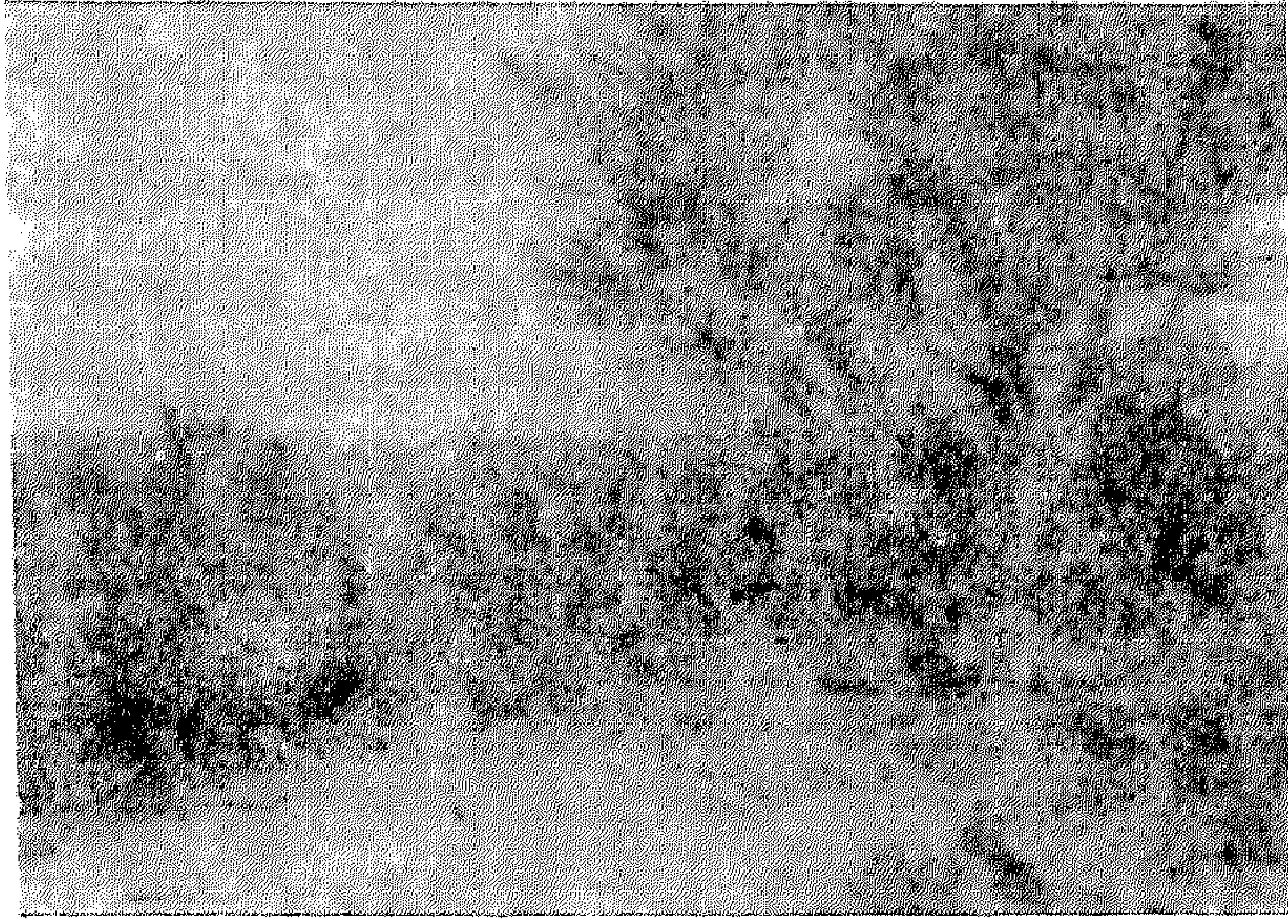
أما عن الموطن الأصلى القديم فهناك نظريتان لتوضيح أصل المجموعة الكيابوانية الأولى ، تذكر أن أسلاف هذه المجموعة قدموا من شمال أفريقيا أو الصحراء بعد العصر الجليدى الأخير (قرم) (١) أمام زحف القفصيين Capsians ، أما الثانية فتذكر أنهم قد إنحدروا من الأسلاف المحليين التى تمثلها حفريات انسان سلدانها باى Saldanha Bay ، بروكن هل Broken Hill (X) (٢) فلور شباد

---

(١) Coon, C.S. : The Origin of Races, P. 630.

(X) من الأنماط الروديسية Home Rhedesinsia

(٢) Ibid., P. 637.



لوحة ١ – بيئة البوشمن الجافة الفقيرة (عن شابيرا)

Florishbad (X) وبوردر كيف Border Cave(١) ، كيب فلاتس Cape Flates (▲) كما تذكر أن هؤلاء الأسلاف قد اختلطوا مع بعض عناصر من الحامين الجنوبيين.

الوطن والأصل :

هناك نظريتان عن أصل المجموعة الكيبوانية ، وطبقا لأى من النظريتين فان البوشمن منحدرين من أسلاف كاملى النمو Full-Sized ، وأن شكلهم الصغير والطفلى الحالى لم يظهر إلا منذ بضعة آلاف قليلة من السنين ، وإن ذلك حدث فى جنوب أفريقيا مع ملاحظة أن أحدا لم يتقدم برأى نهائى عن سبب حدوث ذلك حتى الآن .

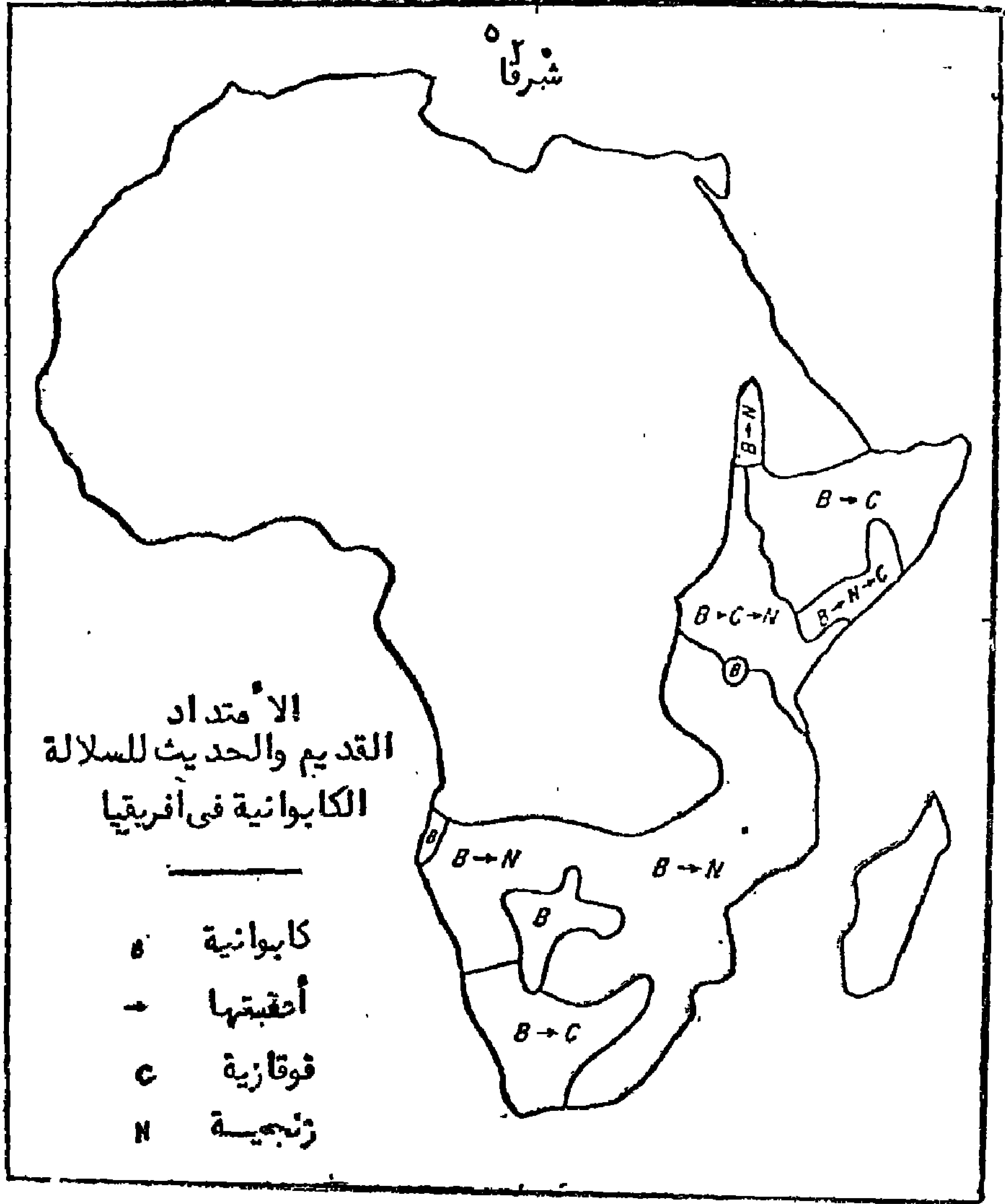
وتعتمد النظرية الأولى عن الأصل الشمالى على أدلة مادية تاريخية وأثرية وجغرافية عن التوزيع القديم والحالى للمجموعة الكابوانية (خريطة ٣) وكان

(١) Ibid., P. 631.

(X) تظهر بهذا النمط الحافة الحجاجية العلوية Supra Orbital Arch بوضوح مثل الأنماط الروديسية وهذا مغاير للأنماط البوشمنية والزنجية (Hooton, E.A. : Up From the Ape. 2nd ed., New Delhi, Moltilal Ranarsidass, 1965, p. 399).

(▲) لوحظ أن أسنان جمجمة كيب فلاتس كبيرة الحجم مثل أسنان الاستراليين الأصليين وأسنان الزنوج بعكس الحال عند المجموعة الكيبوانية (Hooton, E.A. : Loc. cit.

(خريطة ٣)



(معدلة عن مردوك)

سبب ظهور هذا الرأى هو مالاحظه بياسوتى Biassuti, R. (١٩٠٥) من وجود بعض الصفات البوشمية على بعض جماجم المصريين القدماء (١) ، لذلك أعتقد أن أصل البوشمن وأقرانهم يرجع إلى أفراد كاملى النمو وأن منطقة تخصصهم

(١) Ibid, p. 639.

area of characterization كانت فى شمال افريقيا شمال النطاق الصحراوى الذى مكن لهم عزلة جغرافية كافية لتظهر صفاتهم المورفولوجية الخاصة (١) .

ولعل أقدم كشف عثر عليه لجمجمة تحمل الصفات البوشمية عثر عليه فى جبل اغود Ighoud فى المغرب ، وهو يرجع إلى الفترة المطيرة الافريقية كانجيرا Kanjerian المقابلة لبداية العصر الجليدى الأوربى فرم ، أى أنها سابقة للحضارة العاطرية Aterian (٢) (ما يقابل حضارة العصر الحجرى القديم الأعلى فى شمال افريقيا) .

هذا وقد زاد من احتمال صدق نظرية الأصل الشمالى ما كشفه بوند Bond, W.R.G. فى عام ١٩٢٤ فى سنجا Singa جنوب الخرطوم بنحو ٢٠٠ ميلا على النيل الأزرق ، حيث عثر على جمجمة متحجرة تشبه البوشمن Bushman-like skull وقد أوضح جرابهام .Grabham, G الذى درس المنطقة جيولوجيا أن رواسب المنطقة ترجع إلى ما بين خمسة آلاف — ألف سنة ق.م ، وعلى ذلك فانها تعتبر أحدث جمجمة ذات صفات كابوانية عثر عليها حتى الآن .

وقد كانت عظام غطاء الجمجمة سنجا سميكة (١٣. مم فى العظم الجدارى (Parietals وعظم الحاجب متوسط مع وجود هبوط واضح فوق « الجلابيلا » مباشرة وذلك مثل انسان الصين Sinanthropus وجماجم البوشمن الحديثة الطفلية الشـكل . والجبهة ضيقة ولكن منتفخة والعظم الجدارى منتفخ أيضا مما يعطى الرأس المظهر الخماسى Pentagonoid ومحاجر العين مستطيلة Regtangular (٣) وبعامة فان تركيب الجمجمة يمكن أن يكون صاحبها سلفا للبوشمن ولكن كامل النمو ، والجمجمة عريضة Brachycranial (الطول ١٨٨ ، العرض ١٥٤ ، المعامل ٨٢) ولكن ربما تكون مشوهة Distorted ولكن حتى ولو كان المعامل صحيحا فان الرأى لا يتغير إذ أن هناك بوشمن عراض الرأس ، كما أن هناك بعضا من

---

(١) Coon, C.S. : The Origin of Races, P. 590.

(٢) Coon, C.S. : The Living Races of man. New York, Alfred A. Knopf, 1965, p. 950.

(٣) Coon, C.S. : The Origin of Race, P. 639.

جماجم المويليون Mouillian (*) فى الجزائر والمغرب ضخمة وعريضة وذات عظام قوية ربما نتيجة الاختلاط بأصحاب الحضارة العاطرية الذين هاجر ونزح بعضهم ومازال البعض الآخر مستقر هناك (١) .

وقد قدر سميث وود وارد Woodward, A.S. عمر حفرية سنجا بنحو ثلاث آلاف سنة قبل الميلاد أى أنها لا ترجع إلى أكثر من العصر الحجرى القديم الأعلى ، لذا يعتقد أنها تمثل سلفا للبوشمن الحاليين وذلك بالمقارنة بجمجمة البوسكوب وإن كان هذا الرأى لا يوافق عليه فالو Vallois, H.V. وباول Boule, M. كثيراً (٢) .

وغالباً ما يكون الإحلال القوقازى الذى تم فى شمال أفريقيا وصحبه دفع الجماعات الكابوانية نحو الجنوب حدث فى نهاية عصر البليستوسين ، حيث أخترق الكيبوانيون نطاق الصحراء ومرتفعاتها ثم توجهوا إلى مرتفعات شرق أفريقيا متجهين إلى موطنهم الحالى فى أفريقيا الجنوبية حيث كانت تعيش جماعات بدائية فى تكوينها ، وذات صلة بأسلاف الجماعة الكونجولية (الزنوج ، والأقزام) وكان لها إمتداداً أكثر نحو الشمال والغرب (٣) .

ويتتبع كون Coon, C.S. (٤) الطريق المفترض الذى سلكته هجرات أسلاف البوشمن من شمال القارة الإفريقية فى موضع سنجا Singa فى جنوب الخرطوم ، وفى خرائب هضبة هوما Huma التى تطل على شاطىء بحيرة فيكتوريا فى كينيا (خريطة ٤) حيث عثر على آلات حجرية أطلق عليها « ويلتون الأولية Wilton A » وهى تشبه تماماً آلات البوشمن كما عثر على ستة هياكل عظمية متباينة الحالة وقد أجرى بعض القياسات على اثنين منها (أرقام ١ ، ٤) : —

* نسبة إلى مولوية وهو مكان قديم فى تافورانت فى المغرب عثر فيه على آلات ترجع إلى عام ١٠٢٠ ق.م (محمد السيد غلاب ، مترجم : السلالات البشرية الحالية ، ص ١١٨ — ١١٩) .

(١) Ibid, p. 640.

(٢) Vallois, Henri Vivtoi; Boule, Marcellin: Fossil men. Translated by Michael Bullock. New York, Dryden Press, 1957, p. 418.

(٣) Coon, C.S. : The Oiigin of Races, p. 590.

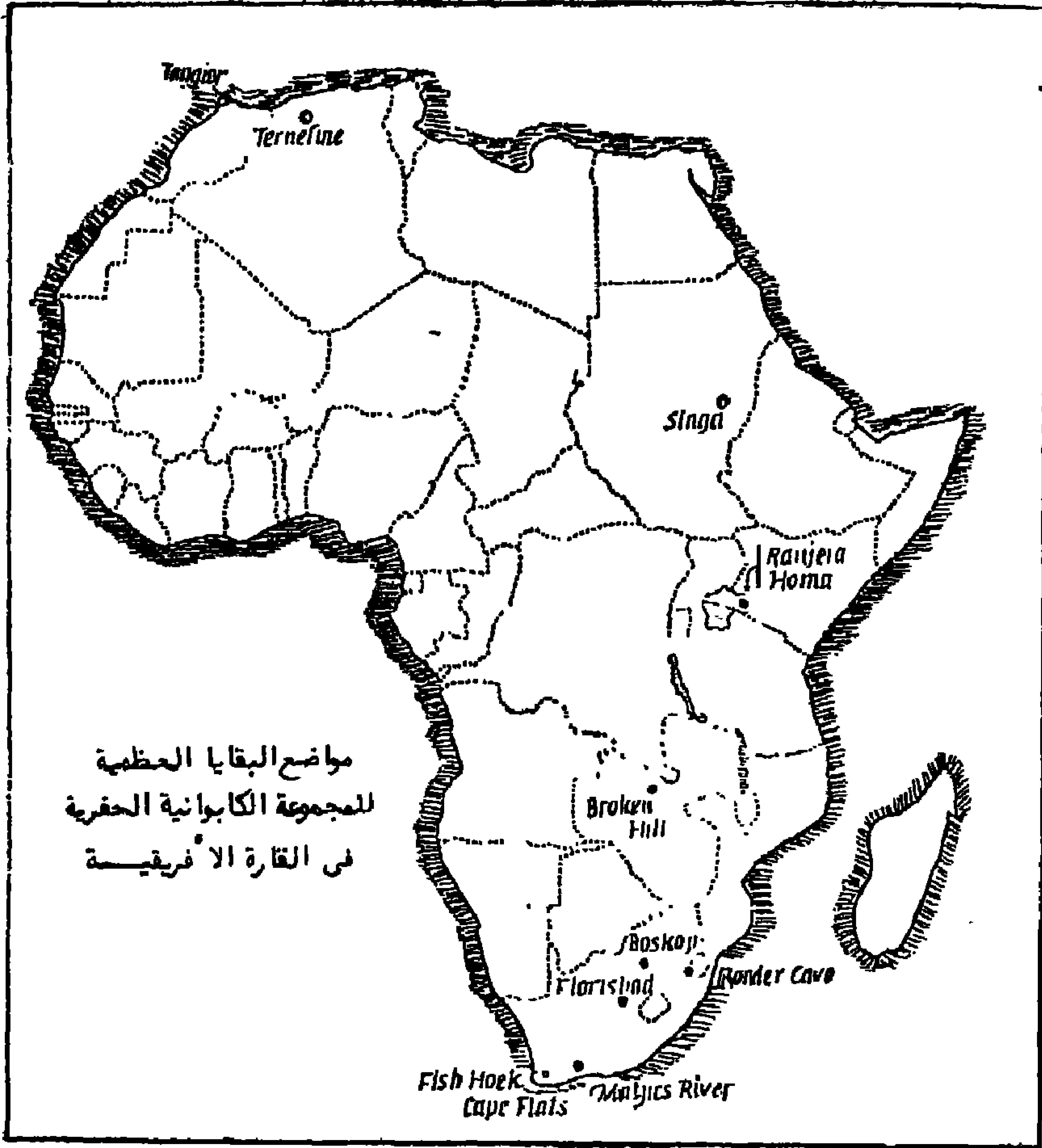
(٤) Ibid., p. 640.

جدول (٢) مقارنة بعض الصفات المورفولوجية لبعض جماجم خرائب هوما Huma ذات الصفات البوشمنية فى كينيا (١)

الحفرية رقم / الصفة	١	٢	٣	٤
السن والنوع	ذكر متوسط العمر	رجل ضخم وطويل	رجل قصير وبدين	(العظم كبير وثقيل)
حجم الدماغ	كبير			كبير جداً
عظم الحاجبين	منخفضة			
الجبهة	مقوسة بشدة			منتفخة
الوجه	—			به بروز واضح خاصة فى الحافة السنخية
الفك السفلى	كبير	كبير		
الأسنان	صغيرة خاصة القواطع والانياب وأكبرها الضرس الاول السفلى	ذات خمس نتوءات فوق كل الاضراس السفلى		
الجمجمة			كبيرة	طويلة ومرتفعة وأعلاها مستوى
الأنف				مستوية
المحاجر				كبيرة والحافة السفلى بارزة

(١) Taken from, Loc. cit.

(خريطة ٤)



(معدلة عن كون : أصل السلالات)

وتعتبر هذه البقايا العظمية معبرة جداً عن هذا الرأى ليس فقط من حيث الانتشار وإنما أيضاً من حيث الانتماء إلى أصول معينة إذ أنه عثر معها على بقايا عظمية لأجسام ضخمة كبيرة غير صغيرة وغير طفلية . فهل إنتشر البوشمن نحو الشمال بعد أن استكملوا صفاتهم المعروفة فى جنوب أفريقيا (١) ؟ أم أنهم وفدوا من الشمال .

يرجح كون أن المورثات الكيبوانية اكتسبت فى الصحراء الكبرى وشرق

(١) Tobias, P.V. : "Bushmen of the Kalahari". In : Man, Vol. 57, No. 36, 1957, p. 33—40.

أفريقيا (١) ، ولكنا نقول ان بعضها أيضاً خاصة ما يتعلق منها بالقامة والبنية قد اكتسب فى موطنها الحالى الفقير فى جنوبى القارة الإفريقية .

كما يربط كون أيضاً بين كون أسلاف البوشمن كانوا مكتملى النمو وبين البيئة الغنية بالحشائش والمراعى وهى التى كانوا يحيون فيها سواء فى شمال أفريقيا خلال الفترات المطيرة أو فى شرق أفريقيا أثناء انتقالهم أمام الدفعات القوقازية التى زحفت على شمال القارة ، وهى ظروف آكلوجية كانت تقدم لهم الغذاء الوفير مما لم يكن هناك حاجة معه إلى أن يكونوا صغار الأجسام كما هم الآن (٢) .

ومن الأدلة الواضحة على قدم أسلاف البوشمن فى شمال افريقيا أن فنانى الصحراء الكبرى الذين تركوا نقوشاً رائعة على الصخور المنتشرة من الصحراء الكبرى إلى كل أنحاء أفريقيا المدارية ، أن هذه النقوش تحمل السمات المورفولوجية للسلالة الكيبوانية البوشمنية خاصة ظاهرة تقعر العمود الفقارى وتضخم العجز Steatopygia وتشحمه (٣) .

وهناك أدلة حفرية أيضاً على قدم أسلاف المجموعة الكيبوانية فى شمال أفريقيا وذلك أن ما عثر عليه من بقايا عظمية فى ترنفين Ternefine فى الجزائر وهى التى تنتمى إلى إنسان الأطلنطى Atlanthropus ، وما عثر عليه فى الدار البيضاء والرباط وطنجةوجبل أغود بالمغرب وهى أقدم من أصحاب الحضارة العاطرية وأقدم أيضاً من كل بقايا شرق وجنوب أفريقيا التى تعرف باسم بقايا سنجا Singa بالسودان وخرائب هوما بكينيا ، وبوسكوب بالترانسفال ، وفلورسباد بالأورنج الحرة ، وفش هوك فى مقاطعة الكيب ترجع إلى نمط الإنسان المنتصب (الواقف) Eruct.(٤).

وعلى كل فان أصحاب الحضارة العاطرية فى شمال أفريقيا قد انحدروا من الخط الترنفينى الطنجى Ternefine – Tangier الذى كان أصحابه من أسلاف

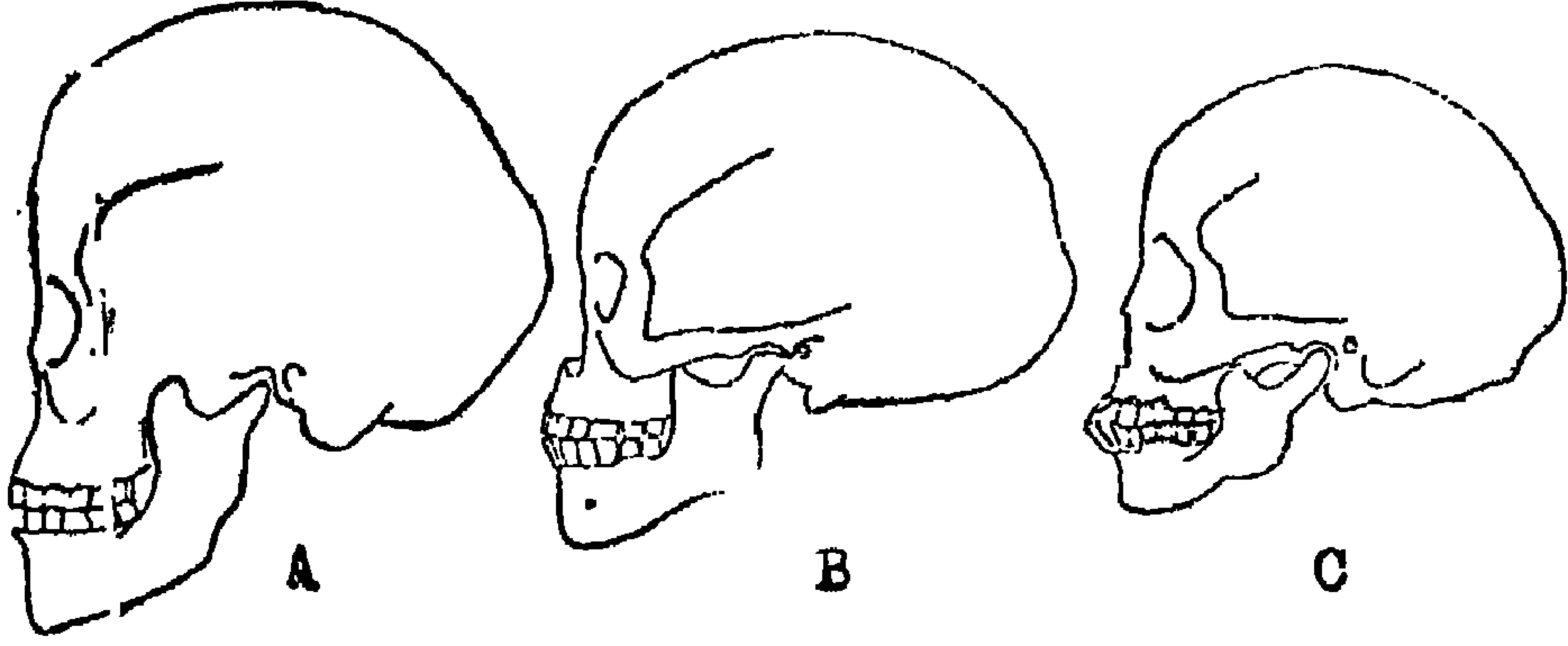
(١) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 123.

(٢) Ibid., p. 110.

(٣) محمد رياض ، كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، ص ٢٠٣

(٤) محمد رياض : الانسان ؛ دراسة فى النوع والحضارة . . ط ٢ . بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٤ ، ص ١٠٣

البوشمن كاملى النمو . ومازالت هناك تأثيرات لهم فى سكان شمال أفريقيا المعاصرين(١) (شكل ١) .



شكل ١ – خط التطور الكابوانى

A الجمجمة ٤ من تلال هوما فى كينيا
B جمجمة فش هوك Fish H فى مقاطعة الكيب
C جمجمة بوشمنية (نمط هوتنتوت فينوس)

(عن كون : أصل السلالات)

وتدل الحفريات على أن خط إنسان ترنفين – تانجير الذى عثر عليه فى شمال أفريقيا قد إنحدر من جماعة هاجرت من شرق آسيا أو أن أسلاف الإنسان القردى Pithecanthropus ، وإنسان الصين Sinanthropus قد قدمت من شمال أفريقيا ، أو كاحتمال ثالث أن حفريات أشباه الأنواع الثلاث المذكورة قد وفدت من منطقة جغرافية ما متوسطة بالنسبة لهذه المناطق (٢) .

وطبقاً لخط التطور الذى اقترحه كون للمجموعة الكيبوانية (٣) فان أسلافهم قد تحركوا أمام دفعات قوقازية (المولويون Mouillians) إلى شرق القارة ثم نحو الجنوب أمام دفعات قوقازية أيضاً (القفصيون Capsians) وذلك بدليل

(١) Coon. C.S, : The Living Races of Man, p. 93.
(٢) Coon. C.S, : The Origin of Races, p. 601.
(٣) Ibid., p. 646.

ما عثر عليه من جماجم كيبوانية على طول الطريق من سنجا إلى رأس الرجاء الصالح وقد بدأ بأن تحول كبر الجسم وقوته تدريجياً إلى الصغر والطفولية ولم يحتفظوا من الصفات القديمة الا بالوجه المسطح وهو الذى يلاحظ فى كل الجماجم الكيبوانية القديمة والحديثة .

ويحاول كون أن يؤكد على الأصل الشمالى لأسلاف البوشمن قائلا : « .. أما إذا كان أصل البوشمن ليس من نمط ترنفين – تانجير فان هذا النمط يعتبر أحد ستة أنواع فرعية إنقرضت ولم تعقب أجيالا معاصرة وبذلك لا يكون للبوشمن أسلافاً معروفة يمكن وصفها (١) .

وقد عملت الظروف الصحراوية التى سادت فى شمال القارة الإفريقية بعد نهاية العصر الحجرى القديم الأعلى على إنقطاع الصلة السلالية بين شمال القارة وجنوبها(٢) بحيث تحددت مجالات الصلة والعلاقة من خلال مسالك ومنافذ جغرافية محددة .

وهناك الأدلة الكثيرة على أن البوشمن كانوا منتشرين فى السودان فى شرق أفريقيا ربما حتى أثيوبيا ، وهى مناطق تناسب الأسلوب الأصلى لحياتهم الرعوية مما مكنهم من التجوال فوق كل الاقاليم الممتدة شمال نهر الزمبيزى حيث ربما أفنوا أسلافهم البوسكوب Boskop مع أنه عثر على جماجم من نمط ما يطلق عليهم « رواد الشـــواطىء Strandloopers » على طول الشـــاطىء الجنوبى الشرقى لمقاطعة الكيب كدليل على أختلاط السلالتين (٣) ، ومع ذلك فانه يصعب الجزم بمثل هذا الرأى . والملاحظ أنه فى انتشار الصفات الكيبوانية لدى بعض جماعات شرق أفريقيا يدل على مدى الآنتشار القديم لأصحاب هذه الصفات فى أفريقيا (٤) إلى جانب الأصل الشمالى لها .

---

(١) Ibid., p. 602.

(٢) Leakey, L.S.B. : The Progress and evolution of Man in Africa, London, Oxford Univ. Press, 1961, p. 12.

(٣) Laing, G.D. : "The Relation between Boskop, Bushmen and Negro Elements in the Formation of the Native Races of South Africa". In : South Journal of Science. Vol. 23, 1926, p. 905—908.

(٤) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 57.

أما النظرية الثانية التى تقول بالأصل المحلى للمجموعة الكيبوانية فقد نادى بها ارثركيث Keith, Arthur ومعظم الانثروبولوجيين فى جنوب أفريقيا حيث قالوا أن المجموعة الكيبوانية الحالية منحدرة من السلالة البوسكوبية Boskop type ذات حجم الدماغ الكبير التى عاشت فى البليوستوسين فى العصر الحجرى المتوسط والتى إنحدر منها أيضاً إنسان فيش هوك Fish Hoek وأخيراً رواد الشواطىء(١) وقد بنى هذا الرأى على أساس سمات الجمجمة وحجمها وحجم المخ عند البوشمن والهوتنتوت الحاليين وعند أسلافهم البليستوسين مدخلين فى الاعتبار الإتجاه العام نحو النقصان فى الحجم وهى ظاهرة فى الأجيال المتعاقبة خاصة تحت الظروف الصعبة للبيئة بما فيها من نقصان التغذية .

معنى هذا أن المجموعة الكيبوانية نتجت عن اختلاط السلالة البوسكوبية وأقزام الكونغو Congo Negrillos أو اقربائهم (٢) ويفسر هذا ظهور سمات الشعر الصوفى والشفاة السميكة وربما تضخم العجز والأذن البوشمنية . أما السمات المغولية فتعزى إلى التأثيرات البوسكوبية كظاهرة حفرية ليست زنجية ولا مغولية بل أعتبرها بعض الباحثين أقرب إلى الظاهرات البيضاء White types (٣) .

من أفضل البقايا العظمية للمجموعة الكيبوانية التى أمكن العثور عليها فى جنوب أفريقيا هى هيكل الفش‌هوك Fish Hoek ، والبقايا العظمية التى عثر عليها فى زيتزيكاما Zitzikama والمكونة من خمس قطع ، ومجموعة نهر ماتجز Matjies River المكونة من ثمانية هياكل متباينة الحالة الحفظية ، ومع أنه ربما يرجع بعض هذه البقايا إلى فترة معاصرة أو أقدم من فترة فلورسباد Florisbad الا أنها كلها بدون شك ترجع إلى ما بعد عصر البلاستوسين (٤) .

وقد اتضح من فحص البقايا العظمية التى عثر عليها بالقرب من وندهوك أنها تحمل بصفة أساسية صفات كيبوانية تظهر خاصة فى الرأس الصغير والقامة القصيرة.

(١) Hooton, E.A. : Up From The Ape. 2nd ed., p. 631.
(٢) Ibid, p. 400.
(٣) Ibid, p. 632.
(٤) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 645:

وكثيراً ما عثر على آلات حجرية شيلية — ٣ (Chellian-3) ترجع إلى ما بعد البليستوسين فى بوتسوانا بوتشوانالاند (١) ، ويرجح درينان Drennan, M.L. (١٩٢٩) أن أصحابها كانوا أصحاب كيب فلاتس Cape Flats الذين لا يشبهون البانتو ولا البوشمن وإن كانوا قد عاصروا مجيء أسلاف البوشمن إلى الموطن الحالى(٢) فى جنوب القارة .

أما النمط البوسكوبى فقد عثر على جمجمته فى عام ١٩١١ فى بوسكوب بالقرب من Pochefstroom فى الترنسفال وتتكون من غطاء للرأس وقد لوحظ فيها أكبر فراغ المخ وقد قدر هوجتون Haughton, S. الذى أعاد تركيبها أن طولها يصل إلى ٢٠٥ مم وعرضها ١٥٤ مم ومعاملها ٧٥ وإجمالى حجم فراغها الداخل ١٨٣٠ سم٣ أى أنه ضخم للغاية ، ومع ذلك فقد قدر لها بروم Broom, R. تقديرات اكبر من ذلك (٢٢٠ مم ، ١٦٠ مم ، ١٩٥٠ سم٣ على التوالى) ، ثم قدر لها بيكرافت Pycraft, W. تقديرات أخرى مخالفة (٢٠٥ مم ، ١٥٠ مم ، ١٧١٧ سم٣) كما ذكر أن ارتفاعها (Bregma — Basion) هو ١٣٧ مم(٣) ، أما كيث فقد قدر أبعادها بالآتى (٢٠٥مم، ١٥٤مم، ١٦٣٠ سم ٣) وذكر أن الحيدان الحجاجيان brow-ridges — غير كبيرين وأن الجبهة عمودية ومنتفخة مثل بعض الزنوج ، كما أن النتوءات الحلمية Mastoid process ضئيلة (٤). وكان الوجه بارز (٥) .

ولا يوافق فالواوبروم فيما يقال من أن إنسان بوسكوب ينتمى إلى نمط خاص من هوموكابنيسس Homo Capensis وإنما يقولا أنها من نوع الإنسان العاقل ويوافق على هذا الرأى الأنثروبولوجين فى جنوب أفريقيا ، ويتفق معهما بيكرافت الذى

(١) Ibid., p. 630

(٢) Drennan, M.R. : "An Australoid Skull from Cape Flats". In : The Journal of the Anthropological Institute, Vol. 59, 1929, p. 417.

(٣) Vallois, H.V. ; Boule, M. : Fossil men. New York, Dryden Press, 1957, p. 457—458.

(٤) Hooton, E.A. : Up From the Ape, p. 594.

(٥) ابراهيم أحمد رزقانة : العائلة البشرية . القاهرة ، مكتبة الآداب ، ١٩٥٠ ، ص ١٢٧

يعتبره سلفا للبوشمن من أصل كرومانيون Cro-magnion ويوافق على ذلك إلى حد بعيد كيث Keith, A. (١) .

وقد عثر مع جمجمة بوسكوب على بعض عظام الأطراف وهى ترجع إلى الدور المطير الثانى بجنوب أفريقيا حيث أن الآلات الحجرية التى عثرت معها ترجع إلى حضارة ستل باى Stillbay ، ويقال أن أصحاب هذه الحفرية هم أسلاف البوشمن وهم الذين إنحدر منهم رواد الشواطئ (قوم فضلات المطبخ Kitchen-Midden) وهم أجداد البوشمن الحاليين مباشرة(٢) .

وقد توالت بعد ذلك الكشوف فقد عثر فى ١٩٢١ فى روديسيا ، على جمجمة لإنسان نياندرتال ، ثم فى عام ١٩٢٥ على قرد الجنوب Australopethicis الذى يعتقد الكثيرين أنه السلف المباشر للانسان (٣) .

ورغم عدم توصل البحوث التى أجريت خلال الخمسين عاما الأخيرة فى أنماط من الأناسى عندما حل العصر الحجرى المتوسط(١) : كان هناك انسان بدائى من « النياندرتال » قريب من أصحاب الحضارة الموستيرية فى أوربا ولكن أكثر حداثة ، وهو بلا شك آخر الجماعات الحية من الجماعة النياندرتالية القديمة جدا التى سكنت القارة الافريقية منذ العصور الأولى .

أما النمطين الآخرين فينتميان إلى النمط « الهوموسابينز » ويدوران حول الانسان الحفرى البوسكوبى والفلورسبادى Florisbed ولذا يمكن أن يطلق عليهم االنمط البوسكوبى Boskopoid Type والنمط الاسترالى Australoid ويبدو أنهما قد تطورا فى موطنهما فى جنوب أفريقيا وأنهما فى البوشمن ابتهيناوالهوتنتوت(٤)ومعنى هذا أنه حتى ذلك الوقت لم يكن قد ظهر النمط الزنجى ويقال مثل ذلك من عدم ظهور النمط الزنجى بالنسبة لشرق وشمال افريقيا وفى هذا مشكلة لم تحل بعد (٥) .

---

(١) Ibid, p. 459.

(٢) ابراهيم أحمد رزقانة : العائلة البشرية ، ص ١٢٦ – ١٢٧ .

(٣) Vallois, H.V. ; Boule, M. : Fossil men, p. 450.

(٤) Ibid, p. 464.

(٥) Loc. cit.

هذا وغالبا ما يرجع انسان بوسكوب إلى العصر الحجرى المتوسط Middle Stone Age أى فى فترة سابقة جدا على تواجد رواد الشراطىء ، ولكن صفاته كانت تتفق كثيراً معهم(١) ، ومعنى هذا أنه حدث اختلاط كبير فى جنوب افريقيا بين أناس من طوال القامة وضخام الدماغ مع آخرين من قصار القامة ، وكان من نتاجهم الأفراد الذين يحيون حتى الآن ويمثلون المجموعة الكيبوانية .

ومن أدلة عراقة هذه السلالة واتساع أوطانها فى العصور الغابرة فى وسط افريقيا وشرقها ، إنتشار بعض الرسوم والأشكال على الصخور وانتشار الكرات الحجرية المثقوبة التى تتخذ كأثقال توضع فى أطراف عصى الحفر (٢) . ويبدو أن امتداد وطن البوشمن كان شاملا منطقة الرأس أيضا ، فقد تم الكشف عن الكثير من البقايا العظمية التى أعطت هى وما أحاط بها من بقايا ثقافية صورا عن نوع الحياة التى كانت سائدة فى هذه المناطق (٣) .

وتدل على ذلك أيضا الصفات الجنسية Sexual المزدوجة التى تظهر لدى بعض السلالات وهى من الصفات الانثروبولوجية الوراثية التى تدل على عراقة حاملها فبينما لا تظهر هذه الصفات المزدوجة عند القوقازيين والمغوليين تظهر بوضوح لدى الاستراليين الأصليين وإلى حد أقل عند البوشمن(٤) . كما أن هناك أدلة مورفولوجية فى أسنان البوشمن تدل على عراقتهم التكوينية أيضا وأنهم من السلالات القديمة إذ تنتشر صفة « الحافة المقربه بين الأسنان Approximal Grooving of teeth (٥) عند الأنواع القديمة للانسان (نياندرتال Neandertal وبكين Pekinensis

---

(١) Ibid, p. 461.

(٢) Seligman, C.G. : Races of Africa. 4th ed. London, Oxford Univ. Press, 1967, p. 11.

(٣) Voigt, E. : "A burial on Groot Hagelkraal, Bredasdorp district cape; In: "The South African Archaeological Bulletin," Vol. 27, 1972, p. 87–89.

(٤) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 27.

(٥) Stedman's Medical Dictionary. 22nd ed., Baltimore, Williams & Wilkins, 1972, p. 94.

وعند السلالات القديمة للانسان الحالى مثل البوشمن والاستراليين الأصليين والهنود الأمريكيين (١) .

ومن المؤشرات التى توحى بأن الموطن الحالى فى جنوب القارة الافريقية قد ساهم فى اعطاء بعض السمات الفيزيقية للمجموعة الكيبوانية أن سمات الطفولة Pedomorphy لا تكاد تنتشر بين الجماعات الكابوانية الشمالية التى تبتعد وتنتشر بعيدا عن الموطن الكبير الحالى نحو الشمال ، وذلك كما كشفت عنه البقايا التى عثر عليها فى موضعين فى شمال الترانسفال بالقرب من نهر اللمبوبو هما : مابونجوبوى Mapungubwe وبامباندیانولو Bambandyanolo ، وقد دلت البحوث التى أجريت بالكربون المشع ١٤ على أنهم أصحاب حضارة تنتمى إلى عصر المعدن وأنهم كانوا من منتجى الطعام بدون شك ، وقد سكن الموضع الأحدث (المابونجوبوى) إبتداء من عام ١٤٠٠ بعناصر بانتوية وقد درس جالواى Galloway, A.(٢) عدد ٧٤ هيكل عظمى من « بامباندیانولو » وعدد أحد عشر هيكلا من « مايو نجوبوى » فاتضح له عدم وجود أى هيكل زنجى من بينها ، وعلى ذلك فانهم كانوا من المجموعة الكيبوانية كاملة النمو وأن بعضهم كان من أصحاب الأسنان الثورية Taurodont (*).

وقد عثر مع الهياكل العظمية على تماثيل طينية صغيرة موضحا بها ظاهرتى استطالة شفرى فرج العذارى Elongated labia minora ، وتضخم العجز السائدة عند البوشمن والهوتنتوت (٣) .

ومن المشكلات الكبرى محاولة معرفة أساس الاختلاط الكبير فى السمات المغولية والقزمية فى المجموعة الكيبوانية ، خاصة وأنه لم يستدل على وجود نطاق

(١) Wallace, John A. : "Approximal Grooving of Teeth". In : American Journal of Physical Anthropology. Vol. 40, No. 3, p. 385—390.

(٢) Galloway, A. : The Skeletal Remains of Bambandyanalo. Johannes-burg, Witwatersrand Univ. Press, 1960, p. 110.

(*) وهى الأسنان التى يتسع تجويفها من أعلى إلى أسفل أى من التيجان إلى الجذور وهى صفة لا توجد عند الانسان الحديث وإنما توجد فقط عند الانسان القديم مثل انسان الصين ، وبعض النياندرتاليين (ابراهيم أحمد رزقانه : العائلة البشرية ، ص ١٢١) .

(٣) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 647.

من السلالات المغولية فى أفريقيا فى أى عصر من العصور ، وقد حاول هوتون Hooton, E.A تعليـــل ذلك بفرض حدوث اختلاط فيما قبل التـــاريخ بين جماعات قزمية ومغولية فى مكان ما فى جنوب غرب آسيا(١) ، ولكنه عاد ورفض هذا الرأى على أساس أنه ليس من معقول عدم إستمرار وجود أى جماعة من الكيبوانية فى هذا المكان الآن(٢) ويعود ويقول أنه انصافا للحقيقة يمكن استنتاج الرأى التالى إستناداً إلى التماثيل التى عثر عليها فى أوربا من العصر الأوليجناسى ومن ظاهـــرة تضخم العجز التى كانت احدى سمات انسان العصر الحجرى القديم Palaolithic ومن هياكل إمرأة وطفل جريمالدى Grimaldi التى كانت بلا شك زنجية مع أنها لم تكن بعيدة كثيرا عن سمات المجموعة الكيبوانية الحالية ، وتشابه الرسومات التى خلفها انسان العصر الحجرى القديم (الحضارة القفصية Capsian فى اسبانيا مع رسومات البوشمن فى جنوب افريقيا التى ربما ترجعان إلى جماعة بشرية واحدة رغم اختلاف الأزمان : من هذا إستنتج الرأى التالى القائل بأنه ربما كانت هناك مع نهاية العصر الجليدى الأخير جماعة معينة هم أسلاف البوشمن والهوتنتوت الحاليين تعيش فى شمال افريقيا وجزء من شبه جزيرة ايبيريا ، وبعد ذلك اندفعوا نحو الجنوب خلال طول القارة الافريقية كلها وأخيرا استقروا فى أوطانهم الحالية منذ عصر ما قبل التاريخ(٣) .

وهناك رأى بديل آخر يقول أن هذه المجموعة الكيبوانية شغلت شمال القارة الافريقية وجنوبها على السواء فى وقت واحد وأنها وفدت من مكان ما من العالم أو من أحد المواطن المنتشرة فى القارة الافريقية ذاتها(٤) .

ويبدو أن البوشمن قد إكتسبوا صفاتهم المورفولوجية خاصة صغر حجم الجسم

---

(١) Hooton, E.A. : Up From the Ape, First ed. London, Macmillan, 1931, p·3.0

(٢) Hooton, E.A. : Up From the Ape. 2nd ed., p. 621.

(٣) Loc. cit.

(٤) Loc. cit.

والطفولية Fetalization بعد وصولهم لأوطانهم الحالية فى جنوب افريقيا (١) وذلك قبل أن يدفع البانتو والبوير Boer وغيرهم البوشمن وأترابهم أمامهم إلى صحراء كلهارى التى أصبحت موطنهم الحالى (٢) .

ويوضح الجدول التالى البقايا العظمية التى لها صلة بأسلاف المجموعة الكيبوانية والتى عثر عليها فى أنحاء متباينة ومتباعدة من القارة الافريقية (٣) :

وهناك أدلة أثرية (ثقافة نصال ويلتون Willon) على وجود صلة بين سلالة بوسكوب Boskop (عثر على بقايا عظمية متحجرة لها على الشاطىء الشرقى لنهر موى Mooi جنوب غرب الترانسفال (والمجموعة الكيبوانية التى غالبا أنها وصلت إلى جنوب افريقيا منذ عدة آلاف من السنين قبل الميلاد (٤) ، خاصة وأنه قد عثر على أدلة مورفولوجية تدل على بعض التشابه بين سلالة بوسكوب وبين بقايا سنجا من حيث شـكل قبو الجمجمة Vault والجبهة وصغر النتوءات الحلمية Mastoids prosses ، وأيضا مع هياكل خرائب هوما Huma فى كينيا من حيث وجود ذقن فى الفك السفلى ، وعلى ذلك فإن البعض يظن أن سلالة بوسكوب تمثل أسلاف البوشمن وهو ما يظنه أصحاب النظرية الثانية وإن كان كون لا يرى ضرورة لاعتناق هذا الرأى (٥) .

ويبدو — فى ضوء المادة العلمية المتوفرة — أن المرجح هو صدق النظرية الأولى التى تقول بالأصل الشمالى وبانتشار الجينات الكيبوانية على طول الطريق من شمال القارة الافريقية إلى جنوبها مخترقة هضاب شرق افريقيا ، إذ أن فى اعتناق هذا الرأى حل لكثير من الظواهر الملموسة ، ومنها عراقة هذه السلالة وانتشارها الواسع فى أنحاء متباعدة ومتباينة منها ، كما كشفت عن ذلك البقايا العظمية والثقافية التى ترجع إلى أواخر عصر البليستوسين والتى ترجع إلى حقبة طويلة من الزمان .

---

(١) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 645.

(٢) Ibid, p. 590.

(٣) Ibid, p. 591 – 612

(٤) Ibid, p. 641.

(٥) Loc. cit.

جدول ٣ – بيان بالبقايا العظمية للاسلاف الكابوانيين فى افريقيا

القطر	الموضع	العصر	المادة	الاسم –السلالة
السودان	سنجا Singa	٥ – ١٠ آلاف سنة ق.م	قحف calvaria	Homo Sapiens, Capoid
مقاطعة الرأس	فيش هوك Fish Hoek	ما بعدالبليستوسين	هيكل عظمى Skeleton	Capoid
»	نهر ماتجز Matjies River	»	بقايا ٢٧ فرد	Capoid
ناتال	بوردر كيف Border cave	ما بعدالبليستوسين	هيكل لشخص بالغ ، وهيكل لطفل	Australoid
كينيا	خرائب هوما Huma	ما بعد البليستوسين	سبع هياكل عظمية	Homo Sapiens Capoid
الترانسفال	بوسكوب Boskop	» »	قحف Calvaia وقطع مكسرة من الفك السفلى	" "
زامبيا	روكين هل Broken Hill	البليستوسين الأعلى	شخصين : قطعة جمجة علوية قطعة فك علوى عظام طويلة	Homo Rhodesiensis
مقاطعة الرأس	كيب فلاتس Cape Flate	أواخر السليستوسين الأعلى أو ما بعده	ثلاث أشخاص : اثنين جمجمة علوية عظام طويلة	Australoid
مقاطعة الأورانج	فلورسباد Florisbad	أواخر البليستوسين الأعلى أو أوائل ما بعده	قطع مكسرة من الجمجمة العلوية وسنة tooth	Homo (Afri-canthropus) Helmei
المغرب	طنجة Tangier	الفترة الدفيئة الأخيرة إلى الكانجير ا(القرم المبكر)	فك علوى Maxilal	Homo Capenisis

توزيع قبائل المجموعة الكيبوانية

بلغ عدد أفراد المجموعة الكيبوانية فى وطنها المتصل فى جنوبى القارةالأفريقية عام ١٩٦٠ نحو ١٠٠ ألف نسمة (١) ، منهم نحو ٥٥ ألفا من البوشمن يعمل معظمهم فى خدمة قبائل التسوانا Tswana البانترية ، ونحو ٣٠ ألف نسمة من البرجداما المختلطين بالهيريرو والهوتنتوت . وأخيرا نحو ٣٥ ألفاً من الهوتنتوت اختلط معظمهم بالأوربيين .

هذا بينما بلغ عدد البوشمن فى ناميبيا (سنة ١٩٧٠) نحو ٢١٩٠٠ نسمة بعد أن كانوا نحوا من ١١٧٦٠ نسمة عام ١٩٦٠ (٢) أى بنسبة زيادة سنوية تصل إلى ٨,٦٪ ، وبينما نسبة الزيادة العالية هذه عند البوشمن المتوطنين فى ناميبيا كنموذج لهم ، نجد أن الهوتنتوت المستقرين فيها (الناما Nama) قد تعرضوا للنقصان إذ أصبح عددهم ٣٢٨٥٣ نسمة عام ١٩٧٠ بعد أن كانوا ٣٤٨٠٦ نسمة (٣) أى بنسبة تناقص تبلغ ٠,٦٪ ومعنى هذا أنه يحتمل — تحت الظروف الحالية — أن تنقرض هذه الجماعة قبل نهاية عام ١٩٨٨ .

هذا عن بعض الجماعات الكيبوانية الخالصة أما الجماعات المختلطة فى ناميبيا أيضا فنجد أنهم قد زادوا بمعدلات كبيرة وصلت عند الرحبوت Rehabothers (*) إلى ٤,٦ ٪ سنويا ، وعند الملونين Coloureds (**) إلى ١٢,٢ ٪ سنويا وهى نسبة عالية للغاية (***) ترجع إلى عدة عوامل اقتصادية واجتماعية إلى جانب العوامل البيولوجية الوراثية .

وتنقسم المجموعة الكيبوانية إلى أربع أقسام (٤) :

---

(١) Goldsby, Richard A. : op. cit., p. 45.

(٢) The Statesman's Year-Book, 1975—1976, p. 1311.

(٣) Loc. cit.

* جماعة خلاسية ناتجة من اختلاط الناما والأوربيين ويتحدثون لغة أفريكانية .

** الخلاسيين من اختلاط الهوتنتوت وإلى حد ما البوشمن مع الأوربيين .

*** بالمقارنة بمعدل النمو السنوى للسكان فى ناميبيا (١٩٦٠ — ١٩٧٠) الذى يصل إلى ٣,٧ ٪

(٤) Murdock, G.P.: Africa; It Peoples and Their Culture History. New York, McGraw-Hill, 1959, p. 53—54.

١ – الشمالية : وهى أكبر المجموعات وأوسعها انتشارا فهى تمتد حول حوض نهر أوكافانجو Okavango ، وبحيرة نجامى Ngami ومنخفض تشو Tshu أى تمتد فى كل من أنجولا Angola ، وزامبيا Zambia ،وبتسوانا Botswana ، ونامبيبا Namibia ، ومن أهم قبائلها الهيكوم Heikum ، وأوين Auen ، أيكونج Kung ! .

٢ – الجنوبية : وتمتد من أواسط بتسوانا إلى أواسط حوض نهر الأورانج Orange ، وأهم قبائلها : النوين Nuen فى الترنسفال البريطانية ، والأكسام Xam فى الكيب ، والتوا Twa فى ترنسفال .

٣ – الوسطى : فى جنوب دلتا أوكافانجو Okavango الداخلية وتجمعهم مجموعة لغوية يتحدث بها باقى قبائل البوشمن وأهمها النارون Naron ، والقبائل ذات الثقافة الهوتنتوتية وقبائل البرجداما Bergdama .

٤ – الساحلية : وتمتد من مصب نهر أورانج حتى بلدة لودريتز Lüderitz وأهم قبائل هذه المجموعة الناميب Namib وهؤلاء هم الذين وجدهم الهولانديون عند نزولهم إلى جنوب أفريقيا فى القرن السابع عشر فاسموهم « مرتادى الشواطىء » (١) .

وإذا تتبعنا التوزيع العام لتجمعات قبائل المجموعة الكيبوانية نلاحظ أنها تتوزع وفقاً للقبائل والجماعات التالية (٢) : –

١ – برجداما Bergdama (هاوكوين Haukoin ، دامارا الجبلية Mountain Damara) وعددهم نحو ٣٠ ألف نسمة .

٢ – هوتنتوت الكيب Cape Hottentot وتشمل : أتاكيوا Attaqua شينوكيوا Chainoqua ، شاريجيوريكيوا Chariguriqua (جريجريكيوا الصغيرة Little Grigriqua)، جورينجهايكيوا Goringhaiqua ، جرنجريكيوا Hancumqua

(١) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية . القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥ ، ص ٣٠ .

(٢) Murdock, G.P. : Op. Cit., p. 53 – 54.

هانكومكيوا Hanucmqua ، هيسيكيوا Hessequa كوشوكيوا Kochoqua ، كورا (جوراشيوكيوا Gorachouqua) Kora ، والهوتنتوت الشرقيين الذين يتكونون من : أوتينيكيوا Outeniqua ، وداماكيوا Damaqua ، وجوناكيوا Gonaqua ، وانكيوا Inqua .

٣ — هيكوم Heikum (Hei // om) وهذه قد أختلطت لدرجة ما مع قبائل البانتو الجنوبية الغربية خاصة الأمبو Ambo ، والهريرو Hereıo .

٤ — هيشوور Heichware : وتخـــدم أو تعيش فى كنف بانتو تسوانا Bantu Tswana .

٥ — هوكوى Hukwe (كوينجو Kwengo ، ماكوينجو Makwengo) وجيرانهم جاليكوى Galikwe (ديناسينا Dennassena ، وماديناسينا Madennassena) وقد طال أختلاط هذه القبائل بالبانتو خاصة قبائل لوزى Lozi ، وتسوانا Tswana ، وسوبيا Subia ، ومبوكوشو Mbukushu .

٦ — كورانا Korana (ايكورا I Kora) جماعات يبلغ عددها الحالى نحو عشرة آلاف نسمة وتمثل جماعة انسلخت فى القرن ١٩ من قبيلة كورا Kora من هوتنتوت الكيب هرباً من الهولانديين .

٧ — كوروكا Koroca (Mucoroca Coroca Bakoroka) جماعة منعزلة على ساحل أنجولا يبلغ عددها ١٥ ألف نسمة وتضم لوهيكا Luheka (Valuheka) على الساحل ، زوروتوا Zorotua على حافة الصحراء ، وكويسى Kwise (Vakuise Moquisse Bacuisso) على اقدام الجبال .

٨ — كونج Kung (ايكونج IKung) بما فيهم : أجليو Agau ، وأيوان Auen (// kau // en, ≠ aukwe) ، كيونجـــايو Kungau (≠ Kungau) ، نوجايو Nogau ، اوجووى Ogowe (IOgowe) ، المتحدين فى جنوب أنجولا تحت تسمية أوكيونج Okung (I O Iku) ومازالت عشيرة منها تبلغ أربعة آلاف نسمة تزاول الحياة البدائية البسيطة .

٩ — ناما Nama (Namaqua, Naman) ويبلغ عددهم نحو ٢٥ ألف نسمة وهم أصحاب الثقافة الأصلية التى مازالت قائمة ويمكن للانثروبولوجيين دراستها .

١٠ — ناميب Namib وتشمل : جانين Ganin (≠ ganin) ، جينين Geigin (/ geinin) (/) ، وكوما Koma (/ Koma) ، وأوبانين Obanen (//Obanen) وتشغل هذه المجموعة الصحراء الساحلية من جنوب غرب أفريقيا ، وتفصلها قبائل هوتنتوب ناما Nama عن باقى قبائل البوشمن فى الداخل .

١١ — نارون Naron (// aikwe)وتشمل : أمكوىAmkwe (≠ amkwe) ، جينكوى Ginkwe (/ ginkwe) ، جوكوى Gokw (/ gowe) (/) ، وتساوكوى Tsaukwe ، وتسونوكوى Tsonokwe .

١٢ — نوسان Nusan (/ nullen) وتشمل : أونى Auni (/ auni) (/) نجكى Ngke (// ng ! ke) (//) وجماعة ساروا Sarwa (Masarwa) المنفصلة فى صحراء كلهارى وهى التى تعتبر اليوم جزء من شعب التسوانا Tswana البانتوية .

١٣ — أوهيكوى Ohekwe (تيت tete) ، ودوكوى Dukwe (≠ dukwe) المتصلة ، هورا Hura ، وكاباكوى Kabakwe (≠ kabakwe) وهذه القبائل احدى رعايا التسوانا .

١٤ — تانكوىTannekwe (/ tannekwe) وتشمل : بوجاكوى Bugakwe ، جاريكوى Garikwe (≠ garikwe) ، وهذه القبائل سكان مستنقعات ومن رعايا التسوانا وقبائلها .

١٥ — أكسام Xam (بوشمن الكيب Cape Bushmen ، أكسام xam /) وتشمل بقية قبائل بدون أسماء تقع إلى الشرق فى بتشوانالاند والترنسفال وهذه القبائل فى حكم المنقرضة الآن . وتتحدث هذه القبائل كلها لغات من عائلة البوشمن الفرعية التى تنتمى إلى المجموعة الخواسانية .

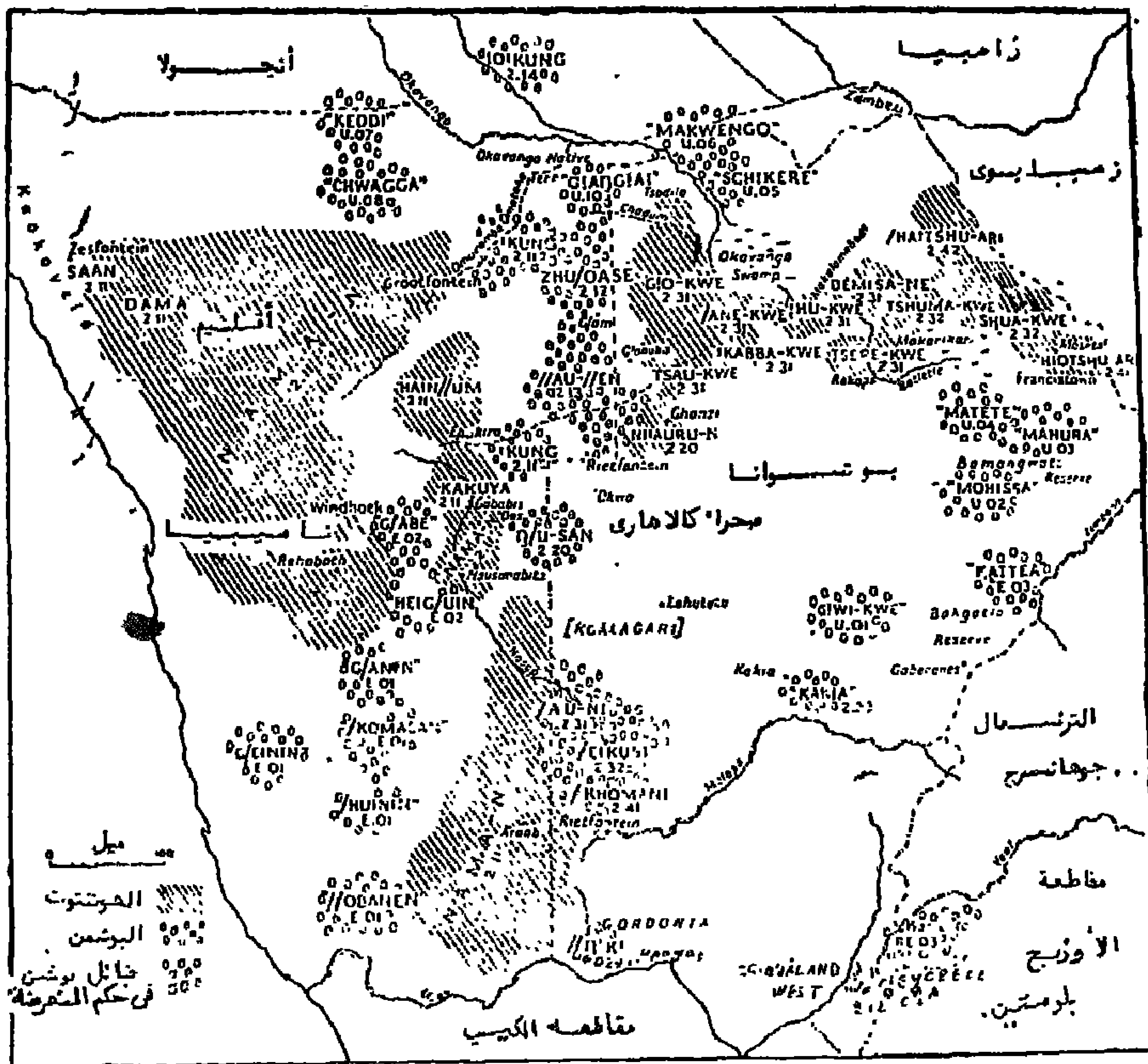
القبائل البوشمنية :

تتفاوت تقديرات عدد البوشمن حسب التقديرات الرسمية والعلمية ، ولكن

ربما يعطى التقدير التالى الذى قام به توبياس Tobias, P.V. (١٩٥٥) ونشرة (١٩٥٦) (١) بعض الدلالة على توزيع البوشمن على الوحدات السياسية التى ينتشر فيها نطاق البوشمن المتصل : —

٣١,٠٠٠	نسمة فى بتشوانالاند (بتسوانا حالياً)
٢٠,٣١١	« أفريقيا الجنوبية الغربية (ناميبيا)
٤,٠٠٠	« أنجولا
٢٠٠	« روديسيا الشمالية (زامبيا الآن)
٢٠	« جنوب أفريقيا
٥٥,٥٣١	نسمة

خريطة ٥ — توزيع قبائل البوشمن والهوتنتوت ولهجاتها فى افريقيا الجنوبية .



---

(١) Cibbs, James L. (ed.) : Peoples of Africa. New York, Holt Rine- hart, 1965, p. 274.

هذا وتتكون جماعات البوشمن من القبائل التالية (١) التى تتحدث أربع فصائل لغوية هى (خريطة ٥) : —

١ — لغة إيكونج Ikung (2.10) : ولها لهجات تتحدث بها القبائل التالية :—

(١) إيكونج Ikung (2.11) : ويبلغ عددهم نحو أربعة آلاف نسمة يعيشون فى إقليم ناميبيا Namebia فى منطقة أوكافانجو Okavango الوطنية فى الوادى الأعلى والأوسط للنهر وفى منطقة أومورامبا Omuramba Omatako إلى الشمال من معزل أوجيتيو Ojitu على الطريق ما بين نوروجاس Nurugas ونهر شادوم Chadum .

(٢) زهوأواس Zhu/oase (2.12) : ولا يزيد عددهم كثيراً عن خمسمائة نسمة ، يعيشون فى إقليم ناميبيا حول أجواتشاپان Gautsha Pan ! مع أمتداد إلى الشمال من نهر شادوم جنوب كاراكويسا Karakuwisa .

(٣) أوان Au // on // (2.12) : فى منطقة جانسى Ghansi فى بتسوانا ويبلغ عددهم نحو خمسة آلاف نسمة .

(٤) كوانجارى Kwangari (!O!Kung) (2.14) : ما بين ألف — خمسة آلاف نسمة يعيشون فى جنوب شرق أنجولا ، كما ينتشرون أيضاً بين قبائل البانتو المجاورين ..

٢ — لغة نجوسان n / Vsan (2.20) : فى القسم الجنوبى من منطقة جانسى Ghansi فى بتسوانا إلى الجنوب الغربى من أوكوا Okwa وفى أقليم ناميبيا بالقرب من الحدود مع بتسوانا .

٣ — لغة آيو Auo / (2.30) : ولها عدة لهجات وتتحدث بها عدة قبائل هى : —

---

(١) Westphal, E.O.J. : "The Non-Bantu Languages of Southern Africa". In : Handbook of African Languages of North-Eastern Africa, by : Tucker, A.N.; Bryan, M.A. London, Oxford Univ. Press, 1956, p. 162.

* أنظر خريطة (٥).

(١) آيني Auni / (2.31) : فى معزل جمسبوك Gemsbok الوطنى فى الوادى الأدنى لنهر نوسوب Nossop فى جنوب أفريقيا ، وفى غرب منطقة كجالاجارى Kgalagari الواقعة إلى الغرب من لهوتوتو Lehututu بالقرب من حدود بتسوانا .

(٢) ايكيوسى Kikusi ≠ (2.32) : فى معزل جمسبوك الوطنى مع آينى فى ذات الموطن فى مكان جنوب الخط الممتد بين لهوتوتو وكاكيا Kakia فى بتسوانا .

(٣) كاكيا Kakia (2.33) : يبلغ عددهم نحو ٢١٥ نسمة يعيشون حول كاكيا الواقعة جنوب بتسوانا إلى الشمال من نهر مولوبو Molopo فى معزل باكهاتلا Bakhatla .

٤ – لغة كهومانى Khomani ≠ (2.40) : ولها عدة لهجات : –

(١) كهومانى Khomani ≠ (2.41) : تسود مع لهجة آينى فى معزل جمسبوك .

(٢) انجيكى n!ke // (2.42) : تسود فى منطقة واسعة جنوب أسكهام Askham وحول ابنجتون Upington .

هذا وتزاول البرجداما Bergdama الخدمة عند الرعاة الهوتنتوت أو بانتو الهـيريرو Herero ويغلب على مظهرهم الصفات الزنجية أكثر من الصفات الكيبوانية (١). وقد بلغ عدد البوشمن فى معزل بامانجواتو Bamangwato فى بتسوانا (طبقاً لتعداد ١٩٤٦) ٩٥٨٧ نسمة (٢) ، ويعيش فى هذا المعزل أيضاً جماعات من الهوتنتوت معظمها تتحدث لغة تشو Tshu (٣) .

---

(١) Murdock, P.G. : Africa, p. 53.

(٢) Westphal, E.O.J. : "The Non-Bantu Languages of Southern Africa, p. 161.

(٣) Loc. cit.

وتعتبر قبيلة باستارد Bastard(*) وهو الاسم الذى أطلقة سينر .Seiner, F على قبائل بوشمن كلهارى (١) من أقوى قبائل البوشمن فى بنية الجسم (٢) .

ومن جماعات البوشمن التى مازالت فى حاجة إلى الدراسة إذ لا يعلمْ عنها إلا القليل الجماعات التالية (٣) : —

١ — جماعة ناميب (E o1) Namib

٢ — جماعة نوسوب (E o2) Nossob

٣ — جماعة ليمبوبو Limpopo (كاتيا Kattea) (E o3)

٤ — جماعة زمبابوى (E o4) Zimbabwe

٥ — جماعة ناتال (E o5) Natal

٦ —بوشمانلاند Bushmanland (E o6) فى شمال غرب الكيب .

هذا ومن الجماعات التى أنقرضت حديثاً من البوشمن جماعة متجولو الشواطئ Strandloopers ويعنى اسمهم المتجولين إذ كانوا يعيشون على الساحل الغربى لقاطعة الرأس وكانوا نموذجاً فريداً على التأقلم مع البيئة الساحلية (٤) .

القبائل الهوتنتوتية :(*)

يصل عدد الهوتنتوت الحاليين إلى نحو ٢٤ ألف نسخة يعتبرن أسلاف « ملونوا الكيب Cape Coloured » وذلك عند اختلاطهم بالأوربيين أو بالهنود،

(*) من Buschleute (ألمانى) — ابن زنا

(١) Schapera, I. : The Koisan Peoples of South Africa. London, Routledge, 1930, p. 54.

(٢) Ibid, p. 58.

(٣) Westphal, E.O.J. : "The Non-Bantu Languages of Southern Africa", p. 165.

(٤) Seligman, C.G. : op. cit., p. 11.

* يعنى اصطلاح هوتنتوت Hottentot (Ottentot) « الناس الذين يتحدثون لغة الطقطقات » وقد دخل هذا المصطلح اللغة الأنجليزية مع نشر تقرير رحلة جان ربيك إلى جنوبأفريقيا عام ١٦٥١.
(Oxford Dictionary, Oxford, Clarendon, 1933, p. 414).

وهم الذين يطلق عليهم تعبير : « الرحبوت الخلاسيين Rehaboth half-breeds » أو Griqua (١) .

ويمكن تقسيم جماعات الهوتنتوت إلى الجماعات والقبائل التالية طبقاً للغات واللهجات التى يتحدثون بها (٢) : —

١ — لغة كهوى Khoi (2.10) ولها لهجات تتحدث بها القبائل التالية :

(١) ناما Nama (2.11) أونامان Naman أوناماكوا Namakwa ، وجماعة أدم كوك التى تقطن شرق أقليم الكارو Karroo وجنوب مقاطعة أورانج الحرة ، وجماعات الملونين المختلطين بالهوتنتوت فى مقاطعة الرأس وفى أقليم ناميبيا وهم الذين يتحدثون الآن الأفريكانية Afrikaans وتدخل فيها أيضاً جماعات البوشمن التى تسمى كاكويا Kakuya ، وهيكوم Heikom ، وسآن Saan التى تتحدث لهجة من لهجات الهوتنتوت .

(٢) أكورانا Ikorana (2.12) فى مقاطعة غرب جريكوالاند Griqaland حول كمبرلى فى جنوب أفريقيا ، ولا يتعدى عددهم ٥٠ فرداً فقط .

(٣) جركوا Grikwa (2.13) فى منطقة شرق جريكوالاند فى جنوب ناتال حول كوكستاد Kokstad ويكاد تكون هذه اللهجة قد أنقرضت .

٢ — لغة نهاورو Nhauru (2.20) : تتحدث بها قبيلة نهاورون Nhaurun التى تعيش فى منطقة جهانسى Ghansi فى بتسوانا ، وكان يبلغ عددهم نحو ثلاث آلاف نسمة من بين ٤٨٩٠ نسمة هم سكان هذه المنطقة طبقاً لتعداد عام ١٩٤٦ .

---

(١) Montagu, Ashely : An Introduction to Physical Anthropology, 3rd ed., Springfield, Charles Thomas, 1960, p. 430.

(٢) Westphal, E.O.J. : "The Non-Bantu Languages of Southern Africa", p. 159—162.

** أنظر خريطة

٣ — لغة كوى Kwe (2.30) : ولها لهجتين هما :—

(١) دميسا Demisa (2.31) : ويتحدث بها جماعة دميسان Demisane (نحو ١٠٠ فرد) وهم يقطنون حول كانيو Kanyu فى بتسوانا ما بين ماكاريكارى Makarikari ونجامى Ngami .

(٢) تشوماكوى — شواكوى Tshumakwe-Shuakwe (2.32) وتتحدث بها جماعة تشوماكوى Tshumakwe (نحو ٢٠٠ فردا) ويقطنون إلى الشمال من ماكاريكارى ما بين أودياكوى Odiakoe وناتا Nata وجماعة شواكوى Shuakwe (نحو ٢٠٠ فردا أيضا) ويعيشون حول ناتا على نهر ناتا إلى الشمال من مكاريكارى .

٤ — لغة تشو Tshu (2.40) : ولها لهجتين هما :

(١) هيوتشيووايو Hiotshuwau ,(2.41) : وتتحدث بها قبيلة هيوتشيوارى Hiotshuari ويطلق عليهم أحيانا « بوشمن تاتى Tati Bushmen » وتقطن إلى الشرق من ماكاريكارى ما بين موسيتسى Mosetsi وفرانكيستاون Francistown .

(٢) هايتشيوايو Haitshuwau (2.42) : وتتحدث بها قبيلة هايتشيوارى Haitshuari وتقطن منطقة الحدود ما بين بتسوانا وزمبابوى (روديسيا الجنوبية).

هذا وتعيش الكورانا Korana التى تعتبر نمطا من الهوتنتوت (١) فى المنطقة الوسطى من جمهورية جنوب افريقيا ، كما تعيش الناماكا Namaca فى الشمال الغربى (٢) ، ويبدو أن الهوتنتوت قد جاءوا نتيجة اختلاط البوشمن من جماعات حامية هم الذين أخذوا عنهم الصفات والسمات اللغوية والثقافية التى تميزهم عن البوشمن (٣) .

القبائل المتناثرة :

هناك بعض القبائل المتناثرة التى تحمل بعض الصفات الكيبوانية فى تكوينها

---

(١) Coon, C.S. : The Oiigin of Races, p. 630.

(٢) محمد رياض ، كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، ص ٥١٧

(٢) Montagu, A. : op. cit., p. 430.

المورفولوجى وهى بذلك يمكن أن تعتبر حفريات حية لهذه المجموعة البيولوجية منتشرة فى أرجاء الوطن القديم الذى كان يمتد فيغطى معظم شمال وشرق القارة الأفريقية .

ومن أهم هذه القبائل فى شمال أفريقيا الحراثون Haratin الذين يمثلون طبقة دنيا من قبائل البربر وقبيلة الداوودا Dawwada (Duwwud) ، وهما جماعات من أخرى كثيرة ، ترى هنا وهناك فى الصحراء الأفريقية (١) لوحة ٢ —

وتعيش الداوودا Dauada فى شرق وسط الصحراء الكبرى فى منطقة تبعد إلى الشمال الغربى من واحة مرزوق بنحو ٦٠ ميلا وذلك بجوار ثلاث بحيرات شديدة الملوحة فى صحراء أوبارى Erg Oubari ، هذا ويبلغ عددهم نحو ٤٠٠ نسمة فقط ، ويعيشون على زراعة النخيل وجمع ثمارها كما زاولون بعض الرعى (٢).



لوحة ٢ — وجه فتى من البربر ووجه امرأة من الداوودا من سكان الصحراء الكبرى يلاحظ السمات البوشمنية

(عن كون : السلالات الحالية)

(١) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 117—118.

(٢) Briggs, L.C. : op cit , p. 69

والجدير بالاشارة أن انتشار أفراد قبيلة الداوودا في الصحراء الكبرى ، قد انتشر شرقا إلى الواحات المصرية ، فقد عثرت بعثة قسم الأنثروبولوجيا بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة إلى الواحات البحرية وواحةالفرافرة في ديسمبر سنة ١٩٧٨ في الباويطي حاضرة الواحات البحرية على مجموعة من هذه القبيلة (لوحة ٣ ، ٤ وهي للشيخ أبو ليفة عمدة الباويطي(*) .

وتنتشر السمات الكيبوانية أيضا بين القبائل Kabyles والريفيين Rifians من أهالي شمال أفريقيا ، وهي تظهر خاصة في الوجه المسطح flattish والأنف الأفطس ذي القنطرة المنخفضة ، والشفاه المقلوبة ، والأذن البوشمنية ، وبعض الصفات الأخرى المغولية مثل ثنية العين المغولية ، التي تظهر خاصة بين السوسي Soussi (١) .



لوحة ٣ ـ الشيخ ابوليفة عمدة الباويطي من قبيلة الداوودا
(تصوير الباحث في ٢٢ ديسمبر ١٩٧٨)

(*) يجب متابعة دراسة هذه الجماعة في الواحات البحرية ، دراسة انثروبولوجية تفصيلية دقيقة ، خاصة وأنه يذكر هناك في الباويطي ، أن الاوودا فيها ، يمثلون أقدم أهلها (نقلا عن كبار السن هناك للباحث شخصيا أثناء اشرافه على بعثة القسم المشار إليها) ، كما أن أقرب العائلات إليهم هناك(عائلة الحدادين) جديرة كذلك بالدراسة .

(١) محمد رياض ، كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، ص ٢٠٥



لوحة ٤ ـ السمات الكيبوانية واضحة على الشيخ اوليفة
(تصوير الباحث فى ٢٢ ديسمبر ١٩٧٨)

ومن القبائل التى تنتمى أيضا إلى المجموعة الكيبوانية سلاليا والخواسانية ثقافيا جماعتين صغيرتين فى تنجانيقا (الاقليم القارى من تنزانيا) ، هما :

١ ـ السانداوى Sandawe وهى تشبه جماعات الهوتنتوت ، وكان يبلغ عددهم ٢٣,٣٦٦ نسمة (تعداد ١٩٤٨) ، ويعيشون فى منطقة كوندوا Kondoa ما بين نهرى بوبو Bubux و مبوندى Mponde (١) .

٢ ـ هادزا Hadza (الكندجا Kindega) : وهى تدخل ضمن جماعات البوشمن ، وتتكلم بهذه اللهجة الهادزابى Hadzabi ، ولا يتعدى عددهم عدة مئات قليلة ، يعيشون فى منطقة كوندوا Kondoa ، ومبولو Mbulu بجوار بحيرة أياسى Eyasi خاصة إلى الغرب منها (٢) .

وهناك قبيلة أخرى تحمل بعض الصفات الكيبوانية (خاصة الهوتنتوتية) تلك هى قبيلة نياتورو Nyaturu من بانتو تنجانيقا ، وهى تجاور السانداوى ، وقد تبادلت معهم الجينات وإن كانوا من الناحية المورفولوجية وسط بينهم وبين زنوج غرب افريقيا ، وتوجد أيضا قبيلة التاتوجا Tatogo ، التى انتقلت إليها بعض الجينات الكيبوانية مثل النياتورو فى عصور متأخرة نتيجة تبادل نساءالسانداوى بماشية من هاتين القبيلتين (٢) .

(١) Westphal, E. O.J. : op. cit., p. 158

(٢) Coon, C.S. : The Living Races of Man ,p. 115

وغالبا أن هذه القبائل تمثل بقايا استقرت أثناء حركة سابقة لأسلاف المجموعة الكيبوانية من الشمال إلى الجنوب ، وذلك أكثر من اعتبارها امتدادا لهم نحو الشمال ، إذ أن هذا عكس تيار أهم حركة للهجرة فى شرق أفريقيا (١) ، وبدليل الرسوم البوشمنية المنتشرة على الصخور فى هذه المناطق (٢) ، وفى هذا دليل آخر على رجحان نظرية الأصل الشمالى على نظرية الأصل المحلى السابق الاشارة اليهما .

وهنا قبيلة الكويكا Koyka على ساحل أنجولا وهى تشبه البرجداما فى كونها جماعة من البوشمن مورفولوجيا ولغوياً ، ورغم إختلافهم فى المظهر عن البانتو الا أنهم يشبهونهم فى نظامهم الاقتصادى المعتمد على الماشية ، وعلى ذلك فأنهم أقرب فى النمط المعيشى والإقتصادى الى الهوتنتوت أكثر من قربها من البوشمن ، وهم بذلك يمثلون جماعة ذات تماثل مزدوج بين كل من البوشمن والهوتنتوت .

الصفات المورفولوجية

تتشابه إلى حد بعيد جماعات المجموعة الكيبوانية فى صفاتهم الفيزيقية ، فلا تكاد توجد فروقا مورفولوجية كثيرة بين البوشمن والهوتنتوت (٣) ، بل أن الجماعات الكيبوانية المنفصلة مثل السانداوى والهاتسا مازالت تحتفظ بمميزاتها الكيبوانية رغم احاطتها بجماعات بانتوية من جميع الجهات ، ورغم وجود موطنها فى تنجانيقا قرب طريق المواصلات الرئيسى بين الساحل والداخل (٤) ، والمعتقد أنه كان لكل من الظروف الجغرافية والاجتماعية والتاريخية دور بارز فى العزلة التى تحياها كل من هاتين القبيلتين ، ويبدو أن هذا هو السبب الظاهر (٥) فى استمرار احتفاظهم بمميزاتهم الكيبوانية .

(١) محمد عبد الغنى سعودى : هجرة العمالة فى شرق أفريقيا ». فى : المجلة الجغرافية العربية . السنة الخامسة ، العدد الخامس ، ١٩٧٢ ، ص ٣٧ — ٧٣ .

(٢) Coon, C S : The Origin of Races, p. 648.

(٣) محمد رياض ، كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، ص ٢٠٢

(٤) محمد عبد الغنى سعودى : المصدر السابق ، ص ٣٧ — ٧٣

(٥) نفس المصدر .

وقد تعددت البحوث التى أجريت على هذه السلالات فى شتى مجالات الدراسة(١) بما فى ذلك المجالات الحديثة مثل أنماط البصمات (٢) وغيرها ، هذا وقد أوضحت الدراسات الميدانية التفصيلية عظم التباين الواضح للصفات التشريحية والفسيولوجية بين هذه الجماعات وبين سائر الجماعات السلالية الأخرى (٣) ، وذلك على أساس أنها تحمل صفات مركبة من المجموعة الزنجية (الكونجولية فى تصنيف كون) والمجموعة المغولية ، لذا فقد صنفها كثير من الأنثروبولوجيين كسلالة أولية وبدائية (٤) .

وتتأثر الصفات البوشمنية كثيراً بالعوامل الأيكولوجية المحلية وذلك بدليل أختلاف القبائل الشمالية منها عن مثيلاتها فى الجنوب(٥) ، وان كان يصعب وضع حدوداً فاصلة بينها على أساس الأختلافات الأنثروبومترية .

الصفات الأنثروبومترية :

تعتبر البحوث الأنثروبومترية أفضل الوسائل للدلالة المورفولوجية رغم كونها تاريخية المظهر (٦) ، وفى هذا المجال يمكن القول أن القامة Stature تعتبر أهم المميزات العامة الظاهرية لهذه السلالة ، فهى قزمية ، لذا أعتبر البعض الكيبوانيين على صلة قرابية بالأقزام (٧) ، وكان أساس هذه الفكرة إرتفاع القامة أولا ثم شكل الشعر المفلفل ثانياً (٨) ، وبعض الصفات الباطنية الأخرى .

---

(١) Thomas, C.J. : "Incidence of Primary O Rugae in Bushman Juveniles "In Journ. of Dental Research, Vol 51, No 2, 1972, p. 676.

(٢) Blecher, S.R. : "Dermatoglyphics of the Pandamatenga Bush-Bantu Hybrids". In : Human Heredity. 1972, 22 (2), p. 149—170

(٣) Heniz, H.J. : "The Ethno-Biology of Iko Bushmen ; The Anatomical and Physiological Knowledge "In : South African Journ. of Science 1971, Vol. 67, No. 2, p; 43—50.

(٤) Hooton, E.A. : Twilight of Man. New York, G.P. Putman, 1939, p. 99.

(٥) Schapera, I : The Khoisan peoples of South Africa, p. 59

(٦) Murdock, G.P. : Africa. Its Peoples and Their Culture History p. 7

(٧) Hooton, E.A. : Up From the Ape, p. 539.

(٨) Ibid, p. 630.

وتقل قامة البوشمن عن ١٥٠ سم (أقل من ٦٠ بوصة) ،بل يدور متوسطها عادة حول ١٤٤ سم (٥٦,٧ بوصة) ، أما الهوتنتوت فقامتهم أكثر ارتفاعاً (> ١٥٠) غالباً (١) .

تظهر الصفات الطبيعية للبوشمن بوضوح عند بوشمن جنوب نهر مولوبو Molopo الذين يتميزون بدرجة نقاء كبيرة حيث زاد اختلاط القبائل شمالها بدرجات متفاوتة مع السلالات الأخرى .

جدول ٤ — يبين ارتفاع القامة عند بعض قبائل البوشمن (٢)

القبيلة/المنطقة	الجنس	N	X̄	Min.	Max,	الباحث
ايكونج	♂	٧٤	١٥٦,٤	١٤٢,٢	١٧١,٣	سينر
Ikung	♀	١٨	١٤٨,٢	١٣٨,٢	١٥٨,٣	Seiner
اوكونج	♂	٢٢	١٥٩,٣	١٤٥,٥	١٧٠,٠	مس بليك
Okung	♀	٢٢	١٤٨,٨	١٣٥,٠	١٥١,٣	Miss Bleek
(أنجولا)	♂	٦	١٤٤,٤		١٤٦,٠	فريدش
شمال نهر	♀	٥	١٤٤,٨			Fritch
مولوبو Molopo	♂ ♀	٤١	١٤٥,٠		١٤٦,٠	فون لوشان Von Luschan
نارون Naron	♂ ♀	٥٠	١٥٧,٠	١٤٩,٠	١٦٧,٠	Schinz شينز
نارون في ساندفونتين	♂	١٦	١٥٧,٠			دووري
Sandfontein	♀	١٣	١٥٠,١			Drury
هيكوم	♂	١٥	١٥٢,٥	١٤٨,٦	١٦٨,٣	Sciner سينر
Heikum	♂	١٤	١٥٥,٣			ورنر
	♀	١٧	١٤٩,٧			Werner
أيـن	♂		١٥١,٥	١٤٧,٠	١٦٢,٠	كوفمان
Auen	♀		١٤٥,٥	١٣٨,٠	١٥٣,١	Kaufman

(١) Ibid, p. 628—629.

(٢) Schapera, I : Khoisan peoples of South Africa, p. 51—52.

والمعتقد أن رقم ١٤٥ سم هو أنسب تقدير لمتوسط إرتفاع القامة ، وأن كان الأمر يتطلب مزيداً من التحديد بالنسبة لكل جنس (١) . والملاحظ وجود تباين واضح بين الجنسين وداخل كل منهما فيما بين القبائل المختلفة ، فالمدى بين الذكور من ١٥٢—١٥٩ وبين الإناث من ١٤٥—١٥٠ ، كما يلاحظ أن أقل متوسط قامة يوجد فى الجنوب (أين Auen)والأكبر يوجد فى الشمال (أيوكونج Ikung) ويزداد أرتفاع القامة كلما أتجهنا شمالا من نهر مولوبو ، ويرجع معظم الباحثين ذلك إلى تباين ظروف البيئة ، مع أن هذا يزيد تفسير الحالة صعوبة ، حيث أن البيئة فى الشمال فى صحراء كلهارى أكثر صعوبة من مقاطعة الكيب فى الجنوب ، وعلى ذلك يفضل أرجاع صفة قزمية القامة فى بوشمن الجنوب إلى أصل الصفات السلالية بينما الميل إلى تزايد أرتفاع القامة فى المناطق الشمالية إلى تأثير الأختلاط الذى يظهر أثره أكثر فى لون البشرة . (٢) (جدول ٤)

وبينما تصل القامة بين البوشمن الشماليين إلى ١٥٨ سم (٦٢ بوصة) فى المتوسط نجد أنها تزيد قليلا عن ذلك (١٦٠ سم = ٦٣ بوصة) فى المتوسط عند الهوتنتوت المعتمدين فى حياتهم على الماشية وألبانها ، بل أن المدى يظهر أكثر إذ ما ذكرنا أن قامة البوشمن الجنوب الأكسام Xam (لا تتعدى فى المتوسط ١٢٠ سم= ٥٨ بوصة) للشاب البالغ (٣) . هذا وقد أتضح عند دراسة السلالة الخلاسية من الهوتنتوت والبانتو أن القامة أكثر ارتفاعاً فى الأبناء عن الأبوين ، كما يبدو النتاج أكثر حيوية وخصوبة (٤)

والملاحظ أن أفراد قبائل الهوتنتوت يتشابهون فى سماتهم الظاهرية أكثر من أفراد البوشمن الذين يتمايزون فيما بينهم أكبر مما عند الهوتنتوت الذين يتميزون بالقامة المتوسطة الارتفاع ، وقد أجرى شولتز Schultz, A.H. (١٩٠٧) بعض القياسات على أفراد (عددهم ٧٣ من الذكور) من النامان Naman توصل منها : أن متوسط ارتفاع القامة : ١٦٢,٤ سم (المدى ١٥٠,٥ — ١٧٦,٥) ، بينما أتضح

(١) Ibid, p. 51

(٢) Ibid, p. 53

(٣) Murdock, P.G. : op. cit., p. 8

(٤) Hooton, E.A. : Up From the Ape, p. 657.

له من فحص ٢٧ امرأة أن المتوسط هو ١٤٩,٧سم (المدى ١٣٥,٥–١٦٢,٥) ، وقد دلت القياسات التي أجراها بعض الباحثين الآخرين على قبائل عدة من الهوتنتوت على صحة هذه القياسات للتعبير عن هذه الجماعة (١) . وعلى ذلك فان الهوتنتوت أطول قامة من بوشمن الكيب ومن بوشمن الشمال الغربي بينما هم من ناحية أخرى أصغر حجما من بوشمن الشمال الشرقي وأقل قامة (٢) من رواد الشواطئ Strandloopers أصحاب القامة الأكثر ارتفاعاً ، ومن السانداوى الذين تصل قامتهم إلى ١٦٢,٥ سم (٦٣ بوصة) (٣) .

أما عن بقية الجسم فتتميز بالقوة إذ أن عضلاته طويلة منتفخة وذات ألياف قصيرة على عكس الزنوج والأقزام (٤) ، والقامة بعامة نحيفة (٥) ، ويتشابه البوشمن والهوتنتوت في بناء الجسم ، وأجسام الهوتنتوت بعامة انسيابية والأطراف نحيلة جداً وتندر العضلات القوية النامية ، والأطراف السفلى أكثر طولا بالنسبة للجزع (٦) Trunk (المعامل cromic index < ٥١) ، رغم أن الأزرع من ناحية أخرى قصيرة ، والأيدى والأقدام صغيرة وضيقة مثل ما عند البوشمن وعظم العجز صغير ، وقد يبرز عندما يكون عظم الحوض كبيراً (٧) . وتبدو الأزرع والأرجل طويلة بالنسبة للجزع ، ربما كمثال لقاعدة « ألن Allen's Rule » (٨) التي تتمثل في سكان المناطق الحارة(٩) ، لذا يمكن القول بعامة أن الجسم والأطراف

---

(١) Schapera, I. : The Khoisan peoples of South Africa, p. 60

(٢) Loc. cit.

(٣) Trevor, J.C. : "The Physical Characters of the Sandawe. "In : J.R.A.I. Vol. 77, Part I, 1947, p. 61—79.

(٤) Coon, C.S. : The Living Rsces of Man, p. 111

(٥) محمد رياض ، كوثر عبد الرسول : المصدر السابق ص ٢٠٢ .

(٦) Goldsby, Richard A. : op. cit., p. 45

(٧) Schapera, I : op. cit., p. 62.

(٨) وهى : « ملاحظة أن أطراف بعض الحيوانات ذات الدم الدافئ تميل إلى أن تكون أطول وأنحف في المناطق الحارة أكثر منها في المناطق الباردة » .

(٩) Montagu A. : An Introduction to Physical Anthropology. 3rd. ed. Springfield, Charles C Thomas, 1960, p. 426

نحيلة (١) ، مع ملاحظة أن الهوتنتوت أكبر حجماً فى أجسامهم من البوشمن (٢) .

بالجدير بالذكر أن نسب أبعاد الجسم عند أفراد المجموعة الكيبوانية أقرب إلى نسب أفراد المجموعة المغولية منها إلى أفراد المجموعة الكونجولية ، فالأطراف خاصة السفلى منها قصيرة ، والأيدى والأقدام صغيرة ، والظهر مستقيم حيث أن العمود الفقارى قليل التقوس ، وبعامة فانهم أكثر شبها بالمغولانيين من القوقازيين بالاستراليين (٣) .

وتميل رأس البوشمن دائماً نحو الاستطالة dolichocephaly والمعامل (متوسطة ٧٨) ، وهى دائماً أكبر من ٧٥ ، وهى أعرض وأكثر انخفاضاً من رأس الهوتنتوت ، كما تتميز ببروز العظم الجدارى Parintal bones ، وببروز عظم القزال Occipital bone أكثر مما عند البوشمن (٤). ويلاحظ التباين الجغرافى من مكان إلى آخر حيث يتميز رأس بوشمن ناميبيا على الشاطئ بأنها أكبر نسبياً من رأس بوشمن الكيب (٥) .

جدول ٥ — يبين متوسط بعض المقاييس المترية للرأس والأذن لعينة من البوشمن (٦)

الصفة / الجنس	N	Head الرأس			Ear الأذن		
		الطول	العرض	المعامل	الارتفاع	العرض	المعامل
♂	١٤	١٨٥,٥	١٤٠,٤	٧٥,٥٩	٥٥,٣	٣٢,٦	٨٧,٩٥
♀	٤	١٧٦,٠	١٣٦,٠	٧٧,٥١	٥١,٧	٢٧,١	٧٨,٨٠

(١) Murdock, P.G. : op. cit., p. 8

(٢) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 113

(٣) Ibid, p. 14

(٤) Hooton, E.A. : Up From the Ape, p. 628—629

(٥) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 646

(٦) Gates, R. Ruggles : "Forms of Hair in South African Races". In : Man, Vol. 57, N. 98, June 1957, p. 81—83.

ورأس الهوتنتوت بعامة طويلة أيضاً وضيقة ومنخفضة ، وهى أطول مما عند بوشمن الكيب ، وأقل ضيقاً وارتفاعاً منهم كذلك . وقد أتضح من القياسات التى أجراها شولتز Schultz, A.H. على بعض ذكور الناما (عددهم ٧٣) أن أقصى طول للرأس كان ١٩٢ مم ، والعرض ١٤٠ مم ، والارتفاع ١١٦ مم ، بينما عند ١٤ فرداً من البوشمن (معظمهم من جنوب كلهارى) كانت قياساتهم : ١٨٧ مم ١٤٢ مم ، ١١٣ مم على التوالى ، وقد إتضح له أن متوسط معامل الرأس للهوتنتوت هو ٧٢,٩ (المدى ٧٨,٥–٦٧,١) وعند البوشمن ٧٢,٨ (المدى ٧٨,٢–٧٢,٩)، وبينما ٥٧ ٪ من البوشمن متوسطو الرأس mesocophalic نجد أن الـ ٤٣٪ الباقية طويلة dolicocephalic ، ونجد أن ١٥٪ من الهوتنتوت متوسطو الرأس ونجد أيضاً أن الـ ٨٥٪ الباقية طويلة وطويلة جداً hyperdolicocephalic (١) .

ومعامل طول– ارتفاع الرأس Altitudinal Index متشابه لدى كل من البوشمن والهوتنتوت٦٠,٣ (Orthocephali)(*) ،ولكن يقابل انخفاض الرأس عند البوشمن صغر طول الرأس (جدول ٦) ، ويظهر التباين الواضح بالنسبة لمعامل عرض– ارتفاع الرأس حيث نجده عند الهوتنتوت ٨٢,٨ بينما هو عند البوشمن ٧٩,٥(٢).

ويصل معامل رأس H.I. السانداوى إلى ٧٥ ، فهى تشبه البوشمن ، ولكنها أكثر ارتفاعا مما لدى الهوتنتوت والذين يشبهونهم غالبا (٣) .

وإذا ما تتبعنا صفات الجمجمة (الرأس) أكثر ، يتضح مدى الصلة القوية بين أفراد المجموعة الكيبوانية وبين انسان البوسكوب الحفرى ، ذلك أنه من أهم الصفات البوسكوبية الأبعاد الكبيرة للرأس (الطول ١٩٠ مم والسعة ١٥٠٠سم) ،

---

(١) Schapera, I. : The Khoisan peoples of South Africa, p. 61

(٢) Gates, R.R.: op. cit., p. 81—83.

* مدى هذه النسبة من هذا المعامل على الأحياء هو ٥٧,٧ – ٦٢,٥ (فاروق عبد الجواد شويقة : « تقدير أهم الصفات الأنثروبومترية على الرأس والجمجمة » . فى : المجلة الجغرافية العربية ، مج ٩ ، ١٩٧٦ .

(٣) Gates, R.R. : op. cit, p. 81—83

(٤) Trevor, J.C. : op. cit., p. 61—79

جدول ٦ — يبين بعض صفات الرأس لعينة من البوشمن (١)

الصفة / الجنس	شكل الجمجمة: N	مستديرة: عدد	مستديرة: ٪	خماسية: عدد	خماسية: ٪	أهليلجي: عدد	أهليلجي: ٪
♂	١١	٢	١٨,٣	٨	٧٢,٧	١	٩,١
♀	٣	—	—	٢	٦٦,٧	١	٣٣,٣

الصفة / الجنس	الوجنية Zygomatic: N	عريضة جداً: عدد	عريضة جداً: ٪	عريضة: عدد	عريضة: ٪	واضحة: عدد	واضحة: ٪	متوسطة: عدد	متوسطة: ٪	غير واضحة: عدد	غير واضحة: ٪
♂	١٢	٢	١٦,٧	٦	٥٠	٢	١٦,٧	—	—	٢	١٦,٧
♀	٣	—	—	١	٣٣,٣	١	٣٣,٣	١	٣٣,٣	—	—

الجنس	عظم الحاجب Supra-orbital-Ridge: N	ثقيل جداً: عدد	ثقيل جداً: ٪	ثقيل: عدد	ثقيل: ٪	واضح: عدد	واضح: ٪	بسيط: عدد	بسيط: ٪	موجود: عدد	موجود: ٪	غير واضح: عدد	غير واضح: ٪	غير موجود: عدد	غير موجود: ٪
♂	١٤	١	٧,١	١	٧,١	٣	٢١,٤	٣	٢١,٤	٣	٢١,٤	٢	١٤,٣	١	٧,١
♀	٤	—	—	—	—	—	—	٢	٥٠	—	—	—	—	٢	٥٠

(١) Gates, R.R. : op. cit., p. 81—83



لوحة ٥ ــ المنظر الجانبى لوجه فتى والمنظر ٤/٣ لوجه فتاة ، والاثنين من البوشمن
(عن مونتاجو : مقدمة الانثروبولوجيا)

وكانت من النوع الطويل ، وقمتها منخفضة وذات شكل مخمس من أعلى ، والجبهة ضيقة وتعلوها « الجلابيلا » والحيدان الحجاجيان ، وعظم القزال عريض وبارز ، ومنطقة التقاء عضلات الرقبة مستوية وغالبا أفقية ، والنتوء الحلمى صغير وعلى شكل النبل Nipple ، ويعلو النتوء الحلمى supramastoid prosses حفرة ما فوق الحلمى supramastoid groove ويعلوها عرف ما فوق الحلمى supramastoid crest وترجع أهمية تفاصيل المنطقة الحلمية فوق العظم الصدغى لأنها توجد هى وغيرها كسمات مميزة فى الجماجم البوشمنية(١) .

ومن أهم صفات الوجه (لوحة ٣) أن عظمة الوجنة بارزة ، والأنف أفطس ، والجبهـــة منتفخة bulbous (ظاهرة زنجية) وعريضة وعالية ، وحفتاها قليلة النمو (٢) ، وعظمة الذقن مدببة ، والعيون ضيقة ولوزية ولكنها غير مغولية

---

(١) Galloway, Alexander : "The Characteristics of the Skull of the Boskop Physical Type. "In : American Jour. of Physical Anth. Vol. XXIII, 1937, p. 31—46.

(٢) Hooton, E.A. : Up From the Ape, p. 430

(ليست فيها الثنية المغولية Epicanthic Fold) ، وتظهر فى جماعاتهم النقية التى لم تختلط بالزنوج ظاهرة بروز الفك العلوى (١) Maxilla ، والملاحظ أن بروز الوجه Prognathous أكثر وضوحا عند الهوتنتوت(٢)، وهى ظاهرة تكاد لا تلاحظ عند البوشمن(٣) ، وفى هذا دليل على حدوث اختلاط بيولوجى مع بعض الجماعات الكونجولية (الزنجية) ، وفى هذا تأكيد أنثروبومترى على الاحتكاك الذى حدث مع زنوج البانتو وكان من نتائجه انتقال حرفة رعى الماشية إلى الهوتنتوت دون البوشمن .

والوجه مستوى ومثلث الشكل triangular وعظام الوجنية Zygomatic (cheek bone) مرتفعة ، والأنف عريض جدا (معامل الأنف > ٨٥) (٤) وفى بعض الحالات يصل المعامل إلى ١١٥(٥)، وأن كان عند الهوتنتوت أقل مما عند البوشمن(٦)، وجذر الأنف Nasal Root مسطح Flat ، والجسم Bridge عريض ومقعر concave ، والقمة Nasal tip مرتفعة ، وأطراف المنخر Nostril محمرة Flaring alae (٧) .

والوجه مغولى المظهر ، فهو ممتلىء بالشحم ومسطح وقصير ، وهو إما مربع الشكل Quadratic أو مثلث الشكل Triangular ، وناتىء pointed وأكثر عرضا euryprosopic من الهوتنتوت الذين تتميز وجوههم بالاستطالة أكثر وذات نمط مثلثى ، أما الذقن فهى متراجعة receding (٨) .

ومن الصفات الهامة ظاهرة الطفولية التى تظهر فى بعض الأطفال والنساء ولا تظهر بنفس القدر فى كثير من الرجال البالغين وهى : كروية الجبهة ،

---

(١) محمد رياض ، وكوثر عبد الرسول : أفريقيا ، ص ٢٠٣

(٢) Seligman, C.G. : op. cit., p. 16.

(٣) Montagu, Ashely : op. cit., p. 430

(٤) Hooton, E.A. : Up From the Ape, p. 628.

(٥) Murdock, P.G. : op. cit., p. 8

(٦) Ibid, p. 53.

(٧) Hooton, E.A. : op. cit., p. 628

(٨) Ibid. p. 628—629

وانخفاض جزر الأنف ، وهى من الصفات السلالية الخاصة بالمجموعة المغولية ساعدت مع لون البشرة على اعطائهم المظهر المغولانى (١).

والملاحظ بعامة أن الأسنان عند البوشمن بالتحديد صغيرة جدا حيث أنها أصغر حتى من أسنان الأقزام (٢) وتشبه تركيبيا أسنان السلالة المغولية أكثر من شبهها لأسنان السلالة القوقازية أو الزنجية أو الاسترالية (٣) .

وإذا تعمقنا فى التفاصيل نجد أنه توجد فوق الضرس الثانى العلوى second upper molar أربع أطراف مستدقة تاجية cusped crowns مثلما هو كائن على الضرس الأول بحيث لا يختلف عنه كما يحدث عند السلالات الأخرى ، وبنسب متفاوتة (توجد ثلاث أطراف فوقه فقط فى نحو ٣٠ – ٤٣٪ من القوقازيين والمغوليين ، و ٢٢٪ من الزنوج) (٤) ، هذا بينما توجد أربع أطراف (ليس ثلاثة) على الضرس العلوى الأول عنـــد الاستراليين الأصليين وجماعات من البوشمن .

فعلى أساس هذه الصفة يمكن أن تصنف المجموعة الكيبوانية مع المجموعة المغولية فى فئة category واحدة ، بينما تصنف باقى المجموعات البشرية فى فئة أخرى . ويعتقد كون، أن الفرق كبير بين هاتين الفئتين خاصة بين القوقازيين والمغوليين (٥) ، وبالأخص فيما يتعلق بالقواطع والأنياب وأن هذا التباين يرجع فى أساسه إلى الأجيال السابقة لكل من الفئتين ونحن لا نقول إلى تباين الأسلاف كما يقول .

هذا وقد أجريت دراسات ميدانية كثيرة على بعض القبائل البوشمنية بغرض

---

(١) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 112

(٢) Coon, C.S. : The Origin of Races. p. 654

(٣) Ibid., p. 364

(٤) Ibid, p. 362

(٥) Ibid, p. 364

تتبع ملائمتها مع البيئة (١) ، ومدى صلتها بزنوج البانتو (٢) ، ومع ذلك فان المجال ما زال بكرا خاصة أمام الدراسات الأنثروبومترية الحيوية (على الأحياء) على هذه القبائل ، خاصة قبل أن تنقرض أو قبل أن يزداد اختلاطها بجماعات أخرى مما يقلل من درجة تميزها وتمازها الأنثروبولوجية .

الصفات الأنثروبوسكوبية :

تتميز المجموعة الكيبوانية بصفات وصفية (أنثروبوسكوبية Anthroposcopic) كثيرة هامة . فلون البشرة يتفاوت بين البني Brown إلى الأصفر Yellow (٣)، وهو غالبا بني مصفر Brownish-yellow (٤)،إذ يبدو أنه يوجد عند أفراد هذه المجموعة جينان للون البشرة فقط هما الأصفر والأسمر Black (٥) . ويختلف لون بشرة الكيبوانيين عن الزنوج بحيث أن الأفراد منهم الذين يتصفون بلون بشرة داكن يكون أحد أسلافهم من الزنوج (٦) .

ويتفاوت لون البشرة ، فهو بين البوشمن الجنوبيين ما بين أصفر فاتح — بني مصفر ، ويوجد نفس اللون عند بعض بطون قبائل شمال مولوبو مباشرة بينما يشوبها عند البعض الآخر بعض الدكانة نتيجة بعض الاختلاط . والأين Auen ، والنارون Naron ، والكونج Kung يسود بينها اللون البني المحمر Reddish-brown مع وجود بعض الأفراد تميل إلى الاصفرار Yellow أو إلى السمرة Black ، ويوجد بين الأوكونج Iokung كما ذكرت مس بليك Miss Bleek — بعض

---

(١) Silberbauer, George: "Ecology of the Ernabella Comunity" In: Anthropological Forum. Vol. 3, No. I, 1971, p. 21—33.

(٢) Rightmire, G.P. : "Bushmen, Hottentot and South African Negro Crania Studied by Distance and Discrimination". In : American Journal of Physical Anthropology, Vol. 33,.No. 2, 1970, p. 169—190.

(٣) Goldsby, Richard A. : op. cit., p. 45.

(٤) Hooton, E.A. : Up From the Ape, p. 628.

(٥) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 107.

(٦) Gates, R. Ruggles : "Forms of Hair in South African Races". In : Man, Vol. 57, No. 98, June 1957, p. 81—83.

الأفراد ذو البشرة الداكنة المصفرة Blackish-yellow مع أنهم أفتح بعامة من البانتو المجاورين (١) ، كما ذكرت أنه نتيجة الاختلاط بين البوشمن والبانتو فان الجيل الأول للخلف يأتى أما مائلا للصفرة Yellowish أو مائلا للسمرة Blackish ، أما فى الأجيال التالية التى لا يحمل الأبوين فيها إلا تأثيرات بانتوية بسيطة تلاحظ البشرة البنية المحمرة Reddish-brown ، وهى التى تميز بوشمن الشمال عن بوشمن الجنوب ، وقد لوحظ وجود ارتباط بين لون البشرة الفاتحة عند قبائل مولوبو وبين قصر القامة ، كما لوحظ وجود ترابط آخر بين لون البشرة الداكنة وبين تزايد ارتفاع القامة فى الشمال (٢) .

وقد أوضحت دراسة وينر Weiner, J.S. أن بشرة البوشمن تعكس نحو ٤٣ ٪ من الضوء (عند درجة ضوء ٦٨٥٠ أنجستروم (الأنجستروم = ١ × ١٠ ^-٥^ مم) أى أنها تمتص نحو ٥٧٪ من الضوء وهى درجة قريبة من درجة امتصاص المجموعة المغولية (٣) ، وعلى كل فان البشرة متلائمة تماما مع البيئة الجافة الصحراوية (٤) .

وتتميز بشرة الهوتنتوت باللون البنى الفاتح المصفر ، وهو أفتح لوناً مما عند بوشمن الكيب (٥) . وبشرة البوشمن عامة جافة جداً ورقيقة وأنسجتها قليلة الشحم ، وتظهر عليها التجعيدات والثنيات والطيات العميقة ، خاصة على الوجه حتى على الشباب وذوى الغذاء الجيد (٦) ، والملاحظ أن لون البشرة يتأثر كثيراً بظروف البيئة — وهذا أمر طبيعى — ويظهر ذلك عند السانداوى فى أن لونها أكثر سمرة من السائد عند الهوتنتوت (٧) .

---

(١) Schapera, I. : The Khoisan People of South Afiica, p. 53.

(٢) Ibid, p. 54.

(٣) Weiner, J.S.; Harrison, G.A. ; Singer, R. ; Harris, R. & Jobb,W Skincolor in Southern Africa". In : Human Biology, Vol. 36, No. 3, 1964, p. 294—307.

(٤) Coon, C.S. : The Living Races of Mar, p. 111.

(٥) Schapera, I. : The Khoisan Peoples of South Africa, p. 60.

(٦) Ibid, p. 55.

(٧) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 115.

وللمجموعة الكيبوانية أكثر أنواع شعر الانسان تجعداً وتفلفلا(*) حيث يتجمع في بقع كثيرة متناثرة على الرأس بحيث يترك مساحات خالية كثيرة (١) أى مثل حبات الفلفل ، وشعر الرأس قلما يطول إذ سرعان ما يتقصف ، واللحى متوسطة النمو ، أما شعر الجسم فقليل جداً (٢) بحيث لا يوجد إلا فى أماكن معينة حيث يغزر فيها مثل فروة الرأس Scalp ، والحواجب Eyebrow ، والملاحظ أنه إذا نمت بعض الشعيرات المتناثرة فوق موضع اللحية والشنب فانها تكون خفيفة .

والشعر أسود اللون ، ولا يصبح رمادياً إلا عند الأفراد كبار السن جدا ، والمشيب نادر للغاية حتى عند المتقدمين فى السن ، والشعر غالباً رفيع Fine (٣) . وهو عند السانداوى أقرب إلى الصوفى منه إلى المفلفل (٤) .

الشفاة غليظة ومقلوبة (٥) وقليلة النتوء (٦) . فتحة العين ضيقة مستطيلة لوزية الشكل ، وغالباً ما توجد ثنية فوق زاوية العين الداخلية (٧) Internal Epicanthic Fold. ، والعين ذات جفون ضيقة وسميكة بالدهن مثل عين الأسكيمو (٨) ولون العين يتفاوت ما بين البنى الداكن إلى الأسود (٩) .

هذا ويعتبر وجود ظاهرة الثنية المغولية Mongoloid Fold (epicanthic) عند البوشمن والهوتنتوت من الظاهرات المحيرة (١٠) ، ولكن يبدو أنه كما أن

---

* قطاعه أهليليجى (قطع ناقص) elliptical الشكل .

(١) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 13.

(٢) Goldsby, R.A. : op. cit., p. 45.

(٣) King, James C. : The Biology of Race. New York, Harcourt Brace, 1971, p. 152.

(٤) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 115.

(٥) Hooton, E.A. : op. cit., p. 628.

(٦) Murdock, P.G. : Africa, p. 8.

(٧) Hooton, E A. : op. cit., p. 628.

(٨) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 111.

(٩) Hooton, E.A. : op. cit., p. 628.

(١٠) Ibid., p. 512.

أصحاب البشرة السوداء ليسوا بالضرورة من أصل زنجي ، كذلك أصحاب الثنية المغولية ليسوا أساساً من أصل مغولي (١) .

ويحاول بعض الدارسين (٢) استبعاد المظاهر المغولية من السمات الكيبوانية على أساس أنها من المظاهر الخادعة ، ولكن يصعب ذلك إذا ما عرفنا أن الكيبوانيين يحملون مظاهر مغولية أكثر من المظاهر الزنجية (٣)، ومما قيل فى هذا المجال ما ذكره توبياس Tobias P.V. (٤) من أن الصفات المغولية عند البوشمن ما هى الا صفات عرضية .

وتعتبر الأذن Ear من أوضح الصفات المميزة للمجموعة الكيبوانية ، فهى مربعة الشكل وقصيرة وعريضة وذات فجوة واسعة عميقة (٥) ، والصوان شديد الألتواء (شكل ٢) وتقترب حافته العليا من الرأس بل وأحياناً تلتصق بها، وهى غالباً ما تكون أفقية حيث تكون زاوية قائمة تقريباً مع الحافة الخارجية ، أما الشحمة Lobule فصغيرة جداً أو منعدمة ، ولا توجد نقطة دارون Darwin's point عليها ، وهى فى هذا تختلف عن الأذن الزنجية التى هى من النمط الصغير والمستدير وذات شحمة صغيرة أو منعدمة (٦) .

ومن أهم الصفات الوصفية أيضاً ظاهرة البروز الشديد للعجز وتشحمه (٧) وهى ما تعرف باسم Steatopygia ويسمى المئزر الهوتنتوتى Hottentot apron وتظهر نتيجة له تضخم الأرداف والعجز Buttocks (٨) (لوحة ٤) ، وتلك

---

(١) Garn, Stanley M. : Human Races, 2nd ed., Springfield, Chales & Thomas, 1969, p. 36.

(١) Howells, W.W. : Mankind so Far, New York, Doubleday Dran, 1945, p. 278.

(٣) Hooton, E.A. : op. cit., p. 630.

(٤) Tobias, Phillip V. : "Bushmen of the Kalahars". In : Man, Vol. 36, 1957, p. 4 ff.

(٥) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 113.

(٦) Hooton, E.A. : op. cit., p. 521—522.

(٧) Cates, R. Ruggles : op. cit., P. 81—83.

(٨) محمد رياض ، كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، ص ٢٠٢ .

جدول ٧ — يبين بعض الصفات الأنثروبوسكوبية عند الجماعات الكيبوانية(١)

الصفة / الجنس	ثنية العين							شحمة الأذن												
	N	علوية		جانبية علوية		غير موجودة		N	كبيرة		موجودة		صغيرة		صغيرة جداً		طليقة		غير موجودة	
		عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪		عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪
♂	٩	٧	٧٧,٨	١	١١,١	١	١١,١	١٤	١	٠,٧	١	٠,٧	—	—	٢	١٤,٣	١	٠,٧	٩	٦٤,٣
♀	٢	٢	١٠٠	—	—	—	—	٤	—	—	—	—	١	٢٥	١	٢٥	—	—	٢	٥٠

الصفة / الجنس	الذقن					شكل الشعر								
	N	بارزة		غير بارزة		N	مفلفل		عنقودى		متلبد		صوفى	
		عدد	٪	عدد	٪		عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪	عدد	٪
♂	١٠	٨	٨٠	٢	٢٠	١٤	٤	٢٨,٦	٧	٥٠	١	٧,١	٢	١٤
♀	٤	٣	٧٥	١	٢٥	٤	—	—	٤	١٠٠	—	—	—	—

(١) Cates, R. Ruggles : op. cit., p. 81—83.



شكل ٢ ــ الأذن البوشمنية بالمقارنة بعدة أنماط أخرى

(عن هوتون)

الظاهرة تعتبر من أهم صفات هذه السلالة ، وهى تسود بين الاناث والذكور على السواء (١) ، وإن كانت تبدو بدرجات متفاوته .

وظاهرة تضخم العجز وتشحمه Steatopygia تظهر بوضوح لدى الهوتنتوت أكثر مما تظهر عند البوشمن وهى سائدة عند كل القبائل ولكنها تقل عند تلك التى أختلطت بالعناصر غير مماثلة (٢) ، وتظهر أيضاً ظاهرة إستطالة الشفران الصغيران Elongated of the Labia Minora عند الإناث ، وهى تظهر كظاهرة فسيولوجية سائدة (٣) ، والملاحظ أن تضخم العجز قليل البروز عند الذكور (٤) ، وإن كان أكثر بروزاً عند اناث الهوتنتوت ، وربما يرجع ذلك

(١) Vallois, Henri-V. : Les Races Humaines, Paris, Presses Univ. de France, 1951, p. 58.

(٢) Schapera, I. : The Khoisan of South Africa, p. 62.

(٣) Loc. cit.

(٤) Hooton, E.A. : Up From the Ape, p. 628.

لأفضلية الغذاء (١) . ويبدو أن هذه الظاهرة منتشرة عند المجموعة الكيبوانية كدليل تلاؤم بيئي خاص بحياة هذه الجماعة التي تعتمد على الجمع والصيد (٢) ، ولكن كون لا يقتنع بهذا الرأى القائل بأن تضخم العجز عند البوشمن والهوتنتوت يقوم بدور مخزن للشحم كما يقوم السنام للجمل ، وأنه يمد الجسم بالغذاء وقت الشدة (٣) (شكل ٣) ، إذ أن هذه الظاهرة (Steatopygia) لا تظهر عند بوشمن الشمال بذات الدرجة كما هي عند بوشمن الجنوب إذ تكون أقل تضخماً (٤) . والملاحظ أن هذه الظاهرة ظاهرة بدائية ، حيث أنها تنتشر بين الجماعات السلالية القديمة والمنعزلة كأقزام الأنداماز Andaman (٥) .

ويمسك العجز المتضخم عند البوشمن وأترابهم ، أنسجة ليفية تمنعه من التدلى وتجعله مرفوعاً فى وضع أفقى (٦) ، والملاحظ أنه هناك صفات مشتركة بين أفراد المجموعة الكابوانية والمجموعة الكونجولية المكتملة النمو (الزنوج) لعل أهمها تقعر العمود الفقارى Lordosis ، وبروز العجز وإن كان ليس متشحماً فلا تظهر فيه ظاهرة تضخم العجز Steatopygia (٧) .

ورغم تقارب السانداوى والهوتنتوت فى السمات المورفولوجية العامة ، الا أنهم يختلفون عنهم فى أن تضخم العجز عندهم أقل أنتشاراً (٨) ، وعلى ذلك فان إنتشار بعض الصفات الكيبوانية بين العناصر الخلاسية التى يكون فيها أصول منها ،

---

(١) Ibid, p. 629.

(٢) Garn, Stanley M. : op. cit., p. 136.

(٣) Coon, C.S. : The History of Man; from the first Human to Primitive Culture and beyond. London, Jonathan Cape, 1955, p. 207.

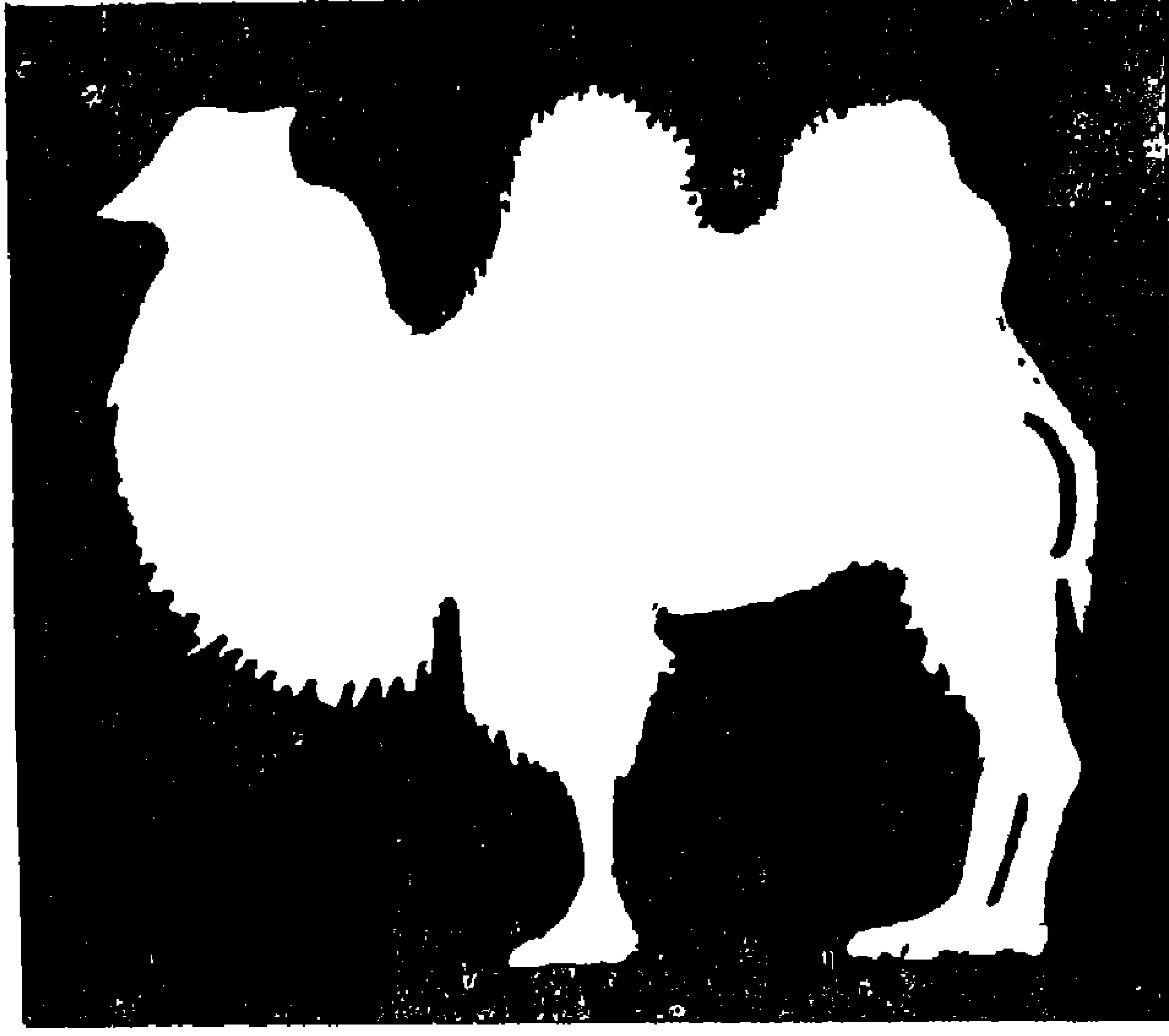
(٤) Montagu, Ashley : op. cit., p. 427.

(٥) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 15.

(٦) Krut, L.H. & Singer, R. : "Steatopygia, the fatty acid composition of subcutaneous Adipose tissue in the Hottentot". In: American Journal of Physical Anthropology, Vol. 21, No. 2, 1963, p. 181—188.

(٧) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 14.

(٨) Ibid, p. 115.





شكل ٣ ــ طبقا لقاعدة رينش Rensch يتم تخزين الشحم الصحراوى لدى الجمل والبوشمن (كما توضحهم رسوم كهوفهم) وهو ضرورى للمحافظة على الحياة فى الصحراء ويتم تخزينه فى أطراف بعيــدة عن تأثيرات الفقدان بالحرارة أو بالحركة (عن كون : تاريخ الانسان)

فقد لوحظت ظاهرة Steatoptgia بين نصف (٥٠٪) نساء الرخبوت *، كما تظهر الأذن البوشمنية بين نحو ٢٠٪ من أفراد هذا المجتمع(١) .

ومن أهم الصفات التي يتميز بها البوشمن ، تضخم الثدى عند الذكور لدرجة أنه يبدو كثدى الإناث ، أما البنات فحلمة الثدى عندهم . منتفخة مثل البرتقالة ولكن سرعان ما تزول هذه الصفة عند أول رضاعة ، كما تتميز الشفرة الخارجية لعضو التأنيث بالضمور مما يعطى الفرج مظهراً متميزاً خاصة عند كبيرات السن (٢) مما يؤدى إلى إستطالة الشفرين الصغيرين الداخليين ، وتلك ظاهرة قديمة لصيقة بهذه السلالة .

أما عضو الذكورة عند بعض رجالهم فصغير وطفلى المظهر *، إذ تتميز أعضاء التناسل الذكرية الخارجية بالوضع الأفقى للقضيب Horizontal penis (٣) فقد لأحظ سينر Seiner, F. على ٣/٥ الرجال المفحوصين وجود ظاهرة أفقية القضيب Horizontal projection of the penis ، وقد إعتبرها سمة سلالية خاصة بهم ، نظراً لاختفائها عند اختلاطهم بأفراد من البانتو ، وقد اعتبرها نتيجة لنمو زائد فى العضلة الرابطة للقضيب Ligamentum suspensorium penis (٤) .

الصفات البيوكيميائية :

تمثل البيئة التى تحيا فيها المجموعة الكيبوانية صحراء مكشوفة تتعرض لدرجات حرارة مرتفعة ، وفى ظروف يصل فيها مدى الحرارة ما بين الصفر المئوى(٣٢°ف)

* مجتمع خلاسى من البوير (الهولانديين + الألمان + الفرنسيين) والملونين (هنود + ملايا + ملاجاش) والكابوانيين (بوشمن + هوتنتوت) ، يستقر أفراده بالقرب من بلدة ر-بوت جنوب وندهوك .

(١) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 313.

(٢) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 113.

* يلاحظ أن ذلك عكس الملاحظ عند الأقزام التى لا تقل أعضائهم التناسلية الذكرية الخارجية عن حجم مثيلاتها عند الزنوج .

(٣) Hooton, E.A. : Up From the Ape, p. 628.

(٤) Schapera, I. : The Khoisan peoples of South Africa, p. 58.

و ٤٩ْم (١٠٤ْف) فى الظل و ٦٦ْم (١٤٠ْ ف) فى الشمس(١) ، فمن المشكلات البيولوجية والاكلوجية تميز البوشمن والهوتنتوت بلون بشرة فاتح رغم معيشتهم فى بيئة صحراوية تتميز بدرجة أشعاع شمس عالية (٢) ، ورغم أنهم قد أضطروا للهجرة والأنزواء فى بيئتهم المنعزلة الحالية أمام زحف الزنوج أصحاب البشرة الداكنة الذين تستقر أعداد كبيرة منهم الآن فى بيئة الغابات المدارية التى لا يكثر بها الأشعاع الشمسى مثل البيئة الصحراوية المكشوفة إلى يعيش فيها البوشمن (٣) .

ويعيش الهوتنتوت منتشرين فى الجزء الغربى من جنوب أفريقيا حيث كان موطنهم إلى عهد قريب ممتداً من نهر كورن Kurene فى الشمال إلى شبه جزيرة الكيب فى الجنوب ، وفى الداخل إلى نهر كى Kei (٤) ، وتعد بعض مناطق البوشمن من أخصب مناطق جنوب أفريقيا مثل منطقة نياى نياى Nyae Nyae التى تقع على الحدود ما بين ناميبيا (جنوب غرب أفريقيا) وبوتسوانا وهى التى يقطنها بوشمن الأيكونج ! kung (٥) . وهناك صلة واضحة وقوية بين النظم الأجتماعية السائدة فى مجتمعات البوشمن وبين الظروف الأكلوجية خاصة تلك ذات الصلة بنظام وكمية التساقط Precipetation ونظام جريان المجارى المائية ، واستدل على ذلك من دراسات ميدانية كثيرة (٦) .

ولا يستبعد أن يكون أسلاف الكيبوانيون وخاصة الهوتنتوت ، وأسلاف الشعوب الزنجية المختلفة من رعاة الماشية المنتشرين حالياً فى وسط وغرب أفريقيا

---

(١) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 110.

(٢) King, James C. : The Biology of Races, p. 144.

(٣) Ibid, p. 115.

(٤) Montagu, A. : An Introduction to Physical Anthropology, p. 430.

(٥) Jordaan, Ken : "The Bushmen of Southern Africa, Anthropology and historical materialism". In: Race & Class, Vol. XVII, No. 2, Autumn 1975, p. 141—160.

(٦) Lee, Richard B. : "! kung Spatial Organization ; An Ecological and Historical Prespective". In : Human Ecology, Vol. I, Bo. 2, 1972, p. 125—147.

ذات أصل واحد ، رغم وجود بعض الأختلافات الظاهرية بينها ، ذلك أن الأنتخاب الأكلوجى يستطيع أن يوجه التراكيب المورفولوجية فى اتجاهها المناسب فى كل بيئة بغض النظر عن دور الأختلاط الجينى الذى حدث(١) .

ومن حيث مدى ملائمة البوشمن للبيئة ومن ناحية انتشار الأمراض ، نجد أنهم يبدو متلائمين من حيث قوة التحمل والصحة ، وقد درست المجتمعات الشمالية منذ مدة طويلة وهى تلك التى لم تتصل كثيراً بالحضارة ، مما جعل دراسة انتشار الأمراض فيها مجدية حيث أتضح أن العدوى بالأمراض المعدية بها قليلة .

وباستثناء شهـــور المطر التى تنتشر فيها الملاريا Malaria والتى سببت فى أوائل هذا القرن (١٩٠٩) فى موت الكثيرين منهم خاصة الأطفال (٢٠٪) ، كما سببت فى عام ١٩١٧ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٥ فى موت الكثير من البوشمن على الحدود الشرقية والشمالية الشرقية من أقليم جنوب غرب أفريقيا (ناميبيا) ، كما كان ينتشر الجـــدرى Smallpox ، والتيفويد Typhoid ، والاسهال (الدوسنتاريا) Dysentery ، والسل الرئوى Phthisis فى هذه المناطق ، كما ظهر الزهرى Syphilis فى المناطق التى تم الأختلاط فيها خاصة بالأوربيين وهى التى ظهرت فيها أيضـــاً الحصبة Measeles ، والأنفـــلونزا Influenza ، والسعال الديـــكى Whooping-cough ، والحمى القرمزية Scarlet fever .

وكان للملابس والمنازل الأوربية تأثير سئ على البوشمن كما تأثروا سريعاً أيضاً بالأمراض الرئوية Pulmonarys affections عند أى أنتقال بعيداً عن موطنهم الأصلى حيث عانى كثير منهم من التهاب الشعبى bronchitis والألتهاب الرئوى Pneumonia ، والسل Tuberculosis (٢) .

ويعتقد البوشمن فى أن سبب هذه الأمراض هى الأرواح الشريرة (أرواح الأمراض Spirit of disease) التى يستطيع الساحر أن يبعث بالعين الشريرة ليصيب بها من يشاء من أعدائه أو أعداء مسخرية . ويستعمل الساحر (الطبيب الوطنى) بعض أنواع

---

(١) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 122.

(٢) Schapera, I. : op. cit., p. 214.

من التدليك بالإضافة إلى بعض الأعشاب التى يأمر المريض بشرب منقوعها أو غير ذلك من الأستعمال التى يقصد بها طرد الروح أو الجسم الغريب الذى دخل المريض وسبب له المرض (*) .

هذا ويحتوى الجين بول Gene pool الخاص بملونو الكيب Cape colored خليط من صفات سكان جنوب أفريقيا بما فيهم البوشمن والهوتنتوت والبانتو والأوربيين والمالايوويون والهنود ، وفى الحقيقة أنهم يمثلون حقلا خصباً للدراسة خاصة من حيث درجة التلائم والأختبار الغذائى والمرضى (السل) خاصة فى بعض الجهات (الملاريا) (١) .

ويصعب تعليل شبه القزمية والطفولية فى المظهر العام للبوشمن ، فهم لا يعيشون فى الغابات المدارية ، ولم يحدث هذا اطلاقاً من قبل ، ويصعب ربطها باقتصاديات الغذاء الجيد، وفى هذا الحال يمكن إجراء دراسة مقارنة بينهم وبين اللاب Lapps(٢).

وقد أتضح أن تجمعات البوشمن لا تؤدى إلى ظهور صفات بيولوجية أو مرضية معينة عندهم (٣) . ومما يدل على عراقتهم ظاهرة تكيف التبادل الحرارى بين دم الشرايين ودم الأوردة (٤) ، وما ذلك الا بسبب التقرب التشريحى فيما بينها فى بعض أجزاء الجسم خاصة الزراع والساق (٥) ، وهى ظاهرة لا توجد الا عند بعض الجماعات التى منها الأستراليين الأصليين واللاب ، وقد أستدل كون منها على تباعد الصلة بين البوشمن والزنوج (٦) ، رغم أنه قد أتضح عن طريق اختبار تذوق

(*) ذكر شابيرا Schapera, I. كثير من الأعشاب التى تستعمل فى علاج بعض الأمراض (The Khoisan Peoples of South Africa, p. 215)

(١) Garn, Stanley M. : Human Races, p. 149.

(٢) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 646.

(٣) ! Draper, Patric : "Crowding Among Hunters Gatheres ; The kung Bushmen". In : Science, Vol. 183, No. 4109, 1973, p. 301—303.

(٤) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 68.

(٥) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 247.

(٦) Coon, C S : The Origin of Races, p 68

P.T.C. (باتباع أسلوب Harris & Kalmus) على عدد ٣٤٨ فرداً من Venda الذكور أن البوشمن قريبى الشبه من جماعات زنوج البانتو (١) .

من كل هذا يتضح مدى النقصان الشديد الذى تعانيه الدراسات الفسيولوجية الخاصة بهذه المجموعة ، خاصة فيما يتعلق بمدى التلاؤم الفسيولوجى لدرجتى الحرارة والرطوبة ، إذ يرجح أنهم ليس لديهم التلاؤم الحرارى الكافى (٢) .

ورغم التضارب الكبير الذى تظهره الدراسات السيريولوجية التى أجريت على البوشمن ، ألا أنه يصعب تجاهلها خاصة وأن دراسة التكرار الجينى لفصيلة الدم ABO وغيرها من المجموعات الدموية لا يمكن التغاضى عنها لأنه يصعب الأعتماد على احدى الصفات الظاهرية بمفردها فى تمييز السلالات البشرية (٣) .

وقد دلت دراسة فصائل الدم من مجموعة ABO (٤) أن البوشمن (الأيكونج Ikung) قد أختلطوا بالمجموعة الزنجية حيث يزداد جداً بها تكرار جين r (فصيلة O) ويقل تكرار جين p (فصيلة A) ، وجين q (فصيلة B) ، وهم بذلك يتباعدون عن أقزام الكنغو الذين يزيد للغاية عندهم جين q ؛ حيث يصل تكراره إلى ٠,٢١٩—٠,٢٢٢ أى قرب معدله عند المغوليين (٠,٢٤٢) والدرافيديين (٠,٢٣٣) بينما لا يكاد يتعدى تكرار هذا الجين عند هؤلاء البوشمن ٠,٠٤٩ ، ولكن إذا ما تتبعنا هذا التكرار عند جماعات الهوتنتوت (بريتوريا) يتضح التكرار الجينى التالى : p = ٠,٢٢٠ ، q = ٢١٠٪ ، r = ٥٩٠٪ ، وهى نسب قريبة جداً من مثيلاتها عند أقزام

---

(١) De Villiers, Hertha : "A Note on Taste Blindness in Venda Males" In : African Journal of Science, Vol 66, No I, 1970, p 26—68

(٢) Coon C.S. : The Origin of Races, p. 589.

(٢) محمد السيد غلاب ، نجيب نصار ، فاروق عبد الجواد شويقة : « التكرار الجينى لأليات مجموعة الدم فى بعض مناطق مصر وعلاقتها بتوزيع السلالات البشرية الافريقية » . فى مجلة الدراسات الافريقية ، ع ٣ ، ١٩٧٤ ، القاهرة ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٢٠٣ — ٢١٠ .

(٣) Hooton, E.A. : Up From the Ape, 2 nd. ed., p. 632.

* يستخرج معامل التكرار الجينى وفقا للمعادلات التالية :

$$r = \sqrt{O},\ p = \sqrt{O + A} - \sqrt{O},\ q = \sqrt{O + B} - \sqrt{O}$$

ونظريا (بعيدا عن معامل الاختلاف) $= I = q + p + r$

الكنغو (p = ٠,٢٢٧ ، r = ٠,٥٥٤) ويدل أرتفاع تكرار الجين q عند أقزام الكنغو والبوشمن على الأصل الأسيوى (ولكن ليس المغولى بالتحديد) ، وقد أتخذ الأقزام الصفات الزنجية معيشتهم فى الغابات ، بينما مجموعة جنوب أفريقيا المتشابهة أخذت تزداد فيها الصفات المغولية المختلطة بنسب متباينة مع السمات القزمية ، أما بسبب بعض العزلة الأكلوجية أو بسبب أختلاطهم بالسلالة البوسكوبية التى كانت تكمن فيها الصفات المغولية القديمة منحدرة من الأقزام (١) .



لوحة ٦ ـ المناظر الثلاث لظاهرة تضخم العجز وتشحمه (امرأة من الهوتنتوت)
(عن مونتاجو : مقدمة الانثروبولوجيا)

والملاحظ (جدول ٨) أنه بينما يوجد انخفاض فى تردد الجين q عند البوشمن بينما نجد أرتفاع ملحوظ فيه عند المغوليين ، لذلك فانه من الوجهة السيريولوجية فانه يرجح أن يكون البوشمن من المجموعة الزنجية negroid عن أصل قديم عزل لمدة طويلة ، ويبدو أنه بينما يشبه البوشمن الهوتنتوت فى معظم الفصائل ، نجدهم يختلفون فى تردد فصيلة B حيث يبلغ فى الهوتنتوت خمسة أمثاله فى البوشمن ، وهذا يرجح

(١) Hooton, E.A. : op. cit., p. 633

جدول ٨ — فصائل الدم تبعاً لمجموعة الدم ABO وترددها الجيني
عند بعض جماعات البوشمن والهوتنتوت (١)

القبيلة	الباحث	N	O	A	B	AB	p	q	r
البوشمن									
إين Auen	Pijper ١٩٣٢	٢٨٠	٥٣,٩	٣١,١	٥,٤	٩,٦	٢٢,٥	٧,٦	٦,٣٩
كونج Kung	»	٢٦٨	٦٠,٤	٢٨,٠	٧,٨	٣,٧	١٧,٣	٥,٩	٩,٨٦
الهوتنتوت	» ١٩٣٥	٥٠٦	٣٤,٨	٣٠,٦	٢٩,٢	٥,٣	٢٠,٢	١٩,٣	٦٠,٥
	Zoutendyke et al ١٩٥٥	٢١٣	٣٧,١	٣٢,٤	٢٤,٤	٦,١	٢١,٧	١٦,٧	٦١,٦

أن الأختلاط حدث فى الشمال فى منطقة هضبة البحيرات ، وإن الهوتنتوت وصلوا بعد البوشمن بمدة طويلة (١) .

هذا ويتشابه أفراد المجموعة الكيبوانية (البوشمن والهوتنتوت) مع الزنوج أكثر من أى مجموعة أخرى فى الأليل الزنجى p^r ، بل أنه يرجح وجود ترابط قوى (**) بين تواجد الأليل p^r وبين الصفات الحواسانية التكوينية والثقافية (٢) ، كما أتضح وجود تشابه ما بين البوشمن والبربر ، فتردد فصيلة A لديهم هو المرتفع(٣) ،

(١) Montagu, Ashley : op. cit. p. 430

(٢) Loc; cit.

(٣) Jenkins, Trefor and Corfield, Valerie : "The Red Cell acid Phosphatase Polymorphism in Southern Africa; Population Data and Studies on The R, RA and RB Phenotypes". In : Annals of Human Genetics, Vol. 35, No. 4, 1972, p. 379—391.

(٤) Church, R.J. Harrison; Clarke, Jonhn, I.; Clarke, P.J.H. Henderson, H.J.R.: Africa and the Islands. London, Longman, 1971, p. 59.

وبدعم هذا نظرية الأصل الشمالى ، خاصة وأن الحراثون Haratin يختلفون فى صفاتهم الدموية (مجموعة ABO) عن كل قبائل الصحراء التى تجاورهم أو يعيشون فيما بينهم ، بل ويختلفون أيضاً عن الزنوج ، ولكن الغريب أنهم يقتربون فى هذه الصفة من أقزام الكونغو (١) .

أما إذا تتبعنا مجموعة الدم Rh فانه يتضح عدم وجود الجين السلبى (cde) عند البوشمن بعكس الحال عند الزنوج الذى يوجد لديهم (٢) . هذا وقد أتضح أيضاً أن المجموعة الكيبوانية تختلف عن سائر المجموعات البشرية الأخرى خاصة فيما يتعلق بمكونات أنزيمات خلايا الدم الحمراء (٣) .

وبعامة فان موضوع دراسة الدم يحتاج—مثله مثل الدراسات الفسيولوجية—لمزيد من البحوث الدقيقة المخططة المركبة ، كى تحاول أن تلقى مزيداً من الضوء على موضوع أصل المجموعة الكيبوانية وعلاقاتها السلالية بغيرها من المجموعات البشرية الأفريقية .

السمات الثقافية والاجتماعية

تتميز الثقافة والحضارة(*)الخواسانية التى تمارسها المجموعة الكابوانية بأنها بدائية وبسيطة فى صورتها الأولية ، فرغم أنه قد انتشرت منذ بداية العصر الحجرى

---

(١) Biggs, L.C. : op. cit., p. 67

(٣) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 284.

(٢) Jenkins, Trefor; Harpending H.C.; Gordon, Hymie; Keraan, M.M. and Johnston, Sheila; "Red-Cell-Enzyme Polymorphisms in The Khoisan Peoples of Southern Africa". In: American Journal of Human Genetics, Vol. 23, No. 5, 1971, p. 513—532.

* تضاربت وتعددت التعريفات الخاصة بكل من الثقافة والحضارة فكان منها تعريف تايلور Tylor, B.E. (١٨٢٣ – ١٩١٧) للثقافة ! « . . . هى ذلك الكل المركب الذى يشمل المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعرف واى قدرات وعاذات يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو فى مجتمع » . (أحمد أبو زيد : تايلور . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٧، ص ١٩٥) .

وقد يقال أن الثقافة هى مجموعة من العادات والنظم والأدوات داخل اطار فريد من الحياة (فاروق العادلى (معلق ومترجم) : المجتمع القروى وثقافته . ط ٢ . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،=

القديم الأعلى Upper Paleolithic Period حتى العصر الحالى سادت ثقافة سانجوان Sangoan الخاصة باقزام الغابات المدارية المطيرة خلال عصر ما قبل التاريخ والذين كانوا يزاولون الجمع والصيد فى مناطق شاسعة منتشرة فى الشرق من منطقة البحيرات الكبرى إلى ساحل المحيط الهندى وشمالا وهى التى تتميز بتساقط لا يقل عن ٤٠ بوصة (ألف مم) سنويا، وقد أطلق على هذه الثقافة فى أفريقيا الجنوبية اسم استلباى Stillbay وهى التى ترتبط بالبقايا البشرية البوشمنية Bushmenoid أكثر من ارتباطها بالسلالات القزمية Pygmoid (١) .

وتشبه العناصر المادية للحضارة الكيبوانية حضارة الأقزام ، فهم يعيشون على الصيد بالسهام المسممة ولكنهم لا يختلطون بجيرانهم كالأقزام ، وعلى ذلك فهم مستقلون فى مواردهم الغذائية وحياتهم الاجتماعية والسياسية ، وأهم مميزاتهم الثقافية هى تقدمهم من الناحية الفنية خاصة نقش الصخر(٢) .

الحياة الاقتصادية :

البوشمن صياد بالسليقة فهو يعرف كل شىء عن الحيوانات التى يتعامل معها فيعرف كيف يتغلب على كل نوع منها (٣) ، والبوشمن يعرف أنواعا كثيرة من أسلحة الصيد ، فهناك الرماح التى تستعمل لصيد الزراف وغيرها من الحيوانات الكبيرة ، وهناك أيضا هراوات غليظة لها رأس ضخم يقذفونها بمهارة فائقة نحو الفريسة ، ولكن عدتهم الرئيسية فى الصيد هى القوس الصغيرة التى يقذفون بها

=١٩٧٥، ص ١٦) ولكن يمكن القول بعامة أن الثقافة ما هى إلا الوسائل التكنولوجية والفكرية التى يبتكرها الانسان ، والتى تصل به إلى مستوى عالى من التقدم والرقى ،وهذا التقدم والرقى هو ما يمكن أن يسمى الحضارة ، وبذلك تعتبر الحضارة مستوى مركب ومتقدم من الثقافة بعناصرها ومكوناتها المختلفة، وعلى ذلك فالثقافة تتكون من أشياء مادية بينما الحضارة ليست إلا شىء معنوى غير مادى . وإذا كانت الحضارة هى هدف الانسان فوسيلته إليها هى الثقافة .

(١) Murdock, G.P. : Africa, p. 52.

(٢) محمد رياض ، كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، ص ٢٠٣ .

(٣) ويليام هاولز : ما وراء التاريخ ، ترجمة أحمد أبو زيد. القاهرة ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٥ ، ص ١٦٥ .

السهام المسممة ، وهى – عادة – سهام خفيفة لها سن صغير منفصل يرشق فى الفريسة بينما يسقط السهم على الأرض مما يسهل تكرار استعماله (١) ، وما هذا إلا انعكاسا واضحا للفقر الأكلوجى الذى واجهه البوشمن بتبسيط وتطويع تكنولوجية أدواته .

وتزاول البرجداما Bergdama الصيد والجمع وصيد السمك أيضا الذى ينتشر خاصة بين التانيكوى Tannekwe وقبائل كوروكا Koroca الساحلية ، وتعتبر حرفة فرعية عند قليل من القبائل الأخرى مثل الهيكوار Heic ware والأكسام Xam .

والزراعة غير معروفة بعامة عدا زراعة قليل من الذرة الرفيعة التى تزرعها التانيكوى نتيجة تأثيرات بانتوية ، وكذلك تربية الماشية غير معروفة ، فقبائل البوشمن والكوروكا لا تستأنس من الحيوان إلا الكلب ، بل أن بعض الجماعات مثـــل كوروكا Koroca لا تعرفه أيضا . وتحتفظ البرجداما بالماعز وأن كان يصعب التنبوء بمستقبلها (٢) ونظرا لنقص الموارد اضطروا إلى القيام ببعض الزراعات الأولية . وينقسم العمل تبعا للجنس فى كل مكان حيث يكون على الرجال صيدالبر hunting وصيد البحر fishing أما النساء فعليهن الجمع والالتقاط gathering (٣) .

وبعامة فللبوشمن القدرة على الانتفاع بكل مكونات بيئتهم الصعبة فهم يستطيعون أن يستخرجوا الماء القليل الموجود فى طبقات الأرض عن طريق مد بوصة فى الرمال أو التراب يمتصون بها الماء الدفين (٤) .

ونظرا لفقر موارد حرفتى الجمع والصيد عادة فهناك من يربط بين القامة القصيرة للجماعات الكيبوانية وبين العمل بهما ، ويحاول مقارنة أصحابها باناس

(١) نفس المصدر ، ص ١٦٤ .

(٢) Murdock, G.P. : Africa p. 55

(٣) Loc. cit.

(٤) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقية ، ص ٣٦ .

(٥) Willcox, A.R. : "Sizeand the Hunter". In: South African Journal of Sci ence. Voil. 67, No. 5, 1971, p. 306—307.

العصر الحجرى المتوسط Middle Stone Age (١) . هذا ويعتبر البوشمن احدى الجماعات العشر التى ما زالت تعيش على الصيد البرى البدائى حتى الآن وهى : البوشمن (أفريقيا) ، الإندامان (آسيا) ، الاستراليون والتاسمانيون (استراليا) ، هنود كاليفورنيا والحوض Basin (أمريكاالشمالية) ، باتاجونيا وفوبجيان وياجهان وأونا (أمريكا الجنوبية) (٢) .

هذا عن البوشمن أما الهوتنتوت فهم رعاة ماشية وماعز وتمثل ألبانها جانبا هاما فى غذائهم ، وهم فى غير ذلك يشبهون البوشمن ، وما حدث ذلك إلا نتيجة اتصالهم بزنوج البانتو (٣) .

وكان لإحتراف الهوتنتوت لرعى الماشية أثر واضح على نظمهم الاجتماعية مما رفع من مستواهم الحضارى أكثر من قرنائهم البوشمن جامعى الطعـام وصيادوه ، مما جعلهم يندرجون تحت نمط الرعاة أو تحت حضارة صناعة الألبان كما يسميها لنتون Linton, R. (٤) . وإلى جانب اللبن المخمر يتعاطون أنواعا مختلفة من الخضروات ولحوم الحيوانات التى يصيدونها رغم أنهم لا يذبحون الماشية من أجل الطعام إلا فى بعض الحفلات الدينية .

و قد إنعكس أثر إحتراف هذه الجماعات للحرف البسيطة قليلة الإنتاج على أنواع الغذاء المتاح ، مما أثر على صحتهم العامة (٥) .

وقد إلتصق مسطلح هوتنتوت Hottentot حاليا عمليا بمصطلح ناما Nama وهى اللغة الوحيدة الحية لرعاة الماشية والغنم من أصحاب لغات الحركات الصوتية فى أفريقيا الجنوبية ، وكان إطلاق لفظ هوتنتوت فى أول الأمر فى القرن السابع عشر على قبيلة تعيش بالقرب من كيب تاون ثم اتسع التعبير ليشمل : جريكوا

---

(١) Coon, C.S. : The History of Man. London, Jonathan Cope, 1955, p. 88.

(٢) Murdck, G.P. : Africa, p. 57

(٣) Greenberg, Joseph H. : The Languages of Africa. 2 nd. ed. The Hague, Bloo mington, 1966, p. 66.

(٤) Linton, R. : Tree Culture. New York, Alfred A. Knopf, 1955, p. 431.

(٥) May, Jacques et. al. : (Studies in Madial Gograry, No. 10) New York, Hofner Pullinhirg Co., 1971, P. 319.

Grikwa (Griqua) فى شرقى الكيب أو الكارووو ، وكورانا Koran (n) a فى منطقة كمبرلى ، وناماكوا Namakwa (Namaque) فى منطقة ابنجتون (١) .

والملاحظ أن هذا المصطلح يستعمل أساسا للتعبير عن « ناماكوا Namakwa » فى اقليم ناميبيا وذلك باعتبارهم من رعاة الماشية ، وللتفرقة بينهم وبين البوشمن الذين لا يعرفون الماشية (٢) . وكان هذا من الأسباب التى جعلت البعض يقول بانهم تكونوا نتيجة امتزاج البوشمن مع بعض السلالات الزنجية (٣) خاصة من البانتو الجنوبيين الغربيين (٤) .

ولكن مع التشابه بين الهوتنتوت والبانتو فى احتراف رعى البقر إلا أنهم يختلفون عنهم فى أنه يسمح لنسائهم بحلبها على خلاف الحال عند البانتو الذين لا يقوم بهذا العمل عندهم إلا الرجال . هذا ويعتبر السبب الرئيسى لحركة الهوتنتوت الدائمة هو البحث عن مصادر لغذاء قطعانهم من الماشية والأغنام والماعز (٥) ، وهى التى يعتمدون على ألبانها ولحومها فى الغذاء (٦) ، والملاحظ أنهم يعتمدون أساسا على نوع من الماشية كبير الحجم ذو ظهر مستوى stıaight-backed وقرون طويلة (نمط Bos aegyptiacus) (٧) .

والملاحظ أنه فى بداية الاستقرار الأوربى فى جنوب أفريقيا كان الهوتنتوت أغنياء بما لديهم من قطعان الماشية ، وقد لاحظ ذلك بوضوح فان جان ربيك Van Riebeeck (١٦١٩ — ١٦٧٧) مؤسس الاستيطان الهولاندى هناك ، فقد رأى كيف تغطى القطعان الكثيرة أراضى ما حول خليج تابل Table Bay عندما نزل هناك (٨) .

---

(١) Westphal, E O.J. : "The Non-Bantu Languages of Southern Africa, p. 165.

(٢) Ibid, p. 166

(٣) محمد رياض ، كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، ص ٢٠٢ .

(٤) Murdock, P.G. : Africa, p. 52.

(٥) Schapera, I. : The Khoisan Peoples of South Africa, p. 292.

(٦) Ibid, p. 294

(٧) Ibid, p. 292

* فى اليوم السادس من أبريل عام ١٦٥٢ .

(٨) Ibid, p. 293

ومع الاختلاف الواضح فى أنماط الحياة الاقتصادية بين كل من البوشمن والهوتنتوت إلا أنه يمكن القول بعامة أن ثقافة الهوتنتوت لا تخرج عن نطاق النمط البوشمنى رغم مزاولتهم الرعى (١) .

اللغات الخواسانية :

تعتبر اللغة أهم عناصر الثقافة ، ولمركزها العام فى التكوين الثقافى الخاص بالمجموعة الكيبوانية سنفرد لها جزءاً خاصا بها لما لها من أهمية انعكست على تكوين ومميزات الجماعة .

تصنف اللغات الخواسانية Khoisanian كأحد أربع مجموعات لغوية رئيسية فى أفريقيـــا (**) ، وهذه اللغات الخواسانية من لغات الطقطقات clicks التى تحتوى على الكثير من الصوتيات(٢) . وهى لغات لا تكاد توجد خارج القارة الإفريقية (٣) .

وقد درست لغات المجموعة الخواسانية (٤) بل وما زالت تدرس ، ولكن ما يهم هنا هو إيضاح أنها تعتمد على حركة اللسان أو الشفاه ، وهناك أربع أنماط رئيسية لها تسود فى لغات الوطنين فى جنوب أفريقيا ، وهى تعتمد على تكرار أطلاق لفظ K ، ويغلب على لغة البوشمن النمط الشفهى bi-labial click (٥) .

---

(١) Murdock, G P : Africa, p. 57

(**) تبعا لتصنيف جرينبرج .Greenberg, J.H توجد فى أفريقيا المجموعات اللغوية الرئيسة التالية:

١ – الكنغوكردفانية . I Congo-Kordofanian

٢ – النيلية صحراوية . II Nilo-Saharan

٣ – الأفرواسية . III Afroasiatic

٤ – الخواسانية . IV Khoisan

(The classification of Languages *In :* American Anthropologists. Vol. 50, 1948, p. 24—29)

(٢) محمد رياض ، كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، ص ٢٠٣

(٣) Gibbs, James L. : (ed) : Peoples of Africa, p 241

(٤) Clayre, Lain : "Notes on spatial deixis in melanau "*In* : Anthropological Linguistics, Vol 15, No. 2, 1973, p. 71—86

(٥) Westermann, D ; Ward, Ida, C. : Practical Phonetics For Students of African Languages, London, Oxford Univ Press, 1957, p 98.

ويمكن تقسيم وتمثيل الحركات الصوتية بالآتى (١) :

١ ــ الحركة الشفهية labial clicks وتكتب ʘ وتنطق مثل : « قبلة الأم لطفلها » .

٢ ــ الحركات السنخية alveolar clicks وتكتب / و ǂ وتنطق مثل « إشارة الرفض tut-tut » .

٣ ــ الحركات السنخية الحلقية palatoalveolar clicks تكتب و ! و ≠ وتنطق مثل : « الصوت الذى يصدر بغرض حث الدواب على زيادة سرعتها » .

٤ ــ الحركات الجانبية lateral clicks وتكتب /// و // (وأحياناً)( ) وتنطق مثل « الصوت الناشئ عن تنظيف الأسنان باللسان » .

والملاحظ أن الحركات الصوتية clicks تتكرر أكثر فى تركيب كلمات لغات الهوتنتوت عنها فى كلمات لغات البوشمن (جدول ٩)

جدول ٩ ــ النسبة المئوية لتكرار الحركات الصوتية clicks فى كلمات لغات بعض قبائل البوشمن والهوتنتوت (٢)

القبيلة	نسبة التكرار المئوية
البوشمن :	
ايكونج Kung !	١٨
هيكوار Hiekware	١٦
اكسام xam	٣٠
الهوتنتوت :	
ناما Nama	٢٦
كورانا Korana	٤٤

(١) Alexandre, Pierre : An Introduction to Languages and Language in Africa translated by Leary, F A , London, Heinemann, 1972, p 35

(٢) Greenberg, J H : op cit , p, 67

وكان هناك رأى قديم نادى به ليبسيوس Lepsius, K R يقول بانه هناك قرابة ما بين لغات الهوتنتوت ولغات الحاميين Hamitic وهو الرأى الذى يحاول تجديده الآن مينهوف Meinhof, C (١) ولكن يبدو أنه من الأفضل اعتبار اللغات الخواسانية فى جنوب أفريقيا لغات بوشمنية مختلطة ببعض التأثيرات الحامية (٢) .

وقد أوضحت الدراسة التى أجرتها دورثيا بليك Bleek, D,F, (٣) أن مجموعة اللغات الخواسانية فى أفريقيا الجنوبية تنقسم إلى ثلاث أقسام : الشمالية ، والوسطى ، والجنوبية ، وأن لغة الهوتنتوت تنتمى إلى المجموعة الوسطى ، وتعتبر أكثر قربا من لغة بوشمن النارون Naron Bushmen .

ولا يختلف جرنبرج عن ذلك كثيراً فقد قسم المجموعة الخواسانية IV-Khoisan إلى : (٤)

(ا) خواسانية أفريقيا الجنوبية	IV A South African Khoisan
ا-١ الشمالية	IV A I Northern S A K
ا-٢ الوسطى	IV A 2 Central S A.K.
ا-٣ الجنوبية	IV. A 3. Southern S.A.K.
(ب) سانداوى	IV. B. Sandawe
(ج) هاتسا	IV. C. Hatsa

والسانداوى Sandawe جماعة صيد وإلى حد ما زراع تعيش فى وسط تنجانيقا، وتحوى لغتها ثلاثة من أصوات الحركة clicks التى تظهر فى المجموعتين الوسطى والشمالية من اللغات الخواسانية ، فبالإضافة إلى — ، تنقصها الحركة الشفهية labial click الخاصة بالمجموعة الجنوبية للغات البوشمن ، ومع ذلك فانها تشبها من

(١) Greenberg, J.H. : The Languages of Africa, p. 66

(٢) Schapera, I. : "A preliminary consideration of the Relationship betwwn the Hittentots and the Bushmen "In : African Journal of Science. Vol. 23, 1926, p. 833—866

(٣) Bleek, D.F. : Comparative Vocabularies of Bushman Languages. Coambridge, 1929, p. 24

(٤) Camlrige, J,H. : op. cit., p. 66

حيث التركيب (١) ، وقد بذلت محاولات لإيجاد صلة بين لغة الهوتنتوت (المجموعة البوشمنية الوسطى) وبين اللغات الكوشية على أساس أن الهوتنتوت رعاة ، ولكن لم يستدل إلا على وجود تشابه فى اللاحقات Suffix (sufikss) التى تدل على الجنس وهى غالباً ما تدل على وجود اتصال قديم بين المتحدثين بالخواسانية والكوشية(٢).

أما لغة الهاتسا Hatsa (الهادزا Hadza) فتدخل ضمن الجماعات البوشمنية ، وتسمى لغتهم الهادزابى Hadzabi (٣) ، وهى تحتوى على الأنماط الصوتية الأربعة four clicks مثل المجموعة الوسطى والشمالية للغات الخواسانية ، ولكنها تبدو قليلة التكرار ، وتكون غالباً فى وسط الكلمات وهى ظاهرة نادرة فى اللغات الخواسانية ولا توجد أحياناً عند السانداوى(٤) .

هذا ويقع إلى الشرق من الهاتسا البوشمنية اللغة ، جماعة الا يراكوا Iraqu ذات اللغة الكوشية الأصل (٥) ، مما يثير نقاط للبحث الأنثرويولوجى (سلاليا ولغوياً) عن مدى الاختلاط الذى تم بين الجماعات الخواسانية والجماعات الكوشية فى هذه المنطقة من شرق أفريقيا . خاصة وأن هناك أنتشار واسع للغات الحركات الصوتية clicks نجده أوسع من الأنتشار الحالى للمجموعة الكيبوانية (الخواسانية) فهناك مثلا جماعة زنجية هى البرجداما Bergdama فى ناميبيا تتحدث الخواسانية الشمالية ، كما أن الزولو Zulu والسوتو Sutho وهما من البانتو يتحدثان أيضاً لغات بها الحركات الصوتية clicks (٦) .

وتوجد فى اللغات الخواسانية نظام تصريف الأفعال خصوصاً فى لغات الهوتنتوت ، أما عن تكوين الجمع فى هذه اللغات فامره بسيط الا عند لغات البوشمن (٧) ، وهذه بعض الأمثلة على سبيل المثال :

(١) Ibid, p. 72
(٢) Coon, C.S. : The Living Races lof Man, p. 161
(٣) Westphal, E.O. J. : cit., p. 162
(٤) Greenberg, J.H. : op. cit., p. 73
(٥) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 99
(٦) Ibid, p. 101
(٧) Schapera, I. : The Khoisan People of South Africa, p. 96—98.

M—BA	"my father"
A—BA	"your father"
A—BA	"his father"
M	"eat"
M	"Sun"

ومن بعض الكلمات الآتى :

	Masculine	Feminine	Common
Singular	Kweba	Kwesa	Kwe
	man	woman	person
Dual	kwelsana	kwesana	kwekhara
	two men	two women	two perssons
Plural	kwe kwe	kwesi	kwe–e
	Men	women	people

au/?e	ثعبان	snake
Zau–/xi	ساق انسان	person, foot
dzu–/xi	ساق نعامة	ostrish foot
/xi	ساق	foot
daa–Suwa	دخان النار	fire smoke
g=/=	يد — أصبع	hand, finger
ku	لبن — تحت	milk, down

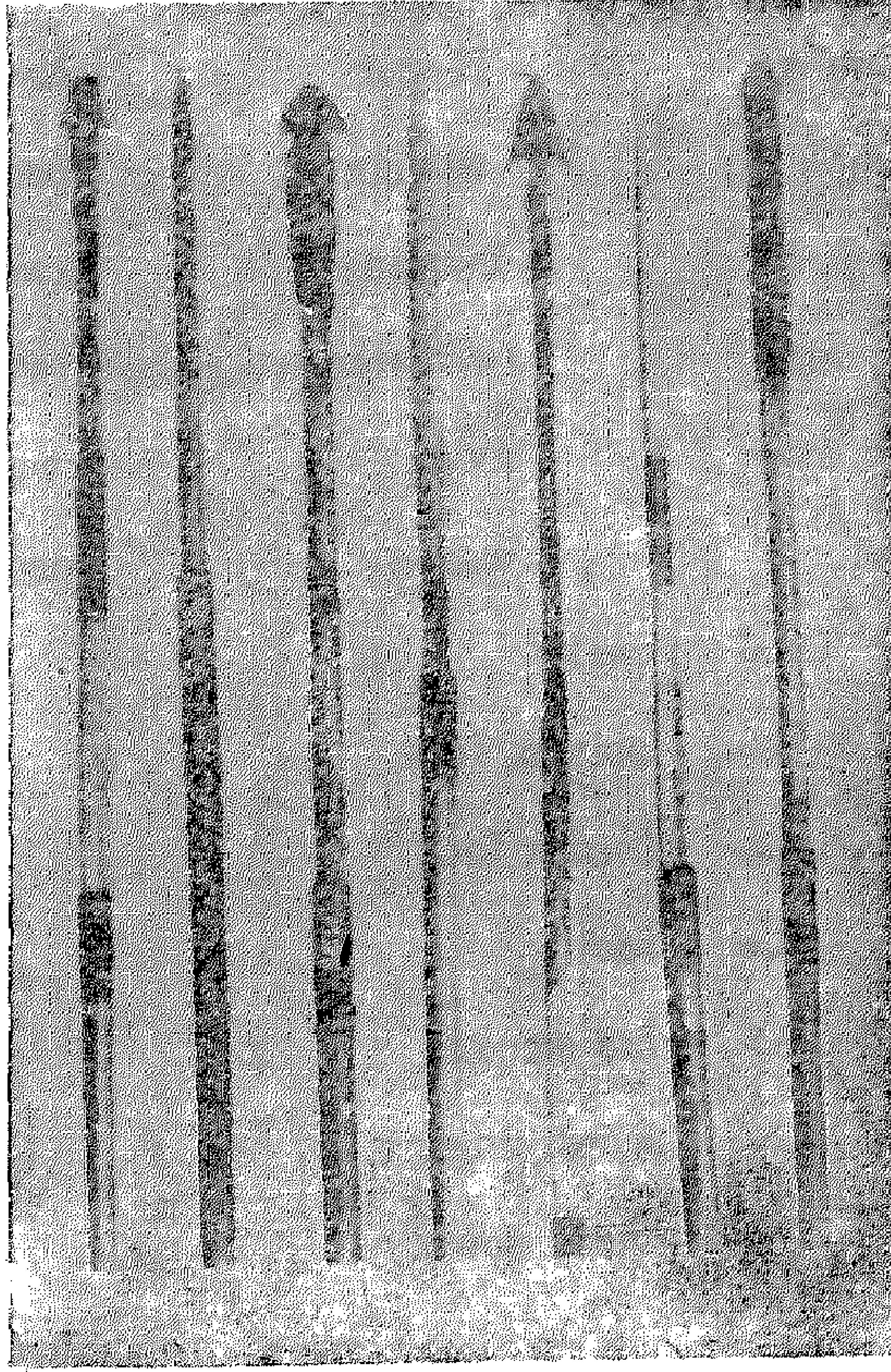
الثقافة المادية :

تشبه ثقافة البوشمن ثقافة الأقزام الأفريقيين Negrillo ، فهم يعيشون على القنص بالقسى والسهام المسممة (لوحة ٧) ، الا أنهم لا يختلطون بجيرانهم كما يفعل الأقزام ، وبالتالى فهم مستقلون فى مواردهم الغذائية وحياتهم الاجتماعية والسياسية ، ولعل أهم ما يميز مظاهر حضارتهم تفوقهم فى الفن خاصة النقش على الصخر (١) . وتدل الشواهد الثقافية عند البوشمن أنهم مازالوا محتفظين بالثقافة

(١) محمد راضى ، كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، ص ٢٠٣

الحجرية حتى عهد قريب (١) ، وتدل أدواتهم ومعداتهم على أنها مستمدة مباشرة من ثقافة النصل Blad القديمة التي كانت منتشرة في غرب أوروبا وشمال أفريقيا (٢) هذا وهنالك بعض الشواهد على أن اساليبهم التكنولوجية كانت أكثر أتقاناً مما هي عليه الآن خاصة صناعة الأواني الفخارية (٣) .

ولا تتعدى حضارة البوشمن حالياً مستوى العصر الحجري المتوسط Mesolithic



لوحة ٧ ـ مجموعة سهام بوشمنية من البوص لها رؤوس عظمية تغمس في السم وتصاد بها الحيوانات

(عن شابيرا)

(١) Coon, .C.S. : Seven Caves; Archaeological Exploration in London, Jonathan Cape, 1957, p. 50.

(٢) Linton, R. : Tree of Culture, p. 165—166.

(٣) Ibid. p. 167

أو ثقافة الأطفال Pedomorphic ، وهم فى هذا يشبهون جامعو الغذاء الآخرين أمثال النجريللو والنجريتو من الأندامان والأستراليين الأصليين (١) .

والواقع أنه يوجد عند البوشمن مرونة كبيرة فيما يتعلق بالغذاء ، إذ يمكنهم أن يكيفوا أنفسهم مع تقلبات موارد الغذاء عندهم بطريقة يصعب على غيرهم القيام بها (٢) . فمن عادات الأكل المشاركة فى تناوله ، وهى من العادات الشائعة فى البيئات قليلة الموارد الغذائية (٣) .

ومن نماذج الغذاء نجد أن قبيلة كونج سان Kung San تعتمد فى غذائها على نحو ١٥٠ نباتا وحيوانا برياً ، ويعتبر نبات مونجونجو (Ricinodendron rautanenii) mongongo أهم الفواكه التى يتغذى بها أفراد هذه القبيلة بل أن لها دوراً ملموساً فى نظام القبيلة الاقتصادى وحياتها الاجتماعية (٤) .

وهناك علاقة قوية بين المظاهر الاكلوجية وبين المظاهر الثقافية التى تحمل الكثير من تعبيرات القسوة والخشونة نتيجة قسوة وصعوبة البيئة التى يحيون فيها ، والتى فرضت تلك الظروف وجعلتها سائدة ، وذلك حتى يستطيعوا الحياة فى هذه البيئة الصعبة . (٥) ومن أهم العوامل الأكلوجية التى تتحكم فى المظاهر الثقافية لحياة البوشمن : المياه ، وموضع حفر المياه ، والنباتات المخزنة للمياه ، والنباتات البرية الصالحة للأكل ، وحركة حياة الصيد . هذا ويتأثر حجم العشيرة كما تتأثر الحركة اليومية للعمل وغيرها من مختلف المظاهر بهذه الظروف الأكلوجية (٦) .

---

(١) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 99

(٢) ويليام هاولز : ما وراء التاريخ ، ترجمة أحمد أبو زيد . القاهرة ، دار نهضة مصر ١٩٦٥ ، ص ١٦٣

(٣) Chapple, Eliot Dismere, Coon, C.S. : Principales of Anthro-pology. New York, Henry Holt, 1942, p. 257.

(٤) Lee, Richard Borshay : "Mongongo; The Ethnography of a Major Wild Food Resource". In.: Ecology of Food and Nutrition. Vol. 2, No.4, 1973, p. 307—323

(٥) Gibbs, James V. (ed.) : Peoples of Africa, p. 24.

(٦) Ibid, p. 241

هذا ومن أعظم أدوات البوشمن أتقاناً القوس والسهم ، ومع ذلك فالأقواس ما هي الا قضبانا بسيطة من الخشب صغيرة وهشة ، أما السهام فلها رؤوس طرف قاطع مستعرض يشبه الأزميل ، وهم يضعون فى السهام المصنوعة من البوص سنا من العظم سبق غمسها فى سم قاتل ، يرشقون به الفريسة خلف الرأس مباشرة فيقطع طرف السهم العروق فيسرى السم بسرعة فى الفريسة مما يسهل القبض عليها . والأداة الهامة الثانية لدى البوشمن هى عصا الحفر التى تستعملها النساء ، وهى تتكون من قطعة مستقيمة من الخشب الصلب ويثقلن وزنها بحجر على هيئة كرة ، وتستخدم العصا فى جمع الجذور والحيوانات الصغيرة المختبئة فى جحورها .

وملبس معظم الهوتنتوت فى الوقت الحاضر أوربى الطراز ولكنه فى الماضى وهو حالياً فى نفس الوقت ملبس البوشمن كان يتكون من أزار ورداء من الجلد الناعم ، وغالباً ما يتخذ نعال من الجلد ، ويلبس الذكور والأناث أنواعاً من الحلى للزينة أكثرها من النحاس ، كما تتخذ النساء سيوراً من الجلد حول الأرجل ، كما يلبس الذكور حول الأزرع والسواعد أساور من العاج أو النحاس (١) .

ومن مظاهر تلاؤم البوشمن مع ظروف البيئة التنكر الذى يجيده الفرد منهم ، وهو الذى يساعده على الاقتراب من الحيوان حتى يقتنصه . والملاحظ أن درجة تلاؤم الإنسان مع البيئة تعبر بصورة ما عن درجة تطوره ، ومما لا شك فيه أن هناك صلة بين التطور البيولوجى للانسان و بين تطوره الثقافى ممثلا فى مقدرته التكنولوجية وفى قدرته على صناعة الآلات (٢) . ومع هذا فما زالت الأبحاث تجرى للوصول إلى رأى فى مدى علاقة التخلف السلوكى بالبيئة (٣) .

ولقد اكتشفت كثير من المظاهر الثقافية الخواسانية فى أجزاء عديدة من شرق

---

(١) Linton, R. : Tree of Culture, p. 167

(٢) Leakey, L.S.B. : The Progress and evolution of Mansin Africa. London, Oxford Univ. Press, 1961, p. 6

(٣) Blurton, Jones, N. G.; Kenner, M.J. : "Sex Difference in Behaviour of London and Bushman Children". Michael, R.P. and Crook, J. (ed.) Comparative Ecology and Behaviour of Primates, Academic Press, 1973, p. 690—750.

القارة الإفريقية أوسع من تلك التي كان يظن أن البوشمن والهوتنتوت يقطنونها من قبل (١) ، حيث عثر على كثير من الرسوم والأشكال البوشمنية النمط والتعبير (٢) فى كل من تنجانيقا وكينيا وأوغندا .

وعثر فى زامبيا على ثلاث مجموعات series من الرسومات ، رسمت أقدمها على المستوى المسطح Flat باللون الأحمر أو الأصفر حيث أوضح الإطار الخارجي فقط ولكن الأشكال رسمت بمهارة لدرجة أنها لو كانت باللون البنى الغامق لبدت حديثة معاصرة ، إذ أن طريقة الرسم متقدمة وعصرية ، أما المجموعة الثانية فقد رسمت باللون الغامق وتختلف كثيراً عن المجموعة الأولى (الأقدم) ليس فقط فى الألوان ولكن أيضاً فى الطريقة بحيث يكون للمنظر أكثر من زاوية والرسم نظيف وخطوطه الخارجية واضحة ومنحنيات الزوايا والأجسام والقرون مرسومة بدقة ، وأخيراً نجد المجموعة الثالثة (الحديثة) مرسومة باللون الأصفر والأبيض ، وهذا بداية تعدد الألوان polychrome (٣) ، ومن الملاحظات الهامة أن الفنانين البوشمنيون القدامى كانوا يحرصون على إظهار تضخم العجز فى رسوماتهم على الصخر (٤) .

ويهتم البوشمن مثل سائر القبائل البدائية بممارسة الرقص والمرح بصورة زائدة كوسيلة من وسائل التسلية والتعبير والطقوس الدينية (٥) . وهناك من يحاول إيجاد صلة للربط بين البوشمن والأقزام الإفريقيين اعتماداً على وجود نوع من التشابه فى الموسيقى الشائعة لدى كل منهما (٦) .

وبعامة يمكن القول أنه رغم تعدد التقسيمات الثقافية والحضارية التى قسمت إليها

---

(١) Gibbs, J.V. (ed.) : Peoples of Africa, p. 242.

(٢) Schapera, I. : The Khoisan Peoples of South Africa, p. 27..

(٣) Ibid, p. 211.

(٤) Boas, Franz : General Anthropology. Boston, Heath, 1938, p. 580.

(٥) Seligman, C.G. : Races of Africa, 4th. ed., 1967., p. 12.

(٦) Frisbie, Charlotte J. : "Anthropological and Ethnomusicological Implications of a Comparative analysis of Bushmen and African Pygmy Music "In : Ethnology, Vol. 10, No. 3, 1971, p. 265—290.

القارة الأفريقية(١) فإنها تتفق على اعتبار الحضارة الخواسانية التي زاولها أصحاب الصفات الكيبوانية إحدى المجموعات الحضارية الأفريقية العشر الكبرى (**) (خريطة ٦) .

العلاقات الاجتماعية

تتكون العائلة عادة من العائلة الصغيرة (الأسرة) ، حتى أنه فى حالة تعدد الزوجات تستقل كل زوجة بكوخ خاص بها (٢) ، وأن كان فى بعض الأحيان عند الناميب والنارون Naron تجتمع الزوجات فى كوخ واحد .

والنسب إلى الأصلين ، ولكن وجود نظام الاغتراب مع الإقامة الأبوية patrilocal يعطى للعشيرة الطابع الأبوى ، وقد انعكس ذلك على تعبيرات القرابة (٣) . والقاعدة العامة فى تكوين العائلة هو اقتصار الرجل على زوجة واحدة ، ولكن بالرغم من ذلك يمكن أن تكون له صلة بأكثر من امرأة أخرى من الأرامل إذا كان يستطيع أن يتولاها بالرعاية (٤) . ويعتقد مردوك أن البوشمن يغلب عليهم نمط الزواج الأحادى monogamous لذلك وضعهم تحت هذا النمط عندما حاول تصنيف اثنوجرافى Ethnographic لأكثر من ٥٦٠ قبيلة فى العالم منها ٨٨ من جامعى القوت (٥) . ومع ذلك فقد وجدت مارشال Marshall, Lorna أن هناك بعض قبائل البوشمن ممن تمارس تعدد الزوجات polygynous ، وأن كان هذا غير شائع فيما عدا بعض القبائل .

---

(١) عاطف وصفى: الأنثروبولوجيا الثقافية ، بيروت ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٧١ ، ص ١٨١ .

(**) الأقاليم الحضارية فى القارة الافريقية هى : مصر — شمال أفريقا — الصحراء — القرن الأفريقى — السودان الشرقى — السودان الغربى — ساحل غينيا — الكنغو — نطاق ماشية شرق أفريقيا— خواسان .

Gibbs, J. (ed.) : op. cit., p. xi.

(٢) Murdock, G P. : Africa, P. 55

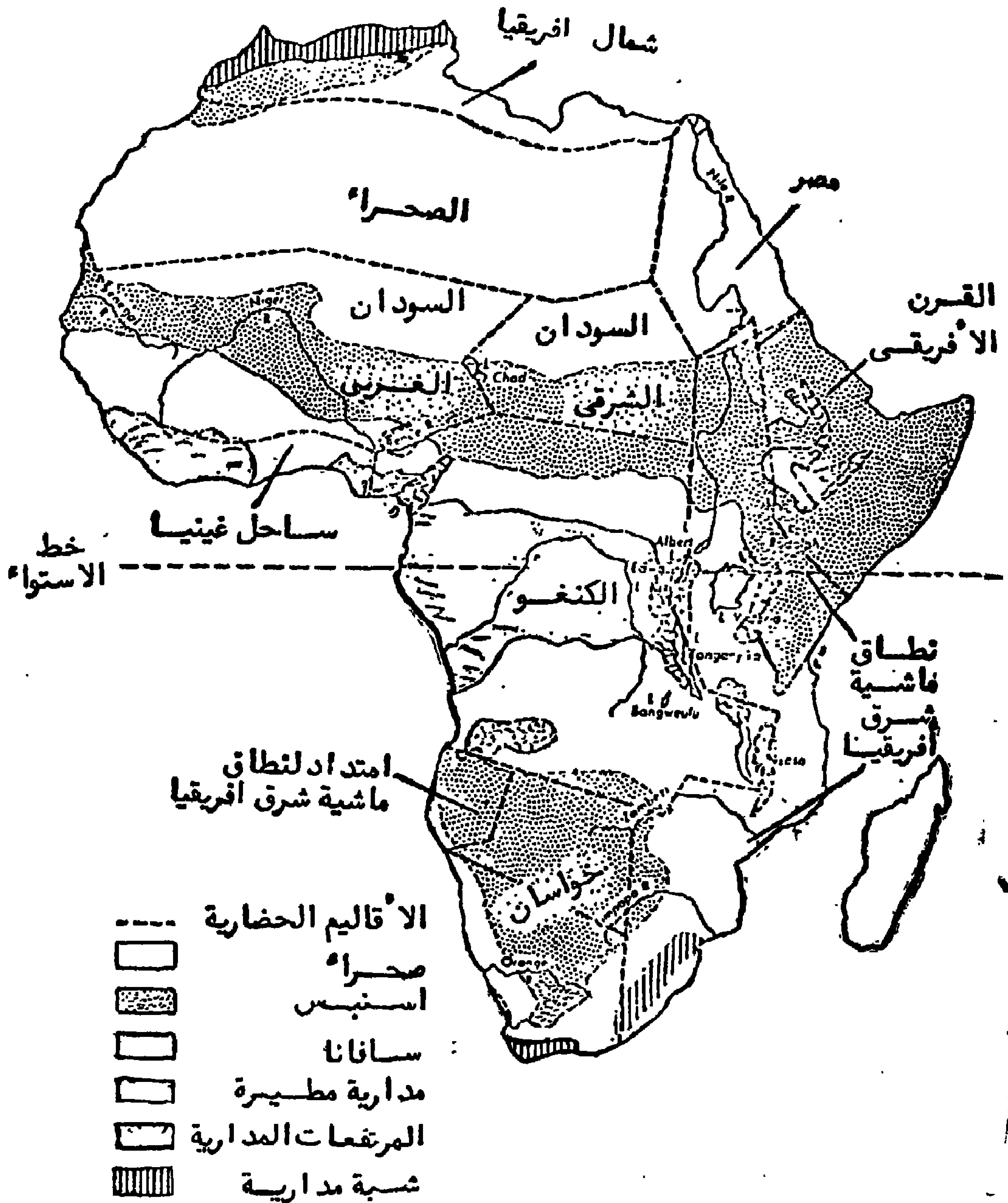
(٣) Ibid, p. 56

(٤) Linton, R. : Tree Culture, p. 169

(٥) Murdock, G.P. : "World Ethnographic Sample ". *In* : Amirican Anthropologists, Vol. 59, 1957, p. 665—687.

(٦) Marshall, Lorna : "The Kin Teminology System of the kung Bushmen". *In* : Africa, Vol. 27, 1957, p. I—25.

(خـريطة ٦)



(عن : جيبس)

ولا يدفع شئ نظير مهر العروس فى أى مكان ، فما على العريس إلا أن يهدى أنسباوه بعض الهدايا ، حيث يكون له حق الإقامة معهم ويقوم بالعمل معهم ، ويتركهم بعد مولد إبنه الأول ليعيش هو وعائلته فى حياة مستقلة ولكن فى بعض القبائل خاصة اكسام Xam يعيش دائماً بجوار قبيلة الأم (١) .

والزواج عادة من النوع الأحادى monogamous رغم أنه مسموح بتعدد الزوجات polygyny ، وإن كان غير شائع فيما عدا عند البرجداما وبعض القبائل مثل : كوروكا ، وايكونج . والإغتراب المحلى local exogamy شائع فيما عدا عند الهيشوار Hiechwaie ، لذا يسمح بزواج أولاد العم وأولاد الخال رغم أنه غير محبذ ، وإن كان البرجداما والهيكوم تعتمد عليه فى خلق الوحدة القبلية ، لذلك تشيع عند بعض القبائل عادة liverate وهى إلزام شقيق المتوفى من غير عقب بزواج أرملته ، وأيضاً عادة زواج الشقيقات sorcrate (٢) .

وكالبوشمن وعلى عكس ما يجرى بين جيرانهم من البانتولا يوجد عند الهوتنتوت نظام مهر العروس ، وإنما يحل محله الإقامة والقيام ببعض العمل عند أسرة العروس حتى مولد الطفل الأول ، وبعد ذلك ترحل الأسرة الجديدة إلى موطن الأب(٣)

واحترام المرأة ظاهرة واضحة عند الهوتنتوت خاصة الحما والأخت الكبرى ، وتلك من مظاهر الاحتكاك الحضارى الحامى الذى وصلهم عن طريق البانتو . ولكل جماعة من جماعات البوشمن زعيم ، وهو رجل متقدم فى السن ذو شخصية قوية ، وله سلطة أدبية على أفراد الجماعة حيث يباشر شئونهم ويساعد على تسوية المنازعات ، وفوق ذلك يقوم بحراسة النار المقدسة ، تلك النار التى ترمز إلى الدور الممتاز الذى قامت به النار القديمة التى اخترعها الإنسان الأول وأسهمت فى تقدمه الثقافى والحضارى (٤) .

---

(١) Murdock, G.P. : Africa, p. 55.
(٢) Loc. cit.
(٣) Ibid, p. 57
(٤) Linton, R. : op. cit., p. 167

وتستقل كل عشيرة بمنطقتها التي تملكها وتستغلها ، والملكية الخاصة معروفة في المنقولات فقط بل وغير مهتم بها ، والمواريث أبوية أساساً ، وهي للابن الأكبر primogeniture ، ولكن ظهر أخيراً عند البرجداما نمط جديد من المواريث هو توريث ممتلكات الأم إلى إبنتها الكبرى (١) .

وتتحدد العلاقات بين الجماعات البوشمنية على أساس حيازة العشائر للأرض التي يعيشون على طعامها البرى ومياهها الأرضية ، ويقوم نظام متكامل من التكافل الاجتماعي بينهم بحيث يحصل المسنون والمرضى والأطفال على كل ما يحتاجون إليه ، ولذا يطلق على نظام هذا الوعاء الاجتماعي « اشتراكية الحياة Communism in living » (٢) .

وتستمر حياة البداوة والترحال التي تقوم بها الجماعات بحيث تصبح الحلات السكنية أشبه بالمعسكرات المتنقلة فيما عدا بين الهوكوى Hukwe والتانكوى Tannekwe الذين يقطنون باستمرار تقريباً في قرى خلال موسم المطر بينما يتجولون خلال باقي العام (٣) .

والجماعة هي أساس التنظيم الاجتماعي عند الهوتنتوت ، وهي تلك التي تعيش معاً وينتسب أفرادها إلى أب واحد وهي غالبا ما تتزاوج خارجياً ، هذا مع أنه هناك بعض الدلائل على أن النظام الأموى كان معروفا لديهم يوما ما ، من ذلك الروابط القوية التي تربط الرجل بأخواله .

ويجب إبراز الحقيقة التالية وهي أن كل جماعة من جماعات البوشمن تختلف عن الأخرى خاصة في النظم الاجتماعية بل أن ذلك ينطبق بوضوح على كل من الأسرة والعائلة ، وقد اتضح أن ذلك ما زال ملاحظاً عند أفراد هذه المجموعة حتى الآن

---

(١) Murdoc,, G.P. : Africa, p. 56

(٢) Joidaon, Ken: "The Bushmen of Southern Africa; Anthropological and historical materialism" In : Race & Class, Vol., xvii, No. 2, Autumm 1975, p. 141—160

(٣) Murdock, G.P. : op. cit., p. 55

(٤) Linton, R. : Tree Culture, p. 432

خاصة عند جماعة الأيكو Iko التى تتميز لديها هذه الفروق المحلية بوضوح كبير (١)، هذا ويخلو النظام الاجتماعى للبوشمن من الطبقات المنحطة ومن الأتباع (٢).

وتستقر كل عائلة من البوشمن فى كوخ صغير مشيد على هيئة قبة ، وفى داخله نارها التى يطهى عليها الطعام . أما الشباب الذين لم يتزوجوا بعد فيعيشون فى أكواخ خاصة بهم ، يعيشون فيها حتى بلوغهم مبلغ الرجال (٣) .

أما محور الديانة عند الهوتنتوت فهو اعتقادهم فى أبطال من آلهه يرجع أكثرهم إلى تصورات وثنية أو إلى تمثلهم للقوى الطبيعية ، وبوجه خاص القوى التى ترسل المطر ، ولعل أهمها (تسوى جوأب Tsui Goab) وهو الذى يقصد فى الملمات ويرتجى حين يمتنع المطر ، وهو يمثل قوة الخير . وكثيراً ما يتعرض لقوة الشر المدمرة المتمثلة فى « جوناب Gounab » الذى من دأبه معارضة قوة الخير حتى يمحوها من الوجود .

وهناك بطل خرافى عظيم يؤمن به الهوتنتوت اسمه « هوتسييب Hutsieibib » يتحدث الناس عن أعماله العظيمة ، وعودته إلى الأرض من آن لآخر ثم يموت ويعود مرة أخرى . وكان يصنع المعجزات . وقبوره منتشرة فى صورة أكوام من الحجارة . ولا يكاد يمر أحد من الهوتنتوت بقبره دون أن يهمس ببعض الكلمات ويضيف حجراً أو قطعة من الخشب إلى الضريح . هذا وقد كان للهوتنتوت عبادة للقمر أسوة بما نجده عند البوشمن ، ولكن ليس هناك دليل على أنهم لا يزالون محتفظين بهذه العبادة (٤).

هذا وأساس التنظيم الاجتماعى للبوشمن بدائى للغاية إذ يعيشون فى مجتمعات

---

(١) Heinz, H. J : 'Territoriality among the Busmen in General and Io in partictular." In: Anthropos. Vol. 67, No. 3-4, 1972, p. 405-416

(٢) Murdock, G.P. : Africa, p. 56

(٣) Linton; R. : The Tree, p. 167

(٤) Schapera, I : The Khoisan Peoples of South Africa, p. 358—359.

صغيرة أو جماعات صيد تتكون الجماعة منها ما بين ٥٠–١٠٠ فرداً (١) ، وغالباً ما يرجع سبب عدم تطور نظامهم السياسى إلى ذلك ، وتسود الديمقراطية البسيطة كأساس لوحدة المجتمع (٢) ، وتستقل كل عشيرة بشئونها تحت إشراف رئيس تحمل إسمه ويعاونه ابنه ، هذا والملاحظ أن الصراع والحروب والعداوات الدموية بين العشائر المتجاورة محدودة (٣).

(١) Seligman, C.G. : Races of Africa, 4th., 1967, p. 13

(٢) Murdock, G.P. : Africa, p. 56.

(٣) Loc. cit.

الخاتمة والنتائج

تعتبر دراسة المجموعة الكيبوانية Capoid (البوشمن والهوتنتوت) من الدراسات الشيقة والممتعة ليس فقط للانثروبولوجيين الفيزيقيين فحسب بل أيضاً للمهتمين بدراسة التاريخ الثقافى الأفريقى ، وللأثريين وللأنثروبولوجيين الاجتماعيين والثقافيين أيضا ، وسائر المشتغلين بالدراسات الأنثروبولوجية . ذلك لأنها تمثل المجموعة السلالية العريقة فى أفريقيا فقد نشأت فيها ولم تغادرها ، ولم تقطن فى غيرها من القارات فى أى عصر من العصور .

وقد واجهت وقاومت هذه المجموعة عاديات الطبيعة والزمان والبشر بأن انزوت وانعزلت فى أفقر وأبعد أجزاء القارة الأفريقية عن مداخلها ومسالكها الطبيعية مما عزى إليه سبب قصر القامة وطفولية الجسم والتكوين .

هذا ولم يكن الهدف من الدراسة تركيز المعرفة عن هذه المجموعة وإظهار امكانتها فى التكوين السلالى للقارة الأفريقية فقط ، بل أيضاً إظهار مدى عراقة أفريقيا وسلالاتها القديمة فى مجال التاريخ السلالى للجنس البشرى والنوع الإنسانى ، ولهذا تضمن المقال دراسة مختصرة عن السلالات البشرية الأفريقية سبقتها دراسة سريعة عن المفهوم العلمى للسلالة .

وقد أوضحت الدراسة أن الكيبوانيين يمثلون إحدى الألغاز السلالية الأفريقية ، لما يحملونه من مشكلات جديرة بالاهتمام وبالبحث والدراسة ، لعل من أهمها :

١ — وجود بعض السمات المغولية بين أفراد المجموعة الكيبوانية ، ومما يزيد من صعوبة تفسير ذلك أنه لم يحدث فيما يبدو أى اختلاط مباشر أو غير مباشر مع المجموعة المغولية منذ بداية الاختلاط الذى حدث بين المجموعات السلالية الإنسانية منذ عام ١٤٩٢ (بداية الكشوف الجغرافية) .

٢ — وجود خلاف واضح بين السيريولوجيون الذين يرجحون وجود قرابة بين المجموعة الكيبوانية وبين المجموعة الكونجولية كاملة النمو (الزنوج) ، وبين الأنثروبومتريون (ومنهم كون) الذين يرفضون ذلك خاصة بالنسبة للبوشمن .

٣ — وجود بعض الفروق بين البوشمن والهوتنتوت حيث التكوين المورفولوجى

والسمات الثقافية، رغم أنهما يصنفان فى مجموعة سلالية وحضارية أفريقية واحدة متميزة.

٤ ـ موضوع الدم، مورفولوجيا وفسيولوجيا، يحتاج لمزيد من البحث، من خلال دراسات دقيقة مركبة ومخططة كى يحاول أن يلقى مزيداً من الضوء على موضوع أصل المجموعة الكيبوانية وعلاقاتها السلالية بغيرها من المجموعات السلالية فى القارة الأفريقية، وفى غيرها من القارات خاصة القارة الأسيوية.

أما النتائج التى توصلت إليها الدراسة فيمكن عرضها فيما يلى:

١ ـ أن المجموعة الكيبوانية Capoid قد تكونت فى الأصل فى شمال غرب أفريقيا، ثم انتشرت أمام الدفعات القوقازية إلى شرق ثم إلى جنوب القارة.

٢ ـ اتفاق مفهوم المجموعة السلالية الكيبوانية Capoid إلى حد كبير مع مفهوم الجماعات الأثنولوجية الخواسانية فى القارة الأفريقية.

٣ ـ أن الجينات Genes الحاملة للصفات الكيبوانية، ليست قاصرة على مناطقها المعروفة فى جنوب القارة الأفريقية، ولكنها منتشرة فى أنحاء شتى من شمال وشرق أفريقيا.

٤ ـ أن البوشمن يمثلون إحدى، عشر جماعات بشرية منتشرة فى أنحاء العالم، هى آخر ما بقى من الصيادين البريين البدائيين.

٥ ـ صحب احتراف الهوتنتوت للرعى نتيجة اتصالهم بزنوج البانتو، وجود اختلافات أنثروبومترية بينهم وبين البوشمن، إذ ظهر عندهم بروز فى الوجه (أسفل الأنف Subnasal) وهى ظاهرة لا توجد عند البوشمن.

٦ ـ أن المجال ما زال بكراً أمام الدراسات الأنثروبومترية الحيوية (على الأحياء) على هذه المجموعة خاصة، قبل أن تنقرض أو قبل أن يزداد اختلاطها بجماعات أخرى مما يقلل من درجة تميزها وتمايزها الأنثروبولوجى. وبالمثل يقال أيضاً عن الدراسات الثقافية والاجتماعية، وذلك لدراسة مراحل التغير أثناء الاحتكاك الحضارى الذى يتم بينهم وبين الحضارات المتقدمة المحيطة (*).

(*) أشكر السيد الأستاذ الدكتور محمد عبد الغنى سعودى أستاذ ورئيس قسم الجغرافيا بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة لجميل تفضله بقراءة هذا المقال قبل النشر.

ببليوجرافية

1. Abou-Zeid, Ahmed : تايلور . القاهرة :
دار المعارف بمصر ، ١٩٥٧

2. ———— (مترجم) : ما وراء التاريخ ، تأليف وليم هاولز .
دار النهضة مصر ، ١٩٦٥

3. Awad, M : الشعوب والسلالات الأفريقية .
القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٥

4. Alexander, Pierre : An Introduction to Languages and Languages in Africa. translated by : Leary, F.A., London; Heinemann, 1972.

5. Blecher, S.R. : "Dermatoglyphics of the Pandamatenga Bush-Bantu Hybrids". Human Heredity. Vol. 22, No. 2, 1972.

6. Bluton-Jones, N.G. and Kenner, M.J. : "Sex Difference in Behavior of London and Bushmen Children". *In* : Michael, Richard P. and Crook, J. (ed) : Comparative Ecology and Behavior of Primates, Academic Press, 1973.

7. Boas, Franz : General Anthropology. Boston, Heath, 1938.

8. Chapple, Eliot Dismore ; Coon, Carleton Stevans : Principles of Anthropology. New York, Henry Holt, 1942.

9. Church, R.J. Harrison ; Clarke, John, I. ; Clarke, P.J.H. ; Handerson, H.J.R. : Africa and the Islands. London, Longman, 1971.

10. Clayre, Lain : "Note on spatial dexis in melanau". Anthropological Linguistics, Vol. 15, No. 2, 1973.

11. Coon, Carleton Stivens : The History of Man ; From the first Human to Primitive Culture and beyond. London, Jonathan Cape, 1955.

12. ———— : Seven Caves ; Archaeological Explorations in the Middle East. London, Jonathan Cape, 1957.

13. ———— : The Origin of Races. London, Jonathan Cape, 1963.

14. ———— : The Living Races of Man. New York, Alfred A. Knopf, 1965.

15. De Villiers, Hertha : "A Note on Taste Blindness in Venda Males". African Journal of Science. Vol. 66, No. I, 1970.

16. ———— : "The First Fossil Human Skeleton From West Africa Transactions of the Royal Society of South Africa. Vol. 40, No. 3, 1972.

17. Draper, Patric : "Crowding Among Hunters-Gatheres ; The kung Bushmen". Science, Vol. 182, No. 4109, 1973.

18. Drenaan, M.R. : "An Austroloid Skull from Cape Flates". The Journal of the Royal Anthropological Institute. Vol. 59, 1929.

19. El Aadley, Faruq : : (معلق ومترجم) المجتمع القروى وثقافته . ط ٢ . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥

20. Frisbie, Charlotte J. : "Anthropological and Ethnomusicological Implications of a Comparative analysis of Bushmen and African Pygmy Music". Ethnology, Vol. 10, No. 3, 1971.

21. Galloway, Alexander : "The Characteristics of the Skull of the Boskop Physical Type " American Journal of Physical Anthropology , Vol. XXIII, 1937.

22. Garn, Stanley M. : Human Races. 2nd. ed. Springfield, Charls C. Thomas, 1969.

23. Gates, R. Ruggles : "Forms of Hair in South African Races". Man, Vol. 56, No. 98, June 1957.

24. Ghallab, M.A. : البيئة والمجتمع . ط ٣ . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٣

25. ———— : « مائة سنة بعد دارون ، ثلاث كتب فى الأنثروبولوجيا » . فى : المجلة الجغرافية العربية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ١٩٦٨

26. ———— : تطور الجنس البشرى . ط ٤ . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٣

27. ———— : (مترجم) السلالات البشرية الحالية ، تأليف كارلتون كون . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥

28. Gibbs, James L. (ed.) : Peoples of Africa. New York, Holt Rinehart, 1965.

29. Godsby, R.A. : Race and Races. New York, Macmillan, 1971.

30. Gohari, Y. : الانسان وسلالاته . اسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٣

31. Greenberg, Joseph H. : The Languages of Africa. 2 nd. ed. The Hague, Bloomington, 1966.

32. Heinz, H.J. : "The Ethno-Biology of the Iko Bushmen; An Anatomical and Physiological Knowledge." South African Journal of Science. Vol. 67, No. 2, 1971.

33. ———— : "Territoriality among the Bushmen in General and the iko in particular." Anthropos, Vol. 67, No. 3—4, 1972.

34. Hooton, E.A. : Twilight of Man. New York, G.P. Putnam's Sons, 1939.

35. ———— : Up From the Ape. Delhi, Motilal Banarsidass, 165.

36. Howells, W.W. : Mankind so Far. New York, Doubleday Doran, 1945.

37. Jenkins, Trefor ; Harpending, H.C. ; Gordon, Hymie ; Keraan, M.M. ; Johnston, Sheila : "Red-Cell-Enzyme Polymorphisms in The Khoisan Peoples of Southern Africa" American. Journal of Human Genetics, Vol. 23, No. 5, 1971.

38. Jordaan, Ken : "The Bushmen of Southern Africa ; anthropology historical and materialism." Race & Class, Vol. XVII, No. 2, Autum 1975.

39. King, James C. : The Biology of Race. New York, Harcourt Brace Jovanovich, 1971.

40. Krut, L.H. ; Singer, R. : "Steatopygia ; the fatty acid composition of subcutaneuo Adipose tissue in the Hottentct." American Jour. of Physical Anthrop. Vol. 21, No. 2, 1963.

41. Laing, G.D. : "The Relation between Boskop, Bushmen and Negro Elements in the Formation of the Native Races of South Africa". South African Journal of Science, Vol. 23, 1926.

42. Leakey, L.S.B. : The Progress and evolution of Man in Africa. London, Oxford Univ. Press, 1961.

43. Lee, Richard Borshary : "!kung Spatial Organization; An Ecological and Historical Perspective." Human Ecology, Vol. I. No. 2, 1972.

44. ———— : "Mongongo ; The Ethmography of a Major Wild Food Resource" Ecology of Food and Nutrition. Vol. 2, No. 4, 1973.

45. Linton, R. : Three of Culture. New York, Alfred A. Knopf, 1955.

46. Majma lugha al'rabia : المعجم الجغرافي ، إشراف محمد محمود الصياد .
القاهرة ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٧٤ .

47. Marshall, Lorna : The Kin Teminology System of the kung Bushmen. Africa, Vol. 27, 1957.

48. Montagu, Ashley : An Introduction to Physical Anthropolgy. 3 rd. ed. Springfield, Charles C Thomas, 1960.

49. Murdock, G.P. : "World Ethnographic Sample". American Anthropologists, Vol, 59, 1957.

50. ———— : Africa ; Its Peoples and Their Culture History. New York, McGraw-Hill, 1959.

51. Rightmire, G.P. : "Bushman, Hottentot and South African Negro Crania Studied Distance and Discrimination." American Journal of Physical Anthropology. Vol. 33, No. 2, 1970.

52. Riyaad, M. : الانسان ، دراسة في النوع والحضارة . ط ٢ .
بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٤

53. ———— : Abd el Rassul, K. : أفريقيا ، دراسة لمقومات القارة .
بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦ .

54. Rizkaana, I. : العائلة البشرية .
القاهرة ، مكتبة الآداب ، ١٩٥٠

55. Saevan, H.S. : علم الانسان (الأنثروبولوجيا) .
بيروت ، مكتبة عرفان ، ١٩٦٦ .

56. Schapera, I. ; The Khoisan Peoples of South African ; Bushmen and Hottentots. London, Routledge & Kegan Paul, 1930.

57. Seligman, C.G. : Races of Africa. 4th. ed. London, Oxford Univ. Press, 1966.

58. Seoudy, M.A. : « هجرة العمالة في شرق أفريقيا » .
المجلة الجغرافية العربية . السنة الخامسة ، ١٩٧٢

59. Shuwayqah, Faruq A. : « الأكلوجيا البشرية ، المفهوم المجال الهدف » .
مجلة الدراسات الأفريقية . العدد الثالث ، ١٩٧٤

60. Silberbauer, George : "Ecology of Ernabella comunity." Anthropological Forum. Vol. 3, No. 1, 1971.

61. Statesman's Year Book 1975—1976.

62. Stedman's Medical Dictionary. 22nd, ed. Baltimore, Williams & Wilkins, 1972.

63. Thomas, C.J. : "Incidence of Primary O Rugae in Bushman Juveniles." Journal of Dental Research, Vol. 51, No. 2, 1972.

64. Tobias, Phillip V. : "Bushmen of the Kalahars". Man, Vol. 36, 1957.

65. Trevor, J.C. : "The Physical Characters of the Sandawe." Journal of the Royal Anthropological Institute. Vol. 77, Part 1, 1947.

66. Vallois, Henri-V. : Les Races Humaines. Paris, Presses Univ. de France, 1951.

67. ———— : Boule, Marcellin : Fossil Men. Translated by : Michael Bullock. New York, Dryden Press, 1957.

68. Voigt, Elizabeth : "A burial on Groot Hagelkraal, Bredasdorp district, Cape." South African Archaeologcal Bulletin. Vol. 27, 1972.

69. Wallace, John A. : "Approximal Grooving of Teeth " Amir. Jour. of Physic. Anthrop., Vol. 40, No. 3, 1974.

70. Wasfi, A. : الأنثروبولوجيا الثقافية .
بيروت ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٧١ .

71. Weiner, J.S. : Harrison, G.A. : Singer, R. ; Harris, R. & Jobb, W. : "Skin colour in South Africa." Human Biology, Vol. 36, No. 3, 1964.

72. Westermann, D. ; Ward, Ida C. : Practical Phonetics For Students of African Languages. London, Oxford Univ. Press, 1957.

73. Westphal, E.O.J. : "The Non-Bantu Languages of Southern Africa". In : Handbook of African Languages, Part II, The Non-Bantu Languages of North-Eastern Africa, by : Tucker, A.N. ; Bryan, M.A. London, Oxford Univ Press, 1956

74. Willcox, A.R. : " Size and the Hunter " South African Journal of Science. Vol. 67, No. 5, 1971.

فاروق عبد الجواد شويقة

١٧ فبراير ١٩٨٠

الفيل الأفريقى ودوره فى الحروب القديمة

للدكتور فوزى مكاوى

African battle elephant
and its role in warfare in ancient times

By

Dr. FAWZI MIKAWY

(an Abstract)

The Mediterranean world knew the battle elephant for the first time in 326 B.C. when Alexander the Great invaded India. In a short time most of the armies of the ancient world used the battle elephant.

Since the normal sources of the Indian battle elephants were far and in unfriendly hands, several African countries exploited their own sources to get elephants. These are the following countries.

1. Egypt started about 280 B.C. during the reign of Philadelphos and ceased after the battle of Raphia in 217 B.C. she got the elephants from Meroe and the Red sea Coast.

2. Meroe : The archaeslogical evidence assures that she trained and used the African battle elephants during the 3rd century B.C.

3. Carthage was the great value of the elephant at war, So She used large members of battle elephants in her armies during the period from 260 to 202 B.C. The Victorious Rome deprived Carthage of all her elephants and prevented her to train or to use any new battle elephant.

4. Numidia and Mauritania knew the battle elephant via Carthage. It formed an important equipment in their armies till their fall in the Ist century A.D.

5. Aksum used the battle elephant in more than one battle in the 6th century A.D. This information was mentioned in both the Byzantine and Arab writers.

اشترك الفيل فى الحروب منذ زمن بعيد فى الهند وغيرها من حضارات الشرق الأقصى ولكن لم تعرفه حضارات حوض البحر المتوسط قبل عصر الاسكندر الأكبر ، فقد التقى هذا القائد وجنوده بالفيل فى جيوش الهنود أثناء اندفاعه فى البنجاب عام ٣٢٦ ق.م (١) . ولعل هذا السلاح الجديد بامكانياته الهائلة كان أحد أسباب تمرد جنود الاسكندر مما أدى به للعودة إلى بابل . ويبدو أن دور الفيل فى الحرب كان دوراً مؤثراً إلى درجة حرص معها خلفاء الاسكندر على استخدام هذا السلاح الجديد فى جيوشهم(٢). فضم سليوكس الأكبر (seleucus Nikator) عدداً من الأفيال الهندية المدربة إلى جيشه ، ووصل به الأمر إلى التنازل عن أقاليم شاسعة شملت النصف الجنوبى من أفغانستان وبلوخستان(٣) للملك الهندى بوروس (Porus) فى مقابل امداده بخمس مئات من الأفيال(٤) .

كان حصول سليوكس على هذا العدد الكبير من الأفيال إيذانا ببداية عهد جديد شكل فيه الفيل السلاح البتار فى أيدى الدول الهللينستية ، كما كان إيذاناً بدخول الفيل الافريقى إلى ميدان المعارك .

استخدم الفيل الأفريقى فى القتال منذ أوائل القرن الثالث ق.م وبقى مستخدماً حتى القرن السادس الميلادى . وكانت مصر أول البلاد التى استخدمت الفيل الأفريقى لهذا الغرض خلال عصر البطالمة وشاركتها مروى فى ذلك(٥) ، ثم انتشر نطاق استخدامه غرباً فعرفته قرطاج بعد مصر بسنوات وظل سلاحاً هاماً فى جيشها حتى عام ٢٠٢ ق.م عندما أجبرتها روما على التخلى عن استخدام هذا السلاح فى جيشها(٦) ولكن استخدام الفيل الأفريقى فى الحرب انتقل ضمن العناصر الحضارية الأخرى من قرطاج إلى الدول الوطنية التى قامت فى شمال أفريقيا فى توميديا وموريتانيا وظل الفيل يستخدم كسلاح فى جيوش هذه الدول إلى أن سقطت فى أيدى الرومان خلال القرن الأول الميلادى .

استخدمت الفيل فى القتال منطقة ثالثة فى أفريقيا هى مملكة أكسوم التى قامت فى شمال شرق أثيوبيا(٧) ، ورغم أن هناك احتمالا بأن هذه المملكة قد تعلمت استخدام الفيل فى القتال من البطالمة أو من المرويين ، إلا أن الإشارات التى وردت فى المصادر عن أفيال القتال الأكسومية تعود إلى القرن السادس الميلادى . وقد

امتد أثر استخدام الفيل الأفريقى فى القتال إلى جنوب الجزيرة العربية عن طريق أكسوم .

وفى الصفحات التالية أقدم دراسة عن القيمة الحربية لفيل القتال الأفريقى من واقع نتائج المعارك التى اشترك فيها . ثم أتبعها بدراسة أكثر تفصيلا عن تطور دور الفيل الأفريقى فى جيوش كل دولة من الدول التى استخدمته .

— ١ —

القيمة الحربية للفيل الأفريقى

فشل الفيل الأفريقى فى أول مواجهة له مع الفيل الهندى فى معركة رفح ٢١٧ ق.م. (٨) وقد ذكر بوليبيوس Polybius (٩) الذى قدم وصفاً للمعركة أن الأفيال الأفريقية هربت من الميدان بعد أن خافت الأفيال الهندية الأكبر حجماً والأكثر ارتفاعاً(١٠) . وقع المؤرخون فى حيرة شديدة بسبب عبارة بوليبيوس الأخيرة إذ أن معلوماتهم عن الفيل الأفريقى فى المناطق المدارية أنه أكثر ارتفاعاً عن الفيل الهندى ؟ وقد دفعت هذه الحقيقة كثيراً من المؤرخين إلى تكذيب بوليبيوس وفضلوا أن يبحثوا عن أسباب أخرى للهزيمة غير صغر الحجم(١١) . ولكن أحد الباحثين الانجليز ويدعى السير وليام جوورز Sir William Gowers نشر بحثاً كشف فيه عن حقيقة وجود سلالتين من الأفيال الأفريقية إحداها ضخمة الحجم عالية الارتفاع بالنسبة للافيال الهندية وتعرف باسم Loxodonta africana وتعيش هذه السلالة فى المناطق الشجرية شمال وجنوب خط الاستواء ، أما النوع الآخر فهو أقل حجماً من الأفيال الهندية واسمه العلمى Loxodonta Cyclotis وهو يعيش فى الغابة كثيفة الأشجار . ومع ذلك فان تحديد مناطق الإقامة ليس دقيقاً فيمكن العثور على أفيال من السلالة الثانية تعيش فى المناطق الشجرية وهى مناطق إقامة السلالة الأولى (١٢) والطريف أن محاولات الإنسان لترويض فيل المناطق الشجرية كبير الحجم أسفرت عن فشل ذريع إذ لم يستجب هذا الفيل لمحاولات الإنسان فى هذا المجال بينما استجاب النوع الآخر لجهود ترويضه .

والمرجح أن فيل الغابة الأفريقية الأقل حجماً كان أكثر انتشاراً فى مناطق

دراستنا خلال فترة الدراسة (١٣) وهو الأمر الذى يتفق مع ما ذكره بوليبيوس ولعله هو الذى كون فصائل الأفيال الحربية فى جيوش الأمم التى ندرسها .

وقد احتاجت الشعوب التى استخدمت الأفيال فى القتال إلى خبرة طويلة لاصطياد الأفيال ، ومع ذلك فان صيد الفيل كان مجرد بداية لمرحلة طويلة يتم خلالها ترويض الفيل وتدريبه على إطاعة الأوامر . وكل فيل يحتاج إلى مدرب خاص يدربه ويتلقى منه الأوامر وبمرور الزمن يطمئن إليه(١٤) . ولكن المشكلة أن الفيل لا يطمئن لأحد غير مدربه فاذا مات هذا المدرب فقد تنتهى خدمة الفيل فى الجيش إذ أنه يرفض أية قيادة جديدة وربما أصبح خطراً على جيشه(١٥) . وأهمية وجود المدرب فى أنه يعرف كل شئ عن حياة الفيل ويعايشه فمثلا يعلم أن من أخطر الأمور الاقتراب من الفيل الذكر أثناء فترة التزاوج حيث يتبدل حاله ويصبح غير قابل لتلقى أية أوامر كما يصبح خطراً على كل من يقترب منه(١٦) . ولنا أن نتصور حدوث مثل هذه الظروف أثناء المعركة أو فى غضون الاستعدادات لها(١٧) والمدرب يقوم على تنظيف جلد الفيل ويهيئ له الاستحمام مرة أو اثنتين يومياً كما يقدم له الطعام فى مواعيده ، والفيل يحتاج إلى حوالى ٦٠٠ رطلا من الحشائش الخضراء لطعامه يومياً وقد قدرها تمبسون الدارس الأنجليزى بما يقرب من حشائش ميلين مربعين فى اليوم الواحد ، ومن الضرورى أن يرعى الفيل بنفسه لمدة ثمانية ساعات يومياً على الأقل حتى يبقى فى صحة جيدة وذلك لأن الفيل فى حياته البرية يقوم بالرعى لمدة ثمانية عشر ساعة كل أربع وعشرين ساعة . ويرى هذا الباحث أن الفيل يحتاج إلى جهد اثنين من العمال وبغلتين طول اليوم لجمع الأعشاب اللازمة لإطعامه(١٨) . وهكذا يمكن أن نقول أن جيشاً يضم مائتى فيل يحتاج إلى مصاحبة مجموعة من أربعمائة رجل للإطعام يستخدمون مثل عددهم من البغال فاذا أضفنا إلى احتياجات الفيل من الغذاء احتياجاته من المياه وقد قدرها هذا الدارس بثمانية وأربعين جالوناً من الماء لكل فيل وهذا يعنى أن مائتى فيل تحتاج إلى ما يقرب من عشرة آلاف جالون من الماء يومياً وبالطبع هذا يستدعى تدبير المزيد من حيوانات الحمل والحمالين . وإذا كان إمداد الأفيال بالطعام والشراب مشكلة فى فترات الإستقرار فما بال الأمر أثناء التحرك إلى ميدان معركة ما(١٩) .

يتضح مما سبق أن الفيل حيوان غالى التكاليف يحتاج إلى عناية خاصة ولابد أن قيمته فى الجيش كانت تساوى كل هذه النفقات والمتاعب ، ولعل مما يؤكد ذلك حرص القرطاجيين على استخدام الفيل وباعداد متزايدة فى جيشهم لمدة طويلة وكذلك إصرار الرومان على حرمان القرطاجيين من صيد وترويض وتدريب أو امتلاك أية أفيال بعد هزيمتهم فى زاما عام ٢٠٢ ق.م(٢٠)

ظل الفيل طوال الفترة التى استخدم فيها فى الجيوش محور صراع بين إرادتين — إرادة أصحابه الذين كانوا يريدون استغلال قوته إلى أقصى الحدود بما يحقق لهم التفوق والنصر وإرادة أعدائهم الذين كانوا يحاولون أن يستغلوا نقاط الضعف فى الفيل لكى يصلوا إلى مأربهم بالقضاء عليه فإن عز عليهم ذلك حاولوا تجنب أذاه على أقل تقدير .

أما أصحاب الفيل فقد إعتادوا وضع الأفيال فى مقدمة الجيوش لكى تبث الذعر والفوضى فى صفوف الأعداء خاصة المشاة الذين كانوا يولون الأدبار أو يواجهون الموت تحت أقدام هذه الحيوانات الضخمة ، وكانت أسلحة الجيش الأخرى تأخذ مكانها خلف الأفيال فإن استطاعت استغلال نتائج المفاجأة التى حققتها الأفيال كان النصر حليفها ، أما إذا فشلت فى ذلك ضاع أثر ما حققته الأفيال من نتائج(٢١) ، وقد حاول قادة هذه الجيوش من وقت لآخر أن يجدوا إمكانيات جديدة فى الأفيال ، فاستخدمها هملكار برقة Hamilcar Barca (٢٢) فى خداع أعدائه فى معركة نهر مجردة Bagradas ضد الجنود المتمردين سنة ٢٤٠ ق.م عندما أمر فرقة الأفيال بالتقدم ثم بالتظاهر بالانسحاب أمام الأعداء مما أغرى هؤلاء الأعداء بالاندفاع وراء الأفيال المتظاهرة بالهرب وتمت مهاجمة العدو المتقدم بغتة بفرق المشاة ثقيلة العدة كانت مختبئة عن عيونهم(٢٣) . كما استطاع هانيبال أن ينظم هجوماً ليلياً بالأفيال على معسكر الرومان فى كابوا مما أدى إلى نجاح وقتى لخطته(٢٤) .

أما أعداء الجيوش التى تستخدم الأفيال فقد اعتمدوا فى مواجهتهم للأفيال إلى محاولة التعرف على نقاط الضعف فيها واستغلالها — كما سبق أن ذكرت — ولكن استغرق هذا الأمر زمناً ظلت فيه الأفيال شيئاً مرعباً ويكفى ظهورها لكى تنتاب

جيوش الأعداء حالة من الفوضى الجماعية . لقد واجه الرومان(٢٥) هذه الأفيال في البداية بصفوف متراصة من الجنود المشاه وكان تصور جولوس عندما قرر ذلك أن هذه الصفوف يمكنها أن تكون حاجزاً أمام تقدم الأفيال ، ولكن النتيجة كانت كارثة على الجيش الرومانى إذ تحول الجنود بعد لحظات من مواجهتهم للأفيال إلى واحد من اثنين إما جثة مشوهة تحت أقدام فيل وإما هارب لا يلوى على شئ(٢٦) وقد وقع الرومان فى نفس الخطأ مرة أخرى فى معركة ترابيا Trabia سنة ٢١٧ ق.م(٢٧).

ولذلك بدأ الرومان يجربون الوسائل المختلفة لمقاومة هذا السلاح الرهيب، وكان نجاحهم الأول عندما اكتشفوا أن الأفيال تفزع من النار ، فعندما هاجمتهم أفيال هانيبال فى كابوا ساد الفزع والاضطراب لفترة تمالكوا أنفسهم بعدها وبدأوا يقاومون الأفيال بما فى أيديهم من وسائل وكان من بين هذه الوسائل المشاعل وقد اكتشفوا أن الأفيال تتأثر بشدة من النار وتحاول الهرب منها فزادوها ناراً وكانت النتيجة انسحاب أفيال هانيبال فى حالة سيئة من الإعياء وشدة الإصابات .

كما نجح الرومان فى اكتشاف وسيلة أخرى لمقاومة الأفيال إذ كونوا فى عام ٢٠٩ ق.م صفوفاً من الجنود تطلق السهام تجاه الفيل فى وقت واحد فتصيبة بأكبر عدد ممكن من الإصابات(٢٨)، وقد طور سكيبيو الأفريقى Scipio Africanus (٢٩) هذا الأسلوب فى معركة زاما فعين مساعداً لكل جندى من هؤلاء الرماة مهمته إمداده السريع بالذخيرة حتى لا يتوقف عن الضرب على الأفيال .

تعلم الرومان أيضاً أن يهاجموا الأفيال قبل أن تستريح من عناء السفر إلى مكان المعركة وكان هذا يؤثر على قوتها وكفاءتها بل ومدى استجابتها لأوامر مدربيها مثلما حدث فى معركة ميتاوروس عام ٢٠٧ ق.م فقد دخل الرومان المعركة ضد جيش هسدروبال دون أن يمنحوه فرصة للراحة بعد عبوره جبال الألب واضطر القائد القرطاجى — بسبب نجاح هذا (التكتيك) — إلى أن يأمر بنفسه بقتل عدد كبير من أفياله حتى لا تصيب جيشه بالأذى .

وكانت آخر الابتكارات فى ميدان مقاومة الأفيال ما لجأ إليه سكيبيو الأفريقى من فتح ممرات بين صفوف جيشه لكى تسمح للأفيال المعادية بالإستمرار فى

اندفاعها أماما دون أن تقتل جنوده تحت أقدامها فقلل بذلك عدد الخسائر بين جنوده ، كما اكتشف حساسية منطقة ما تحت الذيل عند الفيل للاصابات فأوصى جنوده بالتركيز على إصابة هذه المناطق ونجحت خطته(٣٠) .

ورغم أن تقارير الرومان عن نجاحهم فى مقاومة الأفيال تشير إلى أنهم استطاعوا تقليل أهمية هذا السلاح ولكن الواضح أن فصائل الفيل الأفريقى ظلت تسبب لهم الرعب حتى أنهم اشترطوا على قرطاج فى معاهدة استسلامها عام ٢٠٢ ق.م أن تسلم ما لديها من أفيال فأرسلوا جزءاً منها إلى روما وأعطوا الباقى هدية لصديقهم مسينسا(٣١) ، كما فرضوا على قرطاج فى نفس المعاهدة ألا تحصل على فيل جديد أبداً ، وظلوا يراقبون تنفيد هذا الشرط بدقة وصرامة حتى إبادتهم لقرطاج عام ١٤٦ ق.م .

— ٢ —

الفيل الأفريقى فى جيوش مصر ومروى(٣٢)

إن الصداقة التى جمعت سليوكس وبطليموس الأول ضد المنادين بفكرة إحياء الإمبراطورية المقدونية لم تستمر طويلا ، واصطدمت بواقع أطماع كل من الرجلين فى الاستئثار بجوف سوريا ، وقد كان نجاح بطليموس الأول فى ضم هذه المنطقة بداية المواجهة بين الأسرتين مما أدى إلى معارك عسكرية دامية خلال كل جيل من أجيال الحكام تقريباً(٣٣) .

رأى بطليموس الأول أن استقراره فى مصر وتحقيقه لأهدافه فى إقامة امبراطورية بطلمية يقتضى إنشاء جيش قوى واقتصاد متين . وقد لجأ بطليموس إلى أفضل ما فى العصر من إمكانات لإنشاء جيشه فاستقدم الجنود المقدونيين واليونانيين ومنحهم الامتيازات المتعددة ، كما سعى لتأمين حاجته من الأخشاب اللازمة لبناء الأسطول ولا يعقل أنه أهمل سلاح الفيل الذى كان ميزة فى أيدى منافسيه مثل برديكاس وسليوكس ، والمشكلة التى واجهت بطليموس الأول فى تكوين فصائل أفيال الحرب كانت بلا شك عدم قدرته على الحصول على الأفيال الهندية نظراً لوقوع مصادر هذا السلاح الرهيب فى أيدى أعدائه وأصدقائهم الهنود . ولذلك اضطر

بطليموس الأول إلى الاعتماد على المتاح من الأسلحة التقليدية ، على أن هذا القصور لم يمنع بطليموس الأول من الاستيلاء على بعض الأفيال الهندية من أعدائه عقب انتصاراته عليهم ، ففى سنة ٣٢١ ق . م تعرضت مصر لهجوم برديكاس ولكن « . . . تم القضاء على هجومه بل وانتهت محاولاته التالية للتقدم عبر النيل إلى كارثة عليه . . . »(٣٤)وكان جيش برديكاس يضم عدداً من أفيال الحرب الهندية استخدمها لكسر حدة تيار المياه عند عبور النهر . ومن المؤكد أن بطليموس الأول قد استولى على بعض أفيال برديكاس عقب هزيمته له فى ميدان المعركة بل وربما حصل أيضاً على بعض الأفيال الأخرى والباقية فى صفوف جيشه بمقتضى شروط الصلح التى أملاها على العدو المنهزم(٣٥) . أضاف بطليموس الأول إلى رصيد جيشه عدداً جديداً من أفيال الحرب الهندية بعد انتصاره فى سنة ٣١٢ ق. م على جيش ديميتريوس Demetrius (٣٦) فى فلسطين وكان هذا الجيش يضم ثلاثة وأربعين فيلا(٣٧) .

ومن المحتمل أيضاً أن الاتفاقات التى أعقبت معركة ابسوس Ipsos فى عام ٣٠١ ق . م قد أدت إلى حصول بطليموس الأول على عدد آخر من الأفيال التى كانت فى جيش انتيجونس Antigonus (٣٨).

إلا أن تطوير سلاح الفيل ودعم دوره فى الجيش المصرى كان صعباً فى ظل الظروف القائمة ، فمواطن الأفيال الهندية ومناطق تدريبها بعيدة فى شرق آسيا ولا بد للوصول إليها من عبور أراضى سليوكس المعادية ، وزاد الأمر سوءاً بازدياد القطيعة السياسية بين مصر تحت حكم البطالمة وسوريا السليوكية وقد دعى هذا الوضع الجديد الملك بطليموس الثانى الذى تولى العرش فى ٢٨٤ ق . م إلى التفكير فى الحصول على هذا السلاح الرهيب من مصادر أخرى بعيدة عن سيطرة أعدائه ، ووجد ضالته فى مناطق السودان وشرق أفريقيا . ولكن مشروع بطليموس بالاستغناء عن الأفيال الهندية كان مغامرة كبيرة فبعد أن كان يحصل على الأفيال الهندية مدربة وقادرة على القتال ، أصبح عليه أن يخطط لكل شئ يتصل بهذه الأفيال ابتداء من صيدها ومروراً بترويضها وتدريبها وأخيراً رعايتها كقوة للجيش المصرى .

نجح بطليموس الثانى فى أن يستعرض فى أحد الاحتفالات التى تمت فى الاسكندرية فى الفترة من ٢٧٩–٢٧٠ ق . م أربعا وعشرين عربة تجرها الأفيال

وهذا يعنى بلا شك أنه كان يملك مالا يقل عن مثل هذا العدد من الأفيال إذا افترضنا أن كل عربة يجرها فيل واحد أما إذا زاد عدد الأفيال التى تجر العربة الواحدة فالعدد يتضاعف(٣٩) .

ويذكر المؤرخون القدماء أن بطليموس الثانى أرسل حملات استكشافية قامت بعملها على الشاطئ الغربى للبحر الأحمر وأنشأت مراكز لصيد الأفيال(٤٠) وكانت هذه الأفيال تنقل إلى برنيكى Berenike (٤١) ومن هناك كانت تسير حتى وادى النيل ثم تسير بحذاء النيل حتى الاسكندرية .

ويضيف المؤرخون أن بطليموس الثانى قد نظم عملية تدريب الأفيال فى مصر وبعد ذلك كان يضمها إلى قواته(٤٢) .

ويجب أن نتوقف أمام هذه الروايات التى ترفض الاعتراف بدور الوطنيين الكوشيين (المرويين) فى تدريب هذه الأفيال كما تنسب كل عمليات الصيد لجنود بطليموس الثانى ، إذ أن هذا الرأى يحتاج لإعادة النظر فيه على ضوء الأدلة الأثرية المتاحة ففى المصورات الصفراء(٤٣) — التى لا تبعد عن نهر النيل بأكثر من مسيرة يوم واحد — تقوم العديد من المبانى المتصلة بتدريب الأفيال وهى المبانى التى يطلق عليها المجموعة المعقدة نظراً لكثرة ردهاتها وصالاتها المتداخلة(٤٤) وفى هذا الموقع الأثرى الفريد نشاهد حائطاً كاملا على شكل فيل(٤٥) نشاهد أيضاً رسماً نادراً لملك مروى راكباً فيلا وهو يلبس تاج مصر التقليدى(٤٦) ويضاف إلى ذلك المنظر الفريد الذى يؤكد أن المرويين لم يقوموا فقط بتدريب الأفيال الأفريقية ولكنهم أيضاً استخدموها فى الحروب . ويصور هذا المنظر بالرسم البارز صفاً من أفيال القتال المسرجة تقبض بخراطيمها على العديد من الأسرى(٤٧) .

إن هذه المناظر تميط اللثام عن دور الكوشيين خلال العصر المروى فى ترويض الفيل واستخدامه فى الحروب وهو الدور الذى أنكره عليهم كثيرون من الكتاب القدامى والمحدثين .

وعلى هذا يمكننا أن نتصور أن بعثات بطليموس الثانى لم تقصر جهودها على الساحل بل توغلت فى الداخل إلى المملكة الكوشية المتحضرة فى عاصمتها مروى :

وهناك وجدت هذه البعثات التجاوب الذى ساعدها على إتمام اتفاق لتوريد الأفيال المدربة إلى بطوليميس إذ كان طريق النهر مستبعداً لفقدان الأمن فى المنطقة الممتدة من النوبة العليا إلى جزيرة فيلة . وقد تسلمت مصر هذه الأفيال المدربة لأستخدامها فى أغراض القتال ولعل مما يدعم هذا الرأى أننا لم نسمع عن مشاكل تعرض لها من قاموا بنقل الأفيال وقيادتها عبر الطريق الطويل بالبحر ثم بالبر من السودان إلى الاسكندرية ، ولو كانت هذه الأفيال غير مدربة لصعبت السيطرة عليها .

استمرت هذه المراكز فى أداء دورها خلال القرن الثالث قبل الميلاد ، وقد اهتم بطليموس الثالث يوارجتيس الأول Euergetes I (٢٤٨—٢٢١ ق . م) بتدعيم فصائل الأفيال الحربية فى جيشه واعتمد فى ذلك بصورة رئيسية على إمدادات الأفيال الأفريقية ، كما سعى أيضاً للحصول على عدد من الأفيال الهندية مستغلا انتصاره خلال الحرب السورية الثالثة (٢٤٦—٢٤١ ق . م)(٤٨) سواء من جيوش السلوكيين المهزومة أو من بلاد الهند .

بقيت مراكز صيد وتدريب الأفيال فى مصورات الصفراء وغيرها تقوم بعملها خلال عصر بطليموس الرابع (Philopater) ، وأمدت الجيش المصرى بعدد من الفيلة ساهمت فى معركة رفح فى عام ٢١٧ ق . م . ضم الجيش المصرى فى تلك المعركة ثلاثة وسبعين فيلا فى مقابل اثنين ومائة من الأفيال الهندية فى جيش انتيوخس الثالث(٤٩) ويذكر بوليبيوس :

« . . . تجرأت بعض أفيال بطليموس على الاقتراب من أفيال العدو ، وقد حارب جنود القلاع المقامة على ظهور هذه الحيوانات بصورة مجيدة ، كما حاربت الأفيال نفسها . . . ولكن معظم أفيال بطليموس ضعفت أمام الصراع ، كما هى عادة الأفيال الأفريقية . . . »(٥٠) .

وبوليبيوس هنا وإن كان يحجب الاستمرار فى الصراع عن كثرة الأفيال ، فانه يشير إلى القتال الباسل الذى أدته الأقلية ، ويضيف بوليبيوس أن انتيوخس فقد فى هذه المعركة خمسة أفيال فقط بينما فقد بطليموس كل أفياله بعد مقتل ستة عشر فيلا واستيلاء الجيش السلوكى على البقية الباقية .

ولكن هذا التقرير يبدو بعيداً عن الواقع فبالرغم من هزيمة بطليموس فى اللقاء الأول فى ربيع عام ٢١٨ ق . م إلا أن لقاء العام التالى الذى تم يوم ٢٢ يونيه ٢١٧ فى رفح قاده إلى النصر الحاسم بفضل جنوده المصريين وقد استرد بطليموس الرابع على إثر النصر كل جوف سوريا . ولا نتصور أن انتيوخس كان قادراً على أن يستولى على أفيال بطليموس فضلا عن أفياله هو نفسه فى أثناء انسحابه بعد الهزيمة .

ولا بد أن بطليموس — وليس أنتيوخس — هو الذى استولى على الأفيال الباقية على قيد الحياة ، ويرجح هذا الرأى ما عرف من أن أنتيوخس قد ذهب إلى باكتريا Bactria والهند India بعد معركة رفح بعدة سنوات لكى يحصل على امدادات جديدة من الأفيال لجيشه(٥١) .

كانت معركة رفح هذه هى آخر المعارك الكبرى التى اشترك فيها الفيل الأفريقى فى تاريخ مصر الحربى فى عصر البطالمة ، فقد عانت الحكومة كثيراً من الثورات الداخلية والنزاعات بين أمراء البيت المالك مما أدى الى ضعفها ، ثم أصبحت أملاك الأسرة البطلمية وليمة شهية على مائدة القوى الفتية المتطلعة إلى التهامها مثل أنتيوخس الثالث فى سوريا وفيليب الخامس فى مقدونيا فضلا عن الجمهورية الرومانية(٥٢) وبالطبع تدهور الاهتمام بفصائل الأفيال الحربية كنتيجة للانهيار العام الذى أصاب مرافق الدولة حتى اندثرت كعنصر مؤثر فى الجيش المصرى ولم نعد نسمع شيئاً عن هذا السلاح منذ عهد بطليموس الخامس .

أما مصير مراكز صيد وتدريب الأفيال فى مملكة كوش المروية فيبدو أنها قد عانت من التدهور الذى أصاب مصر وهى التى بنت رخاءها خلال الأجيال الماضية على ما تدفعه مصر نظير الحصول على الأفيال ، ولكننى استبعد اندثار هذه المراكز بنفس سرعة إختفاء الفيل الأفريقى من الجيش المصرى ، إذ أن هذه المراكز كانت تمد الجيش الوطنى باحتياجاته من أفيال القتال(٥٣) بالإضافة إلى ما تصدره إلى الخارج .

الفيل الأفريقي في جيوش قرطاج ونوميديا وموريتانيا (٥٤)

تأكد اشتراك الفيل في الجيش القرطاجي لأول مرة عام ٢٦٢ ق.م أثناء صراعها من أجل السيطرة على جزيرة صقلية ، فني هذا العام أبحر القائد القرطاجي هانو (Hanno) إلى صقلية حيث واجه الرومان بجنوده وفرقة تضم خمسين فيلا . ويمكننا أن نعود بمعرفة قرطاج لاستخدام الفيل في القتال إلى أبعد من هذا التاريخ بعدة سنوات استغرقتها عمليات ترويض وتدريب هذه الحيوانات(٥٥) . ومن المؤكد أن قرطاج قد عرفت استخدام الفيل في القتال بعد عام ٣١٠ ق.م إذ أنها تعرضت في ذلك العام لغزوة من اجاثوكليس (Agathocles) ملك سيراكوز (Syracause) ولو كان لديها فصائل من أفيال القتال لما ادخرتها لأعز من هدف الدفاع عن أراضيها ولكن جيوش قرطاج خلال ذلك الغزو كانت لا تضم أفيالا(٥٦) . وربما يدعونا هذا إلى الاعتقاد بأن الجرأة التي تميز بها أجاثوكليس بهجومه على قرطاج في عقر دارها على الأرض الأفريقية — هي التي دفعت قادة قرطاج إلى البحث في تطوير أساليب القتال ومعداته في جيوشهم وربما اتجه تفكيرهم إلى استخدام الفيل بعد النتائج الممتازة التي حققها بيرهوس (Pyrrhus) باستخدامه لهذا الحيوان في حروبه في صقلية(٥٧) ، فضلا عن استخدام البطالمة للفيل كسلاح حرب في جيوشهم وقد كانت قرطاج على صلة بهم أيضاً .

بدأت قرطاج في البحث عن مصدر تحصل منه على أفيال القتال فوجدت على مقربة من أرضها معيناً لا ينضب من الأفيال الأفريقية في أراضي النوميديين الموريتانيين ، لكن الأفيال الأفريقية غير مدربة وخبرة قرطاج معدومة في اصطياد الأفيال وترويضها ، ولهذا لجأت في البداية إلى إستيراد أفيال ومدربيها . والمعتقد أنها حصلت على أفيالها الأولى ومدربيها من الإسكندرية التي كانت تربطها بها علاقات طيبة ، فقد كانت مصر في حاجة إلى فضة أسبانيا لضرب عملتها ، وكانت قرطاج تسيطر على هذه التجارة فضلا عن القصدير والخيول والكبريت ، كما أن قرطاج لم تتردد في أن تطلب من بطليموس الثاني في مصر قرضاً قيمته ألفي تالنت (talent)(٥٨) أثناء الحرب البونية الأولى(٥٩) .

حصل القرطاجيون على عدد من الأفيال الهندية ومدربيها سواء كان ذلك عن طريق مصر أو غيرها وبدأوا على الفور فى استخدام هذا السلاح الجديد فى جيشهم ، كما سعوا إلى تطويره باصطياد مزيد من الأفيال الأفريقية على أن يقوم المدربون الهنود بتدريبها ، وبالطبع استغرقت هذه المرحلة وقتاً اشترك القرطاجيون بعده بأفيالهم فى القتال ولكنهم كانوا ما يزالون يجهلون الكثير عن طباع هذا الحيوان والظروف الصالحة لاشتراكه فى القتال . وقد أدى هذا الجهل إلى وقوع أفيالهم الخمسين التى أشتركت فى معركة أجريجنتم (Agrigentum) غنيمة فى أيدى الرومان(٦٠) ، كما أدى ذلك إلى هزيمة أفيالهم فى المعركة التالية ضد روجولوس Regulus وكان هذا القائد الرومانى قد عبر إلى أفريقيا فى عام ٢٥٦ ق.م لكى يهاجم قرطاج فى عقر دارها أثناء الحرب البونية الأولى وفى عام ٢٥٥ ق.م تقدم إلى أوثنه Uthina حيث وقف بجيشه قبالة الجيش القرطاجى الذى فضل أن يبقى فى منطقة عالية بعيداً عن مرمى أسلحة المشاة الرومان ، واصطف جنوده وفرسانه وأفيال الحرب فى نفس المكان . ورغم جهل الرومان وخوفهم من مواجهة الفيل فان روجولوس وجنوده نجحوا فى تحقيق النصر فى هذه المعركة وقد ساعدهم على ذلك جهل القرطاجيين بطبيعة الأرض المناسبة لحرب الأفيال فوضعوها فى منطقة مليئة بالنتوات مما أرهق الأفيال وأدى إلى تعثرها ووقوع عدد من الخسائر بينها ومما لا شك فيه إن عدم اختيار القرطاجيين للأرض السهلية المناسبة لحرب الأفيال يدل على أنهم كانوا حديثى عهد باستخدام هذا السلاح(٦١) .

لجأ القرطاجيون بعد هذه الهزيمة إلى قائد أسبرطى يدعى اكسانثبوس xanthippos لكى يقود جيشهم ويعيد تنظيمه . وقد قام هذا القائد بوظيفته بكفاءة فعدل نظام الجيش القرطاجى إلى نظام الفيلق الاغريقى Phalanx (٦٢) ، كما استخدم الأفيال والفرسان بطريقة مؤثرة فى القتال . اختار الجيش القرطاجى ميدان القتال فى سهل مجردة Bagradas وهى أرض صالحة مفتوحة لمناورات الأفيال واصطف هذا الجيش فى حمى صف من مائة فيل ، بينما اصطف الفرسان على جناحى الجيش أما الجيش الرومانى — الذى كان ما يزال يجهل كيفية مواجهة الأفيال فقد اصطف جنوده فى الأمام ووقف خلفهم الفرسان . وكان روجولوس يرجو من هذا التنظيم

أن يقوم الجنود المتكاتفون كحائط يمنع تقدم الأفيال . ولكن سير القتال أدى إلى كارثة محققة بسبب هذا الجهل بإمكانيات الفيل فى القتال . فقد تقدمت الأفيال ضخمة الحجم لكى ترعب الجنود الذين ما أن شاهدوا زملاءهم تحت أقدام هذه الأفيال حتى ولوا الأدبار وأنفرط عقد الجيش الرومانى حيث وقع جنوده فريسة للفيلق القرطاجى المستعد . ويقال أنه لم ينج من الجيش الرومانى أكثر من ألفى جندى(٦٣) ، وانتهت الحملة بكارثة محققة للرومان كما أكدت أهمية الفيل كسلاح للمستقبل فى الجيش القرطاجى(٦٤) .

المعركة التالية كانت على أرض صقلية ، ففى عام ٢٥٤ ق.م استولى الرومان على بالرمو Panormus وكانت أهم قاعدة قرطاجية فى الجزيرة ، ولذلك جهزت قرطاج فى عام ٢٥٢ ق.م جيشاً لمحاولة استعادة ما فقدته من نفوذ فى صقلية . وكان الجيش القرطاجى بقيادة هسدروبال Hasdrubal يضم مائة وثلاثين فيلا بعد أن أصبح الفيل سلاحاً رئيسياً فى الجيش القرطاجى . وفى ميدان القتال بالقرب من بالرمو اصطف الجيش القرطاجى بنظامه المعتاد تتقدمه الأفيال ، أما الرومان بقيادة ميتللوس Metellus فقد هاجموا بمشاتهم الذين فزعوا من الأفيال وأسرعوا إلى خنادقهم يحتمون بها ولم يكتف هسدروبال بهذا النجاح ولكنه أراد أن يقضى على الرومان قضاء مبرماً فأمر فصائل الأفيال بالتقدم إلى معسكرات الرومان وهناك وقعت فى شرك إذ أنها توغلت فى منطقة سهلية محاطة بالتلال كانت القوات الرومانية تسيطر عليها ، وقد تعرضت الأفيال فى هذه المنطقة إلى إصابات شديدة دون أن تستطيع منعها مما دفعها إلى النكوص على أعقابها ، وأدى هذا إلى اضطراب واسع فى صفوف الجيش القرطاجى . وقد نجح أحد جناحى الجيش الرومانى فى استغلال فرصة هذا الإضطراب فى شن هجوم ناجح على جيش هسدروبال أدى إلى تدميره وقتل ستة وعشرين فيلا كما تم الإستيلاء على أربع ومائة من الأفيال بمساعدة الأسرى القرطاجيين .

وقد نقل جزء من هذه الأفيال إلى روما وظهر فى حفل النصر الذى سار فيه ميتللوس ، ويقال أن هذه الأفيال جميعاً تم قتلها فيما بعد ، وربما تم ذلك لكى يعلموا الشعب الرومانى أن هذا السلاح رغم خطورته من الممكن القضاء عليه وقتله

باستخدام الحراب ولكى يمحوا من أذهان هذا الشعب شبح الهزيمة الرهيبة التى نالها روجولوس بسبب أفيال القتال(٦٥) .

كانت الجولة الجديدة لفصائل فيل القتال الأفريقى فى الجيش القرطاجى ضد المتمردين من الجنود السابقين فى هذا الجيش . وكان هؤلاء الجنود يطالبون بحقوق لهم تجاه قرطاج التى كانت قد خرجت مفلسة من الحرب البونية الأولى . بدأ تمرد هؤلاء الجنود فى نهاية عام ٢٤١ ق.م واستمر حتى عام ٢٣٧ ق.م (٦٦) . وقد بذلت قرطاج كثيراً من الجهود الفاشلة للقضاء على هذا التمرد . نذكر من هذه الجهود الحملة التى قادها هانو Hanno فى عام ٢٤٠ ق.م وكانت تضم المشاة والفرسان ومجموعة من أفيال القتال الأفريقية بلغ عددها مائة فيل ، ورغم أنه حقق نجاحاً مبدئياً إلا أن الثوار نجحوا فى النهاية فى طرده من أوتيكا Utica . عندئذ لجأت قرطاج إلى هملكار برقة Hamilcar Barca أحد قادتها الأفذاذ لكى يخلصها من هذا المأزق وقد بدأ هملكار مهمته ببث الرعب فى نفوس أعدائه فأمر بكل الأسرى فوضعوا أمام الأفيال ثم أمر الأفيال فداستهم بأقدامها .

وبعد ذلك سيطر على جسر استراتيجى على نهر مجردة مما دفع قائد الثوار فى أوتيكا إلى الخروج بجنوده إليه ، لجأ هملكار إلى خديعة جيش المتمردين فدفع بأفياله السبعين وبعض المشاه خفيفى التسليح فى اتجاه العدو ، ثم أمرهم بالتقهقر أمامه كما لو كانوا يهربون وفى نفس الوقت أمر مشاة الجيش ثقيلى التسليح وفرسانه أن يختبئوا فى الخلف على بعد غير كبير . انطلت الحيلة على المتمردين واندفعوا وراء الأفيال والجنود طمعاً فى القضاء عليهم ، ولكن ما أن عبرت الأفيال ومن خلفها جنود العدو منطقة اختفاء جنود هملكار حتى أطبق هؤلاء على المتمردين يثخنونهم جراحاً وتقتيلا وفى نفس الوقت أطبق الفرسان على مؤخرة جيش المتمردين وكانت النتيجة تدمير جيش المتمردين فى أوتيكا ثم قامت الأفيال بدورها فى حصار الجماعات الأخرى من الثوار والقضاء عليهم فى عام ٢٣٧ق.م(٦٧) .

اتجهت قرطاج بعد القضاء على تمرد الجنود إلى فتح أسبانيا عوضاً عما فقدته من أملاك فى صقلية وقد اشتركت الأفيال الأفريقية فى جيش هملكار برقة الذى

تقدم لملاقاة الأيبيريين . وقد نجحت أفيال هملكار العشرين المجهزة بدروع جلدية في إحداث الفوضى بمنظرها المرعب مما أدى إلى هرب خيول الأعداء ونجاح هملكار في إنشاء امبراطورية لقرطاج في أسبانيا . تزايدت أعداد الأفيال العاملة في الجيش القرطاجي في أسبانيا فوصل عدد أفيال هملكار إلى مائة فيل كما أن هسدروبال كان يقود في عام ٢٢٩–٢٢٨ ق.م جيشاً يضم أكثر من مائتي فيل(٦٨) .

ولكن الغريب حقاً أن قوات هانيبال Hannibal (٦٩) في عام ٢٢٠ ق.م كانت تضم أقل من أربعين فيلا فقط ، وليس لدينا تفسير للفارق الكبير بين هذه الأرقام حتى لو سلمنا بحدوث خسائر في الأفيال نتيجة للعمليات العسكرية خلال تلك الفترة أو بسبب عدم كفاءة المدربين ، إذ أننا نعلم أن قرطاج كان لديها منطقة ملحقة بأسوار المدينة من الداخل صالحة لترويض وتدريب وإقامة ثلاثمائة فيل وذلك في نطاق استعداداتها للحرب البونية الثانية(٧٠) .

اشترك هانيبال بقواته في عدة معارك ضد القبائل الوطنية الأسبانية وفي أثناء عودته منتصراً اعترضته قوة من قبائل الكاليس olcales وفاكي Vaccei وكاربيتاني Carpetani . عسكرت هذه القوة على الشاطئ الشمالي لنهر تاجوس Tagus فلجأ هو إلى الشاطئ الجنوبي ونظم أفياله وخيوله لكي يستخدمها في مطاردة كل من تحدثه نفسه بأن يعبر إليه ، وأخيراً عبر هو إلى العدو الذي لاذ بالفرار(٧١) .

سار هانيبال شمالا حيث عبر جبال البرانس في عام ٢١٨ ق.م وعندما وصل نهر الرون كان جيش هانيبال المتجه إلى ايطاليا يضم سبعة وثلاثين فيلا بالإضافة إلى ثلاثين ألف جندي من المشاة وثمانية آلاف فارس فضلا عن القوات المساعدة وحيوانات الحمل .

توقف هانيبال أمام عائق الرون يومين جمع خلالها كتلا من الأخشاب وقام ببناء كثير من القوارب والأطواف ، ولكنه لاحظ في اليوم الثالث وأثناء استعداده للعبور أعداداً كبيرة من قبائل الغال تتجمع على الشاطئ المقابل لكي تمنعه من العبور . أمر هانيبال أحد قواد جيشه بأن يقوم بحركة التفاف حول العدو ومعه قسم من الجيش ، سار هؤلاء الجنود نحو الشمال لمسافة مائتي استاديا(٧٢) . وقد حققت

هذه الفكرة أهدافها . إذ فزع الغال وولوا هاربين بمجرد معرفتهم بنبأ العبور المباغت ومن ثم عبر القسم الرئيسى من الجيش القرطاجى نهر الرون دون مقاومة . ورغم أن الجيش القرطاجى قد أمن مقاومة الأعداء لعبوره فانه واجه مشكلة عبور الأفيال . ويقول بوليبيوس أن هانيبال تغلب على هذه المشكلة بأن أقام عدداً من المعديات على شكل أرصفة غطاها بطبقة كثيفة من التراب لكى يوحى للأفيال بأنها امتداد للأرض الصلبة ولكن ما أن تحركت هذه المعديات التى يبلغ طول الواحدة منها مائتى قدم حتى سببت انزعاجاً شديداً للأفيال ، مما دفعها إلى القفز فى الماء وترتب على ذلك غرق عدد كبير من مدربيها(٧٣) .

دخل هانيبال بجيشه إلى ممر جبلى فى جبال الألب فى طريقه إلى إيطاليا وكان معه سبعة وثلاثين فيلا . وفرضت ظروف الممر الجبلى والقبائل الوطنية المعادية على هانيبال عبوراً قياسياً ، فاضطر هانيبال أن يقاوم ظروف المناخ القاسية وأن يحارب هذه القبائل أثناء العبور . ورغم أن أفياله كانت تعانى من ظروف المناخ وقلة الطعام فضلا عن سوء خدمتها بعد غرق أغلب مدربيها فى نهر الرون ، فقد سارت فى مقدمة الجيش مرعبة القبائل المحلية واستمر هذا الوضع ثمانية أيام . وعندما أصبح صعود الجبل يمثل عائقاً أمام تقدم الأفيال المرهقة ، غير هانيبال خطته وترك الأفيال فى المؤخرة لكى تقوم بمهمة حراسة الجيش من هجمات الوطنيين . ولعل أكبر ما واجهته الأفيال من صعاب كانت الأيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من أيام العبور حيث كان هانيبال قد وصل بجيشه إلى قمة الممر الجبلى فى الأسبوع الثالث من شهر سبتمبر سنة ٢١٨ ق . م وكانت الثلوج تغطى الأرض . وقد اضطرت هذه الحيوانات الاستوائية إلى السير فى الثلوج لمدة ثلاثة أيام وقد أدى هذا بالإضافة إلى قلة الطعام إلى نفوق عدد كبير من الأفيال(٧٤) . وما أن أتم هانيبال عبور جبال الألب إلا وواجه ضرورة عبور نهر البو (Po) ، وهنا أنزل هانيبال ما بقى من أفياله إلى الماء فى صف طويل ليكسر قوة التيار ولكى يمكن مشاته وحيوانات الحمل فى جيشه من أن تعبر فى سلام(٧٥) .

بقيت أعداد قليلة من الأفيال بعد هذه الأهوال التى مرت بجيش هانيبال منذ خروجه من أسبانيا ومع ذلك فقد اشتركت الأفيال المتبقية فى معركة ترابيا Trabia

وتسببت رغم قلة عددها فى خسائر فادحة للرومان (٧٦) . لقد افتتح هانيبال القتال بهجوم الأفيال فى مقدمة الجيش القرطاجى ، وما أن رآها المشاة الرومان حتى لاذوا بالفرار وفى نفس الوقت كانت قوات الفرسان القرطاجية تطبق على القوات الهاربة من الجناحين ، وهكذا وجد الرومان أنفسهم محاصرين بالأفيال المتقدمة تجاههم يتبعها المشاة القرطاجيون والفرسان على الجانبين والنهر من خلفهم . وكانت مذبحة للرومان فمن لم تدوسه الأفيال بأقدامها قتلته سهام المشاة وأسلحة الفرسان ومن نجا من الموت على أيدى هؤلاء مات غريقاً فى النهر . إن نجاح الأفيال فى هذه المعركة يرجع إلى كفاءة هانيبال فى استخدامها حتى أنه استطاع أن يسحبها من القلب إلى الجناحين عندما لاحظ شدة تعرضها لسهام الرومان وبداية انفلات أمرها من أيدى مدربيها . إن هذه الحركة الذكية أدت إلى عودة السيطرة على الأفيال بابعادها عن منطقة الضرب الشديد فضلا عن أنها أتاحت للأفيال فرصة الانفراد بحلفاء الرومان من الغال البدائيين فى فنون التسليح(٧٧) .

تجول هانيبال فى مايو ٢١٧ ق . م بجنوده وأفياله وأفراسه فى المناطق الوسطى من شبه جزيرة إيطاليا ، فعبر جبال الإبنين إلى الشرق ثم عاد فعبرها إلى الغرب وقد قام هانيبال بجولته هذه فى ظروف جوية سيئة مما أدى إلى فقده لسبعة أفيال أثناء العبور الأول وفقد باقى الأفيال — فيما عدا فيله الخاص — خلال العبور الثانى(٧٨) وقد قاد هانيبال جيوشه خلال الهجوم على فلامينيوس Flaminius قرب بحيرة تراسيمينوس Trasimenus فى إتروريا Etruria دون أن يكون لديه سوى هذا الفيل الأخير(٧٩) .

تلقى هانيبال قبل معركة كابوا capua التى تمت فى سنة ٢١٠ ق . م مدداً جديداً من الأفيال وقد بلغ عدد أفياله التى اشتركت فى هذه المعركة اثنين وثلاثين فيلا(٨٠) . دبر هانيبال هجوماً ليلياً على معسكر الرومان مستخدماً الأفيال ، وفوجئ الجنود الرومان بهذه الحيوانات المخيفة تجول فى معسكرهم محدثة الفزع ومسببة الدمار . وتعتبر هذه الخطة تطوراً جديداً لأسلوب استخدام الفيل فى المعارك .

حققت خطة هانيبال نجاحاً مبكراً ولكن هانيبال لم يستغل هذا النجاح بدفع

عناصر أخرى من الجيش إلى المعركة ، فاستطاع الرومان أن يتمالكوا أنفسهم بعد بعض الوقت وبدأوا يقاومون الأفيال بما فى أيديهم من وسائل ومن ذلك قذف الأفيال بمشاعل اللهب من كل ناحية . ونجحت الوسيلة الجديدة فى بث الذعر بين الأفيال التى جعلتها أجسامها الكبيرة أهدافاً سهلة للنيران . ويعتبر هذا العمل الذى اتبعه الرومان تطوراً لأساليب مقاومة الأفيال . وقد ساعد على زيادة حجم الخسائر بين أفيال هانيبال أنها دخلت منطقة مساكن الجنود الرومان مما جعلها فى أرض غير مفتوحة وبالتالى غير مواتية لحروب الأفيال . هاجت الأفيال المثخنة بالجراح مما جعلها تلقى بركابها تحت أقدامها أثناء هربها من ميدان المعركة . واضطر هانيبال بعد فشل هجومه على كابوا capua إلى التخلص من الاشتباك وأن يعبر نهر ڤولتورنو Volturno ومعه البقية الباقية من أفياله(٨١) .

وفى عام ٢٠٩ ق . م توصل الرومان إلى إضافة طريقة جديدة لمواجهة الأفيال فكونوا فرقاً للرماية تقف فى صف واحد مهمتها إطلاق السهام على الأفيال فى وقت واحد حتى يطردوها بعيداً عن أهدافها(٨٢) .

وفى ٢٠٧ ق . م تعرض هانيبال لكارثة ، إذ استطاع القنصلان الرومانيان اللذان يتابعان خطواته أن يظفرا فى معركة ميتاوروس Metaurus بأخيه هسدروبال Hasdrubal (٨٣) ، وكان قد حضر إلى ايطاليا على رأس قوات مدد جديد لهانيبال . وما كاد يتم عبور جبال الألب بقواته حتى أجبره القنصلان على الدخول فى المعركة ضدهم قبل أن يستريح جيشه . كان الجيشان الرومانيان يفوقان جيش هسدروبال عدداً ، كما كانا فى وضع نفسى أفضل بالمقارنة بالجيش القرطاجى الذى كان يعانى الإرهاق بعد العبور الطويل لجبال الألب وبخاصة فصائل الأفيال . ولكن لم يجد هسدروبال بداً من مواجهتها ، فأطلق أفياله فى البداية لكى تحدث الاضطراب فى صفوف مشاة الجيش . اندفعت الأفيال بين صفوف الأعداء وحققت بعض النجاح ولكنها واجهت مقاومة شديدة من جانب الرومان بسبب (التكتيكات) الجديدة لمواجهتها مما أدى لإصابة أغلبها بالحروق وفقدان عدد كبير من مدربيها وأصبحت أغلب الأفيال بلا قيادة فهامت على وجوهها مذعورة فى المنطقة الفاصلة بين الجيشين حتى أصبح من غير الواضح لأى الفريقين تنتمى هذه الأفيال أو كما

وصفها ليفى Livy بأنها كانت « كالسفن التى تبحر بغير ربان » (٨٤) وأمام هذا الخطر اضطر هسدروبال إلى الأمر بقتل الأفيال المصابة بجروح شديدة مما أدى إلى فتكه بعدد من أفياله يفوق الذى قتل بأيدى الرومان . وقد كتب ديو Dio فى وصفه لهذه المعركة « بأن القرطاجيين قتلوا الأفيال . أما الرومان فقد قتلوا الرجال » (٨٥) وانهزم هسدروبال بسبب فشله فى استغلال النجاح الوقتى للأفيال نظراً لإرهاق رجاله وقلة عددهم مقارنا بالرومان . وانتهت المعركة بهزيمة هسدروبال وقتله .

بدأت الحرب البونية الثانية منذ هزيمة هسدروبال فى ميتاوروس Metaurus تميل لصالح الرومان ، وقد حقق الرومان نجاحاً آخر فى عام ٢٠٦ ق . م فى أسبانيا عندما نجح سكيبيو الأفريقى Scipio Africanus (٨٦) فى خديعة جيش قرطاج بقيادة هسدروبال بن جسكو Hasdrubalb. Gisgo وأصابه بهزيمة قاتلة . ويلاحظ فى هذه المعركة التى وقعت فى إلبيا Ilipa بأسبانيا أن النصر كان من نصيب القائد الذى استطاع أن يستغل نقاط القوة فى جيشه . استمر الجيشان لعدة أيام يتأهبان للقتال دون اشتباك . وكان سكيبيو يرتب لأمر ما فظل لأيام متتابعة يصحو مبكراً فينظم جيشه : المشاة فى القلب وكانوا من الرومان وقوات حلفائه الأسبان فى الجناحين ، ويأتى هسدروبال إلى ساحة المعركة متأخراً بعض الوقت فيرتب جنوده الموريتانيين والنوميديين فى القلب وحلفاءه فى الأجناب أما الأفيال فكانها المقدمة وفى يوم المعركة غير سكيبيو فجأة نظام جيشه فوضع الأسبان فى القلب وجعل الرومان المدربين فى الأجناب ولم يلحظ هسدروبال هذا التغيير وأتى نظامه على ما أعتاد عليه . وعندما بدأت المعركة أمر سكيبيو جناصة بالتقدم وأمر القلب بالتناقل بينما أندفعت أفيال هسدروبال لكى تهاجم القلب فوقعت فريسة الهجوم من الأجناب مما أدى إلى فقدان السيطرة على الأفيال فعادت على أعقابها مثيرة الفزع فى صفوف الجيش القرطاجى نفسه ، وقد استغل الرومان هذا التحول وشددوا من هجومهم على جيش هسدروبال مما أدى إلى تدميره .

وعاد هسدروبال بن جسكو إلى قرطاج بعد هزيمته فى إلبيا Ilipa ، وقضى عام ٢٠٥ ق . م فى قيادة فرقة لصيد الأفيال ، نجحت هذه الفرقة فى الحصول على مائة وأربعين فيلا كانت بغير شك إضافة جديدة هامة لقوة الجيش القرطاجى(٨٧) .

وقعت آخر المعارك فى أسبانيا خلال الحرب البونية الثانية خلال عام ٢٠٣ ق . م بين ماجو Mago القائد القرطاجى والقوات الرومانية بقيادة فارو varro وكورنيليوس Cornillius فى أقليم الغال الأنسبريان Insubrian Gauls . بدأ القتال بتفوق ماجو الذى نجح فى صد أول هجوم على مشاة جيشه لدفعهم للتقهقر ، وفشلت هجمة أخرى للفرسان الرومان على جناح الجيش القرطاجى عندما وجلت أفراسهم من الظهور المفاجئ للأفيال القرطاجية وفرت مذعورة . ولكن عندما تقدمت الأفيال إلى مرمى نبال الجنود الرومان نجحت صفوف الفرقة الحادية عشرة الرومانية فى إصابة كل فيل من أفيال ماجو بدفعات من السهام ، ونجحت فى مقاومة الأفيال نجاحاً تاماً أدى إلى خروج الأفيال تماماً من ميدان المعركة . ولكن الأفيال كانت قد نجحت قبل ذلك فى إحداث بعض الأضرار فى صفوف من لحقت بهم من جنود المشاة الرومان . استطاعت خيالة الرومان أن تعود للهجوم فى غيبة الأفيال ونجحت هذه المرة فى دفع قوات ماجو إلى الخلف فى قتال شديد متلاحم أصيب ماجو خلاله ونقل من ميدان المعركة . وقد أدت إصابة القائد القرطاجى إلى رجحان كفة الرومان . ولكنهم لم يتمكنوا من إحراز نصر حاسم على عدوهم ، فقد استطاع القرطاجيون أن ينسحبوا بنظام من ميدان المعركة حيث أبحروا إلى قرطاج ولم يقدر الرومان على مطاردتهم فقد كانوا يلعقون جراحهم(٨٨) .

كانت الجولة الأخيرة فى الحرب البونية الثانية على الأرض الأفريقية التى وصل إليها سكيبيو فى عام ٢٠٤ ق.م ، وانضم إلى صفوف الرومان الأغليد مسينسا النوميدى ، استطاع مسينسا أن يقدم خدمات جليلة لسكيبيو أثرت تأثيراً كبيراً على مركز القرطاجين خلال هذه الحرب ، ومن ذلك أنه أشار على سكيبيو باضرام النار بغتة فى معسكرات القرطاجيين وحليفهم الوطنى الأغليد سيفاكس syphax(٨٩) وقد نجحت الخطة وتم القضاء تقريباً على جيش سفاكس الذى كان يضم ١٤٠ فيلا وكذلك على جيش هسدروبال بن جسكو ، إذ فزعت الأفيال من النيران المنتشرة فى المعسكرات وأسرعت بالهرب مثيرة الرعب والفوضى فى معسكراتها مما ساهم فى ازدياد الخسائر .

تقدم سكيبيو بعد هذا النصر فى اتجاه قرطاج ونجح فى أصطياد هانيبال (٩٠) الذى كان قد عاد من إيطاليا لأنقاذ وطنه — فى منطقة كيلا cilla وهذه منطقة قفرة تقل فيها إمدادات المياه . ووقع هانيبال ضحية سوء حظه فلم يكن أمامه إلا

أن يحارب فى ميدان ليس من اختياره بما يحمله هذا من آثار نقص إمدادت المياه أو أن ينسحب بجنوده مما سوف يؤدى بالقطع إلى أنهيار الروح المعنوية لدى الجنود. قرر هانيبال أن يأخذ بالأولى فدخل معركة زاما الحاسمة وكان جيشه يعانى من نقص المياه والارهاق فى البحث عنها .

كان لدى هانيبال فى هذه المعركة ثمانين فيلا دفعها إلى المتقدمة وكان يليها مشاة الجيش . إلا أن سكيبيو استطاع أن يبتكر أسلوباً جديداً لمقاومة خطر هذه الأفيال فغير من نظام الجنود الذين كانوا يقفون فى صفوف بين كل جندى وجاره فاصل يغطيه جنود الصف الثانى – ثم يقف جنود الصف الثالث خلف جنود الصف الأول وهكذا وذلك بأن جعل كل الجنود فى كل الصفوف يقفون على محور واحد بمعنى أنه أمر بأن يتركوا بينهم فواصل تمتد من أول صف إلى آخر الصفوف. وكان هدفه من ذلك أن يترك فراغات بين هذه الصفوف تسمح باستمرار اندفاع الأفيال بين صفوفه حتى تخرج من مؤخرة المشاة دون أن تدوس أحداً فى طريقها وبذلك يستطيع أن يتجنب ضخامة حجم الخسائر بين جنوده ممن تدوسهم الأفيال . وفى نفس الوقت عين عدداً من الجنود المسلحين بأسلحة خفيفة يقفون فى مناطق الفراغات بين الصفوف مهمتهم مناوشة الأفيال مع الهرب من أمامها بين الصفوف لتفادى أى خطر ويا حبذا لو استطاع بعض هولاء الجنود أن يصيبوا الأفيال بجروح وآلام فى منطقة ما تحت الذيل . الإجراء الثالث الذى اتخذه سكيبيو لمقاومة الأفيال كان تسليح الصفوف الأولى من جيشه بأسلحة حديدية ثقيلة تطلق قذائف على شكل سهام ، وكانت الأوامر الثابتة عند هؤلاء الجنود أن يهاجموا بشدة تقدم الأفيال ، ولكى يتحقق لهم سرعة واستمرار المقاومة عين سكيبيو مساعداً لكل جندى مهمته إمداده دائماً بمزيد من السهام .

وفى نفس الوقت وقف الفرسان النوميديون فى الأجنحة . نجحت خطة سكيبيو وعندما دفع هانيبال بأفياله إلى المعركة سرعان ما ذابوا بين صفوف العدو ، وعندما لاحظ سكيبيو أثناء القتال أن فرسانه الرومان الذين يقفون خلف المشاه بدأوا يفقدون السيطرة على خيولهم المرعوبة من منظر الأفيال أمرهم بالترجل والقتال كمشاه واطلاق الخيول بعيداً ، وهكذا كسب سكيبيو أولى مراحل القتال . وكانت الخطوة الثانية هى حرب المشاه التى حقق هانيبال فيها نجاحاً باهراً ولولا خدعة تعرض لها من جانب مسينسا لانتهت المعارك لصالحه . فقد انسحب مسينسا بفرسانه بعيداً ثم دار حول

جيش هانيبال وفاجأه من مؤخرته فأحدث الفوضى العامة فى الجيش وانتهت المعارك لصالح الرومان .

هزم هانيبال فى هذه المعركة لاعتبارات عديدة منها بالطبع فقد الجيش القرطاجى للمائة وأربعين فيلا التى أصيبت فى حريق المعسكرات خلال العام السابق ، ولنا أن نتصور مدى تأثيرها على نتائج معركة زاما لو قدر لها الاشتراك فيها(٩١) .

فرض القائد المنتصر شروطه على القرطاجيين وهذه الشروط تبين مدى أهمية الأفيال فى جيش قرطاج ومدى رعب الرومان من وجود هذا السلاح فى أيدى أعدائهم بالرغم من الابتكارات المتتالية التى وصلوا إليها لمقاومته . لقد أمر الرومان عدوهم المهزوم بأن يسلم للرومان كل الأفيال المتبقية وأن يتعهد بالامتناع عن صيد أو امتلاك أو تدريب أفيال جديدة . وهكذا انتهى عصر استخدام الأفيال فى قرطاج(٩٢) .

تركت الأفيال بصماتها على فنون العصر ، فكانت المدن القرطاجية تضع فى حسابها بناء مكان مناسب للتدريب وإقامة الأفيال ملحق بسور المدينة من الداخل(٩٣) كما لجأت مدن كثيرة إلى تصوير الفيل على عملتها إشارة إلى قوته وقد تم العثور على عدد من هذه العملات فى أسبانيا من عصر البرقيين Barcids فضلا عن بعض القطع فى منطقة سهل البو فى إيطاليا ، والشئ المحير أن قرطاج نفسها لم تصور الفيل على عملتها(٩٤) .

لم ينته دور الفيل الأفريقى فى الحروب فى شمال أفريقيا باستسلام قرطاج إذ أن الممالك الوطنية مثل موريتانيا ونوميديا استخدمتا الفيل كسلاح رئيسى فى جيوشهما ونحن نعلم أن مسينسا قد أرسل إثنى عشر فيلا ضمن مساعداته لروما فى الحرب المقدونية الثالثة(٩٥) كما أرسل مسيبسا بن مسينسا قوات نوميدية لمساعدة سكيبيو الأميلى Scipio Aemilianus عام ١٣٤ ق.م وكانت هذه القوات تضم أثنى عشر فيلا بالإضافة إلى عدد من الفرسان وحاملى الأقواس والمقاليع بقيادة يوغرطة بن أخيه(٩٦) . وقد تم العثور على قطعتين من النقود فى شمال أفريقيا الأولى على وجهها وجه يوغرطة وعلى الوجه الآخر رسما لفيل أفريقى ، والقطعة الأخرى من عصر يوبا الثانى تحمل صورته على الوجه وفيل أفريقى على الوجه الآخر(٩٧) .

من المؤكد أن الفيل الأفريقى كون قوة هامة فى الجيش القرطاجى وقد تزايدت أهمية هذه القوة بمرور الزمن ، ورغم أننا لا نملك كل الأرقام عن أعداد الأفيال التى استخدمتها قرطاج منذ بدأ معرفتها هذا السلاح إلا أن المسجل من هذه الأرقام يعطى إشارة واضحة عن صدق اعتقادنا بأهمية هذا السلاح والبيان التالى يعطى صورة واضحة عما نقول :

١ ــ حشر القرطاجيون ٥٠ فيلا فى صقلية عام ٢٦٢ ق.م ٥٠

٢ ــ اشترك مائة فيل فى الحرب ضد الرومان بقيادة روجولوس ٢٢٥ ق.م . ١٠٠

٣ ــ فقد هسدروبال فى معركة بالرمو Palormus ٢٥٥ ق.م عدد ١٤٠ فيلا ١٤٠

٤ ــ اشترك ١٠٠ فيل بقيادة هانو فى حرب المتمردين عام٢٤٠ق.م ١٠٠

٥ ــ قاد هملكار قوة من ٧٠ فيلا أثناء مقاومته للمتمردين ثم أكثر من مائة أثناء وجوده فى أسبانيا . ١٧٠

٦ ــ وصل عدد الأفيال فى جيش هسدروبال فى الفترة من ٢٢٩ــ٢٢٣ ق.م إلى أكثر من مائتى فيلا . ٢٠٠

٧ ــ ضمت قوات هانيبال ٤٠ فيلا أثناء وجوده فى أسبانيا وتلقى ٤٠ فيلا كمدد أثناء وجوده فى ايطاليا . ٨٠

٨ ــ فقد هسدروبال جسكو وسيفاكس ١٤٠ فيلا أثناء الهجوم الليلى الذى شنه سكيبيو عليهم فى ٢٠٣ ق.م . ١٤٠

٩ ــ اشترك فى جيش هانيبال فى زاما ثمانون فيلا . ٨٠

وهكذا نلاحظ أن مجموع الأفيال التى يمكن حصرها من بين ما استخدمه القرطاجيون فى الفترة من ٢٦٢ إلى ٢٠٢ ق.م يزيد عن ألف ومائة من الأفيال المدربة ولنا أن نتصور كم كان العدد الأصلى للأفيال التى صادها القرطاجيون وبقى منها هذا العدد بعد الترويض والتدريب . ولنا أيضاً أن نضيف إلى ذلك ما حصل عليه القرطاجيون من أفيال من مصادر أخرى مثل البطالمة أو غيرهم .

أن هذه الصورة تبين إلى أى حد وصلت أهمية الفيل الأفريقى فى قوات القرطاجين .

(٣) الفيل الأفريقى فى جيش أكسوم (Aksum)

يقول بعض المؤرخين أن البطالمة أنشأوا عدول (Adulis) كمركز لصيد الأفيال شأنها فى ذلك شأن بطوليميس ثيرون على الساحل الغربى للبحر الأحمر فى السودان (٩٨) . ورغم أننى أعتقد أن عدول قد أنشأها العرب فى عصر سابق على وجود البطالمة (٩٩) فليس لدى دليل على عدم قيامها بهذا الدور على عصر البطالمة ، بل العكس هو الأقرب للصواب إذ أنها كانت مدينة تجارية يؤمها التجار من كل المناطق المحيطة يتبادلون فيها كثيراً من السلع ، وليس بمستبعد أنها تاجرت فى الأفيال الحية مثلما تاجرت فى سنون الأفيال . ويؤكد هذا الاحتمال أن صاحب الطواف فى البحر الاريترى يشير إلى وجود الأفيال فى مناطق أكسوم الداخلية وكذلك على الساحل بالقرب من عدول ـ وإن كانت الأعداد الأخيرة قليلة ـ (١٠٠) ويذكر ننوسوس (Nonnesos) سفير الإمبراطور جستنيان Jnstinian إلى ملك أكسوم فى أوائل القرن السادس أنه رأى فى منتصف الطريق بين عدول وأكسوم قطيعاً من خمسة آلاف فيل يرعون فى حقول الأهالى الذين يجدون صعوبة بالغة فى دفعها بعيداً عن مراعيها(١٠١) .

ولا تتكلم المصادر الأكسومية عن ترويض أفيال ولكننا نجد إشارات متناثرة تدل على ترويض الأفيال فى أكسوم فيوحنا مالالاس Malalas الذى زار المنطقة فى الربع الأول من القرن السادس الميلادى يقول عند وصفه للعرش الأكسومى « أن الملك كان عاريا إلا من رداء من الكتان والذهب عند خاصرته وكان يلبس على البطن والأكتاف شرائط جلدية مطعمة باللآلى فضلا عن خمسة أساور ذهبية فى يديه ، وكان يربط رأسه بحزام من الذهب والكتان تتدلى منه أربعة شرائط على كل جانب فضلا عن ياقة ذهبية حول العنق وكل يقف على أربعة أفيال ، تحمل منصة ذات أربعة عجلات ، محاطة من أعلاها بأوراق مذهبة مثل عربات حكام الأبارخوى ووقف ممسكاً فى يديه درعاً مذهباً صغيراً ورمحين صغيرين مذهبين أيضاً . »(١٠٢) .

لقد كان مالالاس يصف ما رآه بنفسه عندما استقبله الملك الأكسومى كسفير لجستنيان Justinian ولذلك فإذا كان هناك احتمال فى أن يخطىء فى وصفه

لتفصيلات معينة فلا يمكن أن نتصور خطأه فى رؤية أربعة أفيال ضخمة كان الملك يقف فوقها . ونستطيع من هذه الإشارة أن نقول بأن الأكسوميين كانوا يروضون الأفيال بل ويستخدمونها فى القتال . فى اعتقادى أن الملك الأكسومى وقد بدأ عند استقباله للرسول البيزنطى فى حلة الحرب وكذلك رجال بلاطه (١٠٣) أراد أن يبعث فى نفس الرسول البيزنطى الاحساس بقوته وهو يعلم قطعاً أن ما يراه هذا السفير سوف ينقل إلى الإمبراطور البيزنطى ، كما يعتقد بالطبع أن ظهوره بهذا المظهر يقوى من مركزه فى أى مفاوضات تجرى بين الطرفين .

ويؤكد ما ذهبنا إليه إشارتان أخريان فقد استخدم الأكسوميون الأفيال عندما توجهوا للاستيلاء على مكة تحت قيادة أبرهة الأشرم فى عام الفيل ، وقد اختلف الرواة فى تحديدهم لأعداد الأفيال التى اشتركت فى القتال فقيل أن عددهم واحد وقيل أربعة وقيل ثمانية وقيل إثنى عشر فيلا(١٠٤) .

والرواية العربية عن سيف بن ذى يزن وطرده للأكسوميين من اليمن فى عام ٥٧٠ م بمساعدة الفرس تتحدث عن ارتقاء (مسروق) قائد الأكسوميين على ظهر فيل أثناء القتال ، وهو ما يجعل هناك احتمالا لاشتراك أفيال أخرى(١٠٥) .

ان استخدام الجنود الأكسوميين للأفيال فى الجزيرة العربية يشير بغير شك إلى معرفتهم لها فى بلادهم والأكثر احتمالا بالطبع أن هذه الأفيال هى نفسها من أكسوم .

وإذا درسنا هذه الملاحظات ككل فإننا لا نشك فى أن الأكسوميين عرفوا أفيال القتال وأنهم دربوها بأنفسهم ولكن يبقى سؤال حائر لا نجد الإجابة ؟ هو لماذا لم تذكر الأفيال فى نصوص عيزانا عن حروبه ونحن نعلم أنه كان حريصاً على أن يذكر كل صغيرة وكبيرة عن هذه الحروب .

هوامش البحث :

(١) انتصر الاسكندر الأكبر على الملك الهندى بوروس Porus فى معركة نهر هيداسبس Hydaspes أحد روافد الأندوس سنة ٣٢٦ ق.م وكان جيش الملك الهندى يضم مائتى فيل ، أنظر :
J. ALLAN, *The Cambridge Shorter History of India,* Delhe, 1964. pp. 19—22.

(٢) انقسمت امبراطورية الاسكندر بين حرسه وقواد جيشه بعد وفاته فى بابل سنة ٣٢٣ق.م ، وكان أشهر هؤلاء القادة بطليموس بن لاجوس الذى حكم مصر ، وسليوكس الذى عرف بالأكبر وتولى أمر الولايات الشرقية وبلاد ما بين النهرين وسوريا ، انتيجونس الذى حكم آسيا الصغرى وبرديكاس Peıdiccas الذى تولى القيادة العامة لجيش الامبراطورية وكراتروس الذى عين وصيا على فيليب أرهدايوس أخ الأسكندر غير الشقيق ، للمزيد من التفصيلات أنظر : ابراهيم نصحى ، مصر فى عهد البطالمة ، ٣ أجزاء ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٣) تنازل سليوكس للملك بوروس عن أقاليم باربانيسادى Parapanisadae وأريا Aria وارخوسيا Arachosia والجزء الشرقى من جدروسيا Gedrosia ، وهى تقابل فى الوقت الحاضر النصف الجنوبى من بلوخستان وأفغانستان ، أنظر J. ALLAN, OP. CIT.PP. 26—27

(٤) J. ALLAN, Ibid pp. 24—27

(٥) تمثل مملكة مروى العصر الثانى من دولة كوش السودانية وقد بدأ هذا العصر فى أوائل القرن السادس قبل الميلاد واستمر إلى القرن الرابع الميلادى وكانت منطقة سهل البطانة هى قلب المملكة . للمزيد من القراءة أنظر : فوزى مكاوى ، مملكة مروى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، القاهرة ، ١٩٧١ .

(٦) سوف أقصر اهتمامى هنا على دور الفيل الافريقى فى المعارك التى اشترك فيها وللقارىء الذى يرغب فى معرفة المزيد عن الصراع بين قرطاج وروما أن يقرأ :

توفيق الطويل ، قصة الكفاح بين روما وقرطاج ، القاهرة د.ت .

عبد اللطيف أحمد على ، روما ، الجزء الأول القاهرة ، د.ت .

(٧) عاشت مملكة اكسوم من القرن الأول إلى القرن العاشر الميلادى وكانت فترة إزدهارها من القرن الثالث إلى القرن السادس الميلاديين . للمزيد من القراءة أنظر :

فوزى مكاوى ، مملكة أكسوم ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

(٨) وقعت هذه المعركة بين أنتيوخس الثالث Antiochus III الملك السليوكى وبطليموس الرابع (فيلوباترا) ملك مصر وقد انهزم الملك المصرى فى البداية ولكنه انتصر عند استئناف القتال فى العام التالى .

ابراهيم نصحى ، دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ص ٨٥–٨٧

(٩) عاش بوليبيوس فى روما فى الفترة من ٢٠٤ ق. م إلى ١١٢ ق.م وأرخ للجمهورية الرومانية خاصة فترة ما بين الحربين البونية الثانية ومنتصف القرن الثانى قبل الميلاد .

(١٠) قال بوليبيوس « . . . هربت أغلب أفيال بطليموس من المعركة ، كما هى عادة الأفيال الأفريقية ، لأنها لم تستطع تحمل رائحة الأفيال الهندية وهدير أقدامها . بالاضافة إلى ذلك ، فانه يبدو لى ، أنها ذعرت من حجمها الكبير وقوتها (الفائقة) لدرجة أنها ولت الأدبار قبل أن تقترب منها ، وهذا ما حدث فى تلك المعركة . . . » .

Polybius, Bk. V, C. 84.

(١١) قال بيفان Edwyn Bevan فى كتابه *Egypt under the Ptolemaic dynasty* London, 1957

« . . . ان ملاحظة المؤلفين القدامى عن صغر حجم الفيل الأفريقى بالنسبة للفيل الهندى ليست حقيقية ، فان الارتفاع المعتاد للفيل الهندى يتراوح من ثمانية إلى عشرة أقدام بينما يصل الفيل الأفريقى أحيانا فى ارتفاعه إلى اثنى عشر قدما . . . » .

وقال تارن W.W. Tarn عالم العصر الهلينستى الشهير :

« . . . إن قول بوليبيوس بأن الهزيمة كانت بسبب صغر حجم الأفيال الافريقية وضعفها مقارنة بالأفيال الهندية لا يعدو أن يكون تكراراً غبيا لما قاله Ctesias وقد ظل المؤرخون ينقلون هذا الخطأ واحداً عن الآخر لقرون حتى بعد أن عرف الفيل الأفريقى بحجمه الحقيقى . . . » .

W.W.Tarn, *Hellenistic Nowal and Military developments,* London, 1928

وقد كرر نفس القول مؤلفين آخرين مثل كارى M. Cary الأستاذ السابق بجامعة لندن

M. Cary, Polybius and and a literary Commonplace, *classical quarterly,* 1926, Vol. 47—No. 188.

(١٢) W. Gowers, African Elephants and Ancient Authors, *African Affairs,* 1948 pp. 173—180.

(١٣) تشير التقارير المختلفة إلى أن الأفيال كانت منتشرة فى مناطق لا تعرفها الآن مثل شمال شرق السودان الذى أشارت إليه المصادر البطلمية وكذلك مملكة مروى التى أشارت إليها تقارير البعثة الاستطلاعية التى أرسلها نيرون إلى هناك ، ويدل على هذا أيضا السهولة التى كان القرطاجيون يحصلون بها على مئات الأفيال من مناطق أصبحت الآن الصحراء الكبرى فى شمال أفريقيا . أنظر :

فوزى مكاوى ، مملكة مروى ، المرجع السابق وأيضا :

H.H. Scullard, Hannibal's Elephants, *Numismatic Chronicle,* 6th series, London, 1948 p 166

(١٤) كان أشهر مدربى الأفيال من الهنود ، وعندما أراد بطليموس الثانى تدريب الأفيال الأفريقية استعان بالمدربين الهنود وفعل القرطاجيون نفس الشيء حتى كان لفظ هندى يطلق على مدرب الأفيال أيا كانت جنسيته . H.H. Scullard, Ibid, p 161

(١٥) كان موت المدربين سببا فى نفوق كثير من الأفيال القرطاجية ، أنظر نفس الدراسة ، الفيل الأفريقى فى جيوش قرطاج ونوميديا وموريتانيا .

(١٦) ومن الغريب أن هذه الظاهرة ينفرد بها الفيل على عكس كثير من الحيوانات الأخرى

Thompson, *The Battle Elephant*, MA, Belfast university, 1969 pp 7—8

(١٧) اضطر هسدروبال Hasdrubal أخى هانيبال Hannibal إلى إصدار أوامره بقتل عدد من أفياله عندما قتل قادتها فى معركة ميتاوروس Metaurus خوفا من خطرها على جيشه ، أنظر الدراسة الخاصة بالأفيال فى جيش القرطاجيين .

(١٨) Thompson, Ibid, Appendix "B" pp 170—174

(١٩) Thompsom, Ibid, pp 13—16

(٢٠) Polybius XVIII. 6

(٢١) كل معارك الأفيال أكدت هذه الخطة ولكن نتائج المعارك اختلفت حسب توفيق بقية أسلحة الجيش فى استغلال النتائج التى حققتها الأفيال ولعل معركة القرطاجيين ضد روجولوس Regulus الرومانى فى عام ٢٥٥ ق.م خير مثال على هذه الخطة فى حالة نجاحها ، ومعركة كابو Capua التى قاد فيها هانيبال جنوده وأفياله ضد الرومان مثال جيد لهذه الخطة فى حالة فشلها .
أنظر التفاصيل فى نفس الدراسة .

(٢٢) قائد قرطاجى استطاع أن يعيد مجد قرطاج بعد هزيمتها أمام روما فى الحرب البونية الأولى ٢٦٤ — ٢٤١ ق.م وكانت قرطاج قد فقدت مستعمراتها البحرية بسبب هذه الحرب كما دفعت غرامة حربية كبيرة . ولكن هملكار برقة أقام امبراطورية قرطاجية فى أسبانيا أدت إلى رخاء قرطاج فى فترة وجيزة . أنظر .

جوليان ، شارل أندرى ، تاريخ أفريقيا الشمالية ، تونس ، ١٩٦٩ . ص‌ص ٩٩ — ١٠١ .

(٢٣) كانت قرطاج تعتمد على جنود نوميديين وموريتانيين وليبيين وقد عجزت عن دفع استحقاقاتهم عندها بعد هزيمتها فى الحرب البونية الأولى مما أدى إلى ثورتهم ، وامتدت الثورة إلى مناطق متعددة وانضم إليها كثيرون من الوطنيين ودامت من عام ٢٤١ إلى ٢٣٧ ق.م عندما استطاع هملكار برقة القضاء عليها . لمزيد من التفاصيل أنظر :

أحمد صقر ، مدنية المغرب العربى فى التاريخ ، الجزء الأول ، تونس د.ت ص ٢٠٢ وما بعدها.

(٢٤) ذكرت تفاصيل المعركة فى مكان آخر من هذا البحث .

(٢٥) كان الرومان هم أهم الأعداء الذين واجهوا الفيل الافريقى وطوروا أساليبهم باستمرار لمواجهة خطره .

(٢٦) أنظر دراسة المعركة فى نفس البحث .

(٢٧) تعتبر معركة ترابيا Trabia أول معارك هانيبال على الأرض الايطالية وقد وقعت على ضفاف نهر Trabia أحد روافد البو Po وكان الجيش الرومانى بقيادة القنصل سبروتيوس . وقد نجح هانيبال فى الايقاع بالجيش الرومانى والانتصار عليه .

(٢٨) كان صاحب هذا التطوير هو القنصل الرومانى ماركيللوس Marcellus

(٢٩) سكيبيو أفر يكانوس هو كورنيليوس بن بيليوس سكيبيو قنصل عام ٢١٧ ق.م وقد لقب بالأفريقي بعد أن حقق النصر النهائي لروما على قرطاج خلال الحرب البونية الثانية في عام ٢٠٢ وفرض على قرطاج شروط معاهدة استسلام اضطر هانيبال لقبولها .

(٣٠) راجع ما ذكرته عن معركة زاما في هذا البحث .

(٣١) مسينسا : ملك نوميديا خلال النصف الأول من القرن الثانى ، وقد حارب هذا الرجل فى شبابه إلى جانب القرطاجيين فى أسبانيا ولكنهم خذلوه فى الصراع الذى دار حول أحقيته اعتلاء عرش بلاده فقاوم وأتى كثيرا من البطولات ثم انضم للرومان ضد قرطاج خلال المرحلة الأخيرة من الحرب البونية الثانية ، وكان صاحب أفضال كبيرة على روما خلال هذه الحرب وقد بقى على صداقته لروما بعد الحرب . وقد قام خلال فترة حكمه المديدة بكثير من الأعمال العمرانية العظيمة ويرى بوليبيوس الذى كان مفتونا به أنه أبو النهضة فى كل مجال فى نوميديا .

P.G. Walsh, Massinissa, *Journal of Roman Studies*, Vol. LV London, 1965. pp. 149— 160.

(٣٢) كانت مروى بين الشلالين الخامس والسادس هى عاصمة مملكة كوش خلال الجزء الثانى من حياتها ويؤرخ هذا الجزء ما بين ٥٩١ ق.م إلى ٣٤٠ م بينما كانت نبتا التى تقع عند الشلال الرابع هى عاصمة الفترة الأولى التى امتدت من القرن الثامن إلى القرن السادس ق.م .

للمزيد من التفاصيل راجع ،

فوزى مكاوى ، مملكة مروى ، رسالة ماجستير غير منشورة القاهرة ١٩٧١ .

(٣٣) جوف سوريا ، كان التعبير الذى اطلق على المنطقة التى تشمل فلسطين والساحل الفينيقى وجزء من جنوب سوريا .

لمعرفة تفاصيل الصراع بين البطالمة والسليوكيين أنظر :

ابراهيم نصحى ، مصر فى عهد البطالمة ، المرجع السابق .

(٣٤) Diodous, XVIII 33— 36.

(٣٥) W. Gowers and H.H. Scullard, Hannibal's Elephants again, *Numismatic Chronicle* 6th *Series-lo-london*, 1950 p. 272.

(٣٦) ديمتريوس بن انتيجونس وكان قائداً لجيش أبيه فى سوريا . نجح هذا الرجل فى طرد سليوكس من ولايته عام ٣١٦ ق . م فلجأ إلى مصر . وقد هزمه بطليموس الأول فى معركة بفلسطين قرب غزة ٣١٢ ق. م وقد لعبت الأفيال دوراً هاماً فى المعركة لصالح ديميتريوس ولكن عندما نجح بطليموس الأول فى تحييد هذه الأفيال رجحت كفته وهزم ديميتريوس .

W. Gowers and H.H. Scullard, Ibid p. 273

(٣٧) Diodorus XIX, 83—84.

(٣٨) عقد بطليموس الأول فى عام ٣١٥ ق.م محالفة مع كل من سليوكس وكاسندروس

Cassandros – حاكم مقدونيا وبلاد الاغريق – وليسياخوس Lysimachus حاكم تراقيا ضد انتيجونس الذى هدد بأطماعه سلامة الولاة الآخرين وقد أدت هذه المحالفة إلى طرد جيش انتيجونس من سوريا بعد هزيمة ابنه ديمتريوس قرب غزة ٣١٢ ق.م . ثم جدد الحلفاء حلفهم ضد أنتيجونس فى عام ٣٠٢ ق.م وأدت المحالفة الجديدة إلى القضاء على انتيجونس فى موقعة ابسوس Ipsos ٣٠١ ق.م.

ابراهيم نصحى ، دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة ، المرجع السابق صص ١٢٨ – ١٢٩ .

(٣٩) كان ذلك فى احتفال يمثل عودة ديونيسيوس Dionysius من الهند وتاريخ إقامة هذا الاحتفال غير مؤكد وان كان يقع فى الفترة من ٢٧٩–٢٧٨ ق.م و ٢٧١–٢٧٠ ق.م . راجع :

W. Gowers and H.H. Scullard, Op. cit. p. 274.

(٤٠) انشاء البطالمة عدداً من مراكز صيد الفيلة على الساحل الغربى للبحر الأحمر مثل سوتيراس ليمن Soteiras Limen وبطولميس ثيرون Ptolemais Theron وغيرها ، وقد كانت هذه المراكز مقصد ما يوفده البطالمة من حملات لاصطياد الفيلة وغيرها من أنواع الحيوانات النادرة .

ابراهيم نصحى ، دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة ، المرجع السابق صص ١٢٣–١٢٤

(٤١) تقع هذه المدينة على البحر الأحمر على خط عرض أسوان تقريباً وتعرف فى الوقت الحاضر باسم برنيس .

(٤٢) Thompson, Op. cit. p. 88.

(٤٣) تقع المصورات الصفراء فى سهل البطانة الذى كان مركز الحضارة الكوشية فى العصر المروى زارها فى القرن التاسع عشر كل من ليناان دى بلفون وهوسكنس وقد كتب الأخير عن آثارها بأنها : ... المجهودات المعمارية الأخيرة لشعب ذهبت عظمته وفسد ذوقه ... » ولكن أثبتت الحفائر الأثرية الأخيرة التى قام بها الألمان بقيادة هنتزا Hintze أنها تضم العديد من الآثار المعمارية والفنية الرائعة .

Hintze, F Alte Kulturen in Sudan (Munchen, 1967)

(٤٤) فوزى مكاوى ، مملكة مروى ، المرجع السابق صص ٢٠١–٢٠٣

(٤٥) أنظر اللوحة رقم ١

(٤٦) أنظر اللوحة رقم ٢

(٤٧) أنظر اللوحة رقم ٣

(٤٨) قامت هذه الحرب السورية الثالثة بين ورثة أنتيوخس الثانى ملك سوريا السيلوكية فى ٢٤٦ ق.م وقد تدخل فيها بطليموس الثالث إلى صف أخته برنيكى وابنها ضد الزوجة الأولى لانتيوخس وتسمى لاوديكى Laodice . استطاع بطليموس خلال هذه الحرب أن يوسع أملاكه حتى بلغت أوج اتساعها وقد ترك نصاً نقله كوزماس فى القرن السادس من عدول ذكر فيه أنه سيطر على جيوش المناطق الشرقية حتى نهر الفرات كما سيطر على الأفيال الهندية .

ابراهم نصحى ، مصر فى عهد البطالمة جـ١ صص ٦٥–٦٦ .

(٤٩) تعتبر معركة رفح أحدى معارك الحرب السورية الرابعة التى بدأت عام ٢٢١ ق.م فى أواخر حياة بطليموس الثالث . وكانت هذه الحرب قد توقفت بعض الوقت عقب هزيمة السلوكيين فى أولى معاركها . وانشغل الملك السليوكى بأمور بلده . ولكن اعتلاء بطليموس الرابع لعرش مصر وكان شاباً ماجنا وإنهماك وزيره سوسيبيوس فى تدعيم مركزه أغريا الملك السليوكى بالتقدم فى اتجاه مصر فى ربيع عام ٢١٩ ق. م ولكنه لم يتم زحفه بل وافق على عقد هدنة لمدة أربعة أشهر على أن يتم تسوية الخلافات بين البلدين بطريق المفاوضات . ثم بدأ الوزير البطلمى المفاوضات وأطال فى مراحلها حتى استطاع أن يتدبر الأمر ويكون جيشاً ويعده واضطر أمام إلحاح الظروف أن يجند ويسلح عشرين ألفاً من الفلاحين المصريين كان لهم النصر النهائى فى معركة رفح ٢١٧ .

لمزيد من التفاصيل راجع :

ابراهيم نصحى ، دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة ، المرجع السابق ص ص ١٣٥—١٣٧ .

(٥٠) Polybius, V. 84.

(٥١) W. Gowers and HH. Scullard, op cit. 277.

(٥٢) عندما توفى بطليموس الرابع وآل حكم مصر إلى بطليموس الخامس — وكان طفلا — عقد أنتيوخس الثالث غريم مصر ، وفيليب الخامس ، حليفها ، اتفاقية سرية لاقتسام ممتلكات مصر الخارجية وازاء هذه الأخطار استنجدت مصر بروما . وقد استغلت الأخيرة الموقف وزادت من تدخلها فى شئون مصر حتى صار تعيين الحكام البطالمة وعزلهم رهنا باشارة روما .

راجع : ابراهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عهد البطالمة جا ص ص ٩١—٩٢

(٥٣) لم تذكر المصادر الأدبية شيئاً عن اشتراك الأفيال فى حروب مملكة كوش المروية ولكن الرسم البارز على جدران مصورات الصفراء لا يدع مجالا للشك فى وجود هذا الدور للأفيال . راجع اللوحة رقم ٣

(٥٤) تقع قرطاج فى شمال تونس الحالية ، وهى مستوطنة أنشأها مواطنو صور خلال القرن التاسع ق.م وأصبحت خلال القرن الرابع ق.م أقوى الدول البحرية فى غرب البحر المتوسط سيطرت على شواطئ تلك المنطقة ومدت نفوذها إلى أراضى نوميديا وموريتانيا (الجزائر والمغرب) وأسبانيا ونافست روما وكادت تقضى عليها خلال الحرب البونية الثانية ، ولكنها سقطت فى النهاية تحت أقدام روما فى عام ٢٠٢ ق.م وظلت أسيرة سيطرتها حتى دمرتها روما فى عام ١٤٦ ق.م .

أما نوميديا وموريتانيا فقد قامت بهما ممالك وطنية متأثرة بالنفوذ الحضارى لقرطاج منذ القرن الرابع ق.م وقد تزايدت قوة هاتين الدولتين بعد هزيمة قرطاج عام ٢٠٢ ق.م ، ولكنهما وقعتا تحت النفوذ الرومانى وبقيتا تحت هذا النفوذ حتى ضمتهما روما نهائياً إلى أملاكها عام ٤٠ م .

للمزيد عن هذا الموضوع اقرأ :

رشيد الناضورى ، المغرب الكبير ، العصور القديمة القاهرة ١٩٦٦ .

(٥٥) W. Gowers, The African Elephant in warfare, *African Affairs*, No. 182 London, 1964. p. 44.

H.H. Scullard, P. 159. (٥٦)

(٥٧) كان بيرهوس ملكا على ابيروس Epirus إحدى الممالك الاغريقية وكانت تملؤه روح المغامرة عبر البحر الادرياتى فى عام ٢٨٠ ق.م لانقاذ إغريق ايطاليا من سيطرة روما وإغريق صقلية من سيطرة قرطاج وقد نجح فى مهمته الثانية نجاحا كاملا بينما لم يحقق مراده بالنسبة للمهمة الأولى رغم انتصاره فى بعض المعارك .

للمزيد من التفصيلات راجع :

عبد اللطيف أحمد على ، روما ، القاهرة ، د.ت ص ص ٤٨ - ٥١ .

(٥٨) كان وزن التالنت الواحد ستون منا Mine ووزن المن الواحد مائة درهم والدرهم ٤٫٣٦ جراما أى كان التالنت يساوى ٢٦٫١٦ كيلو جراما من الفضة أوالذهب وأن اختلفت القيمة فتالنت الذهب كانت قيمته تساوى عشر مرات قدر مثيله من الفضة .

أحمد صفر ، المرجع السابق ص ٢٣٤ هـ ١

W. Gowers and H.H. Scullard, op. cit pp. 277—278 (٥٩)

(٦٠) كانت معركة أجريجنتم إحدى المعارك المبكرة فى الحرب البونية الأولى وقعت فى عام ٢٦٢ ق.م وقد حاصر القرطاجيون تلك المدينة بجنودهم وأفيالهم وأسطولهم ، ولكن الغلبة كانت للرومان ويبدو أن الأفيال كانت فى الصف الثانى خلف فرقة من الجنود المرتزقة وهذا مخالف للأسلوب الذى استخدمت به الأفيال بعد ذلك . وقد أدى هذا الخطأ فى استخدام الأفيال إلى التعجيل بهزيمة الجيش القرطاجى ، راجع .

W.Gowers, The African Elephant in Warfare, op. Cit. p. 44.

(٦١) أحمد صفر ، المرجع السابق ص ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٦٢) للقراءة عن أنظمة الجيوش القديمة راجع .

جورج كاستلان ، تاريخ الجيوش ترجمة كمال دسوقى ، القاهرة ، د.ت .

(٦٣) وقع القائد روجولوس أيضا أسيرا فى أيدى القرطاجيين ، وقد أصبح هذا الرجل بطلا قوميا رومانيا . فقد روى عنه أنه أعيد إلى روما على رأس وفد من الأسرى الرومان بعد أن وعد بالعودة إلى قرطاج إذا أخفق فى حمل السناتو على قبول شروط الصلح التى وضعها القرطاجيون . ولكن القصة تقول بأنه هو الذى أقنع السناتو بعدم الموافقة وذهب إلى آسريه رابط الجأش حيث تتلوه شر قتلة . وقد راجت هذه الرواية بين الرومان الذين كانوا يدللون على صدق الرومانى فى الوفاء بالوعد :

عبد اللطيف أحمد على ، المرجع السابق ص ص ١٠٢ - ١٠٣ .

Thompson, op. cit. pp. 110—111. (٦٤)

W. Gowers, The African Elephant in Warfare, op. cit., p. 45. (٦٥)

(٦٦) كان الجنود النوميديون والموريتانيون والليبيون يكونون عصب الجيش القرطاجى وكان هؤلاء الجنود يعملون لقاء أجر ربما كان جزءا من الغنائم ، ولكن قرطاج هزمت فى الحرب البونية الأولى وخرجت مدينة ومفلسة ولم تكن على استعداد لدفع أى أموال إضافية لهؤلاء الجنود ، ومن ثم ثار هؤلاء

الجنود بقيادة جندى ليبى يدعى ماتوس وانضم إليه اسبنديوس وكان عبدا رومانيا هاربا وأوتاريت وكان غالى الأصل نجح هؤلاء القواد الثلاثة فى أن يذيقوا قرطاج الكثير من المرارة بل وصل بهم الأمر إلى حصار المدينة وقطع طرق إمدادها بالبر . ولكن بعد نضال دام ثلاث سنوات وأربعة أشهر قضى هملكار برقة على هؤلاء الثوار . للمزيد عن هذا الموضوع :

أحمد صفر ، المرجع السابق صص ٢٠٢ — ٢٠٩ .

(٦٧) Thompson, op. cit. pp. 113—114.

(٦٨) H.H. Scullard, op. cit. p. 160.

(٦٩) هانيبال أكثر قواد قرطاج شهرة فى التاريخ وقيل أن روما لم تكره فى تاريخها رجلا مثلما كرهت هانيبال فقد أذاقها العذاب والهزيمة لسنوات طويلة إبتداء من عام ٢١٨ ق.م. ولكنه هزم فى النهاية فى ظروف غير مواتية عام ٢٠٢ ق . م ولم تتركه روما فاضطر لترك قرطاج ولجأ إلى بلاط فيليب الخامس ملك مقدونيا ولكنه اضطر فى النهاية إلى الانتحار فى عام ١٨٣ ق . م للمزيد من القراءة ،

عبد اللطيف أحمد على ، روما ، المرجع السابق ، صص ١٠٥ — ١٢٢ .

(٧٠) Thompson, op. cit. p. 114.

(٧١) H.H. Scullard, op. cit. p. 162.

(٧٢) الاستاديون Stadion الواحد يساوى ١٨٥ مترا أى أن هذا القسم من جيش هانيبال سار لمسافة ـ٣٧,ـ كيلو مترا نحو الشمال .

عبد اللطيف أحمد على ، مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٦٢ هـ ١٨ .

(٧٣) Polybius, III. 46 1—12.

(٧٤) Thompson, op. cit. p. 118.

(٧٥) سبق هانيبال إلى تنفيذ نفس الفكرة برديكاس عندما غزا مصر فى ٣٢١ ق.م.

(٧٦) Pybolius, III. 72. 2.

(٧٧) Thompson, op. cit. p. 119.

(٧٨) W. Gowers, The African Elephant in Warfare, op. cit. p. 46.

(٧٩) لعل من غريب الصدف أن يتم هانيبال أفضل معاركه فى غياب فيل القتال فقد أنتصر على القنصل فلامينيوس فى تراسمينوس عام ٢١٧ ق.م وأباد جيشه . كما استطاع أن يبيد ثمانين ألف جندى رومانى ومعهم القنصل أميليوس باولوس Aemilius Paullus فى معركة كاناى سنة ٢١٦ ق.م دون أن يكون لديه سوى فيله الخاص المسمى سورس surus .

عبد اللطيف أحمد على ، روما ، المرجع السابق صص ١١١ — ١١٧ .

(٨٠) تلقى هانيبال أربعين فيلا بقى منهم عند قيام معركة كابوا اثنين وثلاثين .

W. Gowers, The African Elephant in warfare, op. cit. p. 46.

(٨١) Thompson, op. cit. p. 122.

(٨٢) Ibid.

(٨٣) كان الرومان يتوقعون وصول قوات المدد وكلفوا جيشاً بقيادة القنصل ليفيوس أن يترقب وصول هسدروبال جنوب أريمينوم Ariminum على البحر الإدرياتى أما القنصل الآخر كلوديوس نيرون claudius Nero فقد كلف بتأديب بعض الإيطاليين المتمردين بالإضافة إلى التصدى لهانيبال الذى كان يعسكر بجنوده فى أپوليا فى الجنوب الشرقى من ايطاليا . وقع فى أيدى نيرون أحد رسل هسدروبال لأخيه لينبئه بقرب وصوله . استغل نيرون الموقف وتسلل بأغلب قواته إلى الشمال منضما إلى القنصل الآخر حيث التقيا بهسدروبال على ضفاف نهر ميتاوروس وفرضا عليه الدخول فى معركة غير متكافئة .

بعد انتصار الرومان ألقى نيرون برأس هسدروبال فى معسكر أخيه مما كان له أسوء الأثر على نفسه . أما الرومان فقد أقامو عيداً لشكر الآلهة لمدة ثلاثة أيام .

للمزيد من القراءة عن هذه المعركة :

عبد اللطيف أحمد على ، روما ، المرجع السابق صص ١١٧ – ١٢٠ .

(٨٤) Livy XXVII 49, 1—2.

(٨٥) Dio cassius, The Roman History, XVI p. 211.

(٨٦) هو كورنيليوس بن بيبليوس سكيبيو قائد جيش الرومان ضد هانيبال فى عام ٢١٨ ق.م تلقب بالأفريقى بعد نجاحه فى هزيمة قرطاج فى زاما ٢٠٢ ق.م وفرض شروط الصلح على البطل الأسطورى هانيبال للمزيد من القراءة .

أحمد صفر ، المرجع السابق صص ٢٢٩ – ٢٣٥ .

(٨٧) Thompson, op. cit. pp. 124—125.

(٨٨) Polybius, XI—24.

(٨٩) سيفاكس كان ملكا على نوميديا خلال النصف الأخير من القرن الثالث ق.م وقد تقلب فى تحالفه فتارة مع الرومان ضد قرطاج وتارة أخرى مع الأخيرة ضد الرومان ، والملاحظة الجديرة بالذكر أن منافسة الملك غايا ومن بعده مسينسا كانا دائما مع الطرف المعادى لسيفاكس . وأثناء المعركة الأخيرة فى الحرب البونية الثانية كان سيفاكس يقف إلى جانب قرطاج . وقد سقط سيفاكس أسيرا فى يد مسينسا فى عام ٢٠٣

(٩٠) عاد هانيبال إلى بلاده فى ٢٠٣ ق.م حيث منحه مجلس الشيوخ القرطاجى لقب قائد دكتاتور . وقد حدد هانيبال أهدافه حسب الترتيب الآتى – الحصول على امدادات من الأمراء الوطنيين أمثال مزطول منافس مسينسا وفرمينه بن سيفاكس – ثم محاربة مسينسا لمنعه من الانضمام إلى الرومان – وأخيرا الإيقاع بسكيبيو وجنوده . ولكن لم تأت الرياح بما تشتهى السفن وهزم هانيبال .

أحمد صفر ، المرجع السابق ، صص ٢٢٨ – ٢٣٠ .

(٩١) Thompson, op. cit. 128—130.

(٩٢) راجع شروط الصلح الذى عقد فى ٢٠١ ق.م ى :
أحمد صفر ، المرجع السابق ص‌ص ٢٣٣ — ٢٣٤ .

(٩٣) سبقت الاشارة الى وجود هذا المكان فى أسوار قرطاج .

(٩٤) H.H. Scullard, op. cit. Fig. 2—6.
W. Gowers and H.H. scullard, op. cit. p. 167 ff.

(٩٥) P.G. walsh, op. cit. pp. 158—9.

(٩٦) وقد كانت الأفيال الاثنى عشر ضمن مساهمة مسينسا فى تلك الحرب بمليون مكيال من القمح و ١٢٠٠ فارس.
أحمد صفر ، المرجع السابق ص‌ص ٢٧٥

(٩٧) Thompson, op. cit. p. 30.

(٩٨) ابراهيم نصحى ، دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة المرجع السابق ص ١٢٤ .

(٩٩) فوزى مكاوى ، مملكة أكسوم ، المرجع السابق ص‌ص ٢٣٦—٢٤٠ .

(١٠٠) Schoff, periplus of the Erythraean sea (New York, 1912) p. 22 ff.

(١٠١) Nonnosos, In corpus scriptorum Historiae Byzantinae ed. B.G. Niebuhrii, Bonnae. Lo. XVII.

(١٠٢) Malalas, In Corpus scriptorum Historie Byzantinae ed. B.G. Niebuhrii, Bonnae L. XVII.

(١٠٣) Idem

(١٠٤) عبد المجيد عابدين ، بين الحبشة والعرب ، القاهرة ، د.ت ص‌ص ٦٦ —٦٧ .

(١٠٥) عبد المجيد عابدين ، نفس المرجع ص ٦٩ .

مكتبـــة البحث

أولا : مراجع باللغة العربية :

١ – ابراهيم نصحى ، دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة ، القاهرة ، ١٩٥٩

٢ – ابراهيم نصحى ، مصر فى عهد البطالمة ، ج ١ – ط٢ القاهرة ١٩٧٣ .

٣ – احمد صفر ، مدنية المغرب العربى فى التاريخ ، ج ١ تونس د.ت .

٤ – جوليان ، شارل أندرى ، تاريخ أفريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالى والبشير بن سلامة تونس ١٩٦٩ .

٥ – رشيد الناضورى ، المغرب الكبير ، العصور القديمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

٦ – عبد اللطيف أحمد على ، روما ، القاهرة ، د.ت .

٧ – عبد اللطيف أحمد على ، مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية . القاهرة، ١٩٦٥ .

٨ – عبد المجيد عابدين ، بين الحبشة والعرب ، القاهرة ، د.ت .

٩ – فوزى مكاوى ، مملكة مروى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، القاهرة ، ١٩٧١ .

١٠ – فوزى مكاوى ، مملكة أكسوم ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، القاهرة ، ٩٧٤ .

١١ – كاستلان ، جورج ، تاريخ الجيوش القديمة ، ترجمة كمال دسوقى ، القاهرة ، د.ت .

ثانياً : مراجع بلغات أجنبية :

12. Allan, J., *The Cambridge Shorter History of India*, Delhc, 1964.

13. Bevan, E., *Egypt under the Ptolemaic dynasty*, London, 1927 .

14. Cary, M., Polybuis and a literary commonplace, *classical quarterly*, Vol. 46 No. 188. London, 1926.

15. Dio, Cassius, *Ronan History*, Loeb classical liberary, London, 1912.

16. Diodorus,

17. Gowers, W., The African Elephant in warfare, *African Affairs*, London, 1946 .

18. Gowers, W., African Elephants and Ancient authors, *African Affairs*, London, 1948 .

19. Gowers, W., and H.H. Scullard, Hannibal's Elephants again, *Numismatic chronicle* 6th *series*, London, 1950.

20. Hintze, F , *Alte Kulturen in sudan*, Munchen, 1967.

21. Livy, *History of Rome*, loeb classical liberary
London (1919—1957).

22. Ioannis Malalae, chronographia, in corpus scriptorium Histoiiae Byzantinae, Bonnae,

23. Nonnosos, Ex Historia Nonnosi Excerpta, In Corpus Scriptorum Historae Byzantin-ae Bonnae

24. Polybius, *Histories*, lobe classical liberary, London, 1909.

25. Schoff, *Periplus of the Erythraean seen*, New York, 1912.

26. Scullard, H.H., Hannibal's Elephants, *Numismatic chronicle, 6th series*, London, 1948.

27. Tarn, W., *Hellenistic Naval and Military developments*, London, 1928.

28. Thompson, *The Battle Elephant*, M.A Belfast university, 1969.

29. Walsh, P.G., Massinissa, *Journal of Roman strdies*, London, 1965.

30 Warmington, *Carthage*, London, 1964.

الاشتراكية فى افريقيا

د. حورية توفيق مجاهد
أستاذة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية
جامعة القاهرة

SOCIALISM IN AFRICA

By

Dr. HOREYA T. MEGAHED

Socialism has become the most important widespread ideological component in Africa since the rapid independence of its states. While the understanding of socialism & its application might differ from one country to another, yet, there are certain common characteristics of socialism in Africa in general. In fact, socialism is far from being a dogma : the African leaders are empirical & pragmatic in adopting socialism & adapting it to their immediate needs. On the other hand, socialism in Africa, while borrowing from Marxism, yet, the heart has remained African based mainly on African communalism. Meanwhile, socialism in Africa has integrated the basic values of the society: mainly the religious values.

« اشتراكيتنا ... تعارض الراسمالية ، التى تهدف لأن تبنى مجتمعا على أساس استغلال الانسان للانسان ، وهى بالمثل تعارض الاشتراكية العقائدية التى تهدف لأن تبنى مجتمعها السعيد على فلسفة الصراع المحتوم بين الانسان والانسان » .

جوليوس نيريرى (١)

تعتبر الإشتراكية من أهم الظواهر الإيديولوجية فى أفريقيا . فهى نظير لنظام الحزب الواحد الجماهيرى الواسع الانتشار بالدول الأفريقية ، بل إنها فى الواقع أكثر منه انتشاراً . والإشتراكية من أهم المفاهيم التى يستخدمها القادة الأفريقيون فى عملية بناء الدولة القومية . ومن الطبيعى أن تختلف درجات تفهمها كمذهب أو أيدولوجية ومدى استخدمها فى الواقع من دولة إلى أخرى ، ولكن تبقى حقيقة هامة ، أنه كما نظر إلى نظام الحزب الواحد على أنه وسيلة من الوسائل الفعالة لبناء الأمة — بمعنى استخدامه لتأسيس التضامن والاندماج القومى — فان الإشتراكية تستخدم كأيديولوجية أساسية لتماسك هذا النظام . كما نظر إليها أيضاً على أنها سبيل تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، سواء فى ظل نظام الحزب الواحد أو فى ظل غيره من النظم . وباختصار ، فان الإشتراكية هى الواسيلة الهامة التى لجأ إليها القادة لانجاح محاولاتهم فى بناء الأمة وتعبئة الجماهير حول الأهداف القومية .

وموضوع الإشتراكية فى أفريقيا — وهى محور دراستنا هذه — يكتنفه الكثير من الغموض واللبس ويثير الكثير من التساؤلات التى سنحاول توضيحها والإجابة عليها : فأخذ العديد من الدول الأفريقية بالإشتراكية جعل البعض يذهب إلى

---

(١) راجع J.K. Nyerere, Freedom & Unity, East Africa : Oxford University Press, 1969, P. 170. See also, J.K. Nyerere; "Ujamaa : The Basis of African Socialism", in Readings in African Political Thought, ed., Cideon-Cyrus M. Mutise & S.W. Rohio, London, Nairobi, Ibadan, Lusaka : Heinemann, 1975, p. 155.

الاعتقاد الخاطئ بأنها قد سلكت مسلكاً ماركسياً ، فى حين تساءل الكثيرون عن مكان القيم الروحية المتوارثة فى إطار تلك الاتجاهات الحديثة .

وعليه فنى هذا المجال يجب أولا أن نوضح عدة نقاط قد تسهم فى توضيح الصورة قبل البدء فى التحليل : فمن ناحية ، يلاحظ أن الدول الأفريقية بصفة عامة لا تأخذ بالأيديولوجيات والعقائد الجامدة حيث التركيز دائماً على الواقع والاتجاه العملى فى مواجهة المشاكل والنظر إلى حاضر ومستقبل المجتمعات الأفريقية . فالزعماء الافريقيون ليسوا بعقائديين، بل هم بالدرجة الأولى علميون وتجريبيون، واهتمامهم بالإشتراكية ينصب بصفة عامة على وظيفتها وعلى أخذ جانبها التطبيقى أكثر من الأهتمام بالأفكار المنهجية ، وعليه فالتطبيق الإشتراكى فى أفريقيا يتميز بالمرونة وبنفس المثل فان الأفكار ذاتها تتميز بعدم التجمد والبعد عن التعنت . وباختصار فان المشاكل العملية والاعتبارات الواقعية تأتى فى المقدمة وتعطى لها الغلبة ، بحيث لا تدع مجالا للتظريات والمبادئ الجامدة ، والتركيز أساساً على التجربة والخطأ فى الوصول إلى الأسلوب الذى يتمشى مع متطلبات الوضع القائم ليس فقط فى أفريقيا بصفة عامة ولكن أيضاً فى كل دولة أفريقية على حدة . بحيث يمكن القول بأنه : لا توجد اشتراكية أفريقية بل عدة اشتراكيات أفريقية حيث تسبق كل دولة إلى إيجاد الصيغة المناسبة لظروفها . » (١) وقد سبق أن أكد موريس ديفرجيه أن نظام الحزب الواحد قد سبق من حيث التطبيق وجود نظرية خاصة به : فالنظام قائم والمشكلة هى البحث عن نظرية عامة تحكم أبعاده ، ونفس الأمر ينطبق على الإشتراكية فى أفريقيا .

ومن ناحية ثانية فان الإشتراكية فى أفريقيا قائمة على التوليف بين عدة أفكار ومفاهيم الكثير منها مستورد — إلا أن القالب ظل أفريقيا ، فهناك سعى لتطويع الأفكار والأسماء الأجنبية لواقع الظروف الأفريقية المخالفة . ومن ناحية ثالثة فمن الملاحظ أن معظم أبعاد الإشتراكية فى أفريقيا يقوم على رفض أبعاد الأيديولوجيات

---

(١) لمزيد من المعلومات عن الاشتراكية الأفريقية أنظر :

Nguyen Van Chien, Les Politiques d'Unité Africaine. Lille : Sewice de reproduction des thèse de l'Université de Lille III, 1974, P. 170.

الأجنبية بدرجة أكبر من بناء أفكار جديدة ، أى أن التركيز كان على الجانب السلبي أكثر من الجانب الإيجابي .

وفى مجال الإشتراكية فى أفريقيا يستخدم فى كثير من الدول الأفريقية اصطلاح « الإشتراكية الأفريقية » (١) African Socialism تأكيداً لتميزها ، أى تركيزاً على نظرية الظاهرة الإشتراكية باعتبارها نابعة من أصول أفريقية . وفى هذا الصدد توضح الحكومة الكينية « أن كلمة (أفريقية) فى تعبير الإشتراكية الأفريقية لم يتم ادخالها لتصف قارة تزرع فيها أيديولوجية أجنبية عنها ، فهى تعنى التركيز على الجذور الأفريقية لنظام هو فى حد ذاته أفريقى فى خصائصه . فالإشتراكية الأفريقية تعبير يصف نظاماً أفريقياً سياسياً واقتصادياً هو بالتأكيد أفريقى وليس مستورداً من أى دولة ولا هو صورة أو مخططاً تفصيلياً لأية أيديولوجية أجنبية ولكنه قادر على أن يتضمن ويحتوى الأساليب المفيدة والمتمشية معه من أى مصدر . والشروط الأساسية التى يجب أن يحفظها النظام ، تتركز فى : (١) يجب أن يستمد أفضل ما فى التقاليد الأفريقية — (٢) يجب أن يكيف نفسه مع الظروف الجديدة والسريعة التغير — (٣) يجب أن لا يستند فى نجاحه على علاقة تبعية بأية دولة أخرى أو أية مجموعة من الدول »(٢) .

فضلا عن ذلك ، فان استخدام مفهوم الإشتراكية الأفريقية يتضمن التأكيد على الشخصية الأفريقية(٣) ، الأمر الذى تسعى الدول الأفريقية جاهدة على إبرازه كما تسعى لتأكيد كل ما هو أفريقى .

ولكن مفهوم الاشتراكية الإفريقية لا يتقبله البعض على أساس أنهم يعتبرونه مفهوماً عنصرياً مثل الزنوجة "Negritude" التى تعنى « قيمة

---

(١) أول من استخدم هذا الاصطلاح هو الرئيس السنغالى ليوبولد سنجور .

(٢) أنظر : Kenya Government Sessional Paper No. 10, 1965, "African Socialism & its Application to Planning in Kenya", Ministry of Information, Kenya, 1965, P. 1—18.

(٣) لمزيد من المعلومات راجع : Tom Mboya, "African Socialism", in Mutiso & Rohio, op. cit., P. 603—604.

السواد The Value of blackness »[1] وأن الاشتراكية تعتبر فى أساسها عالمية وإن اختلف التطبيق ؛ أى أن هؤلاء لا يعترفون بقارية الظاهرة الاشتراكية وإن اعترفوا باختلاف التطبيق لا الجوهر . وهذا الاتجاه ينادى به إما الذين يدينون بالماركسية بمفهومها العالمى ، وهم قلة غير مؤثرة فى الدول الإفريقية ، أو بعض الزعماء الافريقيين الذين يتميزون بالثورية بابعادها الإفريقية بالاشتراكية ، التى لا تعنى نفس الشئ على المستوى العالمى ، فهؤلاء الأخيرون حتى وإن نادوا بنبذ ربط الإفريقية بالاشتراكية ، أى نبذ الاشتراكية الإفريقية كمضمون مؤكدين على الجانب العلمى للاشتراكية ، فانهم يميزون أنفسهم عن الماركسية وعما نادى به ماركس من اشتراكية عامية ، أى أن أهم ما يميز الاشتراكية فى أفريقيا هو تميزها عن الماركسية ، وإن كانت قد استفادت بالكثير من أفكارها .

فالرئيس سيكوتورى – الذى يعتبر من أكثر الزعماء الأفريقيين أخذاً بالماركسية يقول : « إن لكل إنسان فى حياته نقطة إذا لامستها أدركت من هو . وأنا أحمد الله أنى مسلم مؤمن أعمل بتعاليم الإسلام ، لست شيوعياً ، وكما قلت أن الإسلام هو الإسلام ، لا شيوعياً ولا اشتراكيا ولا رأسمالياً وإنما هو الإسلام »[2] .

كما أن الرئيس السابق نكروما الذى طالما أكد على أنه يأخذ بالماركسية ويجعلها مرشده إلا أنه كان دائماً ما يعمل على تأكيد تميزه عن التيار العالمى للماركسية ، فقد كان يؤكد أنه ماركسى – مسيحى » ، وهو كثيراً ما أعلن أن : « أفريقيا لا تتوجه إلى أى من الغرب أو الشرق وإنما إلى الأمام »[3] .

---

(١) لمزيد من المعلومات عن جذور « الزنوجة » وأبعادها أنظر :

د . حورية وفيق مجاهد : « الاتجاهات الأيديولوجية للوحدة الأفريقية » مجلة معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، العدد الرابع ، ١٩٧٥ .

(٢) النص مذكور فى : محمد صفوت السفا أمينى (الأمين العام المساعد للرابطة الإسلامية) ، المسلمون فى غينيا ، بيروت : رابطة العالم الإسلامى – مكتب بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م ، ص ٩٤ .

(٣) جاك مندلسون ، الرب والله وجوجو : الأديان الأفريقية المعاصرة ، ترجمة ابراهيم أسعد محمد ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧١ ، ص ٢٤٨ .

أسباب انتشار الاشتراكية فى أفريقيا :

إن السؤال الذى يثور لأول وهلة فى مجال بحث الاشتراكية فى أفريقيا هو ما السبب فى انتشارها كأيديولوجية بدلا من الرأسمالية التى من المفروض أن تكون قد ورثتها الدول الأفريقية عن الدول الاستعمارية السابقة ؟

هناك من يحاول تفسير انتشار الاشتراكية فى أفريقيا على أساس ذاتى عاطفى ، بمعنى أن الدول الأفريقية لم تنبذ فقط الاستعمار الغربى بل نبذت أيضاً الأيديولوجية المرتبطة ، (الرأسمالية) . وأن اتباعها للاشتراكية هو فى حد ذاته إعلان لتحررها من الغرب وتميزها عنه . فما لا شك فيه أن هناك رابطة تاريخية بين الاستعمار فى أفريقيا من جانب الدول الأوروبية الغربية والنظام الرأسمالى . وقد أوضح لينين تلك الرابطة بتحليله الذى يجد صدى واسعاً فى أفريقيا بأن : « الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية . ومن ناحية أخرى فان أصحاب الاتجاه الذاتى فى تبرير الاشتراكية فى أفريقيا يؤكدون أن الدول الاشتراكية أعلنت عن نفسها منذ لينين كنصير للشعوب المستعمرة والمضطهدة وكمواجه رئيسى للاستعمار فى شكله التقليدى(١) .

ولكن ينتقد هذا الاتجاه على أساس أنه لا يصلح فى إعطاء تفسير رشيد ، وأن الرأى الأول يرد عليه بأن الدول الأفريقية حريصة على تأكيد ذاتيتها وأن بغضها للاستعمار الغربى لا يعنى ترديها فى أيديولوجية أخرى أجنبية أيضاً . فالزعماء الأفريقيون فى غالبيتهم العظمى لا يذهبون مع نهرو فى قوله : « إذا كانت الشيوعية سيئة فالإستعمار أسوأ منها بكثير »(٢) .

والدول الأفريقية ليست مجبرة على أن تختار إحداهما حيث أن كلتيهما فى رأيهم سيئ ، فكما عبر جورج بادمور ، وهو أحد رواد الوحدة الأفريقية ، أن الشيوعية

---

(١) لمزيد من المعلومات راجع :

Ahmed Mahiou, L'Avénement du Parti Unique en Afrique Noire, Paris· Librairie Général de Droit et de Jurisprudence, 1969, Part II, see esp. P. 344–7,

(٢) أنظر النص فى : جاك أوسترى ، الإسلام والتنمية الاقتصادية ، دمشق : دار الفكر ، ١٩٦٠ ، ص ٥٣ .

هى البديل الأيديولوجى للقومية ، والأخيرة تعتبر أهم أبعاد الأيديولوجية فى أفريقيا. أما الراى الثانى فى الأسس الذاتية للاشتراكية فى أفريقيا فيرد عليه بأن الواقع يثبت أن الدول التى ترفع رأية الماركسية مارست وتمارس الاستعمار حتى فى شكله التقليدى ويتمثل هذا بوضوح فى توسع الاتحاد السوفيتى فى أوربا الشرقية مثلا ، ومن البديهى أن تحرص الدول الأفريقية حديثة الاستقلال على إبعاد نفسها عن الحرب الباردة ، كما أن معظمها يخشى من الاستعمار الجديد أياً كانت صورته وأياً كانت الاتجاهات الأيديولوجية للدول التى تمارسه .

ويمكن القول إذن بأن اختيار الاشتراكية فى أفريقيا لم يكن فى أكثر الأحيان قائماً على عوامل ذاتية أو عاطفية بقدر ما قام على العوامل الموضوعية الخاصة بظروف أفريقيا الاقتصادية والسياسية وهو مرتبط بالكفاءة والفاعلية الاقتصادية على أساس أن الرأسمالية لا يمكنها مواجهة المشاكل الواقعة للتنمية بدرجة النظام الاشتراكى . ومما لا شك فيه أن الدول الأفريقية انجذبت على الأقل فى بادئ الأمر لنماذج التنمية فى الاتحاد السوفيتى والصين بعد قيام الثورة فى كليهما وإن كان قد اتضح لها تدريجياً أن التجربة مختلفة لاختلاف الظروف والمشاكل ، ومن ثم حرصت على أن تاخذ من تلك الأنظمة بالقدر الذى يتمشى مع ظروفها واحتياجاتها .

فالدول الأفريقية تعتبر من أكثر دول العالم انخفاضاً فى الدخل والانتاجية : فتوسط دخل الفرد فى أفريقيا ١٢٠ دولاراً أى ما يعادل أقل من ١/٢٠(١) من مثيله فى أمريكا الشمالية (التى يصل متوسط دخل الفرد فيها ٢٦٧٥) ويزيد قليلا عن ١/٤ مثيله فى جنوب أمريكا (٤٢٠) و ١/١٠ مثيله فى أوربا (١٢٣٥) دولاراً وإذا أخذنا بعض الحالات الفردية نجد الصورة أكثر سوءا فمتوسط دخل الفرد السنوى فى أوغندا يبلغ ٥٠ دولاراً ، وفى مالى ٥٢ وفى كينيا ٦٠ دولاراً .

---

(١) قبل عام ١٩٥٢ كان متوسط الدخل لـ ٣/٤ الشعب فى مصر عشرين جنيهاً للفرد الواحد فى العام ، بينما حصل ١٠٠٠ شخص على ١٠ آلاف جنيه سنوياً ، وحصل خمسون على ٥٠ ألف جنيه سنوياً ومتوسط دخل الفرد فى العام فى القاهرة يصل حالياً إلى نحو ١٢٠ جنيهاً .

من ناحية أخرى ، قبل ١٩٥٢ كان ٩٤٫٣٪ من ملاك الأرض يملكون ٣٥٫٤٪ من الأرض المزروعة بينما تملك ٥٫٧٪ فقط بقية الأرض . ومع الإصلاح الزراعى حددت الملكية بمائة فدان للأسرة ووزعت الأرض المزروعة — المصادرة — (٩٤٤٤٥٧ فداناً) على صغار الفلاحين (من ٣—٥ أفدنة لكل فلاح) .

أما إذا نظرنا إلى نصيب الفرد من الناتج القومى نجده ضعيفاً للغاية فى أفريقيا : فهو فى جمهورية أفريقيا الوسطى ٣٤ دولاراً ، وفى مالاوى وبورندى والصومال ٥٠ دولاراً ، أما فى رواندا ودول أفريقيا الاستوائية الناطقة بالفرنسية فهو لا يصل إلى ٤٠ دولاراً (ولكن يستثنى من تلك الدول الأخيرة جابون التى يصل فيها نصيب الفرد من الناتج القومى إلى ٤٠٠ دولاراً ويعتبر من الاستثناءات الواضحة فى أفريقيا) .

ومما يزيد الأمر تعقيداً ومشاكل التنمية تفاقماً فى الدول الأفريقية أن الفارق فى مستوى المعيشة بين الدول النامية — ويعنينا منها أفريقيا — والدول المتقدمة فى تزايد ، وليس فى تناقص ، لأن معدل تزايد النمو أكبر كثيراً فى الأخيرة عنه فى الأولى .

ومن ناحية أخرى نجد أنه فى معظم الحالات لا يوجد تكوين رأسمالى خاص (استثمارات كافية) ، كما لا توجد طبقة بورجوازية عريضة وهى التى تعتبر الطبقة الديناميكية فى التنمية ، حيث أن السياسة الاستعمارية لم تطور مثل هذه الطبقة المتوسطة كما لم تطور رأس المال الوطنى . وفى ظل هذه الظروف ليس من الواقعى أن نتكلم عن إمكانية وجود النظام الرأسمالى فى دول تنقصها الوسائل والامكانيات المادية لذلك ، أى تنقصها مقومات هذا النظام .

من هنا يتضح أن اختيار الاشتراكية وإن كان فى القليل من الحالات كما فى مصر وأثيوبيا مثلا ينبع جزئياً من الاتجاه لتحقيق إعادة توزيع الثروة وإيجاد أساس عادل للملكية . إلا أنه فى معظم الحالات ، كان اختيار الاشتراكية مبنياً على أساس أنها أكثر الوسائل فاعلية فى تحقيق التنمية الاقتصادية ، ورفع مستوى المعيشة . وتنمية الثروة المادية . فالدول الأفريقية فى حاجة إلى اقتصاد موجه ومخطط لزيادة قدرتها الانتاجية ، وتعبئة مواردها من أجل التصنيع ، وتقليل اعتمادها على العالم الخارجى ، حيث أن رأس المال الخاص فى معظم الدول الأفريقية ليس متوافراً ، وحتى إذا توافر فى حالات قليلة فانه ليس منظماً ولا يوجد لديه الاهتمام بتنمية الدولة كلها . حيث دافع الربح يجعله يتجه فقط إلى المشروعات المضمونة التى تدر أكبر ربح ممكن ، مع الإحجام عن المشروعات التى لا تدر الربح المتوقع حتى وإن كانت أساسية فى تنمية الدولة .

لذلك فالبديل الآخر عن عدم توافر رأس المال الوطنى فتح المجال أمام رأس المال الخاص . ولكن حتى هذا البديل لا يتوفر فى كل الحالات فى أفريقيا . إذ أن رأس المال الأجنبي الخاص هذا لا يهتم بتلك الدول التى لا تتوافر لديها الموارد الصناعية إذ أن شأنه فى ذلك شأن رأس المال الوطنى الخاص الذى ينشد دائماً الربح .

بالإضافة إلى ذلك فان القادة الذين يتبعون الخط الثورى — خاصة على أثر الاستقلال وغيرتهم عليه — لا يميلون إلى فتح الأبواب أمام رأس المال الأجنبى الخاص ، على أساس أنه لا يتمشى مع الاستقلال السياسى الحقيقى ويفتح الباب على مصراعيه للاستعمار الجديد .

فضلا عن هذا فان الاعتماد على رأس المال الأجنبي يمارس أثراً عكسياً فى الأمد البعيد . إذ أن إعادة تصدير الأرباح والفوائد تكون على حساب الناتج القومى — وقد قدر فى ساحل العاج التى تفتح أبوابها للتنمية القائمة على رأس المال الأجنبي — أن ١٥٪ من إجمالى الناتج القومى تصدر سنوياً للخارج فى شكل فوائد ومن ناحية أخرى فان الأجنبي الأقوى عادة ما يمارس أثر إفقار على الاقتصاد الأفريقى الأكثر تخلفاً .

لكل هذه الأسباب يمكن القول بلا مبالغة ، بأن الاشتراكية فى أفريقيا كانت أمراً حتمياً حيث أن التنمية الاقتصادية يجب أن تتم على يد الحكومات .

تلك هى أهم العوامل الاقتصادية . ولكن من ناحية أخرى نجد أن هناك بعض العوامل السياسية التى لا تقل أهمية عن السابقة فى ترجيح كفة الاشتراكية فى كثير من الدول الأفريقية ، وذلك على النحو التالى : فالتحدى الذى واجهه القادة الأفريقيون بعد الاستقلال جعلهم يؤكدون أن الاشتراكية هى الوسيلة الوحيدة ، ليس فقط فى التنمية الاقتصادية السريعة ، ولكن أيضاً لتعبئة الجماهير حول السلطة السياسية القومية .

فالاستقلال السياسى لا يعنى انتهاء المعركة ضد الاستعمار ، بل يجب أيضاً وفقاً له تعبئة الجماهير فى ميدان التنمية الاقتصادية لتحقيق الاستقلال الاقتصادى والسياسى .

والاشتراكية من الناحية المثالية تهدف إلى إزالة كل الصراعات والانقسامات

الاجتماعية ، والتأكيد على روح التضامن الجماعى بدلا من الفردية ، حيث أن الرأسمالية ينظر إليها على أنها مقسمة ، وذلك لما تؤدى إليه من تقسيم المجتمع إلى طبقات متصارعة وروح فردية . فالنظام الرأسمالى يشجع تبلور الطبقات وما يتبعها من صراع وانقسام ، مما يمثل خطورة على أمم فى مرحلة التكوين(١) .

وهكذا نجد أن هدف بناء الأمة - وهو الشاغل الأساسى للقادة منذ الاستقلال - يملى عليهم روح القومية والتضامن ، وهذا يتطلب من المجتمع التضحية بالمصالح الخاصة والفردية فى سبيل المصالح الجماعية والصالح العام .

والاشتراكية ينظر إليها فى أفريقيا على أنها وظيفة فى بناء الأمة فى حين أن الرأسمالية غير وظيفية ، حيث أن الشعب يجب أن يلتف سياسياً حول الحزب الجماهيرى - حول الزعامة القومية - فالاشتراكية كأيديولوجية وكوكيل للعمل يبدو أنها متفقة سياسياً مع اختيار نظام الحزب الواحد وكما أن الدول الأفريقية تحرص على تمييز الاشتراكية بها عن الشيوعية ، أى الماركسية ، وذلك حتى فى أكثر الدول ثورية .

ومن الملاحظ أنه على الرغم من توافق الاشتراكية مع الأوضاع الأفريقية ، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن بعض القادة فى أفريقيا - وإن كانوا ندرة - لم يتمسكوا بها بل يتجاهلونها ، وعلى رأس هؤلاء الطبقة الحاكمة فى ساحل العاج وليبيريا وجابون وأثيوبيا فى ظل حكم الإمبراطور هيلاسلاسى - ولكن هذه الأخيرة تغيرت النظرة فيها إلى الاشتراكية بعد الإطاحة بالإمبراطور ، حيث بدأت الطليعة الحاكمة من العسكريين تؤكد على ضرورة التحولات الاشتراكية فى أثيوبيا .

أما بقية الدول الأفريقية ، فانها تتمسك بها وإن اختلفت فى نفس الوقت فى تفسير مضمونها ، ففى بادئ الأمر كانت هناك قلة من الدول اتخذتها كقوة ثورية فعالة وكبرنامج للعمل ، وبدأت فى الواقع مرحلة التحول من النظرية إلى التطبيق . ومن هذه الدول غينيا ومصر والجزائر والكونغو برازافيل وغانا فى ظل الرئيس نكروما قبل وقوع الانقلاب عام ١٩٦٦ ، وكذلك مالى قبل الانقلاب العسكرى عام ١٩٦٨ ، أما غالبية الدول الأخرى فكانت تفسرها على أنها مذهب فلسفى وإحياء

لروح الجماعية التقليدية ، وعلى رأس هذه الدول السنغال وتنزانيا وكذلك كينيا . ولكن من الملاحظ عامة أن الدول التي بدأت التطبيق الإشتراكي قد تزايدت في أفريقيا ، وبدأت القارة تشهد العديد من الخطوات في الأخذ بالإشتراكية كواقع تطبيقي : فالقارة شهدت سلسلة من التأميم في الدول الإفريقية المختلفة ، ولكن من الجدير بالذكر أن أهم موضوعات التأميم ليس الأرض أساساً — كما هي الحال في مصر وأثيوبيا — حيث أن وجود النظام الأقطاعي كان وراء تلك الخطوة بين الدول الإفريقية على المشاع — وعليه فان أهم مجالات التاميم إنصبت على التجارة الخارجية والتعدين وممتلكات الأجانب بصفة عامة .

فني زائير مثلا بدأت الحكومة في سنوات ١٩٧٣ و ١٩٧٤ سياسة « زأيرة Zaireanization » الشركات الأجنبية . وفي يناير عام ١٩٧٤ أممت شركات توزيع منتجات البترول ، وفي مارس من العام التالي امتد التأميم الكثير من الأعمال والاستثمارات الأجنبية وخاصة في قطاع التعدين(١) .

وفي موريتانيا قامت الحكومة في نوفمبر ١٩٧٤ بتأميم موسسة « ميفيرما Miferma » للحديد ، وهي أكبر منظمة صناعية في الدولة ، وكانت تحقق دخلا أكبر من الميزانية العامة للدولة ، وكانت تستخدم ٦٠٪ من القوة العاملة في القطاع المتقدم (الحديث) في الاقتصاد . وفي فبراير ١٩٧٦ قامت الحكومة بتاميم منأجم النحاس التي كانت تحت سيادة « سومينا SOMINA » التي تديرها موسسة بريطانية — جنوب أفريقية(٢) .

وفي أثيوبيا قامت الحكومة العسكرية عام ١٩٧٥ باصدار مرسوم بتأميم كافة الأراضي وبدء الإصلاح الزراعي . أما في موزمبيق فقد أعلن الرئيس ساموا ميتشيل عند الاستقلال أن فريليمو — وهي الحركة الحاكمة — ستتبع خطاً إشتراكياً واضحاً وتقود الدولة في التنمية ، وبالفعل أعلن تأميم المساكن في المناطق الحضرية في فبراير ١٩٧١ مما جعل آلاف المساكن التي تركها المستوطنون متاحة لإستخدام المواطنين،

(١) لمزيد من المعلومات أنظر : Africa, No. 58 (June, 1976), P. 66

(٢) Africa, Nō. 56, (April, 1976), P. 30.

(٣) Africa, No. 58 (June, 1976), P. 18.

أعلن الرئيس ميتشيل أن الدولة ستستطيع تهيئة مسكن مناسب لكل مواطن فى ١٩٨٠(١) .

كما إن انشاء القرى الجماعية والمزارع الجماعية وغيرها بدأ يتخذ طريقة فى الدول الأفريقية بطريقة منظمة . ومن أهم التجارب فى هذا المجال هو ما اتبع فى تنزانيا منذ إعلان أروشا عام ١٩٦٧ عن إنشاء القرى العائلية أو « قرى الاوجاما Ujamaa » كما تعرف فى تنزانيا ، وتعتبر تلك الخطوة أساس التطبيق الإشتراكى فى تنزانيا القائم أساساً على التنمية الريفية .

أهم أسس الاشتراكية فى أفريقيا :

على الرغم من أنه لا توجد نظرية موحدة لما يعرف بالإشتراكية فى أفريقيا ، أو مادرج على تسميته بالإشتراكية الأفريقية إلا أنه توجد عدة إتجاهات هامة تميزها على الرغم من اختلاف التطبيق من دولة إلى أخرى(١) .

(ا) إن أهم ما يميز الإشتراكية فى أفريقيا هو المرونة اللازمة لمواجهة المشاكل المختلفة والتكيف ، مع عدم الالتزام المطبق بنظريات ومذاهب جامدة . ويوضح بيان الحكومة الكينية بأن « أى نظام عقائدى جامد لن تكون له فرصة البقاء » . كما يؤكد الرئيس ليوبولد سنجور أن : « الإشتراكية بالنسبة لنا منهاج يختبر عند الاحتكاك مع الحقائق الأفريقية »(٢) .

(ب) أصبح الالزام الاجتماعى للعمل موضوعاً أساسياً وواضحاً فى الدول الأفريقية ، وتتلخص هذه الفكرة فى أن الفرد ملتزم إزاء المجتمع بالعمل من أجل زيادة رفاهية دولته . وعليه فقد نظر إلى التطفل والتسول والكسل على أنها شرور اجتماعية دخيلة ، وتبع التركيز على أن العمل يعتبر شرفاً للمواطن يلتزم به ، ويساهم

---

(١) لمزيد من المعلومات أنظر :
المرجع السابق ص ١٥-١٧ .

(٢) لمزيد من المعلومات أنظر :
W.H. Friedland & C.G. Rosbery (eds.), African Socialism, California : Stanford Union Press, 1964, pp. 16—28.
أنظر أيضاً Cowan, op. cit., p. 10—11.

به فى معركة الانتاج والتنمية . وفى هذا الصدد يؤكد الرئيس جوليوس نيريرى على أن المجتمعات التقليدية لم تعرف هذه الشرور الاجتماعية . فالتركيز فى أفريقيا فى ظل الإشتراكية على المسئولية الاجتماعية المتبادلة وهى امتداد لروح التضامن والرابطة الموجودة فى المعاملة الأفريقية لتمتد للدولة ككل ، وتعنى المسئولية المتبادلة بين المجتمع وأعضائه بأن يفعلوا ما فى وسعهم كل للآخر على أساس أن المجتمع إذا أثرى سيشترك الأفراد فى تلك الرفاهية ، وأن المجتمع لا يمكن أن يثرى إلا بالتعاون التام بين أعضائه .

(ج) بالتأكيد على الإنتاج بوصفه هدف العمل ، وعليه فانه يأخذ صورة تحويل النقابات العمالية من النشاط الاستهلاكى والحد من مطالبها الموجهة إلى الحكومة ، بهدف زيادة أجور أعضائها أو تحسين مستوى معيشتهم ، وتحويل ذلك إلى قوة إنتاجية تمثل طليعة الثورة فى معركة زيادة الإنتاج .

لذلك لم يعد يسمح للنقابات العمالية بأن تمارس ضغطاً على الدولة بل نظر إليها كحليف للنظام القائم فى مواجهة أعدائه . ولذلك منعت الإضرابات إلا ما يتم منها بموافقة الدولة أو الحزب تحقيقاً لأهداف تراها الزعامة القومية .

(د) هناك تأكيد على المجتمع الأفريقى ، أو على الأقل على مجتمع يقوم على الحد من الفوارق الاجتماعية . إذ يعتبر الكثير من الافريقيين أن فكرة المجتمع الطبقى فكرة أجنبية دخيلة على المجتمع التقليدى الأفريقى جاءت مع الحكم الاستعمارى ، وبالتالى يجب العودة إلى روح المجتمع التقليدى والتخلص من شرور القيم الدخيلة ، بحيث لا يسمح بأن تقوم أية طبقة بممارسة نفوذها على الشعب عامة،وهذا هو أهم مضامين الديمقراطية السياسية كما عبر عنها فى كينيا .

(هـ) التركيز على التماسك والوحدة السياسية كمفهوم اجتماعى وسياسى فى مواجهة التعدد . وهذا التأكيد يتمثل فى نظام الحزب الواحد الجماهيرى كبؤرة مركزية لكل المؤسسات الاجتماعية ، أى التركيز على الدور المتكامل للحزب الجماهيرى وأيديولوجيته التى تمثل الاشتراكية أهم أسسها . وفى هذا المجال يؤكد الزعماء الأفريقيون مفهوم الحزب الطليعى ــ شأن الحزب الشيوعى مثلا ، القائم على طبقة البروليتاريا والذى

يضم القلة — فالتركيز فى أفريقيا على الرغم من الاختلاف بين دولها فى التطبيق هو على إيجاد إطار تنظيمى يضم الجماهير العريضة .

(و) أن الدول الأفريقية مع اختلاف تطبيقات الاشتراكية فيها إلا أنها — حتى أكثرها ثورية — تؤمن بتواجد القطاع الخاص وبدوره فى التنمية ، وذلك فى إطار من التوازن مع القطاع العام ، وهذا التعايش مظهر واضح للخلاف بين الاشتراكية فى أفريقيا وبين الماركسية من حيث لا نجد مكانا يذكر للقطاع الخاص ، أى أن الدول الأفريقية اتخذت موقفاً وسطاً فى موضوع الملكية بين النظامين الجامدين للملكية فى ظل النظام الرأسمالى الذى يقوم على الملكية الخاصة ، والنظام الماركسى الذى يقوم على ملكية الدولة . فالملكية نظر إليها فى الدول الأفريقية نظرة واقعية على أنها ليست مطلقة وليست حقاً يقبل التفسير ، أى لم ينظر إليها على أنها إما أن تخضع للسيطرة التامة أو لا تخضع لأية سيطرة .

(ز) أحد الأبعاد الرئيسية للايديولوجية فى الدول الأفريقية والمكملة للاشتراكية هى القومية . فالهدف الأسمى للزعماء ، حتى من الأخذ بالاشتراكية ، هو تحقيق بناء الدولة القومية كأهم هدف قومى. فالدول الأفريقية تؤمن بالدرجة الأولى بالقومية بوجذب ولاء الأفراد الإسمى للدولة . وقد تقبلت الحدود التى خلفها الاستعمار كاطار للدولة القومية فى أفريقيا ، حتى وإن آمنت بالوحدة فهى على مستوى القارة الأفريقية والاتجاه الأقوى هو الوحدة الأفريقية بمفهومها الوظيفى لا السياسى حيث الاتجاه الأول يزكى ويقوى الدولة الأفريقية وسعيها لبناء الدولة القومية . وهى بصفة عامة لا تتقبل المفهوم الماركسى للقومية الذى ينبذها ويعتبرها أسلوباً بورجوازيا لتقسيم العالم : فالدول الأفريقية تتقبل العالم وخاصة عالمها الأفريقى كما هو . وهى بالتالى لا تؤمن بالدولية وإن آمنت بالتعاون مع دول العالم وبالتضامن والتعاطف مع الشعوب الآسيوية .

(ح) وأخيراً فان من أهم أبعاد الاشتراكية فى أفريقيا والذى يعطيها تميزاً خاصاً والتمسك بالقيم الروحية والدينية كأحد المقومات الأساسية التى لا تقبل المساومة بشانها .

العلاقة بين الاشتراكية فى أفريقيا وكل من الماركسية والدين والجماعة البدائية :

وفى مجال بحث الاشتراكية فى أفريقيا نلاحظ أن هناك موضوعات ثلاثة رئيسية تثير الجدل ، ألا وهى علاقة الاشتراكية بكل من الماركسية والدين والجماعية أو الشيوعية البدائية .

١ – الاشتراكية والماركسية : سبق أن أشرنا إلى أن دعاة الاشتراكية فى أفريقيا يحرصون حتى فى أكثر الدول ثورية على تمييز أنفسهم عن الماركسيين (نسبة إلى المفهوم الشائع الذى يتضمن ليس فقط أفكار ماركس وانجلز ، ولكن كل الأفكار اللاحقة التى بنيت عليها خاصة أفكار لينين وماو وغيرهم) . والدول الأفريقية التى تأخذ بالاشتراكية ترى معظمها أن الصراع الطبقى الذى يعتبر أساس التحليل الماركسى لا يوجد فى أفريقيا . وبالتالى فان الاشتراكية فى أفريقيا ستتطور دون أى صراع طبقى أو ثورة اجتماعية . وعلى هذا فان الماركسية تعتبر غير ملائمة للوضع فى أفريقيا(١).

ولكن هناك من يعتبر أن رفض الماركسية على أساس عدم وجود البيئة اللازمة لتطبيقها مجرد موقف سلبي حيث أن بعض الدول الأفريقية بدأت بالفعل فى تنمية الطبقات الاجتماعية – أى بدأت الطبقات الاجتماعية تتبلور فيها – كما هى الحال فى ساحل العاج والسنغال وغانا وزائير ومصر وغيرها . من ناحية أخرى فالمجتمع اللاطبقى إذا وجد فى المناطق الريفية ، فهو لا يوجد فى الواقع فى المدن بصفة عامة ، حيث أن الطبقات مختلفة اقتصادياً وواضحة التبلور . هذا بالإضافة إلى أن عدم وجود الانقسام الطبقى فى أفريقيا لا يعنى أنها لن تتطور فى المستقبل خاصة إذا فتحت الأبواب أمام رأس المال الأجنبى الخاص .

وفى الواقع يرجع السبب الرئيسى فى إنكار الماركسية فى أفريقيا والحوار ضدها إلى ثلاث عوامل أساسية :

أولها : الزعماء الأفريقيون قوميون بالدرجة الأولى ، فهم مهتمون ببناء الدولة القومية ، ولهذا فان اتباع أيديولوجية أجنبية يعتبر أمراً غير وظيفى فى هذا الشان .

---

(١) لمزيد من المعلومات عن الانتقادات الموجهة للماركسية أنظر : سنجور ، مرجع سابق ص ٤٩–٥١ .

فمن البديهى أن أيديولوجية مستوردة لا يمكن أن تفرض نفسها الا على حساب الواقع القومى(١) .

ثانيها : ان الشعوب الأفريقية مهما كانت عقيدتها الدينية فهى متدينة مما يجعل اتباع الماركسية وأساسها فى الإشتراكية العلمية والمادية وما يرتبط بها من الالحاد ونبذ الدين أموراً لا تحتملها الشعوب فى القارة الأفريقية .

وكما شرح الرئيس أحمد سيكوتورى حينما تهكموا عن امكان اتجاه دولته إلى الجدل الوجودى : « أنه من العسير جداً أن يوجد أى شخص فى أفريقيا وخاصة فى غينيا لا يؤمن بالله » . (٢) ومن الملاحظ أن الدين والمجتمع فى أفريقيا يعتبران أمراً واحداً ، فكل جماعة اجتماعية تعمل كجماعة دينية ، فالدين والمجتمع مرتبطان إلى الحد الذى لا يمكن معه تفهم أحدهما دون تفهم الآخر(٣) .

ثالثها : الزعماء الأفريقيون عمليون تجريبيون وهم بصفة عامة يميلون للمرونة فى التصرف لمواجهة المشاكل المتغيرة . والأوضاع التى لا تتميز بالجمود . وهم بصفة عامة ينظرون إلى المبادئ الجامدة والعقائد ، على أنها لا تفى بمتطلبات المرحلة التى تمر بها الدول الأفريقية ، وكما عبر تقرير رسمى للحكومة الكينية : « أن المشاكل اليوم ليست هى مشاكل قرن مضى . والإشتراكية الأفريقية تصمم لتكون نظاماً صالحاً للعمل به فى ظروف حديثة معدة تماماً لتكيف نفسها مع الظروف والمشاكل المتغيرة » .

وبصفة عامة ، يمكن القول أنه على الرغم من أن القادة الأفريقيون قد نبذوا الماركسية كايديولوجية كلية وعقيدة جامدة « Dogma » الا أنهم اتبعوا منها ما يمكن تطبيقه ، وما يتناسب مع الوضع فى المجتمع .

---

(١) الدكتور أحمد عروة ، الإسلام فى مفترق الطرق ، نقله عن الفرنسية الدكتور عثمان أمين بيروت : دار الشروق ، ١٩٧٥ . ص ٦٣ .

(٢) أنظر النص فى : جاك مندلسون ، الرب والله وجوجو : الأديان فى أفريقية المعاصرة ترجمة ابراهيم أسعد محمد ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧١ ، ص ٧٢ .

(٣) أنظر : J. Spencer Trimingham, The Christian Church & Islam in West Africa.

ولعل أهم المساهمات الرئيسية للافكار الماركسية وأبعادها الرئيسية التى ألهمت القادة الأفريقيين هى :

(ا) نداء الإنسانية الذى نادت به الماركسية حيث هدفت إلى تحرير الإنسان فى الغربة والاستغلال بكافة أنواعهم . وهذا النداء وجد أهتماماً قوياً فى أفريقيا . فعظم القادة بها اعتبروا أن النظام الرأسمالى والاستعمارى جلبا معهما الفردية والاتجاهات غير الإنسانية من استغلال وصراع بينما تهدف الإشتراكية إلى رفاهية ورخاء كل الشعب(١) .

ويهتم القادة الأفريقيون خاصة بروح الروابط العضوية والتضامن فى ظل نظام الإشتراكية والتأكيد على تعبئة الأفراد من أجل صالح المجموع .

(ب) أن مفهوم الحزب الواحد الذى يتمشى مع الفكرة الماركسية عن المجتمع اللاطبقى والإنسانية يعد عنصراً رئيسياً فى أيديولوجية معظم القادة الأفريقيين .

(جـ) وفى هذا المجال يلاحظ أن أفكار لينين أكثر تأثيراً من أفكار ماركس ، حيث لم يتناول الأخير ولا حتى بالإشارة حقيقة تنظيم الحزب ودوره فى المجتمع . كما أن القادة الأفريقيين تأثروا أكثر بأفكار لينين فيما يختص بأولوية الوعى السياسى أكثر من تأثرهم بالوعى الاقتصادى لأفكار ماركس .

وعلى أى حال يلاحظ أن معظم الزعماء الأفريقيين المدافعين عن الإشتراكية وان كانوا قد نبذو الماركسية المادية ، الا أنهم يفسروان مفهوم الإشتراكية العلمية تفسيراً يختلف عن الأساس الذى وضعه كارل ماركس حيث ينصب تفسيرهم هذا على أن الإشتراكية فى أفريقيا نابعة من حقائق المجتمعات لا بمجرد أفكار نظرية كما أنهم وإن كانوا قد نبذوا المادية الا أنهم استخدموا الجدلية فى تفسير واقع غير مادى .

---

(١) المزيد من المعلومات راجع :

SCH Press Ltd., 1955, P. 9. Chien, op. cit., P. 171—4.

أنظر أيضاً : L.S. Senghor, Nation Nvoir africaine du Socialism, Paris : Presence Africaine, 1961, P. 52—55.

فالصراع الموجودة فى أفريقيا وفقاً لهذا الرأى ليس صراعاً بين طبقات اجتماعية غير موجودة أصلا فى الغالب ولكنه صراع بين مستعمر ومستغل وشعوب مستعمرة مستغلة والتنافس الذى يتبلور فى ظل الحكم الاستعمارى من الحتمى أن يؤدى إلى الثورة الوطنية على يد أكثر العناصر وعياً ، وهم الطليعة من المثقفين الأفريقيين الذين يستولون على الدولة من المستعمر ويبدأون فى تطبيق الإشتراكية كضرورة حتمية ، والإطار التنظيمى يتمثل فى نظام الحزب الواحد ، ولكن مع الاختلاف ، وهو أن الاشتراكية بأبعادها السابق توضيحها لا ينظر إليها عادة فى أفريقيا على أنها أفضل الوسائل لمواجهة الواقع الأفريقى ، أى لا ينظر إليها على أنها مرحلية . وحتى البعض الذى ينظر إليها على أنها مرحلية لمواجهة مشاكل الرغبة فى التنمية الشاملة يعتبرونها مرحلة للشيوعية ولكن للرأسمالية إذا أصبحت المجتمعات متقدمة . وهذا هو الرأى الغالب . من ناحية أخرى فان الإطار التنظيمى يتمثل فى الحزب الواحد الجماهيرى الذى يختلف فى طبيعته عن الحزب الشيوعى ، حيث أن قاعدته متسعة لتضم الجماهير العريضة ، وهو يتمشى مع واقع المجتمعات الأفريقية اللاطبقية ، كما يتمشى مع احتياجات تحقيق الوحدة السياسية باعتباره اطار تنظيمى موحد .

٢ – الاشتراكية والقيم الدينية :

تعتبر القيم الدينية من المكونات الأساسية التى تتضمنها الإشتراكية فى أفريقيا أياً كانت الديانة السائدة .

ويلاحظ فى هذا المجال أن الاشتراكية فى أفريقيا اتجاه حديث لا يستمد اسمه من الدين ، بل انه يستخدم الدين كوسيلة رئيسية لتحريك الجماهير حول ذلك المذهب الحديث بمعنى أن الاشتراكية فى أفريقيا لا تلجأ إلى الدين الإسلامى مثلا فى الدول الإسلامية التى تأخذ بالاشتراكية بهدف الوصول إلى أسس تبنى عليها فلسفتها (مفاهيمها) والوصول إلى موجه ومرشد لتصرفاتها ، بل تلجأ للدين بهدف الوصول إلى مبادئ تبرر الأفكار الاشتراكية الحديثة بحيث يمكن التأكيد على الربط والإلحاد. إذن الهدف هو الربط بين الاشتراكية والقيم الروحية الأساسية فى المجتمعات الأفريقية ولكننا نجد أن الشيوعيين والمتطرفين ممن يتخذون الدين ستاراً لتنظيم جماعات ذات طابع سياسى يكونون على حد سواء موضع هجوم ومحاربة من جانب الحكومات

الأفريقية المؤمنة بالاشتراكية والدين الأمر الذى قد يبدو على أنه يمثل تناقضاً : والتفسير المنطقى لذلك هو أن هذا العداء والهجوم والردع ليس المقصود به الدين نفسه أو دور العبادة أو رجال الدين بصفة عامة ، وإنما المقصود منه هو أن يوجه ضد أى انشقاق سياسى يتحدى الحكومة القائمة فى دول تهدف إلى تدعيم السلطة السياسية تحت قيادة الزعامة القومية القائمة .

وعليه فان رجال الدين إذا اتخذوا منه وسيلة لمحاولة الانشقاق السياسى فلا شك أن توجه ضدهم وسائل الردع كما هى الحال فى شأن القبيلة أو الإقليمية أو الشيوعية أو المعارضة المنظمة .

٣ — الاشتراكية والجماعية التقليدية :

إلى جانب القيم الدينية كأحد المكونات الأساسية للاشتراكية فى أفريقيا ، وقد أوضحنا دورها الوظيفى فى تحريك الجماهير حول الاشتراكية فى أفريقيا ، هناك أيضاً ما يسمى بالجماعية التقليدية أو الشيوعية البدائية . فالمجتمعات الأفريقية فى معظمها مجتمعات تقليدية لم تمسها كثيراً عوامل التغير والتحريك الاجتماعى . وهذه المجتمعات سادت فيها بعض المفاهيم التى تميز الجماعية ، حيث لا تعرف الفردية المرتبطة بالنظم الحديثة(١) .

— فمن حيث الملكية الخاصة للارض نجدها لم تكن معروفة (٢) ، فقد كانت هناك الملكية على المشاع وما زالت حتى هذه اللحظة معظم الدول الأفريقية لا تعرف نظم الملكية الخاصة بالنسبة للارض الزراعية — وهنا يجب التفرقة بين حق استخدام الأرض وحق ملكيتها فالأخيرة لم تكن معروفة فى أفريقيا .

---

(١) لمزيد من المعلومات عن الجماعية التقليدية راجع : Arthur Lewis, Some Aspects of Economic Development, London : George Allen & William Ltd., 1969, P. 65—70. See also : Chien, op. cit., P. 181—6.

(٢) يوضح الرئيس نيريرى كيف أن الملكية الخاصة لم تكن معروفة تقليدياً ، وكيف أن الأجانب أدخلوا مفهوماً جديداً ألا وهو اعتبار الأرض سلعة مشاع . أنظر :

Nyrere, "Ujamaa, The Basis of African Socia'ism", op. cit., P. 513.

— كذلك فان حقيقة كون الأسرة فى المجتمع التقليدى ليست هى الأسرة المعروفة فى المجتمعات الحديثة ، المسماة بالأسرة النووية « Nucliar family » وإنما هى الأسرة الموسعة أو الممتدة Extended family هى فى الواقع فى قلب مفهوم الشيوعية البدائية . فمثل هذه الأسرة كبيرة العدد كان يشترك أفرادها فى إنتاج الثروات كما يشترك فى توزيع هذه الثروات والاستفادة منها ، ويعتبر الرئيس نيريرى أن الأسرة الممتدة هى أساس وهدف الاشتراكية الأفريقية(١) .

— لم تكن هناك فردية ، فالفرد كان عضواً فى الجماعة يتحرك وفقاً لمصالحها ويحيا معها ويرتبط بها ويعمل معها ، هذا على مستوى العائلة ، وحتى على مستوى القبيلة ، وعليه فالمجتمعات التقليدية لا تعرف المصالح الخاصة بالأفراد حيث هناك إعلاء لصالح الجماعة وكلمتها .

— العمل يعتبر جوهرياً بالنسبة لحياة المجتمعات التقليدية الأفريقية . فى هذا الشأن يوضح الرئيس نيريرى قيمة العمل بقوله : « فى المجتمع الأفريقى التقليدى كان كل فرد يعمل لأنه لم تكن هناك أية طريقة أخرى للتعيش بالنسبة للجماعة ، حتى الكبار — الذين يبدو وكأنهم يستمتعون بالحياة بدون القيام بأى عمل ، بينما كل شخص بالنسبة لهم يعمل — قد تحملوا فى الواقع كل سنوات شبابهم » . وباختصار فان البطالة والتكاسل وغيرها من شرور اجتماعية تعتبر غريبة على المجتمعات التقليدية.

وفى هذا المجال كثيراً ما يردد الزعماء فى شرق أفريقيا قولا سواحليا : « عامل ضيفك كضيف لمدة يومين وفى اليوم الثالث أعطه فاساً » . بل ان الرئيس نيريرى يؤكد على أن « الضيف عادة ما يسأل عن الفأس حتى قبل أن يعطيه له مضيفه ، لأنه يعرف ما يتوقع منه ، ويكون خجلا إذا بقى كسولا لمدة أطول من ذلك » . فالعمل أساسى فى المجتمعات الأفريقية تقليدياً وهو تبرير للانجاز الاشتراكى فى الدولة الأفريقية حيث لا اشتراكية بدون عمل .

— ومن ناحية أخرى نلاحظ أن المجتمعات التقليدية عرفت الكثير من أوجه النقاط التى تمارس جماعياً مثل الصيد والاستفادة من ثرواته التى كانت توزع على

---

(١) المرجع السابق ص ٥١٥ ولمزيد من المعلومات عن الجماعية التقليدية راجع ، مربويا ، مرجع سابق ص ٦٠٣–٤ .

القرية بأكملها أو استخراج زيوت النخيل الذى كانت تتولاه القرية بأكملها أيضاً ثم يوزع على أسرها جميعاً . كما نجد نفس الأمر بالنسبة لمواجهة الطبيعة مثل أخطار الفيضان والأعاصير والجفاف وغيرها .

ـ كما نجد النشاط الجماعى فيما عرف بجماعات العمر « Age groups » التى تضم أفراداً فى عمر واحد أو غيرها من الجماعات التى تضم أفراداً يجمعهم عامل مشترك « Age sets » وبصفة عامة فقد بنيت الجماعات التقليدية على روح الجماعة التى تحرص الكثير من الدول الأفريقية خاصة الثورى منها على المحافظة عليها مع مدينة الإطار التقليدى ، أى مع إحلال الحزب الجماهيرى بتنظيماته الأفقية والمنظمات الحليفة معه محل الروابط التقليدية ، تلك الروح التى تسعى دولة كتنزانيا إلى إحيائها فيما يسمى بال « » . إلا أن الشيوعية البدائية أو الجماعية ، وإن كانت فى تلك الدول الأفريقية الأكثر ثورية يرجى المحافظة عليها وتجديد الإطار بحيث يجعل قومياً ، فان البعض الآخر من الدول الأفريقية يحرص على التركيز على هذا المضمون التقليدى للجماعة والتأكيد على أنه يمثل الشق المميز للاشتراكية الأفريقية ، بما يمكن معه القول بانها اشتراكية من نوع خاص ، بمعنى أنها اشتراكية أفريقية خالصة . والواقع أن هناك تحفظاً معيناً هو أننا ينبغى أن لا نذهب إلى حد القول بأنها سمات تقليدية أفريقية لأنها تقليدية فى أى مكان آخر ، فالتقليدية والجماعية هى سمة أى مجتمع بدائى أياً كان موقعه الجغرافى .

إذن يمكن القول بأن الجماعية أو الشيوعية البدائية تعتبر ـ مثلها مثل القيم الدينية وسائل أساسية وظيفية تستخدم فى مجال التعبئة الأيديولوجية للجماهير حول مفهوم الاشتراكية .



وفى ختام البحث عن الاشتراكية فى أفريقيا يمكن القول بان التحدى الأساسى الذى يهدد تطبيقها ـ بما يتطلبه من بعض التضحيات من الجماهير ـ هو ما يعرف بروح البرجوازية التى تسود بين النخبة الحاكمة والفئات المنتمية إلى السلطة (والتى تأخذ فى الازدياد فى أفريقيا ، وخاصة منذ الاستقلال) حيث أصبح هناك تناقضا بين ما ينادى به الزعماء من أن الفردية والمادية مفاهيم مستوردة يجب القضاء عليها ،

والعمل على التركيز على روح الجماعية والتضحية من جانب الفرد لصالح الجماعة ولقد أبعدت روح البورجوازية هذه الجماهير عن الزعامة وعن كافة مستويات التنظيم ، وعن الاتجاه بما تنادى به الزعامة من أيديولوجية تعتبر الاشتراكية من أهم مكوناتها .

لهذا كثيراً ما يتردد قول « ان الرأسمالية والثروة للزعماء ، أما الاشتراكية والفقر فهما للجماهير » . وكذلك تعبيرات بورجوازية الوظيفة العامة أو بورجوازية المرتزقة أو بورجوازية التجار[1] .

وأخيراً فاننا نلاحظ أن التجاء الدول الأفريقية للاشتراكية لا يعنى تحديد ماتلقاه من معونات على تلك التى تأتى إليها من الدول الاشتراكية . فى الواقع نجد أن حاجة هذه الدول الأفريقية إلى التنمية فى كافة مجالاتها تدفعها إلى أن تطلب المعونة من دول العالم كافة ، وهنا غالباً ما ترجح كفة الدول الرأسمالية ، لما لها من ثقل نسبى أكبر مما للدول الاشتراكية .

وعلى هذا يمكن القول مع زعماء هذه القارة أن الدول الأفريقية ليست موالية لمذهب عالمى أو فلسفى أو لدولة بعينها ، ولكنها موالية لمصالحها الخاصة ؟

---

(١) وقد عبر الرئيس نيريرى عن أهمية نمط التصرف خاصة من جانب الزعامة بقوله فى أعلان أروشا « ان لاشتركية هى طريقة حياة ، والمجتمع لاشتركى لا يمكن أن يوجد بسهولة ، فالمجتمع الاشتركى يجب أن يبنى فقط بواسطة أولئك الذين يؤمنون بالمبادئ الإشتركية ويمارسونها » .

أولا : مراجع باللغة العربية :

ـ أحمد عروة (دكتور) ، الإسلام فى مفترق الطرق ، نقله عن الفرنسية د . عثمان أمين . بيروت ، دار الشروق ، ١٩٧٥ .

ـ جاك أوستري ، الإسلام والتنمية الاقتصادية . دمشق : دار الفكر ، ١٩٦٠

ـ جاك مندلسون ، الرب والله وجوجو : الأديان فى أفريقية المعاصرة ، ترجمة ابراهيم أسعد محمد ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧١ .

ـ حورية توفيق مجاهد (دكتورة) ، « الاتجاهات الأيديولوجية للوحدة الأفريقية » . مجلة معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، العدد الرابع ، ١٩٧٥ .

ـ عبد الملك عودة (دكتور) ، « الحزب الواحد والتطبيق الاشتراكى فى تنزانيا » السياسة الدولية ، عدد ٨ ، أبريل ١٩٦٧ ، ص ٦ـ٣١ .

ثانيا : مراجع باللغة الاجنبية :

D'Arboussier, Gebiiel, Voies Africaines du Socialisme Leopoldville, 1963.

Chien, Nguyen Van. Les Politiques d'Unité Africaine. Thése presenté devant l'Université de Paris Ve. (Le 28 Juin, 1973), Lille Service de reproduction des thèses de l'Université de Lille II, 1974.

Cowan, L. Gray. The Dilemmas of African Independence. New York, Walker & Co., 1968.

Cosc, Inis, Socialist Ideas in Africa. London : Lawrence & Wishart, 1966.

Friedland, W.H. & Rosberg (eds.), African Socialism. California : Stanford Univ. Press, 1964.

Karounda, Kenneth D. A Humanist in Africa. London : Longmann, 1966.

Kenya Government Sessional Paper No. 10, 1965, "African Socialism & its Application to Planning in Kenya", Ministry of Information, Kenya, 1965.

Zizerbo, Joseph. La Crise Actuelle de La Civilisation Afiicaine : Recontres Internationales de Bouaké, Tradition et Modernisme en Afrique Noires. Paris : Ed. du Seuil, 1965.

Lewis, W. Arther, Some Aspects of Economic Development. London : Geoige Allen & Unulin Ltd., 1969.

Mahiou, Ahmed, L'Avénement du Parte Unique en Afrique Noire, Paris : Librairie Général de Droit et de Jurisprudence, 1969, Part II, ch. 9 .

Nyerere, J.K. Freedom & Unity. East Africa : Oxford University Press, 1969.

Nyerere, J.K., "Ujamaa : The Basis of African Socialism". In : Readings in African Political Thought, ed., Giden, Cyous M. Mutiso & S.W. Rohio.

Senghor, L.S., Nation et Voie Africaine du Socialisme. Paris : Presence Africaine, 1961.

Thomas, L.V., Le Socialisme et L'Afrique. Tome I et II Paris : Le Livre Africaine, 1966.

Thian, Doudou. The Foreign Policy of African States. London : Phoenisc House, 1965.

Trimingham, J. Spencer. The Chiistian Church & Islam in West Africa. London : SCM Press Ltd., 1955.

صحافة جنوب افريقيا
بين الاحتكار والمصادرة

للدكتور سامى عزيز

THE PRESS IN SOUTH AFRICA BETWEEN MONOPOLY AND CONFISCATION

Publishing a newspaper in South Africa is like walking blind fold through a minefield. The authorities are hostile to press, especially the English language Press which supports the opposition. The laws are more than ordinary restrictive. It is also a practice of the Security Branch of the police force to harrass newspapermen and to demand to know their sources of information.

Besides, the government can ban imported periodicals and posters, etc- and it bans thousands every year. According to censorship law, there are four categories of printed materials. The first is admitted without censorship. The second is not allowed altogether. The third should be examined before distribution. The fourth is not allowed to be printed or distributed without the concent of censorship.

Newspapers are prohibited from publishing anything which is «pre judicial to the safety of the State, the general welfare or the peace and good order". These very charges are being levelled constantly at the Opposition Press by the government.

يصف أحد الصحفيين فى جوهانسبرج اصدار صحيفة فى جنوب أفريقيا بأنه أشبه بالسير مغمض العينين فى حقل ملىء بالألغام . ذلك أن التعديل الذى أدخل على اللائحة الصادرة عام ١٩٥٣ — على سبيل المثال — يشتمل على مواد تتصف بالغموض التام ومنها : « يعتبر مرتكبا للجريمة أى شخص يستخدم ألفاظا أو يقوم

بعمل ما أو أى إجراء من شأنه أن يدفع شخصا آخر أو عدة أشخاص لارتكاب جريمة أما عن طريق معارضة القانون أو لتأييد حملة بهدف ادخال تعديلات على قانون ما أو بإيقاف تطبيق أى قانون » . أما العقوبات فهى على درجة كبيرة من القسوة والشدة : أما التغريم حتى ٦٠٠ جنيه استرليني أو السجن خمس سنوات أو الضرب عشر ضربات بالسوط(١) .

وقد بدأت سلسلة الاجراءات العنيفة ضد الصحافة منذ وصول الحكومة العنصرية إلى الحكم إذ أنها وجدت فى متناول يدها مجموعة من القوانين الصارمة واللوائح الخاصة بالمقاطعات تطبقها الرقابة . ولم تكتف الحكومة بتطبيقها بشدة بل أضافت إليها العديد من القوانين الجديدة للقضاء نهائيا على حرية التعبير .

وكانت فاتحة قوانين الحكومة العنصرية قانون مقاومة الشيوعية الصادر عام ١٩٥٠ ،ولم يكتف ذلك القانون بتحريم نشاط الحزب الشيوعى فحسب بل أنه أعطى الحكومة الحق فى الغاء أى نشرة أو دورية يصدرها الحزب الشيوعى « تحتوى على معلومات أو وجهات نظر يعد نشرها محاولة لتحقيق أهداف الشيوعية » .

وتطبيقا لذلك القانون ألغت الحكومة عام ١٩٥٢ صحيفة « الجارديان » The Guardian الأسبوعية ، وكانت لسان حال حركة الكونجرس فى جنوب أفريقيا . وألغيت بديلتها Advance عام ١٩٥٤ ثم الصحيفة التى خلفتها New Age عام ١٩٦٢ ، وكذلك مجلة "Fighting Talk" فى فبراير ١٩٦٣(٢)

ولعل أهم التشريعات الخاصة بالرقابة على الصحف لائحة تعديل القانون الجنائى عام ١٩٥٣ ثم لائحة اجراءات سلامة الوطن الصادرة فى نفس العام ولائحة الاجراءات الجنائية ولائحة الجمارك عام ١٩٥٥ وتلا ذلك بعد عام واحد قانون خاص بمنع التجمعات الثورية وقانون منع تداول الأسرار الرسمية ، وأضيف إلى ذلك كله قانون خاص بالرقابة على البريد عام ١٩٥٨ وقانون القذف بعد عام (٣) .

---

(1) Observer Foteign News Service (O.F.N.S.) : Press Fears in South Africa, 29.1.1962

(2) The Democıatic Journalist, June 1971, p. 9.

(3) Hepple, A. : Cen.orship & Press Contıol in South Afıica, p. 11.

أما قوانين المقاطعات فكان أولها قانون ٣١ لسنة ١٨٩٢ فى مقاطعة الكاب وصدر بعده قانون مقاطعة أورانج الحرة عام ١٩٠٢ وأخذت قوانين المقاطعات تترى بعد ذلك فصدرت قوانين أخرى فى الكاب كذلك والترنسفال وناتال حتى عام ١٩٤٨(١) .

وقد لاقى الصحفيون عنتا شديداً من السلطات الحكومية . ذلك أن البلاد كانت تشهد فى كثير من الفترات اضطرابات ومظاهرات عنصرية تتزايد أحيانا ، وكان من الصعوبة بمكان أن يحصل المخبر الصحفى على أخبار تلك الاضطرابات . ذلك لأنه إذا أقحم نفسه بين المتظاهرين وقبض عليه حوكم باعتباره مشتركا معهم . وإذا لم يتدخل بنفسه للتعرف على ما يدور فى المظاهرات وتفاصيل ما يحدث فإنه قلما يحصل على أية معلومات أو أخبار عن الطريق الرسمى فى ادارات الأمن أو فى وزارة الداخلية التى لا تمنح أحدا أى بيان عما حدث . بل لقد قبض على أحد المصورين الصحفيين عام ١٩٥٧ بحجة أنه بوجوده فى مكان المظاهرة كان عاملا معطلا للمواصلات وأنه وقف حجر عثرة فى وجه رجال الأمن ومنعهم من تأدية واجبهم . كذلك تلعب قوانين التفرقة العنصرية دورا هاما فى مضاعفة الصعاب التى يواجهها المخبرون الصحفيون فانه لا يسمح لهم بالدخول إلى المناطق المخصصة للافريقيين وأماكن حجز المواطنين غير الأوربيين ، ويطبق ذلك على مندوبى الصحف المحلية إلى جانب مراسلى الصحف الأجنبية . وتعمد الحكومة إلى طرد المراسلين الأجانب كما حدث عام ١٩٥٣ لمراسل انجليزى وآخر عام ١٩٥٩ وسحب أوراق اعتمادهما ، هذا إلى جانب رفض السماح باصدار اذن الدخول إلى البلاد للبعض الآخر .

وإلى جانب استخدام القوانين للقضاء على حرية الصحافة فان وكالة الأنباء المركزية تحتكر بيع الكتب وتوزيع الصحف وتمتلك أسطولا ضخما من السيارات يعمل بها العديد من باعة الصحف فى المدن الكبرى ، وتتولى هذه الوكالة توزيع ٩٠ ٪ من الدوريات الواردة من انجلترا وتحتكر توزيع الصحف الانجليزيةوالمحلية . وهكذا تقوم الوكالة بدور رئيسى فى عملية الرقابة إذا أرادت ، وقد مارست هذه

(1) *Ibid*, p. 12.

العملية فعلا ومن ذلك ما قامت به من منع توزيع أحد أعداد صحيفة « صنداى بكتوريال » عام ١٩٤٩ بحجة أنها تحتوى على صورة لراقصين من البيض مع راقصات من الملونات فى أحد أندية لندن ، وأن ذلك أمر غير مقبول ولا يسمح به فى جنوب أفريقيا . وهكذا منعت الوكالة ورود ذلك العدد من الصحيفة وصرح مدير الوكالة بأنه إذا لم يكن قد منع الصحيفة فان الرقابة الرسمية كانت ستمنع توزيعها إذا وصلت فعلا إلى البلاد(١) .

وقد أصدرت « اللجنة الخاصة بالنظر فى أمر المطبوعات غير المرغوب فيها » فى ٣ أكتوبر ١٩٥٦ توصياتها وأهم ما بها هو وصفها للمطبوعات غير المرغوب فيها بأنها « مطبوعات معيبة ، مسببة للاساءة ، أو أنها تضر بالأشخاص العاديين المتحضرين المهذبين المعتدلين المسئولين فى اتحاد جمهورية جنوب أفريقيا » .

وطبقا لذلك أصبحت هناك أربعة أنواع من المطبوعات بالنسبة للرقابة هى : مطبوعات مسموح بها دون رقابة ، ومطبوعات غير مسموح بها بتاتا ، ومطبوعات لا يسمح بتوزيعها قبل أن تراجع ، والرابعة لا يسمح بنشرها أو توزيعها قبل موافقة الرقابة(٢) .

واستغلت الحكومة القوانين المختلفة للقضاء على كل صوت تبدو فيه أقل نبرة من نبرات المعارضة أو الدعوة إلى شىء من التحرر وبخاصة الصحف الصادرة فى البلاد باللغة الانجليزية ، وقد استمرت الحرب الباردة التى شنها الحزب الوطنى ضد الصحف الانجليزية اللغة أمدا طويلا وبلا هوادة . وكان رجال الحزب الوطنى قد أدركوا قبل ازدياد هذا الصراع أهمية الصحافة من الناحية السياسية ، وإذا لم تكن لديهم صحف تخدم أغراضهم فانهم نظروا إلى الصحف الانجليزية باعتبارها عدوهم الأول . لذا فانهم أسسوا صحيفة دى ترانسفالر عام ١٩٣٧ فى جوهانسبرج للوقوف فى وجه نجاح الصحف الانجليزية بين الأفريكان . ولكن صحيفتهم لم يقدر لها

(1) Censorship, pp. 27, 28, 30.

(2) Cenorship, pp. 42—49.

نجاح أكيد . كذلك أصدر الحزب الوطنى صحيفة دى بيرجر فى مدينة الكاب ولكنها لم تستطع بدورها منافسة الصحف الانجليزية اللغة(١) .

وفى هذه السنوات التى لم يقدر فيها النجاح لصحف الحزب الوطنى فان الصحف الانجليزية كانت قذى فى أعين الدوائر الحاكمة صاحبة السلطة ، ومن ثم نشأة فكرة وضع قيود على الصحافة كجزء من بناء « جنوب أفريقيا الجديد » . وفى يناير ١٩٤٢ نشرت صحيفة دى ترانسفالر مقالا لفيرفورد (الذى أصبح رئيسا للوزراء ثم أغتيل عام ١٩٦٦) يحدد فيه مشروع الدستور الجديد وبه نص يقيد حركة الصحافة . وبدأت تصريحات الوزراء والمسئولين تتكاثر حول ما تقوم به الصحف الانجليزية اللغة من تخريب ضد جنوب أفريقيا . وحاولت جمعية الصحفيين فى البلاد وضع حد للتهديدات التى رددها الوزراء ولكن جهودها ضاعت سدى ، واستمرت التهديدات فى داخل مجلس الوزراء وفى البرلمان ضد صحف المعارضة . وفى عام ١٩٥٣ وقبل الانتخابات العامة بشهرين صدرت اللائحة الخاصة بالأمن القومى ولائحة تعديل القانون الجنائى للحد من حرية الصحافة(٢) . . وكانت هذه هى بداية السيل المنهمر من اللوائح والقوانين الخاصة بوضع حد لحرية الرأى .

وبالرغم من تمتع الحزب الوطنى بالأغلبية الساحقة سياسيا وفى البرلمان فإنه لا يجد صدى لذلك بين القراء ، فإن الصحف الانجليزية اللغة لا تزال فى المقدمة بالنسبة للتوزيع وذلك بالرغم من أن ٦٠٪ من البيض فى البلاد يتحدثون باللغة الافريكانية مما يمنح الصحف الأفريكانية ميزة عن الصحف الانجليزية ، ولكن أرقام التوزيع تظهر رغبة الأفريكان فى تفضيل قراءة الصحف الانجليزية عن الصحف الأفريكانية(٣) .

ويؤدى بنا هذا الحديث إلى محاولة التعرف على أوضاع الصحافة فى اتحاد جنوب أفريقيا .

---

(1) Kitchen, H. The Press in Africa, pp 44, 45.

(2) Censorship : pp. 68—71.

(3) Mac Dougald D. : The Languages and Press of Africa, pp. 4,5, U.N.E.S.C.O. : Report 1964, pp 117, 118.

فقد ظهرت الصحافة ذات اللغتين الانجليزية أو الهولندية فى مطلع القرن ١٩ فقد عينت السلطات الهولندية مديرا للمطابع عام ١٧٩٥ ، ولكن النشاط الرسمى بدأ عام ١٨٠٠ حينما سيطر الانجليز على مستعمرة الكاب ووصلت معدات طباعة تكفى لاصدار صحيفة ، وهكذا ظهرت Cape Town Gazette and African Advertiser صحيفة رسمية ، وعندما سقطت الكاب فى أيدى الهولنديين من ١٨٠٢ — ١٨٠٦ صدرت صحيفة أخرى مماثلة باسم Kaapsche Courant .

وارتبط تطور الصحافة فى جنوب أفريقيا ارتباطا وثيقا باتساع حركة الاستعمار فى داخل البلاد ، وكانت الصحف الأولى وسيلة لنقل أخبار أوربا . وصدرت فى الفترة من ١٨٢٠ إلى ١٨٢٧ عدة صحف صغيرة ولكن معظمها لم يعمر طويلا . وقد تركزت هذه الصحف أولا على الشاطئ حيث كان خليط من أبناء الانجليز والهولنديين يعيشون فى تلك المناطق الصالحة للزراعة ، ولكن عندما اكتشف الذهب فى Witwatersıand عام ١٨٦٨ والماس فى كمبرلى عام ١٨٧٠ اتحول اهتمام السكان نحو الداخل وظهرت الصحف فى المناطق الداخلية . وفى الوقت نفسه ظهرت فى جوهانسبرج عدة صحف بعد أن تطورت المدينة واتسعت وأصبحت أكبر مدن البلاد وأصبحت صحفها أكبر صحف فى المنطقة .

وكان من الطبيعى أن تكون صحف هذه البلاد المقسمة إلى أربع ولايات متميزة بالصبغة المحلية ، ولم يحدث تحول سريع عند انشاء الاتحاد فى عام ١٩١٠ ولكن الصحف الكثيرة بدأت تهتم بأخبار البلاد ككل بدلا من الاهتمام بكل مقاطعة أو ولاية كما كان يحدث من قبل .

ويرجع ظهور الصحافة المحلية التى لا تكتب باللغات الأوربية فى جنوب أفريقيا إلى الفترة بين عامى ١٨٨٤ ، ١٨٨٨ حينما أصدرت إحدى الارساليات البروتستانتية صحيفة فى رأس الرجاء وهى Imvo Zambantsunder عام ١٨٨٤ بينما أسست ارسالية كاثوليكية صحيفة Um Afrika عام ١٨٨٨ ولا تزال الصحيفتان تصدران حتى اليوم (١) . ثم تأسست بعد ذلك صحف الهنود والصينيين

(1) Lord Hailay : An African Survey, p. 1234.

ونلاحظ فى هذا الصدد أن معظم الصحف غير الأوربية اللغة ومؤسسات النشر قد اجتذبت إليها رؤوس أموال من مصادر أوربية ولا توجد سوى استثناءات قليلة إلى جانب صحف الهنود والصينيين(١) .

ويبلغ اجمالى توزيع الصحف الأوربية اليومية أكثر من مليون نسخة يوميا ، وقد تزايد التوزيع باستمرار فى السنوات الخمسين الماضية . ويلاحظ أن توزيع صحف بعد الظهر والمساء يزيد قليلا عن توزيع صحف الصباح .

ويتضح من الاحصاءات أن الصحف الأفريكانية اللغة والتى تؤيد الحزب الوطنى ذات توزيع ضئيل إذا قورنت بالصحف الانجليزية اللغة . وهذا أمر قد يدعو إلى الدهشة وبخاصة فى مناطق المدن الرئيسية كما يتضح من البيان التالى :

المدينة	دورية الصحف	أفريكانية	انجليزية
جوهانسبرج	صحف يومية	٨٩,٠٠٠	٢٨٤,٠٠٠
جوهانسبرج	صحف أسبوعية	١٢٤,٠٠٠	٥٥١,٠٠٠
دربان	صحف يومية	لا يوجد	١٢٢,٠٠٠
دربان	صحف أسبوعية	لا يوجد	١٠٨,٠٠٠
الكاب	صحف يومية	٤٣,٠٠٠	١٦٤,٠٠٠
الكاب	صحف أسبوعية	٦٠,٠٠٠	٢٣٨,٠٠٠
بورت اليزابيث	صحف أسبوعية	لا يوجد	٤٣,٠٠٠
بورت اليزابيث	صحف يومية	٩,٠٠٠	٤٧,٠٠٠
بلومنفونتين	صحف يومية	٢٧,٠٠٠	١٠,٠٠٠
كمبرلى	صحف يومية	لا يوجد	٦,٠٠٠
بريتوريا	صحف يومية	لا يوجد	١٨,٠٠٠

(1) U.N.S.C.O. : Reports of the Facilitie: of Ma:: Com , (1950) p. 117, Kimble G : Tropical Affrica V. II, p. 146.

المدينة	دورية الصحف	أفريكانية	انجليزية
ايست لندن	صحف يومية	لا يوجد	٢٠,٠٠٠
بيترماريتزبرج	صحف يومية	لا يوجد	١٢,٠٠٠(١)

وقد صارعت الصحف الأفريكانية بشدة لرفع توزيعها ولكنها لم تستطع تحقيق ذلك على حساب الصحف الانجليزية اللغة . ويتوقف أملها فى زيادة عدد الأجيال البيضاء من بين أوساط الأفريكان من خريجى المدارس المتوسطة ، ذلك أن هذه المدارس تخرج كل عام عددا ممن يتحدثون الأفريكانية أكبر ممن يتحدثون الانجليزية . وقد أصبحت نسبة الأفريكان فى مدارس الترنسفال ٧١٪ من المجموع العام للتلاميذ . ومن ناحية أخرى يلاقى التوزيع صعابا كثيرة فى الريف — حيث ينتشر ٣ ملايين من الأهالى فى نصف مليون ميل مربع — وحيث تتحدث بعض الجماعات بلغتين ومن ثم فإن على الصحف اليومية انجليزية كانت أو أفريكانية أن تنظر إلى ما وراء هذه العناصر البيضاء من السكان كقراء ، ومن الواضح أن العناصر التى تشكل النسبة الكبرى للقراء هى العناصر غير الأوربية ، وهذه العناصر الأفريكانية فى معظمها تتعلم الانجليزية ، ومن ثم فإنهم سيكونون على الأغلب من قراء الصحف الانجليزية اللغة ، وهذه الصحف تهتم فعلا اهتماما بالغا بالقراء الأفريكانيين وتحاول جذب اهتمامهم . وقد حاولت بعض الصحف توجيه اهتمامها نحو العناصر غير البيضاء ولكنها سرعان ما تراجعت عن محاولاتها خوفا من اثارة العناصر البيضاء(٢) .

وقد دخلت الصحافة الأفريكانية مرحلة جديدة بتأسيس شركة صحافة البانتو عام ١٩٣١ بقصد التوسع فى اصدار صحف مختلفة للتعبير عن الآراء الوطنية بما يرضى البيض والسود فى جنوب أفريقيا . واستطاعت الشركة مد خدماتها فى جميع أرجاء البلاد وساهمت عام ١٩٥٢ مع ٢٢ جريدة من بينها الصحيفتين اللتين تصدرهما

---

(1) The Democratic Jouranlist : June 1971, p. 10.

(2) Consoiship : pp. 73. 74.

Legum, C. & M. : South Africa, Crisis for the West, pp. 46, 101, 102, 107, 108.

الارساليات فى تكوين شركة مساهمة . وتملك الشركة ويديرها الأوربيون ولكن ٤٤٪ من أسهمها على شكل أسهم تضامن على أمل أن تتحول إلى صندوق وطنى على غرار النظام الذى تسير عليه صحيفة التايمز اللندنية . وأهم الصحف التى تصدرها الشركة صحيفة World التى تأسست عام ١٩٣٣ وتسير على سياسة معارضة الشيوعية والتفرقة العنصرية وتحرر باللغة الانجليزية وبثلاث لغات أخرى محلية(١) .

ومن بين ٢٢ صحيفة المرتبطة بهذه المجموعة نجد ١٢ أسبوعية ، صحيفتين نصف شهرية ، ٦ شهرية ، ٢ فصلية . ومن ناحية أخرى نجد أن مجموعة البانتو تسيطر على ١٠ صحف أخرى أسبوعية وواحدة كل أسبوعين بينما نجد عددا من الدوريات الأخرى مرتبطة بالمجموعة بقصد الحصول على ما تحت امرة المجموعة من مزايا سياسية واقتصادية وثقافية وطباعية واخراجية وأخبارية وتوزيعية ، ذلك لأن المؤسسة تضخمت بسرعة منذ إنشائها ومدت نفوذها خارج البلاد(٢) .

ومن الظواهر الهامة فى صحافة جنوب أفريقيا أن كل الصحف الأفريكانية — فيما عدا صحيفة « دى أفريكانو » اليمينية المتطرفة — تؤيد الحكومة وتعضد سياسة التميز العنصرى ، بينما تعارض الصحف الانجليزية الحكومة ولكن ذلك ليس بالضرورة معارضة لسياسة التميز العنصرى . كذلك يلاحظ أن كل الصحف الأفريكانية صحف حزبية تديرها مجالس ادارات يدخل فى تشكيلها بعض الوزراء وزعماء الحزب الوطنى . أما الصحف الانجليزية فإنها بالرغم من عدم ارتباطها رسميا بأى حزب سياسى فإنها تعبر عن رأى الأحزاب البرلمانية المعارضة كالحزب الاتحادى والحزب التقدمى .

أما كبرى الشركات الصحفية فى جنوب أفريقيا فهى شركة آرجوس Argus للطباعة والنشر وتملك كثيرا من الصحف الكبرى على رأسها :

Star, Cape Argus, Daily News, Friend, Diamond...

وبعض الصحف المتخصصة فى التعدين والزراعة . . . وشريكتها فى روديسيا

---

(1) Railey : *Op. Cit.*, pp. 1233, 1234.

(2) U.N.E.S.C.O. *Op. Cit.*, p. 119.

هى شركة روديسيا للطباعة والنشر تحتكر معظم الصحف الروديسية . وقد وطدت شركة أرجوس علاقاتها بوكالة الأنباء المركزية فى البلاد ولها علاقات وثيقة بوكالة التوزيع فى جنوب أفريقيا وهى التى تتولى توزيع معظم الصحف وكذلك مؤسسة الصحافة فى جنوب أفريقيا التى تحتكر توزيع الأنباء فى البلاد(١) .

وإلى جانب هاتين المجموعتين توجد صحيفة Post التى تديرها شركة مستقلة يملكها المليونير جيم بيلى وتوجه الصحيفة للقراء الملونين وقد أصبح لها عدد كبير من القراء غير البيض فى كافة أرجاء البلاد(٢) .

وتصدر فى ناتال صحيفة Indian Opinion الهندية التى أسسها المهاتما غاندى عام ١٩٠٣ ، وصحيفة Indian Views الصادرة عام ١٩٠٦ فى ديربان ، ولا تزال الصحيفتان تصدران حتى الآن فى طبعتين انجليزية وجوجيراتية . والواقع أن الانجليزية تستخدم كلغة عامة بين الهنود الذين يتحدثون لغات متعددة . كذلك تصدر للهنود صحيفة أسبوعية بالانجليزية هى Leader فى ديربان منذ عام ١٩٤١ . أما الشهريات فهى Rising Sun و Crescent .

أما الأهالى الصينيين وهم قلة ويتجمعون أساسا فى بورت اليزابيث وجوهانسبرج فتصدر لهم صحيفة واحدة هى Chios Sheng Pao فى جوهانسبرج وهى الصحيفة الوحيدة غير الأوربية اللغة التى تصدر ٣ مرات أسبوعيا ، ولها مشتركون فى اتحاد جنوب أفريقيا وجنوب غرب أفريقيا وكينيا(٣) .

ومن أوضح الظواهر المتعلقة بصحافة جنوب أفريقيا انعدام حرية الصحافة أساسا إذ لم يسمح بتلك الحرية منذ إنشاء الصحف وتصمم الحكومة العنصرية على عدم السماح بممارسة تلك الحرية بل وتؤكد السلطات باستمرار أنها لن تعطى الفرصة «لحرية التعبير عن الآراء» فى البلاد(٤) .

---

(1) Interstage, No. 60 : Nov. 1969, p. 10.

(2) Dem. Journalist : June 1971, pp. 12, 13.

(3) U.N.E.S.C.O. : *Op. Cit.*, p. 120.

(4) O.F.N.S. : Jan., 29, 1962.

وعندما نشرت صحيفة Rand Daily Mail تحقيقا صحفيا عن السجون فى جنوب أفريقيا عام ١٩٦٤ طلبت صحيفة التايمز اللندنية من مراسلها فى جنوب أفريقيا متابعة التحقيق وكان رده أنه يعتذر لخوفه من الاعدام إذا أرسل التفاصيل . وتبين أن الصحفى الذى كتب التحقيق أوقف عن ممارسة العمل وصودرت أصول التحقيق وتعرض المحرر فترة طويلة للاعتقال بل والاعدام(١) .

وقد أعلنت الكاتبة نادين جورديمر من جنوب أفريقيا — وصاحبة رواية العالم البورجوازى الأخير — أن الاجراءات التى تتخذ ضد الرأى فى البلاد انما تخدم التميز العنصرى والقصور الثقافى . وقد صودرت روايتها ومنعت من النشر عام ١٩٦٨ . ويحاول بعض الصحفيين القاء الضوء على أحوال الصحافة والصحفيين الأسيفة ومهاجمة القوانين الصارمة التى تحكم ذلك العمل ، وأن المصادرات والإلغاءات التى تتعرض لها الصحف لا تقتصر على الصحف التى تعارض التميز العنصرى بل كذلك الصحف التى تؤيد وجهات نظر المعارضة مثل Sondagstcm, Weekblad اللتين ألغيتا بينما لجأت السلطات إلى طريقة أخرى وهى شراء بعض الصحف المعارضة كما حدث لصحيفة Die Landstem فى نوفمبر ١٩٦٧ .

ولكن ذلك لم يمنع إصدار بعض الصحف الصغيرة السرية غير المسموح بها لتعبر عن الحزب الشيوعى وغيره من الأحزاب التى تعمل فى الخفاء وتنتقل تلك الصحف من يد إلى يد بصعوبة شديدة وتحت أشد الظروف خطورة . وأهم ما يصدر فى هذا المجال Spotlight, Sechaba لتعبر عن حزب المجلس الوطنى الأفريقى ، وصحيفة الأفريقى الشيوعى معبرة عن الحزب الشيوعى تحمل راية المعارضة(٢) .

كذلك استطاعت راند ديلى ميل اليومية ، مجلة Drum الشهرية ، Africa South الفصلية أن تقاوم وتعارض الحكومة واستطاعت توطيد شهرتها بين القراء . ولكين رونالدسيجال محرر Africa South اضطر إلى الهرب خوفا

(1) Time : July, 23, 1965.

(2) Dem. Journalist : *Op. Cit.*, pp. 9, 10.

من القبض عليه وأخذ يصدر صحيفته فى بريطانيا(١) . أما مجلة Drum فإنها وزميلة شهرية أخرى هى Zonk وتصدران فى جوهانسبرج فإنهما تتميزان بالاعتماد الكبير على الصورة . وقد حصلت درم على نفوذ واسع جدا لنشرها بعض الفضائح فى الادارة دون أن تربط نفسها بخط سياسى معين(٢) .

وكانت النتائج الطبيعية لكل تلك الاجراءات أن الأهالى الوطنيين فى جنوب أفريقيا لا يملكون صحيفة واحدة تتحدث بلسانهم وتعبر عن احتياجاتهم وآمالهم فى أية صورة كانت . وينطبق ذلك أيضا على الأهالى الملونين فيما عدا الهنود والصينيين الذين تقتصر صحفهم على الأخبار الاجتماعية وتبتعد عن الخوض فى النواحى السياسية حتى تتمكن من الاستمرار فى الصدور .

كذلك فان الحكومة العنصرية تتحكم فى كل الصحف الصادرة بالأفريكانية ، ولا يستطيع فرد الاطلاع على أية أخبار إلا من خلال الصحافة التى تراقبها الحكومة سواء كانت الصحف أفريكانية يومية أو غير يومية .

وهكذا فان ١٦ مليونا من الأهالى غير البيض – من بين ٢٠ مليونا تعداد السكان فى جنوب أفريقيا – لا يستطيعون ممارسة حرية التعبير التى يفرضها اعلان حقوق الانسان ، ذلك أن ما يطلق عليه صحافة جنوب أفريقيا تسيطر عليه تماما الرأسمالية البيضاء(٣) .

---

(1) Sangei C. : Central Africa Emergency, p. 327.

(2) Sampson A. : Drum, The Newspaper that won the Heart of Africa, pp. pp. 20, 68...,

Hopkinson J. : In the Fiery Continent, pp. 36, 48...

(3) Democratic Journalist : June 1971, pp. 10, 11.

المقومات الجغرافية للجذب السياحى

فى

جمهورية مصر العربية

الدكتورة محبـــات امـــام
أستاذ مساعد بكلية السياحة والفنادق
جامعـــة حلوان

THE GEOGRAPHICAL BASES OF TOURISM ATTRACTION in A.R.E.

We can sum up the main points of the article in the following : An analytical study of the geographical position, the physical and human environment, from which we can deduct to what extent can the geographical location and every physical and human feature be considered a tourism attractive factor to A.R.E.

Egypt, with its unique situation overlooking the Mediterranean Sea, being in the centre of the Arab World and in the heart of the Islamic World, with the Syez Canal running through its land-occupuies a striking position in tourism field in the Mediterranean Sea in particular and all over the world in general.

Besides, Natue has painted Egypt with two main colours : FIRSTLY— The natural soil, i.e. alluvium, by which the Nile encrusted its banks, then formed the valley soil and the delta (and this forms 3 % of the total area of Egypt). On both sides of the Nile as well as in the delta, extend agricultural villages with its plantations of varied crops. Climatic conditions are an important factor in fixing the appropriate kind ot crop that can be cultivated in each plantation. Such villages with its bases and specific animals that are of great help to the

peasants, are considered an essential medium for fourism attraction. SECONDLY—The sandy yellow land that encloses the Nile valley and the delta (and forms 97% of the total area of Egypt). It is taken for granted that the Egyptian deserts constitute, in geneıal, an ideal ıetiıing place for those who seek quietude and the beauties of Nature in elusion from disturbances, noi siness and overpopulation of cities and towns.This sandy strange world with the camel as its ship and the Bedouin tribes as its people (with their particular life, traditions and costumes, besides, its historical monuments—attracts desert-seekers whether they are citizens or tourists.

The above-mentioned facts are the bases of fourism attraction that can be classified under the followings types :

(a) Cultural tourism : This is represented in the archaeological wealth, scattered all over the Republic including the deserts but concentrated on both banks of the Nile, and covering differe.ıt historical epochs : pharaobnic, Greco-Raman, Christian, Islamic, Modern and Contemporaıy.

(b) Clinical toourism : Helwan distıict, Al Ayn Al-Sukhnah (the theımal spring) in addition to the Egyptian deserts characteıistic foı its transparent and radiating sands, all these examples and similar others constitute the bases of clinical tourism.

(c) Recreational touıism : In this case, summer and winter resoıts all over the Republic as well as the deserts are the main bases of this type of tourism.

(d) Athletic tourism : Since Naturae has gifted Egypt with beautiful and magnificent shores, citizens and tourists as well can practise different types of athletic sports as swimming, sun-baths, boating, fishing, hunting and others that form the components of atheltic tourism .

(e) Investmet tourism : This new type of tourism started in Egypt after the open-door policy was declared. It can be depicted in joint-ventuıe companies investing enterprises such as the high Dam, Alexandria sea-port, Cairo airport and similar enterprises.

The Historical Development of tourism in Egypt :

The article implies an analysis of the developing tourism activities in Egypt before and after the Revolution of 1952, linking this development with the political and historical situations of Egypt and their effects on tourism influx to our country. This study is pıovided with statistical tourism data up to 1976 and

tables showing the gradual increase in the number of tourists, the length of their stay, the tourism revenues, the variety of tourists, nationalities, the average of quotidian expenditures of each nationality thus, showing how tourism income covers the deficit in the commercial balance of the Republic, how this deficit increased during the period from 1970—74 owing to the political conditions of the country.

In order to conform with world progress in tourism field, Egypt has taken a decisive step to set a tourism plan as well as a tourism map. Both plan and map were based on scientific researches and field studies so as to attain the ideal usefulness of tourism energies in Egypt.

The first tourism plan set (and this occured in 1973) was a ten-years plan to be execured during the period from 1973—82, then it was modified in 1976 and a new five-years plan was set to be executed during the period from 1976 — 80. The latter plan aims to 80 foreward with tourism activities till the number of tourists can be raised during the fixed period 1.7 million, the number of tourism nights 17 millions, the tourism income 240 millions Egyptian pounds.

The plan aims as well to enhance the current standard of tourism zones besides creating new tourism zones, thus, ensuring a continual response betweeen the increase in the number of tourists and the flourish of the propaganda campaigns and the exploitation of the new enterprises in attracting the attention of the World public opinion towards our country, taking into consideration that A.R.E. doesn't still represent any weight in World tourism.

The article is provided with : (a) diagrams and comparative statistical rables showing Egypt's position in tourism field compared with the first-rate countries in the same field, e.g., Spain, Italy, etc. — (b) maps illustrating to what extent the different types of tourism are represented in Egypt.

يقال « أن مصر شخصية قاهرة وروح آسرة وعطاء لا يضن ووفاء لا يمن ورجاء لا يخيب تمضى الدول ويذهب أصحابها وتظل مصر الباقية شخصيتها هى هى لا تتبدل ولا تتبدد ولا تحول » وفعلا صدق القول(١) .

المركز الجغرافى للدولة :

تحتل الدولة موقعاً ممتازاً واستراتيجياً هاماً فى شمال شرق أفريقيا بل فى وسط ثلاث قارات وملتقى الطرق تشرف على بحرين عالميين وتحتل مركز الوطن العربى وقلب العالم الإسلامى .

ولقد ازدادت أهمية موقع الدولة عندما استعادت مكانها الحقيقى فى الإطار العالمى مع شق قناة السويس فى ستينات القرن الماضى تلك القناة التى تعد نبض مصر ورقبتها الجغرافية وعنق الزجاجة فى استراتيجيتها فهى تصل البحرين المتوسط والأحمر بطريق بحرى مائى دون حلقه برية وسيطة . فمنذ أن شقت أصبحت شريان المواصلات العالمية وعنق الزجاجة فى شبكة الملاحه باختصار أصبحت مركز الثقل فى حركة العالم والقارات معلقة إليها ، ولقد كان أبسط معنى لهذا كله أنه جدد شباب موقع مصر الجغرافى ، حقاً لقد وضعت القناة يد مصر على نبض العالم كله وأصبحت لها بمثابة مقياس ضغط حساس وأعطتها نافذة أو (طاقة) على العالم ، وتضاعفت أهمية موقع الجمهورية عندما أصبحت القناة شريان الزيت أساساً وحلقة وصل بين الغرب والشرق الأوسط خاصة وذلك عندما حدث زواج اقتصادى وثيق بين بترول العرب وقناة العرب ، وعندما أصبحت القناة أهم ممر عالمى استراتيجى لأهم سلعة استراتيجية فى العالم .

ثم ازداد هذا الموقع أهمية مرة أخرى بعد تحسن الطيران وعبور خطوطه للمطارات الدولية فى الجمهورية وساعد على أهميتها فى هذا الصدد صفاء سمائها وتوسط موقعها بين الشرق والغرب . هكذا كانت مصر بمثابة القلب للعالم القديم وحلقة الاتصال بين الشمال والجنوب والمشرق والمغرب مما أتاح لتجارتها أن تنتقل

---

(١) الدكتورة نعمات فؤاد : شخصية مصر ، القاهرة ١٩٦٨ .

ولحضارتها أن تنتشر وعليه يعتبر موقع الدولة مقوم أساسى ورئيسى من مقومات الجذب السياحى بها .

والواقع أن جمهورية مصر العربية التى تترامى نحو ١٢٠٠ كم بين دائرتى عرض ٢٢ و ٣١ شمالا والتى تبلغ مساحتها نحو مليون كم ٢ وتتميز برقعة سياسية منتظمة تكاد تؤلف مربعاً نموذجياً ، تبدو كالكاس الطويلة أو الزهرة ساقها الصعيد وزهرتها الدلتا وبرعمها الفيوم ، وآخرون يقولون كالنخلة : صعيد باسق ودلتا كالمظلة المفتوحة بينما الفيوم عرجونها . . . وواضح أن هذا النمط يكاد يحقق الجمع بين الحد الأدنى من المساحة والحد الأقصى من المسافة . . إن مصر أساساً مسافة لا مساحة ولكن من الناحية العملية فان مشكلة مصر الخطية لم تزد قط وحقيقة عن مشكلة إدارية ومشكلة تنظيم داخلى دون أن تتحول إلى مشكلة سياسية ومسالة وجود وكيان .

وجدير بالملاحظة أن منطقة السكنى والعمران فيها تقتصر على شطر محدود لا تتجاوز ٣٪ من مساحتها يحتوى على معدل ٩٠٠ نسمة / كم ٢ ، فهى بيئة جغرافية فريدة تطل على بحرين من أقدم وأهم بحار العالم : البحر الأحمر من الشرق والبحر المتوسط الذى لعب دوراً هاماً فى نشر الحضارة المصرية من الشمال ، ذلك البحر الذى قرب ج . م . ع من أكبر وأهم الأسواق السياحية فى العالم ، كما يحدها من الغرب ليبيا ومن الجنوب السودان .

وعليه فهى تكاد تنفرد بأنها فى تناسق نادر بين قدر من عزلة فى غير تقوقع ، وبين قدر من احتكاك لا يصل إلى حد التميع ، وبهذه المعادلة الدقيقة تحتفظ بكيان وشخصية متميزة قوية ونجد أن أصل هذه الخاصية يكمن فى الجمع بين نقيضى الموقع والموضع .

فالموضع كواحة صحراوية يعنى — وحده — لونا من العزلة الجغرافية ، فشرنقة الصحراء تغلفها لمئات الأميال شرقاً وغرباً وجنوباً ، ولا ينفى هذا أن هناك فى كل من هذه الاتجاهات شريطاً ضيقاً يربطها بالعالم الخارجى العربى .

ولكن مصر وإن كانت واحة صحراوية بالموضع فانها بالموقع فى قلب الدنيا وعلى ناصية كل التيارات الحضارية والثقافية . . إنها برج مراقبة أو مرصد يغطى

العالم القديم برمته ، ولهذا فلم تملك أن تنعزل أبداً عن تيارات التاريخ وحركات الحضارة(١) .

ومن هنا فان وعى مصر القديمة بنفسها إقليمياً سرعان ما تضاءل مع التاريخ وتطور المواصلات وانفتاح مصر على الشرق القديم حتى إذا ما وصلنا إلى مراحل التاريخ الوسيط والحديث لم تعد تلك العزلة الجغرافية – التى لم تكن قط كاملة – إلا ظلا باهتاً وكماً محدوداً .

ونحن نستطيع أن نرى أن التناسق الدقيق بين أثر الموقع والموضع فى مصر قد زاوج فيها بين العزلة والاحتكاك فى زواج سعيد أخذ من كل منهما محاسنه دون أضداده . فلم تكن مصر مجرد منبع لحضارة حفرية آسنه ولا مصباً فقط لكل وباء أو نزوة حضارية وافده ، بل كانت دائماً منبعاً ومصباً معاً ، تاخذ وتعطى أبداً . ومن هنا حيويتها التاريخية وبقاؤها ، إن هذا التناسق الدقيق هو مفتاح جوهرى لشخصية مصر التاريخية .

البيئة الطبيعية والبشرية لجمهورية مصر العربية :

لقد لونت الطبيعة مصر بلونين رئيسيين : أولهما الأرض الطبيعية التى كسا بها النيل ضفتيه ثم كون منها الوادى والدلتا والتى لا تتجاوز مساحته – كما أشرت – سوى ٣٪ من مساحة الدولة ، ذلك السهل الرسوبى الذى يمتد مسافة تقرب من ١٥٠٠ كم ، وتحفه من الجانبين هضبتان مرتفعتان نسبياً ، وهو شديد الخصوبة كساه نهر النيل بطميه عاماً بعد عام والذى يمتد من أسوان جنوباً حتى رأس الدلتا ، ونجد أنه شمال القاهرة بـ ٣٥ كم يتفرع النيل إلى فرعين مكوناً أرضاً خصبة بينهما وفيما حولها .

« إن نهر النيل العظيم » مغناطيس فعال له جاذبيته المؤثرة الغلابة وبها يرسم هيكل التوزيع الجغرافى الطليق للمدينة ويشكل طبوغرافيتها الاجتماعية ، فنجد معظم المدن المصرية الواقعة على النيل يمكن تصورها وهى تصل إلى قمتها على شاطئه فى حين يقل وزنها وثقلها بعيداً عنه ، وأن النهر على طوله هو الشارع الرئيسى للمدينة

---

(١) الدكتور جمال حمدان : شخصية مصر – دراسة فى عبقرية المكان ، القاهرة ١٩٧٠ .

التقسيم الإداري لجمهورية مصر العربية

المصرية ، وهو ساحل الذهب فى مصر بعامة ليس هذا فحسب وإنما النيل موجه فعال للمدينة المصرية مثلما هو محور ارتكازها وقطب جاذبيتها .

فنهر النيل يكاد يحكم تشكيل كل مظاهر العمران تقريباً وتوزيع الحياة من حوله ويضبط إيقاعها فى كثافة معنية تقل بصورة عامة كلما بعدنا عنه شرقاً وغرباً ، فكل شئ فى مصر يميل تقريباً إلى أن يقل وزناً وقامة وربما قيمة كلما بعد عن النهر : عدد السكان ، كثافتهم ، أحجام المدن ، ومعدل تباعدها بل وأحجام القرى — مستوى أحياء المدن وثرائها والتوزيع الجغرافى للطبقات الاجتماعية داخلها ، ومن تحت ذلك كله سمك رواسب النهر الفيضية ونسبة الطمى المخصب فيها ماء الرى نفسه ، فضلا عن منسوب الأرض الطبوغرافى البحت .

هذا هو إيقاع الحركة الأساسية فى مورفولوجية مصر الطبيعية وفى وجه مصر البشرى . أن الوادى كله بفضل وحدة الأصل النيلى يخضع لإيقاع ونغمه موحده ، تتطور ببطء شديد فى الطبيعة واللاندسكيب والمجتمع ، أى أن النمط البشرى العمرانى أعلى وأكثف ما يكون فى الوسط وينخفض بالاتجاه نحو الأطراف .

وإذا كان معنى هذا أن التدرج الهامشى هو قاعدة الحياة البشرية وقانون مورفولوجية جسم مصر فانه بمعنى آخر أن النيل كما هو مانح الحياه موضوعاً Life-Giver فانه شكلا رشاس الحياه Life-Sprayer على وجه الدقة حيث يقل عطاؤها نوعاً بالتدريج على الأطراف ، ان طبوغرافية النهر ترسم تضاريس المجتمع أو الطبوغرافيا الاجتماعية .

معنى هذا أخيراً أن النيل على كل امتداده من الشمال إلى الجنوب هو قمة مصر طبيعياً وبشرياً ، إنه محورها وعمودها الفقرى الصلب — على سيولته الرجراجة — الذى يمثل حظ الذروة فيها كسلسلة السمكة ، منه تنحدر وتدق وتخف شرقاً وغرباً فى كل شئ (١) ومصر بدورها نيلية التركيز والاستقطاب ، فالنيل ليس عصب وشريان مصر أو شارعهاالرئيسى فحسب ولكنه كذلك مرآتها ومغنطيسها وموجهها وهو الذى يمنحها التجانس التركيبى ويعطيها نسجاً شبكياً متدرجاً فى آن واحد .

(1) G. Hamdan = Egypt, The land and peaole in : Guide book to Geology and Archaeology of Egypt, Amesterdam, 1965.

جمهورية مصر العربية "طبيعية"

وثانيها : هو تلك الأرض الصحراوية الصفراء التى تحيط بالوادى والدلتا وتكون ٩٧٪ من مساحة البلاد وتشمل : —

(أ) الصحراء الشرقية التى تطالعنا على الجانب الشرقى لوادى النيل تبلغ مساحتها نحو ٢٢٣ ألف كم أى أقل قليلا من ربع المساحة الكلية للجمهورية العربية المتحدة وهى تطل على النيل بحافة ثم تأخذ فى الارتفاع شرقه حتى تنتهى بسلسلة من الجبال الشاهقة تعرف بجبال البحر الأحمر ويتراوح ارتفاعها ما بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ متر وأكثر جبالها إرتفاعاً جبل دخان والشايب وعتاقة ، وتمتد هذه الجبال محاذية للبحر الأحمر تاركة بينها وبينه سهلا ساحلياً ضيقاً . ومع قلة المنخفضات والأحواض فى الصحراء الشرقية فان الأودية الحافة التى تصل ما بين النيل والبحر الأحمر تكثر بها ، وأهمها أودية كوم أمبو والحمامات وقنا .. الخ ومرتفعات البحر الأحمر ذات صخور نارية بلورية قديمة .

ولم تكن الصحراء الشرقية خلال العصور التاريخية مركز عمران بل كانت على العكس تمثل مناطق صعوبة تكاد تخلو من السكان فيما عدا مناطق الآبار ، ومع ذلك فان قسوة الطبيعة من جفاف وتطرف فى الحرارة ومن تباعد للآبار لم يمنع المصريين منذ أقدم الأزمنة عن ارتيادها يقطعون من صخورها ما يبتغون من أحجار ويبحثون فى مناجمها عما يريدون من خامات معدنية ويسلكون أوديتها إلى ثغور البحر الأحمر ، وهذه الصحراء فريدة فى طبيعتها الجغرافية والإقليمية وتكاد تكون مع الصحراء الغربية على طرفى نقيض .

(ب) الصحراء الغربية(١) وتعتبر هذه الصحراء جزءاً من الصحراء الأفريقية الكبرى تمتد غرب الوادى لا يفصلها عنه سوى تلال جرداء . نحت قدماء المصريين فى صخورها قبورهم وتتميز هذه الصحراء بتباين سطحها إذ ترتفع فيها التلال والهضاب وتنخفض الوديان والمنخفضات التى أتاحت الآبار والعيون المنتشرة بعضها لإقامة حياة مستقرة فيما يعرف بالواحات ، كما تكثر بها الكثبان الرملية التى كونتها الرياح ، وتقع هذه الصحراء غرب الدلتا ووادى النيل وشرق الجمهورية

---

(١) الدكتور محمد صفى الدين وآخرون = دراسات فى جغرافية مصر القاهرة ١٩٥٧

الليبية . وتبلغ مساحتها ثلاثة أرباع مساحة مصر ، وصخورها رملية فى الجنوب جيرية فى الشمال فيما عدا المرتفعات الواقعة فى جنوبها الغربى فهى تتكون من صخور نارية قديمة ، وتتألف الصحراء الغربية من هضبة أعلى جهاتها جبل العوينات عند الحدود الجنوبية الغربية للدولة ، يليها منخفض به واحات الداخلة أكثر واحات مصر عمراناً والواحات الخارجة شرقاً وفى شمال ذلك المنخفض الكبير تقع هضبة أخرى بها أجزاء منخفضة أهمها واحة الفرافرة التى تقع على دائرة عرض أسيوط والواحات البحرية وهى المواجهة لمحافظة المنيا ، وكذا منخفض الفيوم ومنخفض وادى الريان جنوباً ثم يلى ذلك شمالا منخفض آخر به واحة سيوة وهى ذات موقع حربى ممتاز وتقع قرب الحدود الليبية على دائرة عرض الفيوم تقريباً ، وسطحها منخفض عن مستوى البحر ، ومنخفض القطاره الذى يقع فى منتصف المسافة بين وادى النيل والحدود الغربية وهو منخفض عن سطح البحر ولعل انخفاض بعض أجزاءه إلى ١٣٠ متر تحت سطح البحر جعل الحكومة الآن تدرس مشروع توصيل المياه من البحر المتوسط إلى المنخفض بواسطة قناة يمكن تو ليد الكهرباء بكميات ضخمة ، ثم منخفض النطرون فى شمال غرب القاهرة عمقة ٢٣ متراً تحت منسوب سطح البحر .

ونظراً لجفاف هذه الصحراء وتباعد موارد الماء بها فانها لم تكن فى معظم عصور مصر التاريخية مسرحاً وأسعاً لنشاط السكان أو مركزاً رئيسياً من مراكز حضارتهم فيها عدا الواحات وإقليم مريوط .

(ج) **شبه جزيرة سيناء :** تعد شبه الجزيرة جزءاً من الصحراء الشرقية يفصله عنها خليج السويس ولذا فهى تشبهها فى تكوينها الجيولوجى وفى ظروفها الطبيعية ، وهى عبارة عن مثلث من الأرض تبلغ مساحته نحو ٥٦٠٠ كم٢ قاعدته فى الشمال تطل على البحر المتوسط وأعلى أجزائه فى الجنوب حيث يتقابل خليجا السويس والعقبة ــ ان شبه جزيرة سيناء ليست مجرد صندوق من الرمال كما قد يتصور وإنما هى صندوق من الذهب مجازاً ، وهى حقيقة استراتيجياً كما هى إقتصادياً .

فمن الناحية الإقتصادية فانها كانت منذ عهد الفراعنة منجم مصرللذهب والمعادن النفيسة والنادرة ، وهى الآن بئر بترولها أى أنها صندوق من الذهب الأسود بالفعل

أما استراتيجيا فانها ليست مجرد فراغ أو حتى عازل ، إنما هي عمق وإنذار مبكر يمكن أن تشترى فيه الزمان بالمكان ، إنها خط الدفاع الأخير عن الدلتا ووادى النيل بعامة .

فمن الواضح إذن أن مصر واحة تبدو فى محيط الصحراء كعالم واحد متناه صارم الحدود والمعالم متماسكة وجسمها يبدو كأقدم وأضخم جزيرة بشرية منفردة فى أفريقيا وقلب العالم القديم وهى فى كل هذا وبكل هذا تتنافر بوضوح تام مع الصحراء المحيطة حتى ليبدو الفاصل بين الحياه والموت كالخط الصقيل وحتى ليمكن أحياناً للمرء أن يضع — حرفياً — قدما على الأرض السوداء وأخرى على رمل الصحراء(١) .

انه فى هذه الدولة نجد أن الفاصل بين المعمور واللامعمور صارم كحد السيف خاصة فى الصعيد وبالأخص فى الصعيد الأقصى وإن خفت حدته تدريجياً شمالا لا سيما فى أطراف الدلتا ، وحتى هنا فنطاق الظل ضيق جداً وثانوى للغاية .

وجدير بالملاحظة أن تلك البساطة وذلك الوضوح الأساسين فى مورفولوجية مصر هى من عوامل تبلور شخصيتها ووحدتها ، كذلك كان الشعور المشترك بالأخطار الخارجية المتواتره منذ فجر التاريخ قوة لاحمة بلورت الشعور بالذات وطنياً .

ومصر من الناحية المناخية منطقة انتقالية أساساً بحكم موقعها الفلكى الكوكبى فالعامل المسيطر على مناخها عامل واحد وبالدرجة الأولى هو كتلة القارة واليابس الأفريقى الصحراوى . أما البحر المتوسط فينحنى إلى مرتبة ثانوية بصفة عامة ومحلية بصفة خاصة ، ولهذا تسيطر على مصر كقاعدة وبانتظام الرياح الشمالية الجافة لا يستثنى منها إلا شمال الدلتا أو هامشها حيث تزيفها انخفاضات الأعاصير العابرة المحدودة المدى والمدة والعمق .

من هذا كان لنا أن ننتظر إطراداً وتشابها إقليمياً فى مناخنا أقرب — ربما — إلى الرتابة منه إلى التجانس ، حتى لقد يقال أن لمصر مناخاً ولكن ليس لها طقس

---

(١) المراجع السابقة

البحر المتوسط

سيناء

الصحراء الغربية

المناطق المأهولة بالسكان

حدود دولية

خريطة توضح مدى تركيز سكان مصر في وادي ودلتا نهر النيل في مساحة قدرها ٣٦,٠٠٠ ك.م٢ (تمثل أقل من ٤٪ من اجمالي مساحة القطر المصري) من تصل الكثافة في هذه المساحة المأهولة بالسكان حوالي ١٠٠٠ نسمة / ك.م٢ وتعتبر هذه الكثافة من أعلى الكثافات في العالم حيث تصل في أكثر الدول ازدحاما بالسكان مثل انجلترا وبلجيكا واليابان حوالي ثلث هذا الرقم.

المناطق المأهولة بالسكان بجمهورية مصر العربية

وعلى أية حال فليس للطقس فيها تلك الطقوس الاجتماعية التى تعرفها أوروبا مثلا . والواقع أن البحث عن أقاليم جغرافية متميزة لمصر بارزة الحدود والمعالم حيره جغرافى مصر عادة . ومهما يكن ، فان الأمتداد عبر نحو ١٠ درجات عرضية هو « ترافرس » كالقطاع الطولى يخلق بعض فروق محلية بالضرورة ، ولكنها بالضرورة أيضاً فروق لا تبين إلا بين أقصى الشمال وأقصى الجنوب . وإذا كان بالشمال الأقصى شريط ساحلى دقيق من مناخ البحر المتوسط فهو — إقليم مناخى متدهور أكثر منه إقليما متبلوراً ، بينما يظل المناخ الصحراوى الحار الجاف يحتل سماء مصر التى تقع برمتها دون المدار ، فإن حدودنا الجنوبية تكاد تبدأ مع السرطان والواقع أن الفروق الحقيقية فى المناخ هى الفروق الفصلية قبل أن تكون الفروق الإقليمية ، بمعنى أن الفرق بين مناخ الصيف والشتاء فى نقطة واحدة من القطر قد يكون أوضح وأهم من الفرق بين مناخ أى نقطتين فيه فى فصل واحد(١) .

وبوجه عام نجد أن مناخ ج.م.ع . يعد مناخاً معتدلا ، فلا هو شديد الحرارة لدرجة تهدد حيوية الإنسان ولا هو شديد البرودة يجمد نشاطه ، بل ولقد وهب الله مصر مناخاً معتدلا وطقساً محتملا وشمساً مشرقة وسماء صافيه قاد ذلك الإنسان وساعده على النشاط والتيقظ .

حقيقة قد يميل المناخ إلى الحرارة فى الصيف ولكن أمر ذلك محتمل إذ تهب الرياح الشمالية فتخفف من درجة الحرارة وتساعد الإنسان على بذل الجهد ، كما أن فصول السنة متميزة الأمر الذى ساعد على تنوع المحاصيل الزراعية .

والخلاصة أن مناخ مصر يتميز بالجفاف والاعتدال والإشراق ووضوح الإختلاف بين الفصول وهذا من العوامل الرئيسية التى لها أكبر الأثر على تنشيط السياحة وتنميتها فى الدولة .

وإذا كان النيل قد وفر للانتاج الزراعى أسباب النمو والازدهار وكفلت الصحراء للبلاد الطمأنينة مما مكن للحضارة الزراعية فى مصر أن تمتاز بالعراقة والنمو

---

(١) الدكتور جمال حمدان : شخصية مصر — دراسة فى عبقرية المكان — القاهرة سنة ١٩٧٠ .

— **Jeune Afrique = The Atlas of Africa, Paris, 1973.**

المتصل ، فان موقع البلاد الجغرافى هو الذى لم يجعل من مصر واحة ضخمة خصيبة فحسب شأن بعض الواحات النائية فى فيافى الصحراء ، بل خلق منها مركزاً تاريخياً مهما من مراكز الحضارة ، كان ولا يزال ملتقى تيارات الحضارة وطرق المواصلات العالمية بين القارات المختلفة والحضارات المتباينة والبيئات المتباعدة . فكانت مهداً صالحاً لقيام حضارة متقدمة نشرت ثمارها فى منطقة واسعة ، كما تلقت مظاهرها من عالمها الكبير التى لم تنقطع علاقاتها به ، حتى إذا ركدت فيها الحضارة وأرادت البلاد الانطواء على نفسها لم تتركها هذه المناطق المحيطة بها لتعكف على نفسها . وهكذا نشأت مصر كما عرفها التاريخ ثمرة تفاعل وتضافر عوامل طبيعية وبشرية معقدة تتصل حينا بظروف بيئتها وحيناً آخر بموقعها وعلاقاتها المكانية(١).

وجدير بالملاحظة أن مصر قد عاشت طويلا وحتى وقت قريب وهى تتألف أساساً من محور إقتصادى طولى متناهى الاستطالة هو محور الوادى المزروع وفى الفترة الأخيرة إشتد تأكيد هذا المحور الطولى بتركيز الإنتاج والصناعة والسكان الطاغى فى منطقتى القاهرة والإسكندرية وعلى الطريق الشريانى بينهما بمدنه وسكانه . ولكن بالتدريج الوئيد أخذت براعم محور عرضى جديد تنبثق على يمين الدلتا ويسارها : منطقة القناة بمدنها وصناعاتها ثم بترول الخليج جنوبها والآن تنبثق نواة نامية فى نطاق مربوط على بترول الشمال الغربى الذى قد يمتد إلى سيوه والقطارة الخ... والذى لا نعرف بعد مدى تشكله العمرانى والصناعى ، ولكنه يبشر بانقلاب كبير . كما يجب الأخذ فى الإعتبار إحتملات مشروع كهربة منخفض القطارة الذى قد يصبح الإنجازة الهندسية الكبرى الثانية منذ وبعد السد العالى ، فاذا أضفنا بين الطرفين غاز الدلتا وما قد يستتبعه من نمو صناعى فضلا عن النشاط الصناعى الإقتصادى المتزايد فى قلب الدلتا بمدن النسيج فى الشمال ونطاق كثافة السكان العظمى فى الجنوب فاننا نستطيع أن نرى محوراً عرضياً من الخليج إلى الخليج — خليج السويس إلى خليج العلمين — محوراً بترولى القطبين يتخلق وتنسجه خيوطه ونواياته بالتدريج والقطاعى ليتعامد على المحور الطولى التقليدى ويتقاطع معه ويتداخل فيه جزئياً .

(١) الدكتور محمد السيد غلاب وآخرون : جغرافية العالم — أفريقيا ، القاهرة ١٩٦٦ .

ومرجع هذا التقدم والتطور يتلخص فى أن الصحراء أخيراً بررت وجودها ونفسها ، فبعد أن كانت مجرد شرنقة واسعة للحماية حول مصر ، أصبحت شرنقة إقتصادية أو غلافاً معدنياً ، وبعد أن كانت وظيفتها جغرافية أصبحت جيولوجية أيضاً ، فمن محجر إلى منجم نفيس إلى حقل معدنى (١) . . هكذا جاء تطور الصحراء إقتصادياً : الأول حجارة الهضبتين والثانى أحجار سيناء الكريمة والثالث الثروة المعدنية والبترولية المعاصرة ، وأثمن عناصر الثروة المعدنية الحديثة هى لاشك ثلاثية البترول ، الحديد ، الفوسفات ، وعليه فهى تمدنا بالخام والوقود معاً ، الا أنه سيلاحظ هنا أن غياب الفحم يجعل تقسيم العمل فى صناعة الصلب بالذات يتم على أساس أن الخام من صحرائنا والوقود من الخارج . ومن الحديث المعاد أن مصر هى الوحيدة فى العالم العربى أو الشرق الأوسط التى أستثمر فيها البترول الاستثمار المنتج الكامل ولعب فيها دوره الصناعى الكامل .

مقومات الجذب السياحى بالدولة :

(١) **العوامل الطبيعية :** يتضح من الدراسة التحليلية السابقة أن الطبيعة كانت سخية مع دولتنا ، فلقد حبتها بالاغراء الطبيعى والمناظر الجذابة التى جعلت منها بقعة متمتعة بكل مقومات الجذب السياحى .

لقد حباها الله بكثير من المزايا والصفات ... حقاً إن مصر تخلو من الغابات ومن الجبال — قطبى السياحة الباردة — ولكنها تملك فى النيل ما يمكن أن يعد بمثابة عقد متصل لا ينفرط من البحيرات السويسرية أو الإيطالية مجتمعة ، وحقاً فان اللاندسكيب المرئى فيها زراعى مصنوع منتظم من صنع الإنسان ولكنه دائم الخضرة والروعة والثراء وليس متوسط الجمال أو بسيطاً أو كما يصوره البعض ومن ثم فاللاندسكيب المصرى سياحى بدرجة كبيرة ، وموهبة مصر السياحية تكمن فى الأرض بقدر ما تبرز فى المناخ ، والسياحة فى مصر جغرافية فى كل معنى بمثل ما هى تاريخية إلى أقصى حد .

---

(١) الدكتور جمال حمدان : شخصية مصر — دراسة فى عبقرية المكان القاهرة ١٩٧٠ .

+Issawi Charless = Egypt in Revolution, London, 1965.

ونجد أن الكثير يغبطوننا على طبيعتنا أو يودون لو استبدلوا ببيئاتهم المشجرة المضرسة بكل جمالياتها ببيئة كمصر تجمع بين روعة المناخ وبراعة الإنتاج دون أن ينقصها جمال المنظر الطبيعي بعد ذلك(١).

أولا : وادى النيل ودلتاه كمقوم هام من مقومات الجذب السياحى فى الدولة :

نلاحظ أنه بالإضافه للموقع الممتاز — المشار إليه — والذى يعتبر كنزها الدفين غير المرئى فان نيلها الساحر — نهر النيل العظيم يتدفق بين مدنها وقراها فيهبها الحياة تنتشر على ضفافه ثروة أثرية ذات تراث حضارى يعجز القلم عن حصرها تتمثل فى المعابد والأهرامات والقلاع والتماثيل والأديره والجوامع والمسلات والكنائس وغيرها .

فاذا قام السائح برحلة فى نهر النيل من الجنوب إلى الشمال فانه يطالع تاريخ البلاد القديم والحديث كما لو كان يسير فى متحف ضخم ، فيبدأ من أسوان والأقصر حيث يشاهد عظمة الفراعنة الأمجاد فهنا منطقة من أهم المناطق الأثرية بالدولة وتشمل معابد أبو سمبل وهو من أروع ما شيدته يد الإنسان دكة ، فيلا ، كلابشة ، الرديسيه ، حورس إسنا ، الأقصر الكرنك ، الرامسيوم ومعبد الدير البحرى ثم وادى الملوك والملكات وتمثالا ممنون . . . بهذا يكون السائح قد ألم بأغلب آثار الأقصر وأسوان بعدها يستمر فى السير شمالا إلى معبدى دندرة ، أبيدوس ثم دير الأمبا شنوده فمدينة تل العمارنة ومقابر بنى حسن ، وأخيراً يصل إلى منطقة تطور الأهرامات من هرم اللاهون فى الفيوم إلى أهرام الجيزة .

وتعتبر منطقة سقاره من أشهر المناطق الأثرية وأقدمها ، إذ تضم مجموعة هائلة من الآثار الهامة التى ترجع لعصور مختلفة تبدأ مع بداية العصور التاريخية إلى عصر البطالمه . من آثارها المسموح بزيارتها هرم سقاره المدرج وهو أول بناء حجرى عرف طوال العصور التاريخية . هذا بالإضافة إلى أهرامات أخرى توجد بتلك المنطقة منها هرم آخر ملوك الأسرة الخامسة ، ومقابر النبلاء توجد شمال غرب الهرم المدرج والتى تعد قمة الفن فى عصر الأسرة الخامسة وعديد من المقابر الأخرى .

---

(1) Robin Feeder : Land of Egypt. London, 1939.

مدينة منف على بعد ٥ كم جنوبى شرقى سقارة من آثارها تمثال رمسيس الثانى وتمثال أبو الهول المصنوع من المرمر ، معبد تحنيط العجل أبيس وكذلك مجموعة تماثيل حول مأوى رمسيس الثانى .

أما أهرام الجيزة فتعتبر من الروائع الشامخة التى ينفرد بها تراث مصر القديمة ، ولقد دارت الأيام وتعاقبت الأحداث والأهرام رابضة فى مكانها ترقب موكب التاريخ ، يرتسم عليها ذلك التعبير الأبدى تعبير العظمة والخلود .. لقد قصد المصريون القدماء ببناء الأهرام أن تكون قبوراً لملوكهم تصون أجسادهم لاعتقادهم فى البعث فكانت فخراً لأحفادهم وموضع إعجاب العالم وتقديره على مر العصور لما حوته من روعة هندسية ومعمارية من الأهرامات الأخرى بالمنطقة : أهرام خوفو ، خفرع منقرع (١) .

أبو الهول يعد سيد الصحراء وحارس أرض الخلود . . التمثال الأسطورى بجسم أسد ووجه إنسان ، وعندما تغمره الأضواء الحالمة — فى عرض الصوت والضوء — فانه يبدو وقد ارتسم على محياه ذلك التعبير الخالد : الغموض والأبديه .

من المعالم السياحية الأخرى بالجيزة : متحف استراحة الهرم بجوار الهرم الأكبر ، الصوت والضوء وفندق ميناهاوس وهو الفندق الذى يخدم السياح فى تلك المنطقة .

هذا بالإضافة إلى المساجد الأثرية الفخمة وكنائس المسيحيين والأديره : فمحافظة القاهرة غنية جداً بالآثار الإسلامية وهو مالا يمكن حصره ، ففيها أكثر من ستمائة أثر إسلامى ممثلا فى المساجد والتكايا الأثرية وكذلك الأزهر بمكتبته القرآنية الضخمة ، كما أنها تضم مجموعة كبيرة من المتاحف والأماكن الأثرية التى تمثل مختلف الحضارات التى توالت على مصر خلال تاريخها الطويل ، وكذا عدد وافر من القصور والقلاع والمنشات الحديثة والحدائق العامة والميادين السياحية — هذا بالإضافة إلى آثار الإسكندرية الإسلامية واليونانية والرومانية وآثار منطقة العلمين الممثلة فى مدينة

---

(1) Robenson : geogıaphical Tourism, London, 1975.

+ Hans Baumann : The world of the Pharaohs, London, 1961.

+ Baedekar : Egypt and the sudam, London, 1928.

الشهداء وضحايا الحروب وتضم المقبره الإنجليزية والمقبرة الإيطالية والمقبرة الألمانية، ومتحف العلمين ويحتوى على نماذج للأسلحة التى إستخدمت فى الحرب العالمية الثانية .

وكذلك الأماكن الأثرية والتاريخية فى مرسى مطروح والممثلة فى مرسى الأسطول المصرى فى عهد البطالمة ، حمام كليوباترة مخبأ روميل وهو عبارة عن كهف محفور فى الصخر وكان يخلو فيه القائد الألمانى لوضع خططه الحربية وأيضاً شاطئ عجيبة الجميل الذى يقع على بعد ٢٨ كم غربى مطروح والذى يمتاز بالكهوف وبالمناظر الخلابه التى تفوق الوصف(١) وعلى ذلك نجد أن جمهوريتنا تضم بين أرجائها كنوز أثرية عظيمة تنتمى لعديد العصور والأزمنة التاريخية ممثلة فيما يلى :

١ - الآثار الفرعونية القديمة والتى يزداد تركزها على ضفاف النيل .

٢ - الآثار اليونانية والرومانية والتى تكاد تتمركز فى الإسكندرية .

٣ - الآثار المسيحية والمنتشرة فى أرجاء الدولة ممثلة فى الأديرة والكنائس ومركزة فى القاهرة والإسكندرية .

٤ - الآثار الإسلامية والتى يعظم تزاحمها فى القاهرة وبدرجة أقل فى الإسكندرية

٥ - الآثار الحديثة والمعاصرة وتشمل آثار العلمين وكذلك الأماكن الأثرية والتاريخية بمرسى مطروح ممثلة فى حمام كليوباترة ومخبأ روميل وعديد الكنوز الأثرية بالقاهرة . . . برج القاهرة على سبيل المثال .

وعلى ضفاف وادى النيل ودلتاه تمتد القرى الزراعية والريف الهادئ المتنوع فى محاصيله فنجد مناطق زراعة كل غلة مركزة حسب الشروط المناخية اللازمة لزراعتها : فحقول الأرز فى شمال الدلتا حيث تركز معظم الإنتاج والنسبة الضئيلة الباقية بمحافظات جنوب الدلتا والفيوم ومصر الوسطى ومزارع القمح الشتوى فى مصر الوسطى والسفلى ، ومزارع القصب الواسعة على ضفاف النيل بمصر العليا خاصة محافظتى قنا وسوهاج اللتين يضمان ٩٣٪ من مساحة القصب فى الدولة ،

---

(1) Kane, Robert S. : Africa A to Z, New York, Double day, 1961.

الدكتور عبد المنعم أبو بكر وآخرون - القاهرة فى ١٠٠٠ عام ١٩٦٩ - ١٩٦٩ .

وتنتشر قرى ومزارع القطن فى الوادى والدلتا ، إلى غير ذلك من القرى الزراعية المزروعة بالمحاصيل المتنوعه منها الذره بنوعيها ، البصل ، التوم ، الخضروات والفاكهة . . . الخ(١) .

مثل هذه القرى والمساحات الزراعية المنتشرة فى وادى النيل ودلتاه وما تضمه من أدوات وحيوانات معينه وصديقة للفلاح تعد مواد فريده ودسمه للجذب السياحى... تجذب عشاق ومحبى الطبيعة والهدوء والتغيير والبساطة والتأمل والشاعرية .

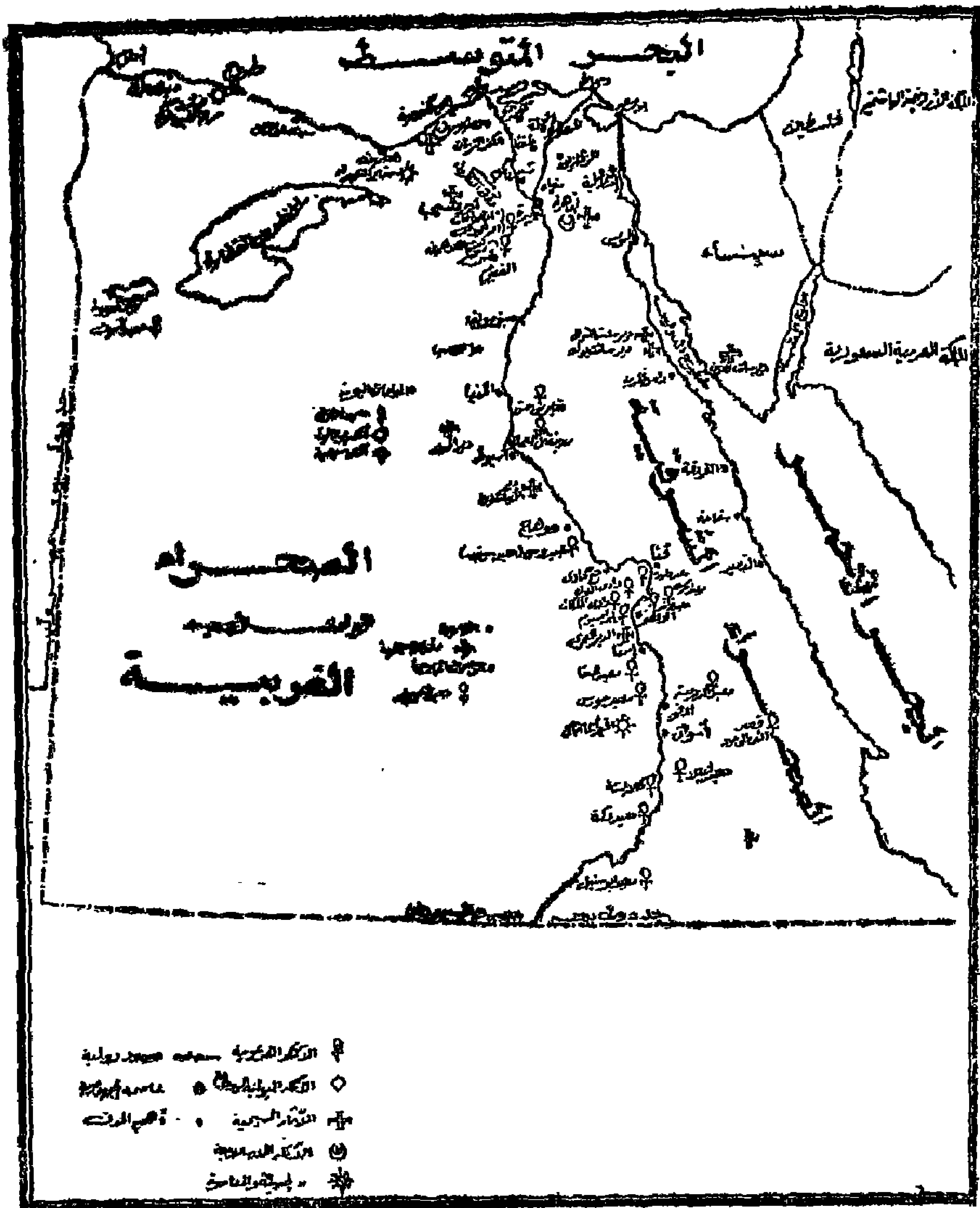
كما وأن الطبيعة قد منحت مصر وأرض مصر شواطئ جميلة ساحرة ! إن مصر مشتى العالم هى مصر صاحبة المصايف الجميلة الرائعة ذات الشواطئ الرملية الناعمة — الاسكندرية مرسى مطروح بورسعيد ، جمصه ، بلطيم ، رأس البر ، وشاطئ سيدى عبد الرحمن وسيدى كلير . . . الخ وذلك حيث اعتدال المناخ المصرى الذى يتميز — كما أشرنا — بالجفاف والإشراق والتميز بين الفصول ، إذ ينعم السائح بمشتى حالم فى أرجاء الأقصر وأسوان ويسعد بقضاء مصيف هادئ على شواطئ الجمهورية ، فمناخ مصر معتدل على مدار السنه خاصة فى الشتاء فلا تشكو الدولة من العواصف أو الزوابع المدمرة أو الزلازل أو الفيضانات ، بالإضافة إلى صفاء السماء وسطوع الشمس ونجد أن حرارة الصيف محتملة لحد بعيد ويخفف من حدتها عوامل محلية موثرة .

فعلى الشواطئ يمكن للسائح أو المصيف ممارسة صنوف الرياضات المائية والسباحة وحمامات الشمس ورياضة الزوارق وهواية صيد السمك ، وأيضاً يمكن ممارسة هواية صيد البط على شاطئ كنج مريوط على بعد ٣٥ كم غرب الإسكندرية ، الأمر الذى جعل هذه الشواطئ قبلة أنظار السائحين والراغبين فى الراحة والاستجمام والترفيه .

ان مدينة المقطم الجديثة التى ترتفع أكثر من ٢٠٠ متر فوق مستوى سطح القاهرة تتيح للسائح فرصة نادرة للتمتع بالهدوء الشامل والطبيعة الساحرة ثم مشاهدة منظر القاهرة الرائع .

---

(1) Issawi Charless : Egypt in Revolution, London, 1965.



السياحة الثقافية

كما وأن ضاحية حلوان منطقة جذب سياحى هام لراغبي السياحة العلاجية حيث الجفاف والهواء الطلق ولما تمتاز به من شهرة عالمية للعلاج بالمياه المعدنية والكبريتية لحالات الروماتيزم والأمراض الجلدية وأمراض الكليتين والمفاصل وضيق التنفس . . الخ .

وتمتاز الفيوم بمناظرها الطبيعية الساحرة التى تنفرد بها دون غيرها من محافظات الدولة من أهمها السواقى وعين السلين التى تقع فى منتصف المسافة بين بحيرة قارون ومدينة الفيوم حيث تنتشر المدرجات الزراعية المتناسقة والحدائق الغناء ، وبحيرة قارون ملتقى هواة الصيد من الأسماك أو الطيور البحرية .

ثانيا : الصحارى المصرية — كمقوم هام وعظيم من مقومات الجذب السياحى فى جمهوريتنا :

كما أنه بالصحارى المصرية من المقومات السياحية الضخمة التى لو أحسن استغلالها بأسلوب علمى صحيح مما يجعلها عنصراً هاماً من عناصر التنمية السياحية ذاتها وأساساً للتنمية الاقتصادية للمجتمعات الصحراوية فيها وتتمثل فيما يلى : —

الامكانيات الأثرية الفخمة المتفرقة فى أنحاء الصحارى المصرية ، فبالإضافة إلى آثار ما قبل التاريخ الموجودة فى واحة العونيات بالصحراء الغربية توجد بها آثار فرعونية ويونانية ورومانيةوكذلك آثار ومزارات إسلامية ومسيحية فى الواحات خاصة سيوة وفى وادى النطرون والوادى الجديد وفى الصحراء الشرقية وسيناء خاصة دير سانت كاترين وجبل موسى ولها شهرة خاصة حيث يعتبر من أقدم الأديرة المسيحية فى العالم(١) .

وتتميز هذه الصحارى أيضاً بغناها بالمناظر السياحية وبجمال بعض أجزائها الطبيعية وبروعة سواحلها على البحرين المتوسط والأحمر مما جعلها قبلة أنظار السائحين والراغبين فى الراحة والاستجمام .

---

(١) الدكتور جمال مختار وآخرون : الموسوعة المصرية : تاريخ مصر القديمة وآثارها . المجلد الأول الجزء الأول سنة ١٩٦٠ .

كما أنها تضم مناطق لها تاريخ ومواقع حربية وتحصينات عسكرية ونصب تذكارية .

وكما هو معروف فان الصحارى المصرية تحف بالدولة من الشرق والغرب وتمتد إلى أقصى الجنوب مما جعلها ترتبط بأمنها والدفاع عنها على مر العصور فتؤكد المصادر أن منطقة عيون موسى جنوب السويس هى المكان الذى عبر عنده النبى موسى البحر وضرب بعصاه فتفجرت عيوناً شرب منها بنو اسرائيل . وفى سيناء أماكن كثيرة ارتبطت بفتح العرب لمصر وبحملة فلسطين فى الحرب العالمية الأولى ، وكذا بالحرب بين العرب واسرائيل الأولى والثانية والثالثة وآخرها الرابعة وما ضمته من آثار خط بارليف الذى اقتحمه المصريون فى أكتوبر ١٩٧٣ ، بالإضافة إلى أماكن المعارك نفسها وحطام الأسلحة الاسرائيلية هناك وآثار عدوان الاسرائيليين على الأهداف المدنية ودور العباده .

وعلى ساحل البحر الأحمر توجد الجزيرة الخضراء عند السويس وشدوان عند المدخل الجنوبى للخليج وترتبط كلها بمعارك بين مصر واسرائيل .

كما أن هذه الصحارى المصرية تحوى مسارات ودروب ومسالك ذات أهمية تاريخية ودينية مثال طريق الإسكندر الأكبر إلى معبد آمون فى سيوه ، طريق الحج القديم عبر سيناء والمعالم الباقية على مساره وطريق عمرو بن العاص عند فتح مصر عبر سيناء . . الخ .

وتضم الصحارى المصرية أيضاً مناطق ذات خواص شفائية فى الينابيع المعدنية : عادية وساخنة ورمال ذات خواص شفائية .

ونجد أن العيون العادية والساخنة فى واحات سيوة والداخلة والفرافرة ذات خواص شفائية أيضاً وخاصة لمرض الروماتيزم كما أن عيون موسى وعيون فرعون بسيناء ذات مياه كبريتيه .

ونلاحظ أن الصحارى عموماً تتميز بنمط مناخى وطبيعى وبيئى خاص ، كما أن جفاف الطقس والمناخ الذى تتمتع به الصحراء يعتبر ميزه شفائية للمرضى والناقهين يمكن استغلالها فى مجال السياحة العلاجية . ونجد أن مناطق صحراوية

متاخمة إلى مسطحات مائيه يضيف إلى الامكانيات السياحية لهذه المناطق كصحراء ذاتها – طاقة جديدة تستمد من هذه المسطحات المائيه نفسها بما توفره من مناخ ملائم وما تخلقه من مرغبات إضافية ترتبط بالسياحة الترويحية والرياضيات المائيه وصيد الأسماك(١) .

فالاهتمام بالشواطئ المصرية عامة وبالساحل الشمالى الغربى والبحر الأحمر خاصة وتنفيذ المشاريع السياحية بها يمكن بالإضافة إلى ما تضيفه للدخل القومى للدولة بما قيمته ١٠٠ مليون جنيه سنوياً أن تعكس نماء على المجتمعات الصحراوية خلفها .

ولعل صورة الصحراء بطبيعتها ذاتها وفطريتها نفسها هى المكان الأمثل المنشود للجذب السياحى لكل من ينشد الهدوء والطبيعة هرباً من التجمعات الحضرية بالمدن وما يتمثل فيها من اكتظاظ سكانى وما تزخر به من حركة وضجيج وضوضاء ، وما تفرضه الحياة فيها من دأب مستمر على العمل وكفاح للكسب وما يصاحب ذلك من توتر وقلق .

انها بحر من الرمال بلا حدود : الغرود أمواجه والجمل سفينته والواحات جزره والعيون والآبار محطات تموين فيه ، والتجمعات السكانية على مشارف العمران موانيه ... الخ . إنها بيئة تتميز بصفاء الجو والسماء ونقاء الهواء وجفاف الطقس ، بعيده عن التلوث بكافة صوره ... إنها عالم من الهدوء والسكون ، ذلك المجهول الذى لا يكشف عن غوامضه وأسراره .

ذلك السحر الذى يرتبط بالشرق وذلك الخيال الذى يتصل بألف ليلة وليلة ، ولعل صورة الصحراء بفطريتها وبدائيتها هى أهم ما يجتذب سكان العالم المتحضر يجدون فيها البديل عن عالمهم المصنوع وظواهره ومظاهره المصطنعة يتحررون فيها من حياة رتيبة وقيود مفروضة .

---

(١) الدكتور عبد الحليم منتصر وآخرون : صحارى مصر . القاهرة سنة ١٩٦١ .

+ Ni Na Nelson : Your Guide to Egypt, London 1965.

+ Robenson : Geographical Tourism, London, 1975.

ولعل الصحراء بغموضها تجتذب هواة البحث عن كل غريب والكشف عن كل مجهول يشبعون فيها نزعتهم إلى المغامرة .

وقد تكون مشارف الصحراء على حافة العمران هي المناطق المثلى للاستفاده منها سياحياً فى هذا المجال حيث يجد فيها سكان المدن والتجمعات العمرانية ملاذهم ، وحيث يمكن توفير المتطلبات الضرورية للحياة العصرية دون إفساد المظاهر الفطرية المقصودة ، وحيث يمكن أيضاً الوصول إليها دون جهد أو مشقة أو حاجة إلى توفير وسائل نقل أو انتقال بنفقات كبيرة ولعل ذلك يفسر الاقبال على المناطق الصحراوية حول هضبة الأهرام بالجيزة ولعله يدعو كذلك إلى المبادرة بالإستفادة منها وغيرها من الأماكن المماثله على حافة الوادى ومشارف الصحراء بصورة سياحية ملائمة تتفق مع طبيعتها وتناسب رغبات قاصديها .

يعيش فى هذا العالم الغريب قبائل البدو العديدة والذين وإن اشتركوا فى صفاتهم العامة فى أسلوب الحياة إلا أن لهم فى كل منطقة صفاتهم الخاصة ، كما أن لكل قبيلة عاداتها وتقاليدها المميزة ولها طعامها وشرابها وملابسها وأزياءها بل وأسلوب تجمعها فى الخيام وهى كلها أساليب وحياة غريبة عن الحياة فى مناطق العمران عامة وكلها أيضاً عناصر تجذب فضول سكان الحضر وتستهوى السائحين .

كما يقطن الصحراء نوعيات مختلفة من الحيوانات وإذا كانت تشترك مع مناطق أخرى بالنسبة للخيل والأغنام والماعز ، إلا أن الجمال تعتبر أساساً الحيوانات المرتبطة بالصحراء وقلما توجد فى المدن ذات وسائل الانتقال الآلية والحديثة . كما تنتشر الحيوانات البرية كالأرانب والغزلان وكذا الثعالب والذئاب والضباع فى أرجاء كثيرة من الصحارى المصرية ، والجزء الجنوبى من الصحراء الشرقية والمتصل بالسودان يضم الكثير من الحيوانات المفترسه(١) .

فاذا أضيف إلى ذلك أيضاً الأنواع المختلفة من الزواحف وكذا الطيور البرية والمهاجرة كان للصحارى حصيلة ضخمة من نوعيات مختلفة ، وفريدةمنالحيوانات

---

(١) وزارة السياحة : نشرة البحوث السياحية – العدد ٢٣ مارس ١٩٧٥ .
الدكتور عبد الحليم منتصر وآخرون : صحارى مصر – القاهرة ١٩٦١ .
Robenson : Geographical Tourism, London, 1975.

ترتبط بينها الخاصة وتنفرد بوجودها فيها وكلها تستهوى غواة المتعه بركوب الجمال أو الدراسة لهذه النوعيات من الحيوانات كما تجتذب هواة الصيد والقنص .

وجدير بالملاحظة أن إفتقار الصحارى إلى الماء يجعل ما ينمو فيها من نبات ذا طبيعة خاصـة فباستثناء ما يزرع من محاصيل على المصـادر المائية القليلة المتوفرة أو التى يتم توفيرها وبالإضافة إلى المراعى فان النباتات تعتمد أساساً على ما تختزنه فى أوراقها أو ما تستمده من رطوبة الأرض كالنخيل . والنخيل بصفة عامة يرتبط بالصحراء ويأخذ شكل الغابات فى الواحات ، وإذا كانت أشجار الدوم والاثل وغيرها تشد رواد الصحراء فى مصرفان النباتات الطبيعية تجتذب هواة البحث والدرس والتحليل. كما أن الغابات المتحجرة تنبه إلى صورة الحياة والنماء القديم فى بعض أجزاء الصحراء وهذه كلها تشكل نوعية فريده تستهوى السائحين – وكذلك المناطق الجبلية فى الصحراء الشرقية الممثلة فى سلسلة البحر الأحمر وفى وسط سيناء وجنوبها .. انها تتميز بمناطق طبيعية رائعة وصخور ذات أشكال خاصة ومغارات وكهوف طبيعية أو ذات صلة تاريخية ووديان ذات طبيعة متميزة كل ذلك جعل منها المكان الأمثل لإقامة المخيمات والمعسكرات .

إن البحر الأحمر نفسه بجزره المنقطعة الفريدة وشاطئه السحرى العظيم وما فيه من مجموعات سمكيه نادره وأصداف وقواقع ونباتات بحرية وما يمتلىء به من شعاب مرجانية وشفافية مياهه المتميزة كلها خصائص جعلت من هذا البحر خير مقصد لعشاق الصيد والغطس والترفيه ، إن ساحله عدا غناه بالمحاجر والمناجم والآبار البترولية التى استغلت من قديم الأزمان يتمتع بثروة أثرية خالدة تحكى تاريخها بالإضافة إلى المدن والنقوش الاثرية والحضرية الرائعة(١) .

على بعد نحو ٥٥ كم جنوب السويس توجد منطقة العين السخنة بشاطئها الساحر تنبثق منها عيون كبريتيه فاترة المياه على مسافة ١٠٠ متر تقريباً من البحر تغلفها من الخلف تلال عالية مما جعل منها مقصداً لعشاق البحر وهواة تسلق الجبال . كما توجد الغردقة على بعد نحو ٤٠٠ كم جنوب السويس والتى تعد من أنسب مناطق

---

(١) المراجع السابقة .

البحر الأحمر للاستحمام والصيد والتصوير تحت الماء ، وتمتاز بمناخها المعتدل صيفاً وشتاء وتعتبر من المناطق الهامة لصيد السمك فى العالم تستطيع أن تجذب هواة صيد السمك من شتى أنحاء العالم فالغردقة من مناطق السياحة الهامة فى الدولة فهى تتمتع بشاطئ رملى فهو مشتى جميل جداً كما أن لون مياه البحر من الروعة بحيث تجذب إليها السياح الذين يرغبون فى قضاء فترات من الهدوء والراحة ، وتجذب هواة صيد السمك حيث أنها تنفرد بأنواع لا مثيل لها من أسماك البحر الأحمر وتجذب محبى ركوب المراكب والتزحلق المائى فهى توفر لهم ذلك فى سهولة ويسر ومن معالمها السياحية معهد الأحياء المائية الذى يضم فصائل عديدة من الأسماك الملونة فضلا عن الشعب المرجانية النادرة فهذا المعهد له شهرة عالمية فى الأوساط العلمية بأوروبا وأمريكا وأصبح محل إعجاب كثير من العلماء الأجانب الذين زاروه فله تأثير مباشر على الجذب السياحى بالمنطقة لفئة العلماء العلميين . كما أن المتحف البحرى بالغردقة يحتوى على جميع أنواع الحيوانات والأسماك المحيطة وقد اتبع الأساليب العلمية فى التحنيط مما جعل هذا المتحف متحف أبحاث علمية له أثره أيضاً على جذب العلماء لزيارته من شتى أنحاء العالم .

كما أن الحرف والصناعات البيئية بالصحارى المصرية مقوم هام من مقومات الجذب السياحى بالدولة وتتمثل فى صناعة الأبراش والمقاطف والفخار الأحمر والخزف فى الوادى الجديد ، وصناعة الصوف والأكلمة فى الساحل الشمالى الغربى وصناعة التطريز والكنفاه وغزل الصوف بسيناء وصناعة السجاد فى وادى النطرون والخوص والخرز فى النوبة .

وإذا ما تعهدت هذه الحرف والصناعات يد الصقل والتدريب وتوفرت لها الخامات انعكس ذلك على الإنتاج وفرة وعلى المنتجات تطويراً وجودة وعلى الأفراد ربحاً وعلى المجتمعات نماء وعلى السياحة مرغباً جديداً .

وجدير بالملاحظة أن الفنون الشعبية بالبيئة الصحراوية لها دورها الفعال فى هذا المجال : فباختلاف القبائل وأختلاف المناطق فى الصحراء تختلف الفنون الشعبية من موسيقى ورقص وغناء وباختلاف المناسبات من أعياد ومواسم دينية وما كان منها يرتبط بالزواج أو التقاليد السائده أو مواسم الحصاد كذلك تختلف الآلات الموسيقية

وأزياء الرقص وأساليب الغناء كما تختلف الموسيقى نفسها والرقص والغناء فى أدائها بين فردية أو جماعية ، وإن كانت كلها ذات طابع فريد على إختلاف صورها ومناطقها حيث كلها ترتبط بالفطرة التى تغلف الصحارى وتتصل بأساليب الحياة والأنماط الاجتماعية السائدة فيها مما يجعلها مادة دسمه للجذب السياحى(١) .

وعلى هذا فالملاحظ أن الصحارى المصرية مادة دسمة ومقوم مختلف الإتجاهات للجذب السياحى بالدولة .

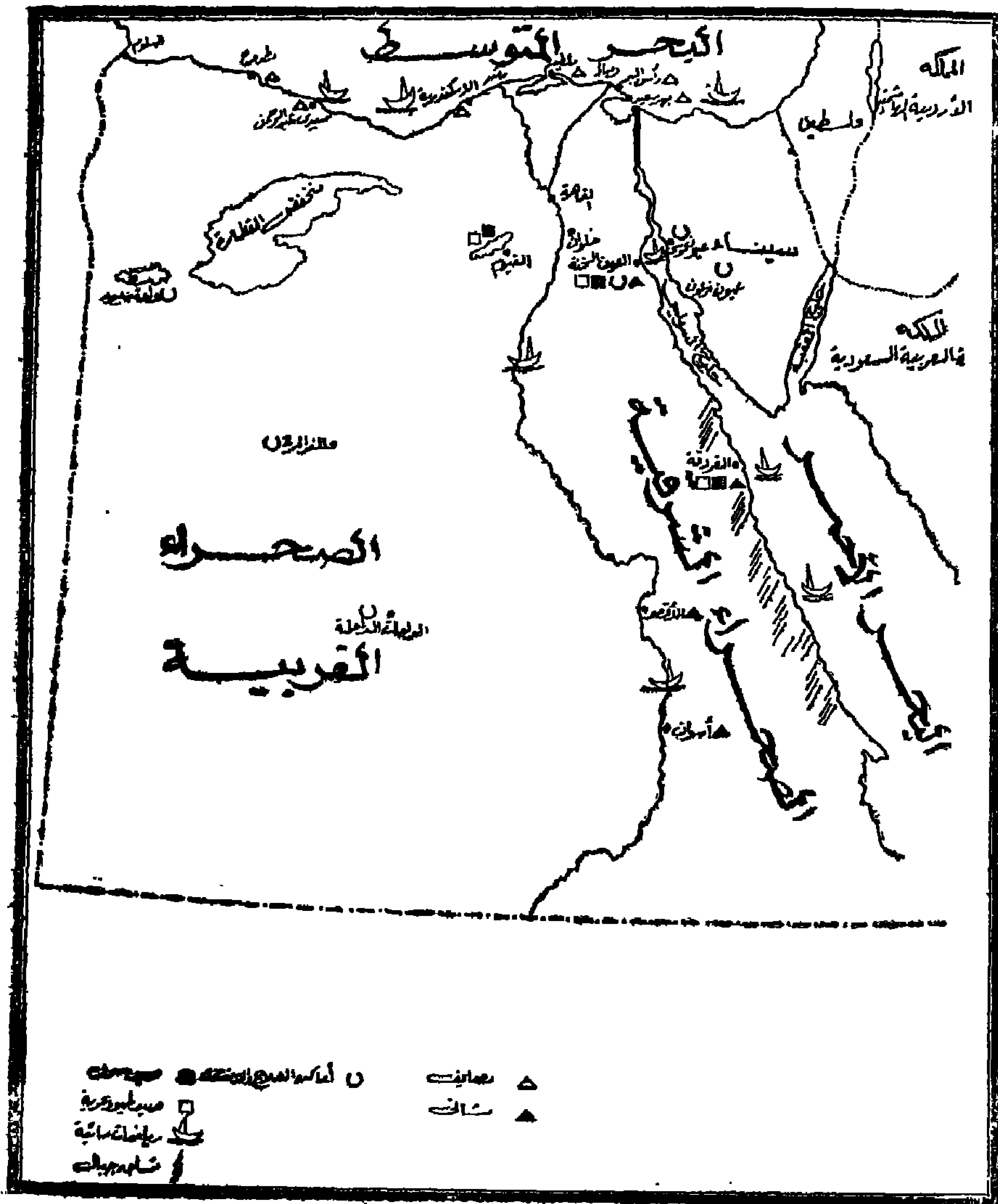
(٢) العوامل البشرية :

لقد اتضح من الدراسة التحليلية المفصلة للبيئة الجغرافية لجمهورية مصر العربية أنها العامل الهام والمقوم الأساسى من مقومات الجذب السياحى بالدولة ، كما أنه متشعب الجوانب واسع الانتشار كما أن العوامل البشرية لها دورها الكبير وعامل آخر من مقومات الجذب السياحى بالدولة ، فلقد اتضح من دراسة وتحليل المركز الجغرافى للدولة أنها تتمتع بموقع استراتيجى عالمى خاصة بعد شق قناة السويس فى أراضيها وأنها تتميز بالقرب الجغرافى من أهم الأسواق السياحية فى العالم ، فهى تحظى بشبكة مواصلات تربطها بالعالم ، كما أن الطرق المؤدية للمناطق السياحية بالدولة لابأس بها ، ونجد أن الصفات التى تمتاز بها مصر فى السوق السياحى العالمى لا يمكن لأى دولة أخرى أن تنافسها فيها ، بل تعتبر محتكره لهذه الصفات مما يضمن دوام الاقبال عليها ، كما أنها حازت شهرة عالمية من كثرة ما كتب فيها من كتب وقصص ونشر منها من أفلام سياحية . والملاحظ أن الشعب المصرى يمتاز بالكثير من المزايا والخصال ! فوداعة المصرى ورقته وإخلاصه وروح التسامح التى تسيطر على أغلب تصرفاته وإكرام الضيف ، هذه كلها ميزات طبيعية قل أن تتوافر فى الكثير من الشعوب وتجعل الشعب المصرى محبوباً من جمهور السياح الزائرين(٢) .

ومما هو جدير بالملاحظة فان ج.م.ع . تعتبر من أرخص دول العالم إن لم تكن أرخصها جميعاً رغم الزيادة التى طرأت فى السنوات الأخيرة على الأسعار .

---

1. Robenson : Geograpghical Touroism, London, 1975.
2. Michael Peters : International Tourism, London, 1969.



سياحة الترفيه والترويح

تتوافر فى الدولة إمكانيات ضخمة لاستغلال السياحة الدينية فلقد وقعت فيها أحداث تعتبر أهم الأحداث فى تاريخ اليهودية والمسيحية والإسلام على التعاقب .

نتائج تتضح من تحليل العوامل الطبيعية والبشرية للجذب السياحى فى جمهورية مصر العربية — إنه يتمثل فيها صنوف ألوان النشاطات السياحية كما يتضح فيما يلى :

١ — **سياحة الترفيه والترويح** : ممثله فى مصايف البحر المتوسط ومشاتى الأقصر وأسوان وساحل البحر الأحمر فى العين السخنه والغردقة وكذلك هدوء الصحراء وبدائيتها وما فيها من غرائب وغموض ، والمعسكرات والخيام قضاء وقت بين أحضان الطبيعة فى الريف المصرى الفيوم وكذلك مدينة المقطم .

٢ — **السياحة الرياضية** : وتشمل هنا الرياضات المائيه فى البحر المتوسط والبحر الأحمر والنيل ممثلة فى التزحلق المائى وركوب مراكب الشراع السياحية والتجديف ـ رياضه السباق المائى فى النيل ، كذلك رياضة تسلق جبال البحر الأحمر بالإضافة إلى صيد السمك والطيور البحرية .

٣ — **السياحة العلاجية** : حيث المياه الكبريتية فى حلوان وعيون عوسى وعيون فرعون فى سيناء — المياه المعدنية فى العين السخنة ، كذلك العيون العادية والساخنة فى الواحات الصحراوية بسيوه والداخلة والفرافره، كما أن الصحراء ذاتها بمناخها الجاف يعد ميزه شفائية للمرضى والناقهين

ويمكن مع التجاوز إدماج صنوف السياحة الثلاث هذه إلى لون واحد شامل بعنوان سياحة الترفيه والترويح .

٤ — **السياحة الثقافية** : وتشمل الآثار المصرية بأحقابها التاريخية العديدة بالإضافة إلى ما تضمه الدولة من متاحف ومعارض وما تقيمه من مهرجانات .

٥ — **السياحة الاقتصادية — التجارية** : وتشمل المشاريع الصناعية الضخمة مثال السد العالى ومحطة كهرباء أسوان ومشروعات وزارة الحربية التى تسهم فى اجتذاب سياح من نوع جديد وهم خبراء الصناعة ورجال الأعمال(١) .

---

(١) استنتاجات من قراءة كتاب د. صلاح الدين عبد الوهاب : المنهج العلمى فى صناعة السياحة، المجلد الأول — الاتحاد العربى الدولى للسياحة — القاهرة ١٩٦٦ .

السياحة الاقتصادية

ومن الملاحظ أن منطقة قناة السويس من مناطق سياحة المستقبل بالدولة لما تضمه من مقومات جذب سياحى ، ولما لها من أهمية استراتيجية وجغرافية وذلك فانه باختراق قناة السويس للمنطقة جعلت مصر كهمزة وصل بين الشرق والغرب ، كما أنها وضعت يد مصر على نبض العالم وأصبحت لها بمثابة مقياس ضغط حساس أو جهاز عصبي دقيق وأعطتها نافذه أو طاقة على العالم .

كذلك توسط مرقع منطقة القناة من دول العالم وتمركزها فى الوطن العربى فهى تتميز بموقع استراتيجى وتضم عديد البحيرات ذات القيمة الاقتصادية والسياحية العظيمة ممثلة فى التمساح والبلاح والمياه الإقليمية من بحيرة المنزله، علاوة على كونها همزة وصل وحلقة أتصال بين دلتا النيل وسيناء عبر خمسة أنفاق ستقام على محاور الاتصال الرئيسية فى بور سعيد والقنطرة والإسماعيلية والدفرسوار وشمال السويس — هذا الاتصال العضوى يشكل إحدى الوسائل الرئيسية لتحقيق التعمير الحضارى فى شبه جزيرة سيناء بحيث تتحول إلى قاعدة صناعية عمرانية قادرة على جذب الكثافة السكانية المتزايدة فى أجزاء الدلتا ، فبذلك تصبح سيناء الباب المنيع على المداخل الشرقية لمصر خاصة بعد تنمية مواردها الاقتصادية المتنوعة والسياحية .

المناخ المعتدل الممتاز لمنطقة القناة : مقارنة بالمدن الداخلية لدولة ذات مناخ صحراوى مثل جمهورية مصر العربية خاصة فى شهور الصيف حيث الحرارة الشديدة والرطوبة العالية نسبياً هذا المناخ المناسب على مدار السنة لممارسة جميع الأنشطة الزراعية والصناعية والتجارية والسياحية بالاضافة إلى جمال الطبيعة وسحرها الذى يعتبر من أهم المقومات السياحية بالمنطقة .

— تعد منطقة القناة من أنسب المناطق من وجهة نظر التوسع الجغرافى زراعيا واجتماعيا سكنيا لبعدها لحد ما عن العاصمة فهى منطقة جذب سكانى لمواجهة التضخم السكانى المنتظر فى ج.م.ع سنة ٢٠٠٠ فضلا عن أنها أنسب المناطق لإنشاء مدن ومناطق حرة على طريق المواصلات البحرية والجوية والبرية بين الشرق والغرب كما أنه من الممكن استصلاح الأراضى الصحراوية ومناطق البحيرات البور فى هذه المنطقة بأقل التكاليف .

كما أنها ذات أهمية استراتيجية تؤهل بجعلها إحدى المناطق الأساسية التى تغرى المستثمر الأجنبى فالمستثمر يبحث دائما عن ضمانات تقلل من نسبة المخاطرة لذلك فقد وفرنا له هذه الضمانات فى القانون الذى يحكم نظام استثمار رأس المال العربى والأجنبى .

لقد ازدادت أهمية منطقة القناة بعد حرب ٦ أكتوبر المجيدة التى حقق فيها جيشنا الباسل المعجزات بعبور القناه وهو أكبر مانع مائى ، ثم تحطيم خط بارليف وذلك بعد الشائعات التى رددها الاسرائيليون باستحالة هذا العمل ، وترديد أسطورتهم بأن إسرائيل لا تقهر « الأمر الذى ساعد على جذب حشود هائلة من أنحاء العالم لزيارة المنطقة ومشاهدة آثار التخريب التى نتجت عن الحرب وحطام خط بارليف ، ثم متابعة عمليات التعمير والتخطيط بها ، كما توافد عليها وفود عسكرية عديدة بقصد الدراسة على الطبيعة(١) .

ونجد أن مشروع تحويل مدينة بور سعيد إلى ميناء حرة سيزيد من أهميتها ويضاعف عدد المترددين عليها من رجال الأعمال والتجارة .

إنها بموقعها الفذ كفيلة بان تجذب مختلف أنواع الاستثمارات وأن يتم تخطيطها الشامل على أحدث نظم التخطيط الاقليمى ، الأمر الذى يجعلها بحق أرضاً للحياة الجديدة ونموذجاً رائداً لمصر .

ومن الملاحظ أن النهضة السياحية تعتبر إمتداداً للثورة الاجتماعية والصناعية التى قامت بالدولة : فان المشروعات الصناعية المتعددة ومشروع كهربة خزان أسوان ثم السد العالى الذى لعب دوراً كبيراً فى النهضة السياحية بالدولة بما اجتذبه من زوار وخبراء لمشاهدته أثناء عملية الانشاء ، كما أن تكوين البحيرة أمام السد قد شغلت الرأى العالمى فترة طويلة بما ستغمره من آثار فى هذه المنطقة .

ولقد قامت منظمة اليونيسكو بتنظيم دعاية واسعة النطاق لجمع التبرعات والهبات من مختلف الدول لانقاذ آثار النوبة وبخاصة معبدا أبى سمبل ، وأن ما حققته

---

(١) A.R.E., Minsitry of housing and Reconstruction Port Said, Ismailia, and Suez Master plan study, draft Master plan, Tourism, December 1975.

هذه المنظمة فى ميدان الدعاية الدولية لمصر والسياحية فيها فاق كل التوقعات ولقد أثر ذلك فى التدفق السياحى للدولة .

كما لعبت المشروعات الصناعية دورا فى اجتذاب سياح من نوع جديد وهم خبراء الصناعة ورجال الأعمال الذين حضروا لدراسة مشروعاتنا الصناعية أو المساهمة فيها أو عقد صفقات تتعلق بهذه المشروعات الصناعية .

ونجد أن مشروعات وزارة الحربية عامل هام من مقومات الجذب السياحى : فان مطار القاهرة الجديد قد إجتذب أغلب شركات الطيران العالمية إليه للاستفادة من خدماته ، وبالمثل يقال عن محطة الركاب بميناء الاسكندرية ومطار أسوان ومطار الغردقة . ونجد أن تمهيد الطريق الساحلى الموازى لساحل البحر الأحمر قد شجع السياحة بالسيارات لهذه المناطق التى كادت تكون غير مطروقة فى الماضى .

ومما هو جدير بالذكر أن جميع الاحتياجات الأساسية لصناعة السياحة والنهوض بها متوفر فى دولتنا حيث أنها لا تحتاج إلى شراء حقوق اختراع أو استيراد خامات أسوة بما هو متبع مع أغلب الصناعات التى قامت بالدولة .

كما أنه يتوفر فى صناعة السياحة كل خواص الصناعات الاستهلاكية الأخرى ، وهى أن أرباح هذه الصناعة تظهر بمجرد الانتهاء من إقامة المشروعات المتعلقة بها وذلك عكس الصناعات التقليدية خصوصا الثقيلة منها التى تحتاج لرؤوس أموال ضخمة تبقى معطلة فترة طويلة بعد الانشاء وهى فترة تدريب العمال والفنيين ، ثم مرحلة الانتاج الجزئى حيث يصعب تشغيل الصناعة بأقصى طاقتها من السنة الأولى لها . ثم مرحلة الاختبارات المختلفة على الانتاج الرئيسى ثم المنتجات الثانوية . . الخ. ثم مرحلة التسويق الداخلى فالمرحلة الشاقة الممثلة فى التسويق الخارجى ، ويلاحظ أن السياحة تعتمد أساسا على التسويق الخارجى وهذه أكبر ميزة لهذه الصناعة .

كل هذه عوامل تشجع على التنمية والنهضة السياحية والتركيز على السياحة فى جمهوريتنا لأن العائد من مشروعات هذه الصناعة يجنى بمجرد إتمام المشروعات الخاصة بها ، ولا تحتاج لتسويق خاص فى الخارج ومزاحمة منتجات مماثلة فى دول أكثر تقدما وأقوى اقتصادا .

التطور التاريخي لنشأة السياحة فى الدولة :

من الواضح أن جمهورية مصر العربية غنية بمقوماتها السياحية فى كافة المجالات الثقافية والترويحية والرياضية والدينية والعلاجية ، كما أنها تتمتع بامكانياتها البشرية التى تتميز بالرحابة والأصالة .

لكن بالنظر إلى الحركة السياحية للدولة نجد أنها ما زالت متواضعة للغاية بالنسبة للحركة السياحية الدولية ، ففى الوقت الذى بلغ فيه عدد السياح بالعالم ٢٠٩ مليون سائح سنة ١٩٧٤ فقد خص جمهوريتنا منه ٦٧٩ ألف سائح فقط ، كما أن الدخل السياحى العالمى فى نفس العام قد بلغ نحو ٢٩ بليون دولار خصنا منه نحو ١١٠ مليون دولار ، معنى ذلك أننا فى بداية الطريق واتضح أن مصر لم تأخذ بعد نصيبها العادل من الحركة السياحية الدولية ولا مركزها اللائق بين الدول الرائدة فى مجال السياحة .

وفيما يلى تحليل لتطور النشاط السياحى فى الجمهورية(١) :

لقد كانت السياحة فى مصر قبل الثورة شأنها فى ذلك شأن أى قطاع إقتصادى آخر لا يصيبها من الاعتمادات التى تخصصها الدولة فى ميزانيتها إلا القدر اليسير منها وكانت تخصص لأغراض الدعاية فى الخارج عن طريق إيفاد المبعوثين لإلقاء المحاضرات فى الأسواق الهامة الأوروبية أو يتم نشر اعلان أو أكثر فى بعض الصحف والمجلات ، وهذه كلها كانت وسائل قاصرة على بلوغ الهدف الدعائى للبلاد .

وبعد أن تم إنشاء مجلس السياحة للمصايف والمشاتى أمكن لهذا المجلس أن يحصل من الدولة سنة ١٩٤٨ على ١٨٠,٠٠٠ جنيه تصرف على ثلاثة سنوات لتحسين وتجميل بعض المناطق السياحية وخصوصاً مدينة الأقصر .

وبعد قيام الثورة سنة ١٩٥٢ وأخذها بمبدأ التخطيط العلمى الذى بدأته خطة التنمية الاقتصادية الاجتماعية للعشر سنوات ١٩٦١ــ١٩٧٠ لمضاعفة الدخل القومى فى البلاد كانت السياحة قطاعا من قطاعات هذه الخطة متكامل معها وتساعد فى نطاقها على تحقيق هذا الهدف .

---

(١) الدكتور محمود كامل : السياحة الحديثة علما وتطبيقا ــ القاهرة ١٩٧٥ .

كما وأن حركة السياحة إلى مصر قد تأثرت منذ سنة ١٩٥٢ بالاتجاهات السياحية العالمية وكذلك بالجهود التى بذلتها الدولة بالنسبة للاستثمارات والخدمات والتنشيط غير أن النشاط السياحى بها لم يسر فى خط مستقيم للظروف التى مرت بها الدولة نتيجة للعدوان الأجنبى عليها .

فلقد بلغ عدد السياح سنة ١٩٥٢ نحو ٧٦,٠٠٠ سائح زاد إلى ١٧٠,٠٠٠ سائح سنة ١٩٥٦ ثم واجه هذا نقص عارض سنة ١٩٥٧ بسبب أحداث العدوان الثلاثى لسنة ١٩٥٦ ثم أخذ النشاط السياحى فى الزيادة سنة ١٩٥٨ حتى بلغ نحو ٥٧٨,٠٠٠ سائح سنة ١٩٦٦ ، وقد كانت نسبة الزيادة السنوية متمشية مع نسب الزيادة التى حققتها دول شمال أفريقيا ، وإن كانت قد عجزت عن أن تلاحق نسب الزيادة التى حققتها كل من قبرص واليونان ومالطة وتركيا ويوغسلافيا ولم تتمكن مصر من زيادة نصيبها من حركة السياحة العالمية رغم الظروف المساعدة التى سادت خلال الفترة من سنة ٦١ — ١٩٦٤ ومن أبرزها مشروعات إنقاذ آثار النوبة ورفع معبد أبو سمبل وذلك للأسباب الآتية :

١ — عدم استقرار الوضع السياسى بالمنطقة .

٢ — الدعايات المغرضة التى كانت تبثها العناصر المعادية للبلاد .

٣ — عدم كفاية الاعتمادات المالية للقيام بحملات تنشيطية للدعاية للبلاد .

٤ — عدم وجود سياسة تسويقية سليمة .

٥ — عدم توفير وسائل النقل السياحى أو أماكن الاقامة ووسائل الترفيه المناسبة(١) .

ومنذ سنة ١٩٦٧ تأثر الحجم السياحى فى الجمهورية بسنوات النكسة نتيجة للظروف السياسية والعسكرية التى مرت بها الدولة بعد العدوان الاسرائيلى ، إلا أنه بعد حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ وما حققته جيوشنا من انتصارات ونتيجة لسياسة الانفتاح الاقتصادى التى انتهجتها مصر فقد شهدت الدولة اقبالا سياحيا خاصة

---

(١) وزارة السياحة : نشرة البحوث السياحية — العدد ٢١ ديسمبر سنة ١٩٧٥ .

Robenson = Geographical Tourism, London, 1975.

من رجال الأعمال العرب والأجانب الذين يرغبون فى استثمار أموالهم وخبراتهم فى مشروعات مصرية وزادت الايرادات السياحية من ٤٩ مليون جنيه سنة ١٩٧٣ إلى ٨٦,٥ مليون جنيه ١٩٧٥ ، وبالتالى زاد متوسط الانفاق إلى ١٩ جنيه فى نفس السنة . أما عن مجموع الليالى السياحية فقد هبطت إلى ٥,٨٥٥ بعد ١٩٧٥ وبالتالى هبط متوسط مدة الاقامة من ١٤ يوما سنة ١٩٧١ إلى ٧ أيام فى ١٩٧٥ . تعنى هذه النتائج زيادة الطلب السياحى على مصر بقدر أكبر من الطلب على السياحة الدولية سواء من حيث إعداد السائحين أو من حيث العائد ، إلا أن الطاقات الفندقية الموجودة ووسائل النقل السياحى قصرت عن مجابهة هذا المد السياحى وقد كان النقص فى أماكن الاقامة بسبب ضغط الاستثمارات السياحية والفندقية سنة ١٩٦٧ نتيجة لتوجيه امكانيات الدولة للانفاق العسكرى بالاضافة إلى ارتفاع أسعار الفنادق .

والجدول التالى يبين هذا التحليل السابق حتى سنة ١٩٧٥(١).

---

(١) وزارة السياحة : نشرة البحوث السياحية العدد ٢٧ مارس سنة ١٩٧٦ .

+ النشرة الربع سنوية للاحصاءات السياحية = الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء .

— International Union of of official Travel organizations, (Iuoto), World Tourism organigation = Tourism compendium, 1975

السنة	عدد السائحين بالألف	ليالى الاقامة بالمليون	الدخل السياحى بالمليون جنيه(١)
١٩٥٢	٧٦	—	—
١٩٥٣	٩١	—	—
٥٤	١١٤	١,٢٥٤	١٨
٥٥	١٤٩	٤,٣٩٦	٢٣
٥٦	١٧٠	٥,٢٣١	٢٠
٥٧	١٢	٥,٨٩٧	١٣
٥٨	١٦٣	٣,٦٥٣	١٦
٥٩	٢٤٠	٤,٩٢٣	٢٤
٦٠	٢٨٥	٤,٥٦٠	٢٣
٦١	٢٨٤	٤,٦٤٥	٢٣
٦٢	٢٩١	٤,١٦٦	١٨
٦٣	٤٠١	٤,٢٢٣	٢٦,٨
٦٤	٤٩٧	٧,٠٢٤	٣٧,٨
٦٥	٥٤٢	١٠,٤٠١	٥٠
٦٦	٥٧٨	٩,٧٨٣	٥٤
٦٧	٣٤٥	٦,٣٧٠	٣٧
٦٨	٣١٨	٤,٣٧٦	٢٧
٦٩	٣٤٥	٤,٣٩٦	٢٨,٥
٧٠	٣٥٨	٤,٥٧٤	٣٧,٠
٧١	٤٢٨	٥,٩٧٩	٤٨,٠
٧٢	٥٤١	٦,٦١٤	٦٠,٠
٧٣	٥٣٥	٦,٣٩٤	٤٩,٠
٧٤	٦٧٩	٦,٢٩٤	٦٣,٥
٧٥	٧٩٣	٥,٨٥٥	٨٦,٥

(١) الجنيه المصرى نحو دولار وثلث .

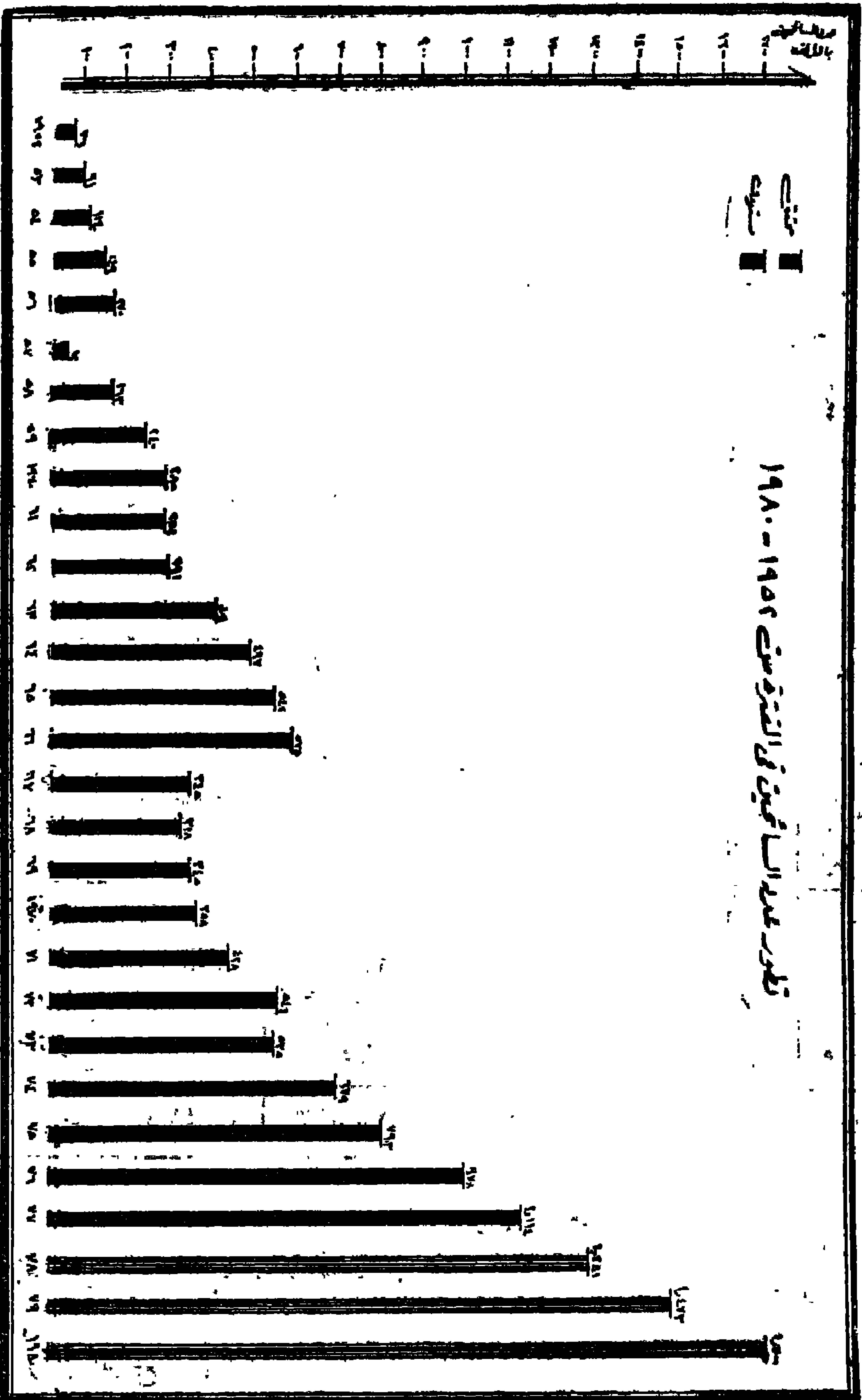
وطبقاً لاحصائى سنة ١٩٧٤ ، سنة ١٩٧٥ نجد أن العرب يؤلفون أكبر نسبة من مجموع السياح إلى جمهورية مصر العربية وكذا أكبر عدد ليالى سياحية وأطول متوسط إقامة فتؤلف نسبتهاً نحو ٦٠٪ من مجموع سياح الدولة يليهم سياح الدول المتقدمة ثم سياح الدول الاشتراكية وأخيراً النسبة الباقية من مختلف أنحاء العالم . وبمقارنة الاحصائيتين معاً نجد أن نسبة العرب انخفضت إلى ٥٣٪ سنة ١٩٧٥ ، بينما ارتفعت نسبة سياح الدول المتقدمة إلى نحو ٣٠٪ وانخفض عدد سياح الدول الإشتراكية انخفاضاً طفيفاً عن معدل إحصاء سنة ٧٤ بينما زاد عدد سياح الدول الأخرى من أنحاء العالم ، أعتقد أن مرجع ذلك لسوء العلاقات السياسية مع ليبيا — خاصة وأن السياحة حساسة جداً للظروف السياسية بين الدول بعضها البعض — وكذلك لتحسين المناخ السياحى لحد ما مع الغرب .

والجدول التالى يوضح تلك الحقائق(١) :

البيان	سنة ١٩٧٤			سنة ١٩٧٥		
	سياح	ليالى سياحية	متوسط الإقامة ليلة	سياح	ليالى سياحية	متوسط الإقامة ليلة
عرب	٤١٢,١١٤	٤,٥٤٤,٠٢٩	١١,٠	٤٣٧,٥١٣	٣,٦٢١,٥٤٤	٨,٣
دول متقدمة	١٨٣,٣٨٢	١,١٣٧,٥٤٩	٦,٢	٢٥٦,٦٣٦	١,٥٧٣,٩٩٢	٦,١
دول اشتراكية	٣٥,٤٢٧	٣٨٦,٧٠٩	٨,١	٣٤,٦٩٧	٢٧٩,١٧١	٨,٠
دول أخرى	٤٨,٥٥٣	٣٢٥,٩٥١	٦,٧	٦٤,٢٠٥	٣٧٩,٨٧٣	٥,٩
المجموع	٦٧٩,٤٧٦	٦,٢٩٤,٢٣٨	٩,٣	٧٩٣,٠٦١	٥,٨٥٤,٥٨٠	٧,٤

يبلغ متوسط الانفاق اليومى للسائح العربى ٤ جنيه ، والأوروبى ٦ جنيه والأمريكى ٨ جنيه والآخرون ٥ جنيه .

(١) المراجع السابقة
وزارة السياحة : بحوث ودراسات إحصائية فى اقتصاديات السياحة والاستثمار فيها ، القاهرة ١٩٧٦


تطور عدد السائحين في الفترة من ١٩٥١ - ١٩٨٠

تطور الدخل السياحي في الفترة من ١٩٥٢ - ١٩٨٠

الدخل بالمليون جنيه

محقق

مستهدف

وجدير بالملاحظة أن التخطيط الحكيم يهدف إلى تقديم أنواع مختلفة من وسائل التسلية والترفيه على مستويات متنوعة حتى يجتذب أكبر عدد من السائحين ذوى الأذواق المختلفة والدخول المتباينه فضلا عن أن إضافة وسائل ترفيهية جديدة ومتنوعة إلى جانب الوسائل الموجودة فى البيئة فعلا يمكن أن تمتد فى فترة إقامة السائح وفى قيمة متوسط إنفاقه اليومى ويطيل فى عدد لياليه السياحية . ونجد أنه ازاء التطور العالمي في صناعة السياحة ، وأيضاً إذا كانت مصر تعانى فى الوقت الحاضر من عجز فى ميزان المدفوعات نتيجة لظروف المعركة والتنمية التى مرت بها الدولة خلال تلك الفترة ومازالت تمر بها وتعانى من آثارها ، فان هذا الوضع يفرض على أولى الأمر بوزارة السياحة الاهتمام بالسياحة وإعطائها الدفعة اللازمة حتى تتيح لنا دخلا يسهم في سد هذا العجز بأكبر قدر ممكن وفى أقرب فرصة .

ويمكن أن نتبين أثر الإيراد السياحى فى سد العجز فى الميزان التجارى بمقارنة الإيرادات السياحية فى نفس فترة العجز الحادث فى ميزان المدفوعات من ١٩٧٠ – ١٩٧٤ وذلك من الجدول التالى بالمليون جنيه .

السنة	الايراد السياحى	العجز فى الميزان التجارى	نسبة الإيراد السياحى فى سد العجز فى الميزان التجارى(١)
١٩٧٠	٣٧,٠	٩,٨٥٦	٪٣٧٥,٤
١٩٧١	٤٨,٠	٥٦,٧٢٦	٪ ٨٤,٦
١٩٧٢	٦٠,٠	٢٠٥,٥٠٠	٪ ٢٩,١
١٩٧٣	٤٩,٠	٢٢٦,٠٠٠	٪ ٢١,٦
١٩٧٤	٦٣,٥	٥٩٨,٩٠٠	٪ ١٠,٦

يلاحظ من الجدول أن الإيراد السياحى يغطى سد العجز فى الميزان التجارى سنة ١٩٧٠ وتزيد النسبة إلى ٣٧٥,٤٪ ثم تبدأ النسبة فى الإنخفاض تدريجياً حتى

(١) النشرة الربع سنوية للاحصاءات السياحية : الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء .
وزارة السياحة : نشرة البحوث السياحية العدد ٢٧ مارس سنة ١٩٧٦ .

تصل إلى ١٠,٦٪ فقط سنة ١٩٧٤ ويرجع ذلك لتعاظم العجز فى الميزان التجارى خلال نفس الفترة بشكل واضح نتيجة للظروف السياسية — للدولة هذا ويجب العمل من أجل زيادة الإيراد السياحى حيث أنه القطاع الأكثر مرونة لإدرار العملات الصعبة اللازمة لتغطية هذا العجز فى الميزان التجارى بالتخطيط المتكامل والعمل على زيادة الاستثمارات فى القطاع والاستفادة بكل الخبرات المحلية والعالمية فى هذا المجال للقيام بوضع تخطيط سياحى متكامل لمصر على الأسس التخطيطية الحديثة .

إذن لاشك أن السياحة بامكانياتها الضخمة المتوفرة فى الدولة سوف تكون من أول الأهداف التى تسعى لتنميتها بل والإفادة منها إلى أقصى مدى .

فلقد بلغت قيمة ميزانية تنشيط السياحة بالدولة لسنة ١٩٧٥ نحو ١,٠٠٨,٨٦٠ دولار من مجموع كيمة الميزانية الكلية السنوية الذى تبلغ ٣,٠٩٤,٤٣٠ دولار لنفس السنة أى أن ميزانية السياحة تؤلف نحو ٣٢,٦٪ من الميزانية الكلية للدولة (أى نحو ثلثها) .

وانطلاقاً من هذا واستناداً إلى ضرورة اللحاق بالركب السياحى العالمى ولمواجهة المد السياحى المنتظر ظهرت أهمية الأعداد لوضع خريطة سياحية لمصر المستقبل بالتخطيط الواعى السليم الذى يرتكز على دراسات وبحوث علمية دقيقة بهدف الوصول إلى الإستفادة المثلى من الطاقات السياحية المتوفرة لدينا بالصورة التى تتفق مع طبيعتنا وظروفنا مع الاسترشاد بما انتهجه غيرنا فى هذه المجالات .

ولقد بدأت فعلا فى هذا المجال خطوات وإجراءات هامة منذ سنة ١٩٧٠ حتى سنة ١٩٧٦ ، والجهود مستمرة بين اعداد الخطط وتغييرها وتعديلها بهدف الوصول إلى أرقام تتفق مع واقعنا وظروفنا — وبدأت الجهود فى إعداد خطة عشرية للسياحة ١٩٨٢/٧٣ ثم إعداد خطة خمسية ١٩٨٠/٧٦ اعدت فى أبريل سنة ١٩٧٥ ثم الخطة المعدلة ١٩٨٠/٧٦ معدة فى يناير سنة ١٩٧٦ وهدف خطة ١٩٨٢/٧٣ ، الوصول بعدد السياح إلى ٥ مليون سائح ، ٥٠ مليون ليلة سياحية بينما استهدفت ٣,٥ مليون سائح فى خطة ١٩٨٠/٧٦ ، ٣١ مليون ليلة سياحية — كما استهدفت الخطة المعدلة أخيراً ١,٧ مليون سائح ، ١٧ مليون ليلة سياحة وبلغ المستهدف من

الدخل السياحي فى الخطة الأولى ٢٥٠ مليون جنيه ثم ٢٤٠ مليون جنيه فى الخطة الأخيرة ، والجدول التالى يوضح الأرقام المستهدفة للسياحة والليالى والإيرادات السياحية لخطة التنمية السياحية الأخيرة المعدلة ١٩٨٠/٧٦(١) .

عام	عدد السياح	الليالى السياحية المستهدفة	الدخل السياحى بالجنيه	متوسط الانفاق اليومى بالجنيه
٧٦	٩٧٨,٠٠٠	١٠ مليون ليله	١١١,٠٠٠,٠٠٠	١١
٧٧	١,١١٤,٠٠٠	١١ مليون ليله	١٢٦,٠٠٠,٠٠٠	١١,٥
٧٨	١,٢٨١,٠٠٠	١٣ مليون ليله	١٥٦,٠٠٠,٠٠٠	١٢
٧٩	١,٤٧٣,٠٠٠	١٥ مليون ليله	١٩٥,٠٠٠,٠٠٠	١٣
٨٠	١,٧٠٠,٠٠٠	١٧ مليون ليله	٢٤٠,٠٠٠,٠٠٠	١٤

لقد لوحظ أنه رغم تناقص عدد السياح المستهدف فى الخطة السياحية الأخيرة وأيضاً الليالى السياحة الا أن الإيرادات السياحية تكاد تقترب مما استهدف فى الخطط السياحية السابقة وهو ما يحتم علينا بالتالى إلى تنشيط مكثف فى مجال التسويق الخارجى لجذب نوعيات من السائحين قادرين على الإنفاق الكبير مع تغيير مستمر فى أنماط المنتج السياحى لكى تتواءم مع الإنفاق المطلوب .

ولقد حرص المسئولون على تشجيع الاستثمارات السياحية فاستصدر قانون فى سنة ١٩٧٣ خاص بتشجيع الاستثمار فى المنشآت الفندقية والسياحية سواء بالنسبة لرأس المال الوطنى أو العربى والأجنبى .

وتجدر الإشارة إلى أن وزارة السياحة قد استصدرت قانوناً للحفاظ على المناطق السياحية قامت بمقتضاه بمسح شامل لأهم المناطق السياحية بالدولة بتحديد أوجه استخداماتها وأماكن الإقامة والترفيه بها وما يلزمها من مرافق وخدمات ، فقد تم مسح الساحل الشمالى الغربى من الإسكندرية حتى السلوم وحددت المراكز

(١) التقارير الاحصائية السابقة

+ U.N : Statistical Year book, 1976.

السياحية على هذا الساحل وحددت الطاقات المطلوبة لكل موقع حتى يمكن للمستثمرين المصريين والعرب والأجانب التقدم بمشروعاتهم بها ، كما حددت أنواع أماكن الإقامة المطلوبة من قرى ومدن سياحية أو مراكز ترفيه وتعمل الوزارة فى ذات الوقت على تدبير الاحتياجات من المرافق العامة التى تخدم المنطقة من طرق ومياه وإنارة ومواصلات على اختلاف أنواعها .

وهدف التنمية السياحية فى هذا الساحل استحداث نمط سياحى فى مصر تتجه إليه السياحة فى العالم فى الوقت الحاضر وهو السياحة والترويح وسياحة الاستجمام بدلا من الاقتصار على السياحة التقليدية السائدة .

هذا وكما قام المسئولون بعمل تخطيط عام لجزيرة الذهب الواقعة بالنيل وكذلك بعمل تخطيط لمنطقة حلوان للاستفادة من عيونها الكبريتية والمعدنية فى السياحة العلاجية .

إن نهر النيل مقوم سياحى ممتاز فريد فى نوعه ولم يستغل بعد فمازالت المراكب السياحية التى تعمل كفنادق عائمة قاصرة عن تلبية المطالب المتزايدة على الرحلات النيلية من القاهرة إلى الأقصر وأسوان كما أن وحدات الهيدرفيل التى تنقل السياح من أسوان إلى أبو سمبل غير كافية وفى حاجة إلى تدعيم وإحلال وتجديد ، ويجرى المسئولون حالياً مسحاً شاملا لشواطىء النيل لإمكان تخطيطها وتحديد أوجه الاستخدام بما يحفظ لهذا الشريان العظيم نواحية الجمالية السياحية .

أن البحر الأحمر والمناطق المحيطة به كما أشرنا لها سحر سياحى خاصة بالنسبة للسياحة الرياضية والترفيهية لذا فسوف يقوم المسئولون باجراء مسح شامل له للاستفادة منه سياحياً خاصة وإنه مصدر جذب سياحى كبير .

كل هذه المناطق فى حاجة إلى استثمارات كبيرة كما أن القاهرة نفسها فى حاجة ماسة إلى الفنادق السياحية التى تلائم سياحة المجموعات التى تكون بدورها جزءاً كبيراً من الحركة السياحية .

هذا والوجه القبلى وعلى الأخص الأقصر وأسوان وأبو سمبل وما يتميز به من آثار فرعونية عظيمة ومناخ يصلح للسياحة العلاجية فى حاجة كذلك إلى استثمارات كبيرة لاعداد أماكن الإقامة الترفيه اللازمة .

ولقد وضعت الدولة الخطط اللازمة للتخطيط السياحى لمنطقة قناة السويس وتنميتها سياحياً للاستفادة من إمكانياتها التى تساعد على جذب نوعيات مختلفة من السائحين تزيد من مدة إقامتهم بالدولة .

فى ظل سياسة الانفتاح الاقتصادى شهد قطاع السياحة إقبالا منقطع النظير سواء من رأس المال الوطنى أو رأس المال العربى والأجنبى وبيوت الخبرة العالمية ، فقد تمت الموافقة على العديد من المشروعات المشتركة سواء فى مجال الفنادق العملاقة أو المتوسطة أو الفنادق العائمة وشركات الإدارة العالمية من مختلف العالم وكذلك شركات السياحة والنقل السياحى ذات المستوى العالمى .

وقد أجريت لهذه المشروعات دراسات الجدوى الاقتصادى بمعرفة بيوت الخبرة المتخصصة وأثبتت هذه الدراسات جدواها سواء بالنسبة للمستثمرين أصحاب رؤوس الأموال أو بالنسبة لاقتصاديات الدولة وهكذا تكون لسياسة الانفتاح الاقتصادى آفاقها من أجل الخير والرخاء المشترك وتحقيق التنمية الشاملة .

وخلاصة القول أن أهداف الخطة تتمثل فى رفع مستوى المناطق السياحية الحالية بالجمهورية فضلا عن خلق مناطق سياحية جديدة ضماناً لاستمرار التجاوب مع زيادة عدد السائحين ومد الحملات الدعائية بقوة أكبر باستغلال المشروعات الجديدة فى جذب أنتباه الرأى العام العالمى للدولة .

كما أنه من الأهمية بمكان أن تتمشى وسائل النقل السياحى مع زيادة عدد السائحين ومع الوسائل الحديثة التى تستخدمها الدول الأخرى ، فيجب زيادة عدد الطائرات والاكثار من عدد المطارات قرب المناطق السياحية ، مع مراعاة أن تكون مستعدة لاستقبال الطائرات الكبيرة ، وقطارات السكة الحديد وكذا الأتوبيسات يجب أن تزود بكل وسائل الراحة اللازمة للسياحة .

ومن التوصيات التى يجب أخذها فى الاعتبار أن تنطلق مصر إلى الصادرات غير المنظورة بجانب الصادرات المنظورة : الترانزيت والموانى الحرة وصناعات الموانى الحرة الشحن والنقل والسياحة يجب أن تتحول إلى حزمة كثيفة — كالبؤرة

من شرايين وخطوط المواصلات العالمية براً وبحراً وجواً . لابد أن تبيع الشمس وتتاجر في المناخ وتستثمر التاريخ في السياحة والآثار مثلما تصدر الموقع الجغرافي بالترانزيت والشحن .

باختصار لابد أن تتحول مصر إلى قبلة العالم في التجارة والخدمات العالمية وإلى عاصمة من عواصم السياحة الدولية(١) .

مشروعات تخطيطية جديدة تغير من خريطة مصر السياحية

لقد تم أخيراً إعداد خريطة جديدة للسياحة في مصر بعد دراسات واسعة شارك فيها الخبراء كما شاركت فيها كل الوزارات والأجهزة ، وكان الهدف الذي تحدد لهم هو البحث عن وسائل جديدة لجذب السياح من كل أنحاء العالم باستغلال الثروات السياحية التي تزخر بها كل بقعة من أرض مصر ، والأساس الذي بنوا عليه دراساتهم هو أن السياحة التقليدية تجذب سنوياً ما يقرب من مليون سائح ، لكن السياحة غير التقليدية التي نجحت في تجارب العديد من الدول القريبة منا يمكن أن تقفز بهذا الرقم — بسهولة — إلى ما يقرب من خمسة ملايين سائح سنوياً .

والفكرة التي حركت الخبراء وهم يعدون هذه الخطة أن الفنادق لم تعد هي مكان الإقامة الوحيد لسياح العالم الآن ، ولكن العالم بدأ يعرف صوراً أخرى أكثر بساطة مثل القرى السياحية والسيارات والموتسيكلات ، كما أن الآثار المصرية على عظمتها — ليست هي قوة الجذب الوحيدة التي تملكها مصر ، وهناك — إلى جانبها — قوى أخرى للتجذب يمكن أن تشد السياح .

ويقول المسئولون أن الأفكار الجديدة للسياحة ليست جديدة على العالم فهي — في الحقيقة — مستخلصة من التجارب السياحية الناجحة في الدول التي قفزت بالسياحة فيها إلى الحد الذي أصبحت فيه صناعة كبرى تمثل مصدرها الأساسي من الدخل القومي ، بينما تزخر مصر بامكانيات أكبر مما تملك هذه الدول . كما أن القاهرة

(١) John Cole; Geog. of World Affairs, Pelicar, 1963.

الدكتور جمال حمدان : شخصية مصر — دراسة في عبقرية المكان — القاهرة سنة ١٩٧٠ .

الآن مركز اهتمام العالم بما يعقد فيها من مؤتمرات على كل المستويات وفى كل المجالات ـ علماء العالم يأتون إلينا ، وأطباء العالم ،وشباب العالم وهكذا ، والمفروض أن نستفيد من هذه التجمعات لتلبية مطلبهم فى التعرف على معالم مصر كلها ـ وليس القاهرة وحدها ـ بما تحمله من أمجاد الماضى والحاضر وهذا ما تعرفه كثير من الدول باسم سياحة المؤتمرات ، وقد آن الآوان لندخل هذا الميدان الكبير . ومعه عدة مجالات أخرى : السياحة العلاجية ، والسياحة الدينية ، والقرى السياحية،ولقد تمت هذه الدراسات على أيدى لجان متخصصة .

وهذه الدراسات موضع اهتمام وزير السياحة ، والملاحظ أن التقارير السياحية العالمية تشير الآن إلى ارتفاع دخول بعض البلاد الأوروبية من السياحة العلاجية برغم قصر الموسم العلاجى فيها على أشهر الصيف فقط ـ بينما يمتد هذا الموسم فى مصر على مدار السنة فمثلا : إيطاليا وفرنسا والنمسا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وألمانيا وفرنسا والمجر أصبحت دولا مشهورة بالسياحة العلاجية،بينما تتمتع مصر بامكانيات واسعة ومتنوعة تفوقها ، اشتملت على كافة وسائل العلاج الطبيعى من الاستشفاء بالمياه المعدنية والكبريتية والرمل والطين والشمس والبخار ، ومصر بذلك تعتبر نموذجاً ممتازاً للعلاج ، فضلا عن ارتباط مواقع العلاج بتاريخ حضارى يجعلها أكثر جاذبية .

فعندنا مدن فيها مياه معدنية مثل منطقة حلوان ، وعين الصيرة ، وعيون أبو السعود فى القاهرة ، وعين السيلين بالفيوم ، ومنطقة العين السخنة عند خليج السويس ، والواحات الداخلة والخارجة والبحرية وسيوة وأم الصغير غرب منخفض القطارة ، وعيون شبه جزيرة سيناء ، ومنخفض القطارة ، وتبلغ عدد العيون فى مصر ١٣٥٦ عيناً موزعة فى هذه المناطق(١) .

ولو أخذنا عيون حلوان الكبريتية كمثال فقد أثبتت الدراسات المعنية أنها تمتاز بارتفاع نسبة العناصر الكبريتية فيها بحيث يصل معدلها الكبريتى إلى ٤٠٪ وهى أعلى النسب المعروفة فى العالم ، ويؤكد العلماء أن هذه المياه تعالج ١٦ مرضاً هى :

(١) أنظر الدراسة التحليلية السابقة بالمقال .

الالتهاب العظمى المفصلى المزمن ، والالتهاب الروماتيزمى المزمن ، والنقرس والالتهاب اللبنى والمفصلى ، والتهاب الأعصاب ، والشلل بأنواعه ، وارتخاء العضلات واضطراب وظائف الأعصاب ، وأمراض الجهاز التنفسى ، والتهاب الجيوب الأنفية والربو الشعبى ، والنزلات الشعبية الربوية ، والنزلات الشعبية المزمنة ، والأمراض الجلدية، وتيبس المفاصل والعضلات ، والتهاب كيس المرارة والتهاب القولون المزمن ، وارتفاع ضغط الدم ، واضطرابات الدورة الدموية ، بالإضافة إلى العلاج العام لتحسين الصحة وتجديد الشباب والسمنة .

ويمكن تعبئة مياه عيون حلوان كما هى وتداولها فى الأسواق العالمية كمياه معدنية للاستشفاء .

وقد قامت فعلا شركات عالمية باعداد دراساتها الفنية والاقتصادية لمشروع تعبئة هذه المياه المعدنية لتوزيعها محلياً ودولياً .

والمدن المصرية تتجه فى الخطة الجديدة إلى الإستفادة منها لأن جوها يعتبر فى حد ذاته أفضل جو للعلاج فى العالم مثل أسوان والفيوم والواحات وساحل البحر الأحمر طول العام ، ومدن الساحل الشمالى الغربى فى فصول الربيع والصيف والخريف وهى صالحة لعلاج الأمراض الروماتيزمية .

وقد بدأت السياحة العلاجية فى مصر تأخذ مظهرها العلمى والاقتصادى وقدمت اللجنة الاقتصادية الطبية السويدية للعلاج الطبيعى تقريراً قالت فيه أن تجربة إيفاد عدد من المرضى من الدول الإسكندينافية للعلاج فى مصر قد نجحت وأوضحت الاختبارات العلمية تحسيناً ملموساً فى زيادة كمية الدم ، ونقص فى معدل الترسيب فى الدم ، وأوضحت أيضاً أن الآثار العلاجية التى حققتها هذه التجربة لا يمكن الحصول عليها بالطريق التقليدى للعلاج الطبيعى .

وقد شكلت لجنة لدراسة كل ما يتعلق بالمنطقة السياحية العلاجية بحلوان أعدت تخطيطاً متكاملا لمشروع سياحى علاجى لمنطقة العين المعدنية تماثل المناطق المماثلة لها فى العالم مثل ، (بادن) بالنمسا ، و (كارلونفارى) بتشيكوسلوفاكيا و (مونت كاتينى) بايطاليا ، و (اكس لبيان) بفرنسا .

والمدينة الجديدة تقوم على ١٠٠٠ فدان حول العين وتشمل مراكز علاجية ومراكز الأبحاث الطبية وأبحاث المياه . ووحدة ترسيب الأملاح ، ومصنعاً لتعبئة المياه المعدنية ، وخيامات سياحة للعلاج والترفيه ، ومراكز مجانية للعلاج والشرب وحدائق شتوية ، وفنادق مختلفة الدرجات وشاليهات ، بالإضافة إلى خدمات البريد والتليفون والمحلات التجارية التي تبيع احتياجات نزلاء هذه المدينة .

وتقارير الخبراء تؤكد أن عائد هذا المشروع سيكون مؤكداً وسريعاً ، كما تقول هذه التقارير أن هذه المدينة ستكون رئة لسكان القاهرة من ناحية الجنوب للعلاج وقضاء الأجازات .

وخطوات تنفيذ هذا المشروع تعددت بالترتيب ، ابتداء من الإعلان عنه فى مسابقة محلية وعالمية ، حتى مصادر التمويل بالاستعانة ببعض الدول المستفيدة منه مثل الاتفاق الذى تم بين تونس والصليب الأحمر النرويجى فى مشروعات مماثلة وتشمل الخطوات الأسرع فى إقامة مصنع تعبئة المياه المعدنية لاستغلال العائد منه فى تمويل مشروع المدينة واتمامه وبذلك يكون تمويل المدينة — من جانب مصر — ذاتها .

وقد تقدمت بالفعل عدة شركات وهيئات عالمية بعروض استثمارية لتعبئة مياه حلوان المعدنية وإنشاء مراكز علاجية ومجمعات صحية مجهزة بأحدث الأجهزة الطبية ، وفى إطار سياسة الانفتاح الاقتصادى تجرى الآن بحث فكرة إقامة مراكز علاجية فى مختلف أنحاء الجمهورية بالإشتراك مع بنوك وبيوت خبرة عالمية .

وهناك مجموعة دراسات قامت بها لجنة شكلها وزير السياحة لحصر المناطق الإسلامية والمسيحية الهامة ، يتضمن خطة كاملة لجذب السياح لزيارة هذه المواقع ذات الأهمية الخاصة ، مثل الأزهر والحسين ومصر القديمة والمعالم الأثرية الأخرى فى مختلف المحافظات ، كما يتضمن برنامجاً للاستفادة من مرور أفواج الحجاج القادمين من آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا بمصر لاغرائهم على البقاء فيها عدة أيام يطوفون فيها بالمزارات ذات الشهرة الدينية والمساجد الهامة ، ويلتقون فيها مع الشخصيات الدينية المعروفة كما يشمل برنامجاً للاستفادة سياحياً باحتفالات مرور ١٠٠٠ سنة على إنشاء الأزهر :

كما أن هناك دراسات عن المزارات المسيحية فى مصر وأهمها طريق رحلة الأسرة المقدسة حيث هبطت مع السيد المسيح أرض مصر فدخلتها من ناحية العريش واتجهت غرباً إلى تل بسطة بالقرب من الزقازيق ، ثم عبرت النيل عند سمنود حيث كنيسة أبنوب البهنيسى ثم اخترقت الصحراء الغربية حتى وادى النطرون حيث أصبح المكان عامراً بالأديرة ، وبعد ذلك توجهت إلى عين شمس ، (المطرية الآن) حيث الشجرة العتيقة المعروفة باسم شجرة مريم ، ثم جنوباً إلى منطقة مصر القديمة فالمعادى إلى البهنسة ، ثم عبرت النيل إلى الشاطىء الشرقى ومن هناك سافرت إلى الأشمونين ثم إلى ديروط ثم القوصية ، وكانت نهاية الرحلة عند جبل قسام حيث الدير المحرق بأسيوط والأرجح أن الأسرة المقدسة قضت فى مصر ٣ سنوات .

وفى التقرير أيضاً خطة للاستفادة سياحياً من ٢٦ موقعاً فى مصر لها أهمية خاصة حيث تقع فيها كنائس وأديرة لها ذكراها التاريخية مثل : الكاتدرائية المرقسية بالقاهرة التى تضم رفات القديس (مارمرقس) الذى نقل من مدينة البندقية عام ٦٨ فى ذكرى مرور ١٩ قرناً على استشهاده وهو مؤسس الكنيسة الأفريقية والمصرية. وكاتدرائية القديس مرقس بالإسكندرية التى يرجع تاريخها إلى القرن الأول الميلادى وبناها القديس مرقس الانجيلى أحد تلاميذ السيد المسيح وهى أول كنيسة فى أفريقيا وكنائس مصر القديمة وأديرة القاهرة والإسكندرية ووادى النطرون والمنيا وأسيوط وقنا وأسوان والبحر الأحمر .

المصادر :

١ – تقرير المختصين بوزارة السياحة .

٢ – حديث مع السيد عادل طاهر وكيل أول وزارة السياحة .

BERGER CONSULTING GMEH. STUDIENRRELS FOt, V. = National plan For Tourism Arab Republic of Egypt Starnberg, Jonuary, 1978. Volumeo Summary.

المراجع العربية

١ - د. جمال الدين الدناصورى وآخرون : جغرافية العالم - دراسة اقليمية ، القاهرة سنة ١٩٦٧ .

٢ - د. جمال حمدان : شخصية مصر - دراسة فى عبقرية المكان ، القاهرة سنة ١٩٧٠ .

٣ - د. جمال مختار وآخرون : الموسوعة المصرية - تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المجلد الأول - الجزء الأول - القاهرة سنة ١٩٦٠ .

٤ - د. صلاح الدين عبد الوهاب : المنهج العلمى فى صناعة السياحة - المجلد الأول - الاتحاد العربى الدولى للسياحة - القاهرة سنة ١٩٦٧ .

٥ - د. صلاح الدين عبد الوهاب : سياسة الدولة فى مجال السياحة مع إشارة خاصة للدول النامية - القاهرة سنة ١٩٧٥ (البنك الأهلى المصرى) .

٦ - د. عبد الحليم منتصر وآخرون : صحارى مصر - القاهرة سنة ١٩٦١ .

٧ - د. عبد المنعم أبو بكر وآخرون : القاهرة فى ألف عام ٩٦٩ - ١٩٦٩ .

٨ - د. محمد صفى الدين أبو العز وآخرون : دراسات فى جغرافية مصر - القاهرة سنة ١٩٥٧ .

٩ - د. محمود كامل : السياحة الحديثة علما وتطبيقا - القاهرة سنة ١٩٧٥ .

١٠ - د. نعمات فؤاد : شخصية مصر - القاهرة سنة ١٩٦٨ .

نشرات وبحوث سياحية :

(أ) النشرة الربع للاحصاءات السياحية : الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء - القاهرة .

(ب) وزارة السياحة : نشرة البحوث السياحية العدد ٢٤ - يونيه سنة ١٩٧٥ ، العدد ٢٣ مارس ١٩٧٥

(جـ) وزارة السياحة : بحوث ودراســات احصائية فى اقتصاديات السياحة والاستثمار فيها — القاهرة سنة ١٩٧٦ .

أطالس :

١ — أطلس الشرق الأوسط : الدكتور صبحى عبد الحكيم وآخرون — القاهرة ١٩٦٠ .

٢ — الأطلس العربى : وزارة التربية والتعليم — القاهرة ١٩٦٥ .

ثانيا : المراجع الافرنجيـــة

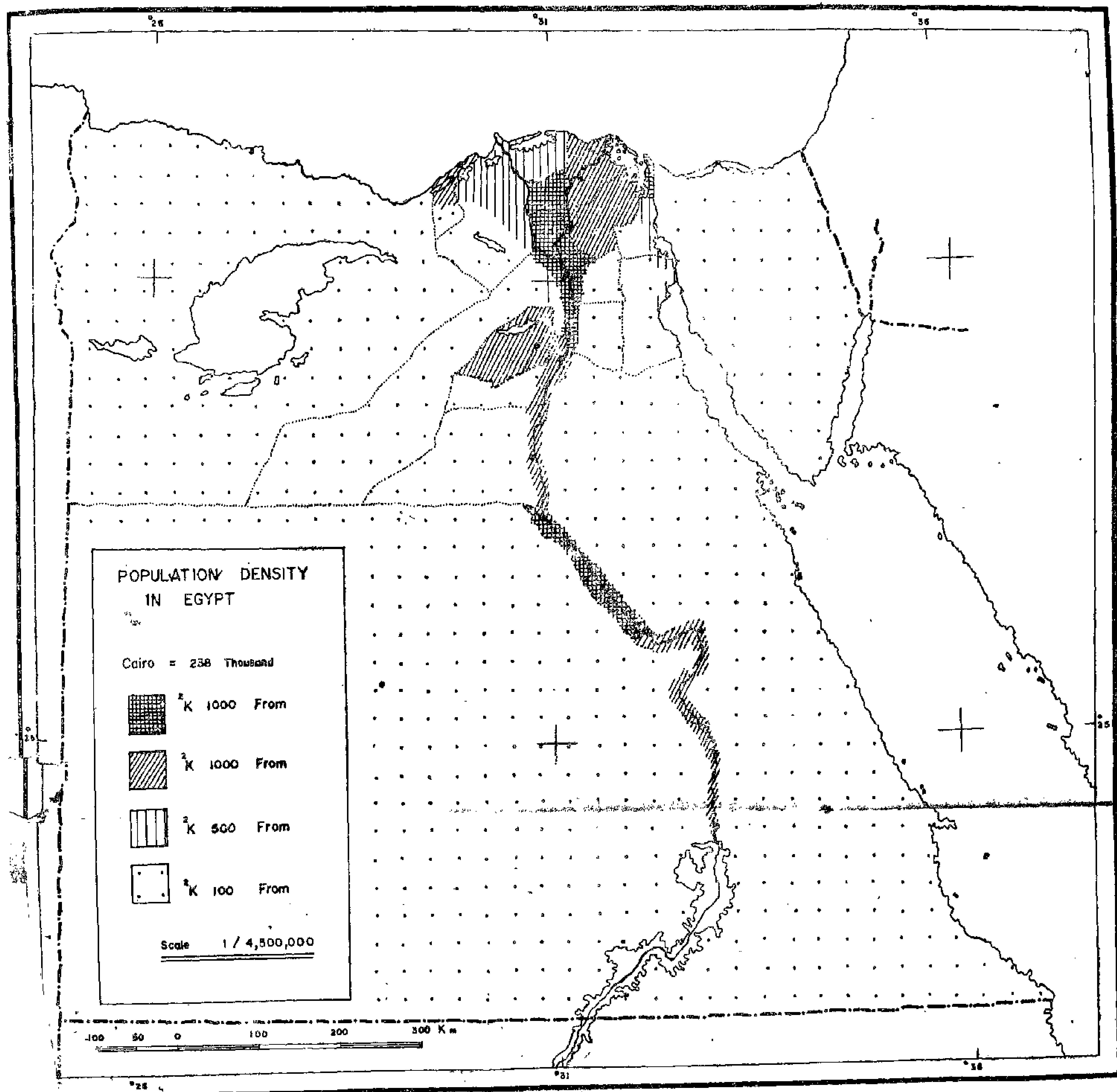
1. Baedekar, Egypt and the Sudan, London, 1928.
2. G. Hamdar, Egypt, The Land and people in : Guide book to Geology. and Archaeology of Egypt, Amesterdam, Oxford University Press, 19o6
3. Hans Baumann = The world of the pharaohs, London, 1961.
4. Issawi Charles : Egypt in revolution, London Oxford University Press, 1965.
5. International Union of official Travel organization (IUOTO), world Tourism Organization Tourism compendium 1975.
6. Jeune Afrique : The Atlas of Africa, Paris, 1973.
7. John Cole : Geag. of World Affairo, Belican, 1963.
8. John Gunther : Inside Africa London, 1955.
9. Kane, Robert S. = Africa A to Z, New York Double day, 1961.
10. Michael Peters : International Tourism, London, 1969.
11. Nina Nelson : Your Guide To Egypt, London Revised Edition, 1975.
12. Robenson, Geographical Tourism, London, 1975.
13. Travel International Associates ltd. : African and oriental) Travel, Hand book of International Travel and Tourism, Lebano 1974.
14. W.B. Fisher : The Middle East, Aphysical, Social and Regional Geography, London, 1952.

== U.N. = Elements of Tourism Policy in Developing countries (Report Secretariat of UNCTAD, New York, 1973.

U.N. = Stayistical Year book, 1976.

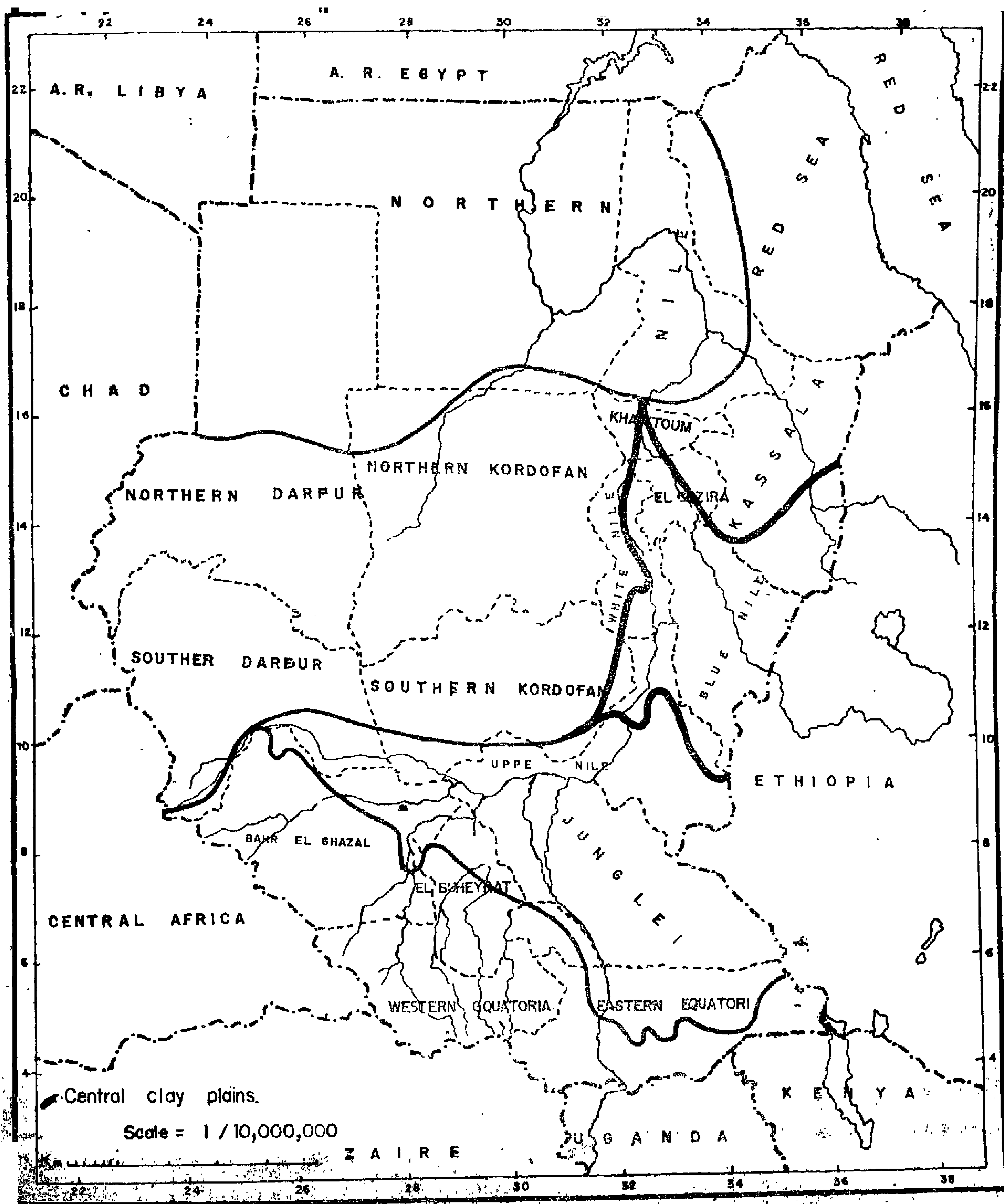
تم الطبع بالمراقبة العامة لمطبعة
جامعة القاهرة والكتاب الجامعى
المراقب العام
البرنس حموده حسين
١٩٨٠/٩/٦

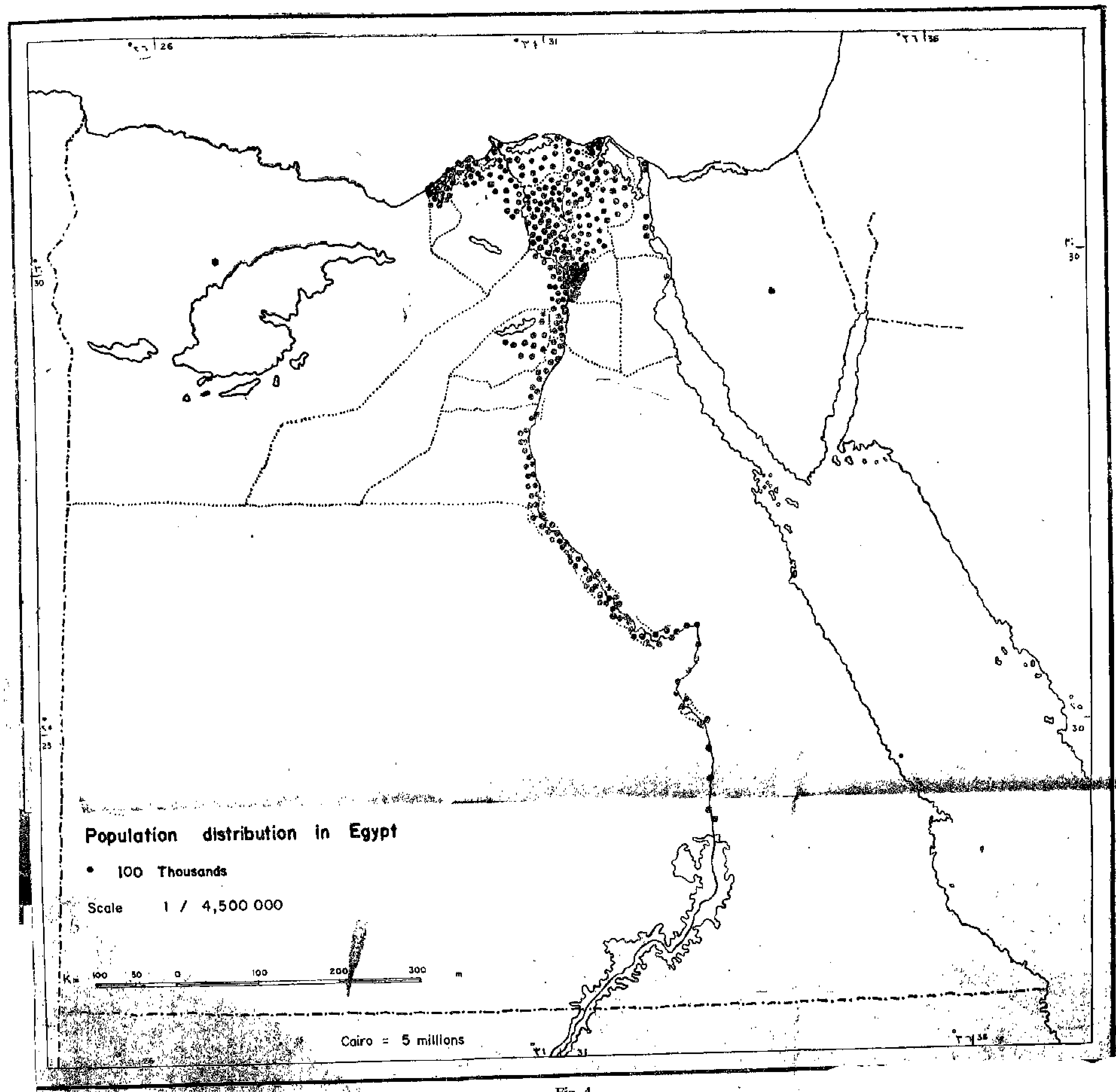
(مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ١٩٨٠/٢٩/١٠٠٠)



POPULATION DENSITY IN EGYPT
Cairo = 238 Thousand
K² 1000 From
K² 1000 From
K² 500 From
K² 100 From
Scale 1 / 4,500,000
100 50 0 100 200 300 Km

Fig. 6.


A. R. LIBYA
A. R. EGYPT
NORTHERN
RED SEA
RED SEA
NILE
CHAD
KHARTOUM
KASSALA
NORTHERN KORDOFAN
NORTHERN DARFUR
EL GEZIRA
WHITE NILE
BLUE NILE
SOUTHER DARFUR
SOUTHERN KORDOFAN
UPPER NILE
ETHIOPIA
BAHR EL GHAZAL
JUNGLEI
EL BUHEYRAT
CENTRAL AFRICA
WESTERN EQUATORIA
EASTERN EQUATORI
KENYA
UGANDA
ZAIRE
Central clay plains.
Scale = 1 / 10,000,000
Km



Population distribution in Egypt
• 100 Thousands
Scale 1 / 4,500 000
Km 100 50 0 100 200 300 m
Cairo = 5 millions

Fig. 4.

POPULATION DENSITY IN SUDAN

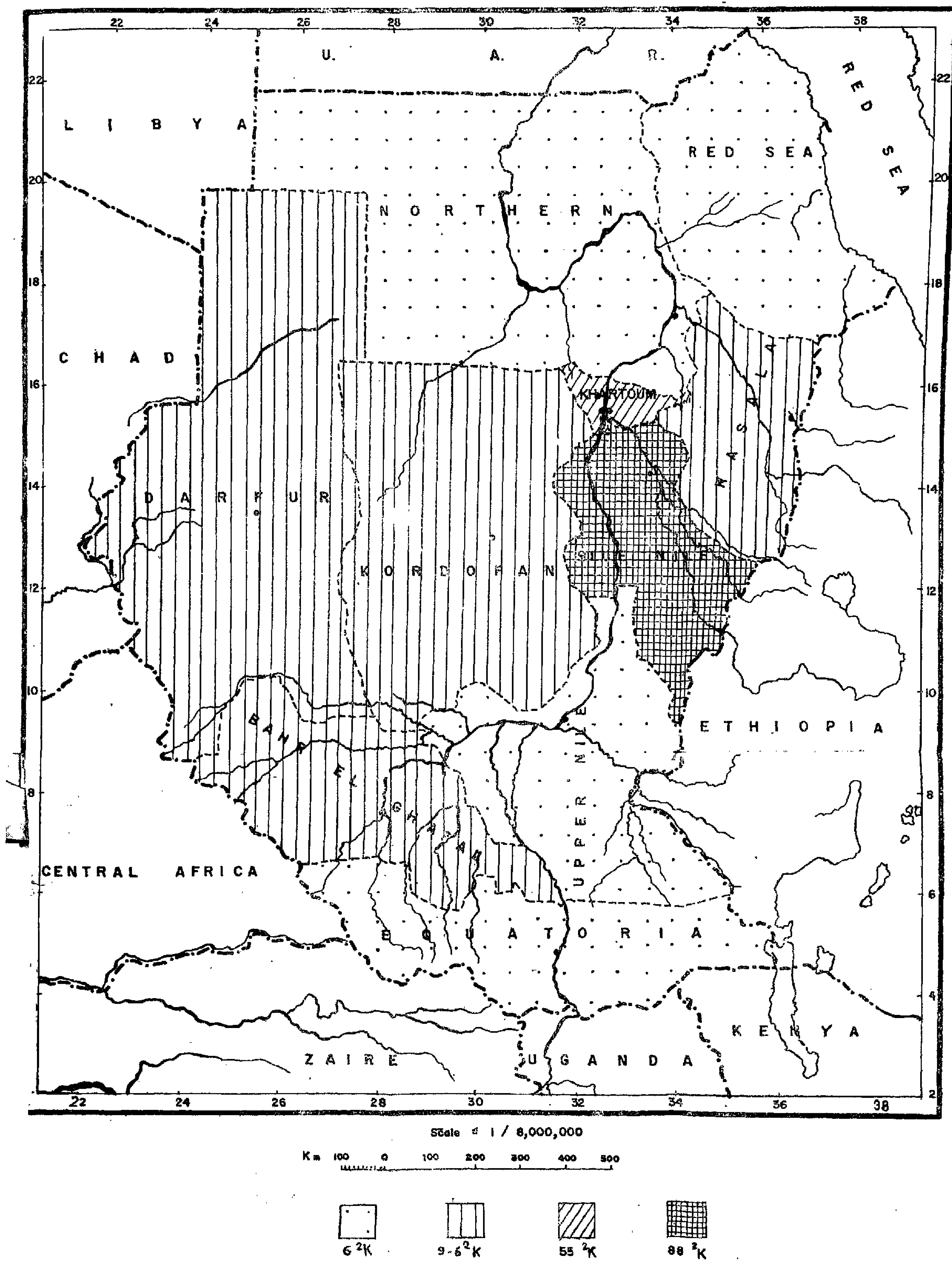


Fig. 3.

4. Food and beverage factories where Egyptian skilled labour can give its experience.

According to projection prepared about man power in the future in Sudan, we can notice that Labour force at 1985 will be 10 millions, while it was about 7.5 in 1975, and in 1980 nearly 8.6 of these numbers Sudan will be in need of man power, especially skilled labour for a long time to acheive objectives of the plans of economic development. Agriculture will be the most important sector in Sudan economy for a long time as the six years plan has indicated as follows :[1]

(Acheivement of substantial increase of per Capital income in real terms through the development of both the modern and the tradional sectors. The plan aims at an annual growth rate of 7.5% in constant price with agriculture continuing to be the pivot of development and the leading sector of the economy. Development of the other sector will be interlinked with the agricultural expansion).

We cay that this expansion cannot reach its maximum without man power which is not sufficient in Sudan and Egyptian labour can cover this deficiency.

(1) Demographic aspects op. cit. p. 180.
(2) The six years plan Ibid.

Southern parts of this belt is enough to cultivate crops like American cotton dura (millet) and sesame. In the remnant parts of this belt water for irriga-L.S. 425 million. An ivestment of L.S. 290 million is also envisaged in the private sector which includes joint venture projects involving participation of the government[1]

We gave some centered lights upon population integration in the field of agriculture, because agriculture in Sudan holds a pivotal position among different sectors of the economy. It contributes nearly 40 per cent of the Gross Domestion Products while 80 per cent of the population depends for its subsistence on agriculture and related activities.[1]

On the other hand we can give some suggestions in the field of industry. We notice that on the eve of independence of the Sudan the contribution of the industrial sector to G.N.P. was 20% over the last nine years the contribution of the industrial sector ranged between 8,2% in 1968/69 and 12,1% in 1974/75. The five years plan included some objectives to increase the volume of industrial production by 57,4%, adoption a new production methods and techniques for increase in production and excution of a comprehensive investment programme in public sector. The six year plan has laid some objectives to develop these industries where Sudan has a comparative advantage, agro-industries based on local agricultural production, agricultural inputs such as cement, insecticides, agricultural implements and spares, in addition to giving attention to industrial production and its orientation for export purposes.[2]

But these objectives can not be acheived without skilled labour which is not efficient in Sudan. Egyptian skilled labour can support Sudanse industry. **In this sector we give some suggestions :**

1. Establishing more ginning and weaving factories in Gezira and Rahad Schemes, in Nuba Mts., Where American cotton is cultivated and in Khashm El Gerba scheme.
2. Establishing factories for utilising dairy products in Kordofan (South& North) province.
3. Establishing factories for utilizing animal skins in the centres of animal wealth.

---

(1) The six year plan of Economic and Social Development. 1977-1983, p. 12.
(2) Ibid. the same Page.

sea mountains in the east to Darfur province in the west. Rainfall in the southern regions is enough. But this belt is not utilised now, although there are Gezira, Rahad and Guneid schemes which depend on water irrigation from Blue Nile, in addition to Khashm El Gerba scheme, which depends on Atbara River. We must notice also that population in this belt are rare out these schemes. For all these reasons we can propose some suggestions in this field :

1. Settlement of Egyptian farmers in the existing schemes especially Rahad scheme which is in the first stage (300 thousands feddans). We can propose the setllement of those Egyptian farmers in the second phase of the scheme (410 thousands feddans).

2. Settlements of Egyptian farmers in Suki project near Roseirs where a plenty of water and rich soils where Roseirs Dam and clay soil are existed in this area.

3. This extensions of Gezira scheme, will need a supply of labour force, Egyptian labour may cover this need.

4. Another areas in this central clay belt may attract a big number of Egyptian farmers to cultivate lands and increase agricultural production. These agricultural areas may be in Damazin, Gadaref and Dinder ... etc. We suggest that the central clay plains are the most convenient parts in

Sudan for Egyptian farmers because of these facts :

A) The rich soil and the ample resoures of water which exist in this area.

B) Transport (Roads and railways) here is more adaptable than other areas in Sudan.

C) This area is adjacent to the main port of the Sudan (Port Sudan) so, agricultural and industrial production can be exported easily.

D) These schemes are near to the important urban centre in the Sudan, i.e. great Khartoum which presents the large important consumption centre in all the Sudan.

E) This central clay belt is not faraway (in climatic conditions, especially temperature) from these in upper Egypt from which we suggest to transfer labour force to Sudan.

We must remember that in the six year plan (1977-1983) Agriculture has allocated 32,0 per cent of the total public sector investment amounting to

which liesson Rahad river tributary of Blue Nile, its planned area is about two million feddans, now cultivated area is about $^1/_2$ of million feddans. There are also mechanised schemes, which depend on rainfall, especially in the central clay plains, which their area is about 4 m.f, besides traditional agricultural land, which extends in vast areas in central and Southern Sudan.[1]

Other efforts are done now for developing animal wealth by practising new techniques in this field, for example the Scheme of Damazen to utilise 621 thousands of feddans in mixed farming, and also the Scheme of Slait for producing meat.

According to the six years plan, there will be a good progress in the field of differentiation of crops in Sudanese economy. The table of Sudanese exports will be cotton 43% in place of 60% now., meat and ground nut 27% and sugar 10%, the remaining (20%) for other goods.

Also the six years plan concentrates on industrial development either cotton, ginning and weaving or sugar and meat.

All these efforts may open new frontiers for population future in Sudan. But this development will need some times till infrastructure can be ashceived

On the road of cooperation and integration between Egypt and Sudan, time can be shorten to develop the potentialities in the two countries. Plans must be done in this field. These plans must be comprehensive and convenient with different conditions, (social and economic) in Sudan and Egypt. There is an important factor which affects this topic at a high degree, I mean transports between the two countries must be efficiant and convenient with these plans.

Some Proposals :

There is already an integration area between Egypt and Sudan which contains ASWAN governorate in Egypt and the Northern province in Sudan. There are some projects in this area for cultivation and trade between the two mentioned areas but these projects run slowly because of lack of capitals (money); in addtion, this area is poor in potentialities and adequate transport.

But the central clay plains in Sudan present a rich area by its agricultural potentialities. Here the fertile soil extends across Sudan from the Red

(1) Estimated irrigable areas total about 10 million Feddans only 50% is developed now, totalling about 4,65.m.f.

a. Emigration from rural to urban settlements to work in factories and other services. There is a very clear example of this case in El Mahalla El Kobra where thousands of workers going every day from their villages in (the city region) of Mahalla El Kobra to this industrial centre, especially in factories of cotton ginning and weaving. This case has become usual in other Egyptian cities.

b. In the last decade, many emigrants, skilled, or not, emigrate to oil arab Countries which absorbing many agricultural workers and skilled labour; but we should notice that this migration is temporary.

2. When we discuss migration from Egypt to Sudan we must notice that conditions must be convenient, psychologically, from the side of Sudanese people to the new comers, and from the side of Egyptian emigrants to acclimatize with the new conditions in Sudan. Also we must select some areas to settle the new emigrants. Egyptians like to stay in their home country, or they emigrate for a limited period, then they return to their homeland, although, in the last decade, some technicians emigrate for ever to the Americas and Australia, but their number is limited.

In spite of a migration experience that has been acheived from Egypt to Iraq, by hundreds of farmers but this trial has not been evaluated, and it is still open to discussion and amelioration.

At the same time, and for the future of population in the two countries, we must shed some lights on the efforts done now to utilise fully the potentialities and to discover new frontiers to redistribute the population in the two countries.

In Egypt efforts began to explore new potentialities out of the narrow Nile valley and its Delta, where population density is very high, and there is pressure on the cultivated land. These efforts concentrate on the redistribution of population in new towns and societies out of the Nile valley and its Delta. These new societies are different in comparison with the tradional societies in the valley and delta, either in practice and pattern of utilization

In Sudan, also, efforts began to utilize the great potentialities, which exist in the vast area of the Sudan. These efforts concentrate on agricultural sector, either in rainy area, or in irrigated lands. These efforts are accelerated especially, after the dominance of peace in Southern Sudan, The good example for agricultural schemes in Sudan is Gezira Scheme and its extension in Managel, which area is plus than two million feddans, and Rahad scheme

We can see from this table that population density per total area is limited, while density per agricultural or arable land is very high in Egypt, high in Tunisia, moderate in Sudan, and low in Iraq. But land value density and relative growth index indicate an increase of population pressure in Sudan and Tunisia higher than in Egypt and Iraq. Population pressure is shown in different forms, such as the exodus of population from rural to urban areas and the shift of labour force from agricultural accupations to non-agricultural occupations. But when we discuss this topic we must notice :

1. Agricultural labour in Egypt now is limited, and wages are very high. This is due to :

AGRICULTURAL PROJECTS IN GEZIRA PROVINCE, SUDAN

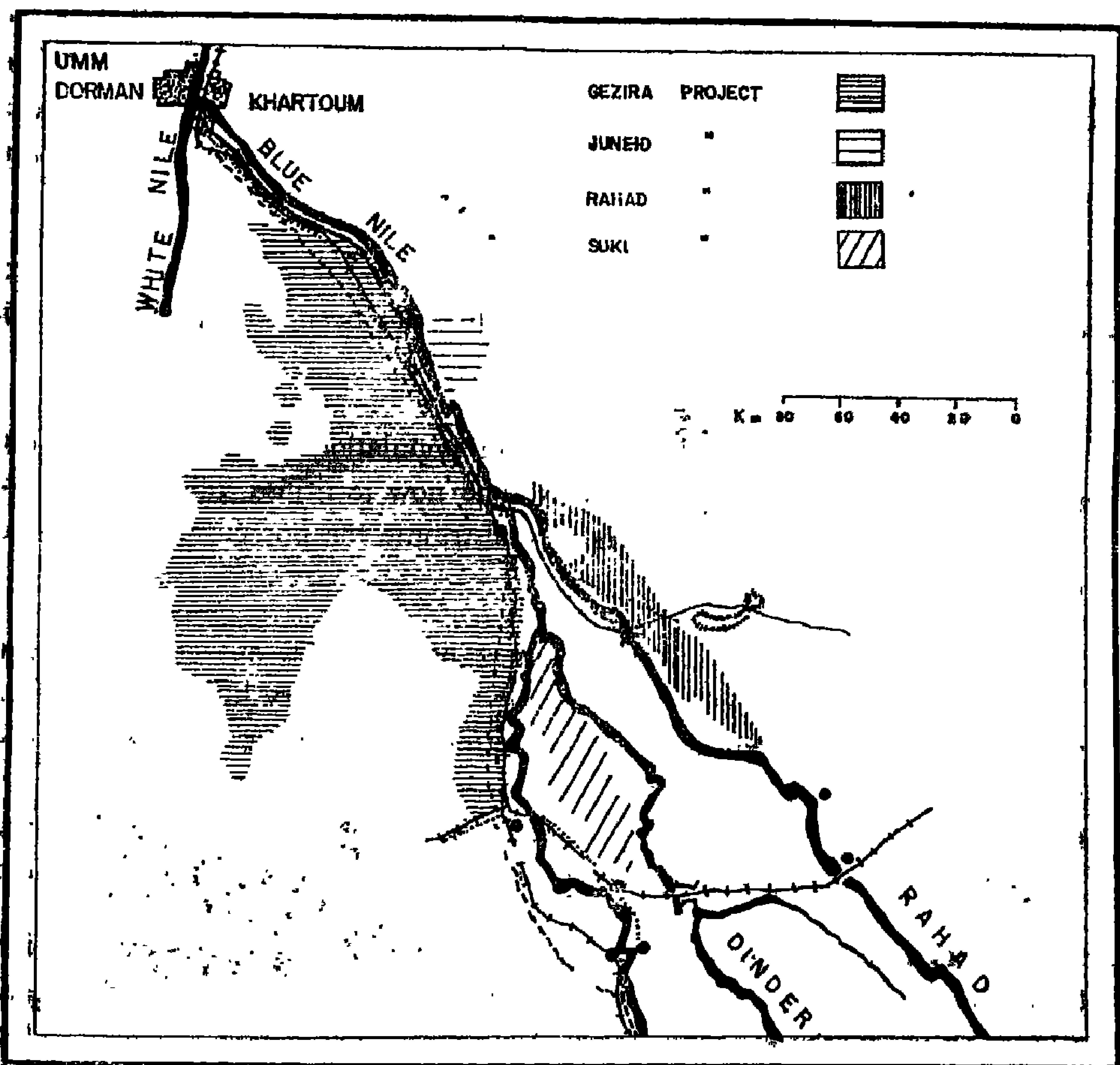


Fig. 2.

and also national income will be augmented. In addion to covering the local demands from the local production and imported commodities. On the other hand the possibility of industralization which depends on the agricultural production will be stimulated. At the same time animal wealth can be developed by following mixed farming practices, as there are close relations between the two fields in utilisation and production.

This idea is supported by a relatively high technology in Egypt than Sudan in the field of labour, and for this reason we discuss the idea of population integration between the two countries, since man power is important similarly with economic wealth, either agricultural or mineral. Japan gives us a good example for this, as its economic wealth is very limited, but it imports agricultural and mineral ores from other countries especially from South East Asia, and by its human resources industralise these materials and re-exports them to the world, especially, South East Asian countries themselves.

Accordingly if the Sudan has the land without the efficient labour, and Egypt hase the labour without the efficient arable land, we can find that the two cases are a unfavorable for both Egypt and Sudan, together. From this side the geographer must be a pointer to economic integration between the two countries as a whole, especially in the field of population. In this context we can give some figures about man-land relationship in Egypt and Sudan in comparison with some other arab countries (1960-1970)(1).

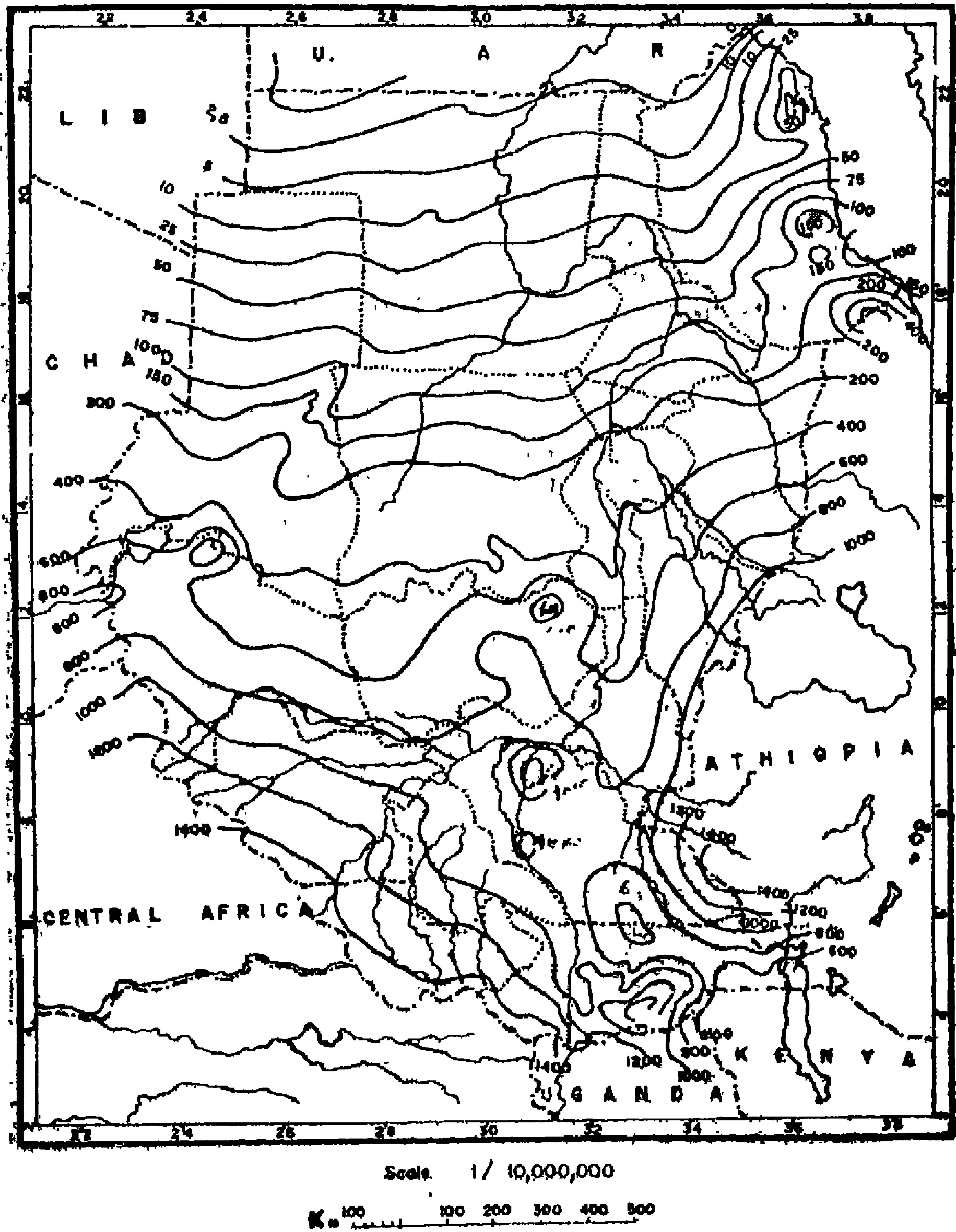
Gountry	Populstion density per thousand hectars of						Iand value density pop. per 1000 U.S.		Relative growth, in dex RC.
	Total land		Agr. lanq		Arable land				
	1960	1970	1960	1970	1960	1970	1960	1970	
Egypt	259	336	10,111	11,789	10,111	12,293	25	16	65.6
Sudan	49	65	—	497	—	2,178	19	29	155,1
Tunisia	233	313	492	661	847	1,135	23	31	136,9
Iraq	158	222	592	943	915	946	25	17	67.2

(1) C.D.C., Research monograph Series N. 5 Demographic aspects of socio-economic development in some arab and african countries (population pressure on land in some arab countries) p. 187.

Economic development likes a snow ball, when it runs it becomes bigger, and when its movement stops it will be dissolved or stand still as it is, and soon. When Agricultural development increases, exports will increase accordingly

AVERAGE ANNUAL RAINFALL 1931 - 1960 (mm)

SUDAN



Source

Bulletin of Agriculture stastics of the Sudan

Fig. 1.

million Feddans may be utilised if skilled labour, capitals and good transport are supplied. On the other side, Egypt has a plenty of labour either skilled or not, and it can supply economic activities in Sudan with human resources, either in the field of agriculture or industry and general services, although statistics indicate unfair conclusions for manpower in Egypt as follows :

1. Infants (less than 15 years) 42.7 per cent from the total population, in comparison with 23.3 per cent in France, and Sweden and 29% in U.S.A.

2. Elders (over 65 years age) nearly 3.5 per cent in comparison with 12.1% in France, 10.2 in Sweden and 8.5 in U.S.A.

3. Labour age (15-65) nearly 53.8 in Egypt in comparison by 62.6% in U.S.A., 64.6% in France, 65.7% in Italy and 66.3% in Sweden[1].

In spite of these conclusions man power in Egypt is more than work chances of the present economic activities. The following Table summarises some important conclusions about distribution of land use in Sudan (1973)[2].

Type of use	Area in thousand Feddans	percentage
Total land area	565,713	100,0
Cultivated land	16,985	3,0
(i) Cropped area	14,985	2,6
Irrigated	3,350	0,6
Unirrigated	11,635	2,5
(ii) Fallow	2,000	0,3
Cultivable waste	183,015	32,4
Uncultivable land	365,714	64,6

(1) C.A.P.M.S. Ibid p. 168 (in arabic).

(2) Cairo Demographic Centre, Research monoyraph Series No. 5,

Demographic Aspects of Socio-Economic Development in some Arab and African Countries-Edited by : Huzayyin & T. Smith. Population and development: Sudan, p. 165,

See also : Ministry of Agriculture, Food and Natural Resource A brief Review of Agricultural Resource and Investment apportunities in The Sudan pp. 1 & 3 February, 1978.

This density has increased in the few last years because of two points :

A) The natural increase in the two provinces which reaches about 32 per thousand annually.

B) Internal migration and foreign immigration.

Further more Gezira area became a separate province, this means that density became higher.

In the other provinces in the Sudan, we see that densities are low or insignificant. The first type are : Kassala, Kordofan, Darfur, Bahr El Ghazal (nearly 6-9 h.km^2). The second type are : Equatoria, North, Upper Nile, and Red Sea provinces, are less than the precedent figure.

The density of population in Egypt's provinces is very high, as nearly all the population is confirned in the (Ecumene) in the valley and the delta. We can classify the density of population in Egyptian governorates into three categories : (1976)

First :

Plus than thousand inhabitants per km^2. on the top comes Cairo governorate (23737) because of its historical heritage, its geographical site and the chances of work which emigrants hope for. After that comes Port Saed governorate which reaches 3642 h.km^2 because of its small area. Giza governorate is in the third rank where its density is 2396 its site near Cairo gives it some importance other governorate come after that as Kalyobia, Gharbia, Monofia, Assyut and Sohag (1672, 1181, 1117, 1108, 1244)[1].

Second :

Density between 500-1000 per km^2 in :
Alexandria (865), Damietta (946), Dakahlia (787), Sharkia (627), Beni Sweef (839), Fayoum (624) Kena (922) and Aswan (914).

Third :

Density less than 500 h. per km^2 in provinces Kafr El Sheikh (408), Behera (251), Ismailia (244). There is an exception in this high densities in Suez governorate (11 per km^2), We suggest that the atmosphere of war was the cause of this low density.

There are many great potentiabties in the Sudan especially in agricultural field, where there are rich soils and plenty of water (surfacial or under ground water or rainfall) either in the central clay plains or in the Southern part of the Sudan. This great arable (cultivable) area estimated by 200

(1) Central Agency for public mobilisation and statistics population and development, Cairo, September, 1978 p. 137.

Second :

On the other hand Sudan population continued in the primary phase during the first half of this century, and this means that natural growth was low, because of the high mortality rate especially children, despite the high birth rate. Now there are some indicators that Sudan entered the second population phase, where high birth rate, and at the same time mortality rate begins to decline, in other words, Sudan has entered population explosive phase. There are some causes for this population phenomenon :

1. The provision in the field of health services.
2. The progress in the educational activities.
3. The low improvement in the standard of living.
4. The diffusion of polygamousity in several parts in the Sudan, especially in Southern Sudan, and Darfur, as women here are very important labour force and have a good economic role in family sphere.

These causes mentioned above mean that the Sudanese people will continue to increase till the end of this century and perhaps the first quarter of the following century. The diffusion of education and health services will continue, besides the raise of the standard of living in a broad sector of the Sudanese society, when the agricultural and industrial projects attain their targets.

Third :

This means that the increase of the population of Egypt and Sudan will continue, although there are differences between the two countries in the size and ratio of increase. It is estimated that the population in Egypt will be about 60 m. at the end of this century and the population of the Sudan will be about 32 m. and this points that the total will be 92 m.h., This figure is big and gives us the incentive to put plans to contain this problem in the two countries, separately and the two countries together. We should notice that the density of population in the two countries different according to their areas and also in comparison with their potentialities. The 1973 Sudanese census declared that the general density in the Sudan is about 6,8 inhabitants per km^2, but this density reaches 55 persons in Khartoum province, and 88 in Blue Nile province. The causes of the first are the site of the Capital (the greater Khartoum) but in the second province the cause is the great agricultural projects.

POPULATION INTEGRATION BETWEEN EGYPT AND SUDAN AND ITS REFLECTIONS ON ECONOMIC DEVELOPMENT

by
Dr. SAED BADAWY

The number of Egyptian people now is about 40 millions and the population of the Sudan estimated to be about 20 m. although the 1973 census points that the number is 15 m. only. The cause of this discrepency is attributed to the turbulent conditions in the southern provinces during the census time.

The preceding fact shows that the population of the two countries now is about 60 m. Living on an area of about 3.5 m.km², This means that the general density of population in the two countries is about 17 inhabitant per km². This figure is not true as we know, that the (Ecumene) in Egypt and Sudan is very limited, especially in Egypt.

Although the study of the present population is important but the population future in the two countries is rather important and critical till the end of this century. We know that the population increase now in Egypt is about 23 per thousand and in the Sudan it is about 32 per thousand. Accordingly the population growth in the two countries will continue to be high in the next twenty years. But there are some important points concerning this matter :

First :

Egypt has begun the population explosive phase early than the Sudan did since this phase at the beginning of this century and population is still in high rate growth to the sixties when some sectors of Egyptian people began to practise birth control, especially the educated sector. This birth control trend augmented in the last decade, and became one of the main population characteristics in Egypt. Accordingly we can hope that Egyptian population will attain the mature population phase at the end of this century or at the beginning of the following century. In this phase the mortality rate well be low as well as the rate of birth. This means that natural growth will be checked.

Our second etymological case is the Semitic equivalent of the English word «lyre». Some years ago, the German Semitic linguist Noldecke, in his «Mandaische Grammatik», questioned the Semitic origin of the Mandaean word kiūārā , lyre. The same word occurs is Aramaic as kinara, in Syriac kenara and Hebrew kinner. The word is also represented in Ugaritic, k-n-r, and in Egyptian knnr. And clearly from one of these sources we get the Greek word κlνυρα. (kinura) The stringed instrument, such as the lyre and the harp, seem to have had a special place in both Egypt and Sumeria, as evidenced by the famous carviag of the Blind Harpist in the Temple of Hatshepsut at Der el Bahri in the XVIII Dyn., and at a much earlier period, by the Golden Lyre of Ur in the first half of the Third millennium B.C.

It seems that the same pattern of etymology as for monkey has also to be applied to 'lyre'. That is to say, the original is to be found in the Sanskrit tongue, where the word for lyre is kimmari. Similar conclusions are to be drawn here, as for 'monkey'.

The geography and geomorphology of the Middle East is a vital factor in any consideration of the emergence of civilization there, because it induced international trading at a significantly early date. If there be also any human factor that was decisive in bringing about the birth of civilization, it would seem to be the concept of 'balance', i.e. of good order, just weight, and justice in disputations. This factor is common to both Sumeria and Egypt, and seems to be a factor in the founding of all later civilizations. The sense of good order would be evoked by trading also. And as justic develoued and manifested itself, so the trading developed even more in the favourable climate of the recognition and protection of rights. Indeed, we can say, perhaps, that the interaction of trading and good order played a major role in the development of writing, which was the crucial factor that led to civilization. Pictorial itemizing and the checker's tick, could well have given encouragement to the concept and formation of words, and the development of language would itself promote further trading and the promulgation of justice.

I believe that «Bridges and Balances», as outlined here, have been vital elements in the creation of every civilization, and in particular the first two civilizations. First, comes geographical and geomorphological advantage, then commercial trading, followed by justice. What minimal advantage of human genius has been involved has never been so great as to ward off the inevitable destruction of what it has helped to create.

already indicated the Narmer palette as indicating the early exiatence of communications and influence between Sumeria and Archaic Egypt. We might also mention the probability of a direct influence upon the Saqqara pyramid from the Sumerian Zikkurats, — in terms of structural design. Thereafter of course, the structural design of the Egyptian pyramids went their own way, and in any case their purpose and their malorials seem always to have been different. And there is also the evidence of the Arak knife - that early example of Egyptian carving skills. It is most interesting indeed from the point of view of our thesis here, because the scenes on one side depict the ships and men of Sumeris and Egypt locked together in battle. More important evidance still of early international reading coverging upon Sumaris and Egypt comes from etymology. Word borrowing has operated down the ages, from one language into another, because of the power of long-established usage. Borrowed words are extremely difficult to displace, despite the usual efforts to do se by national interests, because of the power of commen speach.

We will now briefly examine the etymology of two words still in current use in certain parts of the Middle East, the first of which has even come through to modern English, via Old Saxon. viz. the word «ape». It is now a specialized word for a specific group of animals, but it goes back to a Greek word : kηβos and kηπos, both having the general meaning of the order of monkey. The Greeks borrowed it from the Middle East. The common semitic word for 'monkey' goes back to the Akkadian ugupa. So you have the Hebrew gef, Syrias qupâ and Arabic qard; but noneher of these is Semitic, and you have Egyptian gyf and earlier still Sumerian ugubi. The interesting thing here is that monkeys were not native to the mesopotamian valley. There were perhaps monkeys is South Arabia and certainly in Africa. There was however a facination for the monkey in Ancient Egypt and Sumeria, as evidenced by the story of the 'Ship-wrecked Sailer' from Egypt of the early Middle Kingdom and other things; and from Sumeria there is the simile : 'like the monkey of the music-hall of Eridu, that was thrown out and had to find its food on the rubbish-heap'. Now, it is obvious that the Sumerian word ugubi 'monkey' must have come into the country with the importation of the monkey itself; The import therefore could not have been Arabian or African. However, when we turn to Sanskrit our problem is solved, because there the word for monkey is kapi. So the first Sumerian monkey came from India, and the process seems to have been repeated in Egypt, probably later and through Sumeria. The indications here are that there was trading in monkeys at least as early as the end of the fourth millennium, and possibly earlier.

lines of trade converge. At the risk of over-simplification, we are indicating here what we consider to be two fundamental elements which are perhaps in danger of begin overlooked : 'Bridges and Balances !. The first is physical — geographical and geomorphological; and the second is conceptual.

In common speech a bridge is a man-made structure which gives passage over a stream of water. Here, however, we are taking 'bridge' as any geographical feature on land or sea which spans, breaks through or facillitates a passage over or around, gaps and barriers. Land itself, with its deserts and mountain ranges, has provided the greatest gaps and barriers to man's early trading and progress, so that in a sense, rivers, waterways, gulfs and calm seas were the bridges that helped early man to overcome the land-barriers. The Middle East should sometimes be examined with the map up-side-down, because when the map is turned around the other way we are able to see more readily the 'bridges' as they converge upon the Middle East. Both Sumer and Egypt were the most favourably situated countries and became great trading centers for man's early commercial activities between three continents and one sub-continent. There were certainly a number of highly important land routes supplying both areas, through mountain passes, around deserts and marshes : from Europe via the Turkish and Caucasian passes; from Asia via the Fertile Crescent and across the plateaux of Iran; and from Africa via the Sudan and via Libya. Nevertheless, it was surely the waterways that specially favoured both areas from the earliest trading times, by means of gulfs, seas and vast river systems. In these two countries in particular peoples, goods and services mixed, and cultures intermingled, and the resulting reactions would bring about a metamorphosis of society, in the beginning gradually, but often swiftly.

We see the process of developing ideas from a mixing of cultures in the various changes and developments in pottery types. A final culture in a given area may well have a high degree of homogeneity. However, the ideas and the inspiration often come from a distant culture. In Egypt's early dynastic Narmer palette, for example, one can see signs of Sumerian influenuce, although Egyptian art quickly developed in its own way thereafter. Despite the homogeneity, it is easy to underestimate and oven to overlook the important initial role of geography and commerce. That considerable trading activity on an inter-continental level did take place as early as mid-fourth millennium down to mid-third millennium (and of course later,) seems to be the correct inference from a number of factors.

First of all, the geographical facilities ('bridges') were there. The question is, however, whether these were being used sufficiently early for international trade to have made a vital contribution to the birth of civilization. We have

On the northern side of the Middle East these gigantic east-west folding movements left behind great mountain chains; on the southern side and along the centre, great basins, valleys, plains, plateaux, bays and gulfs formed, into which great rivers poured. Further minor folding and major north-south fissures formed, creating zones of weakness along which there were lava flows, and as part of which there developed also the enormously significant Rift Valley, the Red Sea and the eastern edge of the Mediterranean Basin. Geological and geomorphological actions were thus 'kind' to the Middle East and somewhat 'unkind' to Australia. I mean by this that all these changes in the earth's crust, right up to the most recent Pleistocene period, left the Middle East well designed for its role as 'the cradle of civilization', but left Australia as a kind of continental 'backwater' — the last to be discovered by modern man, albeit with unique flora and fauna because of this very continental disconnexion.

All these things have an important meaning for history. Even the origin of man himself seems to be linked with the great limestone areas left behind by the Tethys sea. But we are thinking here about the earliest history. History is based upon a number of factors; but the written records of man are vital to the historiographer. So history began at Sumer, because that is where writing began, (though of course we have found out about Sumeria comparatively recently). Sumer left a story and a literature on clay, from the late 4th. millennium down to the end of the 3rd. millennium B.C., and this entitles it to be classed as the first civilization. Close behind it, of course, came the great Egyptian civilization, with its records carved in stone.

Now, in this lecture, we are not interested in playing off against one another the civilizations of Sumeria and Ancient Egypt, but rather in the fact that they are chronologically and geographically close. Both had glorious beginings and enormous impacts upon later civilizations; both have question marks over the sources of their emergence as civilizations. Comparatively speaking their beginnings were sudden and, to modern scholarship, still somewhat unexplained. And here at this point we return to the title of our lecture and come also to declare our aim. Our point is that scholarship does not need to look merely for specially equipped migrating peoples, one of whom settled in the Nile valley, and who brought with them the main elements of their future civilizations. Scholarship does not need either to swing to the other extreme, seeking a civilization in isolation by virtue of its people's inherent intelligence. It seems rather to be a matter of international trading activities and the reactions engendered by them in the two areas where the

BRIDGES and BALANCES

by
A. DUDLEY MALLAM
University of Melbourne

I am pleased to have the opportunity of addressing a learned audience in this great University of Cairo, and to be visiting that portion of the earth's surface we refer to as «The Cradle of Civilization». I have the honour to belong to the permanent full-time teaching staff of the University of Melbourne, within its Department of Middle Eastern Studies. In that Department we define our area of interest and study as all the territory lying between the valleys of the Indus and the Nile, on an East-West line, and all the territory lying between the Caspian Basin and the headwaters of the Nile, on a North-South line. We have language courses and non-language studies, for three years in the Ordinary B.A. degree, and four years in the B.A. degree with honours. We also have post-graduate studies for the research degrees of M.A. and Ph. D.

There is an interesting geological connexion between Australia and the Middle East. In Palaeozoic and Mesozoic times much of the Middle East was covered by a vast Tethyan sea which eventually deposited successive layers of limestone. This was changed and rechanged by geological movements and great morphological factors which prepared the Middle East for its role as «The Cradle of Civilization». In due course Tethys disappeared and there began those gigantic folding pressures which were to change the face of this one segment of the glope, all the way from Southern Europe and North Africa to the far continent of Australia in the Southern hemisphere. This folding took place in part because of the pre-Cambrian rock-shields, — between which the pressures built up and against which the folding took place. In the North you have the Bohemian, Ukrainian and Siberian shields, and in the South the Nubian, the Arabian, the Deccan and the Australian shields. The Australian shield seems to have served a slightly different role from the others, in that it appears to have acted as an end-buffer, against the enormous mass of which the gigantic chain of anticline and syncline folding-movements came to a halt. This left Australia sitting out on a continental 'limb' in the Pacific, Southern and Indian oceans.

race, for the Democratic nomination, in view of the fact that he would have an especially difficult time in the South where Catholics were viewed as foreigners. Crabites' article was widely circulated and some Democrats found it necessary to publicly dispute Judge Crabites' position. For the original article see Judge Pierre Crabites, «Is it time for a Catholic President ?, » *Outlook* (Aug. 17, 1927),146 (6), pp. 504-508. For reactions to it, see *The New York Times*, August 13, 1927, p. 15, August 28, 1927, sec. 7, p. 12, and Sept. 4, 1972, sec. 10, p. 1.

13. His books, in order of publication, included the following : *Gordon, the Sudan and Slavery* (1933) : *Ismail, the Maligned Khedive* (1933); *Winning of the Sudan* (1934); *Ibrahib of Egypt* (1935); *Benes, Statesman of Central Europe* (1935); *Clement VII and Henry VIII* (1936); *Unhappy Spain : The Tragic Plight of Spain Traced from Ferdinand VII to the Present* (1934); *Victoria's Guardian Angel : A Study of Baron Stockmar* (1937); *American Officers in the Egyptian Army* (1939); and *The Spohatim of Suez* (1940). For a guide to the reviews of these works see the appropriate *Book Review Digest*. For those books not listed in that guide, *Times* (London) *Literary Supplement* contains a review.

14. For details of this view by Black Muslims and its relation to the white race's creation by Yakub, which is a central belief in their movement, see Lincoln, *Black Muslims*, pp. 76-80.

FOOTNOTES

1. Pierre Crabites, «American Negro Mohammedans,» *Catholic World* (Feb. 1933) 136 : 559-566.

2. Pierre Crabites, «American Negro Mohammedans,» *Moslem World* (July, 1933) 23 : 272-284.

3. *Ibid.*, 273.

4. If these Black Americans were early day Black Muslims, they would not have been members of Elijah Muhammad's Nation of Islam but followers of Wallace F. Fard Muhammad, the founder of the Black Nation, who prepared Elijah Muhammad to be his successor. When Fard mysteriously disappeared in 1934, a split took place in the Black Nation with Elijah Muhammad emerging as the leader of one faction, known initially as the Temple People. See C. Eric Lincoln, *Black Muslim in America* (Boston : Beacon Press. 1961), pp. 180-183.

5. Crabites, *Moslem World* (July, 1933), p. 273.

6. *Ibid.*, pp. 273-281 and Pierre Crabites, «Mixed Courts of Egypt,» *Virginia Quarterly Review* (Oct., 1928), 4 (4) : pp. 546-553. When Malcolm X attempted to enter Mecca, he was at first prohibited from doing so since he was viewed as a non-authentic convert to Islam. This centered around his inability to perform the orthodox prayer rituals in Arabic. This may have been the crux of the issue for these Black American Muslims being accepted as authentic Muslims. For the details of Malcolm X's Hajj, see Malcolm X (with Alex Haley), *The Autobiography of Malcolm X* (New Fork : Grove Press, 1966), pp. 318-342. For a description of elements in the relationship of the Nation of Islam to orthodox Muslim, see Lincoln, *Black Muslims*, pp. 218-216.

7. *Ibid.*, p. 281.

8. *Ibid.*

9. *Ibid.*, p. 282.

10. *Ibid.*

11. *Ibid.*, p. 284.

12. *Who Was Who in America* (Chicago : A.N. Marpuis Company, 1950), Vol II : 1943-1950, p. 132. In the course of the Democratic race for the 1928 presidential nomination, Crabites gained national attention in the United States by an article which he wrote for *The Qutlook*. In it he spoke as a Southern Catholic against the possibility of the Democratic Party choosing Alfred E. Smith. He asked Governor Smith to withdraw himself from the

made during these last twenty years, but because I am convinced that principles which are so admirably suited to the Levant would work incalculable mischief in my country.[11]

Crabites' concern for the South was an inbred one. Born a Catholic in New Orleans in 1877, he graduated from the College of the Immaculate Conception in 1895 with an A.M., from Tulane University in 1898 with a Bachelor of Laws degree and later received his Doctor of Laws degree in 1918 from Loyola University in New Orleans. He practiced law in Louisiana from 1900 to 1911. In that latter year he was made an American judge on the Mixed Tribunals of Egypt, a position which he held until 1936. After that there were special presidential assignments. In 1939 he was appointed by President F. D. Roosevelt to be an American Commissioner in accordance with the Egyptian American Arbitration Treaty of 1929. From April, 1942 to April, 1943 he acted as the special assistant U.S. minister in Cairo. Later in1943 he held a similar position in Baghdad, Iraq and died in October while serving in that capacity.[12]

Beyond his works as a U.S. representative overseas, he wrote extensively on foreign matters for various publications including the **Virginia Quarterly Review, The South Atlantic Quarterly, Foreign Affairs** and **Current History.** In addition he authored ten history books which generally ranged in quality from average to superior. His work on Gordon was reissued in 1922 by the Negro Universities Press.[13]

All of this indicates a literate background and an educated audience for his views. His article on «American Negro Mohammedans,» however, was printed and then reprinted in publications indicating a more selective audience. In addressing himself to people of the Christian faith, his objective was to encourage Christian faith, his objective was to encourage Christian religions and particulary the Catholic Church, to put a greater effort into working for converts among Black Americans.

The promulgation of Crabites' article, with its blatant racial tones, in religious publications of interest to Catholic and Protestant clergy in the early 1930's clearly underscores the ambiguous stand in practice that Christianity has taken on matters of race. Black Muslims have claimed that Christianity is not a religion for all men but for white men as it has built into it the white men's prejudices against Blacks.[14] There are, nonetheless, pros and cons to that position. But it would seem that Crabites' article serves a dual purpose. It not only reveals deep unofficial apprehensions of an American overseas representative, but it also clearly points to the type of accommodation American Christianity has often made to the racism of its white majority.

> All of this is, in no sense, exaggerated. A Negro convert to Islam, loose in the Near East, with an American passport in his pocket, is like a monkey with two tails. He is bound to attract attention. And once all eyes are focused upon him, that sense of vanity which has ruined many a good man will inevitably lead him to perdition.

Crabites was also concerned, and perhaps more so, with the threat that he saw these Black American Muslims posed to the Middle East image of the superiority of American civilization.

> ... the very fact that they linger in the Levant after having publicly professed Mohammedanism throws out of gear the basic relationship between Orient and Occident. For generations America sold to the Near East not merchandise but ideals. Egypt exported to the United States cotton, onions and hides. Egyptians are now beginning to say that their creed is conquering the United States and that this fact is proof of their intellectual superiority over America.

But his deepest fears were for white Americans if Islam spread among, Blacks in the Uuited States. Thus Crabites wrote : «This foreign consequence of the possible Islamization of the American Negro is but of minor importance. What counts is the fact that Mohammedanism has begun to germinate in the United States.»[10]

With the spread of Islam among Blacks, he foresaw a grave danger to America's social structure. This was due to what he perceived as an Islamic tenet of social equality and the right of Muslims to have more than one wife. In the latter case he was probably attempting to enlist America's traditional distaste for polygamy. But there is no doubt in his words as to what part of the country he most feared for with the spread of the conception of social equality among Blacks. In his last paragraph, he wrote :

> And now here are these American Negroes in the Near East, getting into their blood this conception fo a triumphant faith which stands for social equality and which countenances polygamy. If these blacks remain in the Levant and grow in numbers their presence foreshadows, sooner or later, first petty annoyances, and then disconcerting trouble for American diplomatic and Consular officers. If these converts return to the United States, theardent spirit of the neophyte and the sermons which they will preach make me shudder at the consequences which I see in store for America and particularly for the Southern States, not that I do not have the highest respect for the many Mohammedan friends whom I have

Ind.[4] This apparently led to the impression among some Egyptians «... that Islam was carrying America by storm.»[5]

That impression was only re-enforced by the entrance into Egypt within the next months of seven other adult Black Muslims. These events were not covered in the Cairo press. They were, however, reported orally in the bazaars and eventually the Cairo Governate officially brought the attention of the U.S. Consul to these Black Americans.

It is clear from Crabites' article as to the official reason for this action by the Cairo Governate. It involved acknowledgement of their being Muslims. Egypt as a Muslim state, recognized at this time fourteen non-Muslim Egyptian national groups. Each of these had its own patriarch or rabbi who served as a judge in such legal matters as those relating to marriage, divorce and guardianship. For certain non-nationals such as the Americans, the English and the French, the counterpart for the patriarch or rabbi in judging certain legal cases were their consuls. Thus it was the practice of the Egyptian government to file with these consuls any official notice of intent to change religions by their citizens in the same fashion as it would file such a matter with the patriarchs or rabbis of Egyptian non-Muslim groups. It is thus possible that these Black American Muslims recieved recognition by the Cairo Governate as being authentic Muslims and that this was the reason for their being brought to the attention of the American Consul and indirectly to the attention of Crabites who acted as the American member of the Mixed Tribunals.

What privately concerned Crabites in all this were the consequences which he forsaw of the conversion of these and other Black Americans to Islam. Initially he dealt with this from the perspective of Egypt and the difficulties such individuals would, in his eyes, present to the American Consul. As Black Americans were for him prone to be immoral, he wrote :

> It follows from all of this that as he who is now Mohammed Ali Washington held on to his American passport he not only continues to be an American citizen, but his children, born or unborn, participate in this advantage. The corollary to this proposition is that if this Moslem American goes forth and multiplies, drinks up a fair share of the cheap whisky which abounds in these parts and then starts to shoot up the town, there will be a batch of black or near black babies added to the Cairo American community while he lingers in jail or stretches hemp and causes untold trouble for American consular and diplomatic officers.

In the same offensive racial vein, Crabites continued.

WHITE ON BLACK; A REACTION TO THE FIRST BLACK AMERICAN MUSLIMS IN EGYPT (1932)*

by

JOSEPH T. GALLAGHER

Assistant Professor Department of History
State University of New York College at Fredonia

In 1933 there appeared in the Catholic World an article entitled «American Negro Mohammedans.»[1] Later in the same year it was republished in full in the Moslem World,[2] a journal of interest to Protestant missionaries working among Muslems. In it, Pierre Crabites, an American member of the Mixed Tribunals of Egypt, expressed his thoughts and apprehensions about the entry into Cairo of the first American Blacks who were Muslems. His reaction can not said to be the official American reaction. It was, however, the private reaction of an American representative. As such it will no doubt remain an important source for documenting the worse unofficial fears posed by Black American Muslims for an American representative overseas. But, as will be ultimately pointed out, his article serves another purpose as well.

In «American Negro Mohammedans,» written in 1932, Crabites described in graphic racial fashion the entry of the first Black American Muslims in the following words :

> Six months ago an American Negro came to Cairo without a saxophone and with no intention of playing in a jazz band. He was black as the ace of spades, his teeth a wall of ivory and his speech the drawl of the Southern plantation. He surprised the Egyptians by announcing that he was a Muslem and that he had come to this country in order to work his way to Mecca.[3]

This individual is never properly named but according to Crabites he created a stir because he related that there were growing communities of Muslims in Detroit, Buffalo, Chicago, Worcester, Mass. And Gary,

(*). The author would like to thank the Fredonia College Foundation for a research grant for the summer of 1972 during the use of which he came across Crabitee' article on Black American Muslims.

CONTENTS

THIS ISSUE

Since The First issue of this Bulletin has appeared, many changes took place in The Continent of Africa.

No wander, it is politically ayoung continent, most of its nations has won their independence recently. The continent is on move ; projects of development, liberation movements, exploration of natural resources are actively going on. The peoples of Africa are very eager to catch up with the civilization of the day.

October war of Egypt may be one of the most prominent events that occured on the soil of Africa since 1972. It has proved that the Egyptians are worthy of their place in the history, and that they can defend well their mother land.

The other event of ever lasting importance is the end of the minority rule in what was called southern Rhodesia. The end of colonization and foreign acquisition of african soil was a logical of the fall of one of the old colonial empires in Southern Africa, that is the Portugese Empire. Zimbabwe, the latest forth coming state in southern Africa is a warning sign to thereactionary, racist state of south Africa.

Editor

29 - 12 - 1979

Editor : Prof. Dr. M. GHALLAB

Contributions to this magazine are welcomed and should be sent to :
Editor : Prof. Dr. M. GHALLAB
33 Mesaha Str. Dokky, Cairo Egypt.

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 6. 1977

Issued by the Institute of Research and African-Studies, Cairo University.
33 Mesaha Str. Dokky, Cairo Egypt.

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 6. 1977

Issued by the Institute of Research and African-Studies, Cairo University.
33 Mesaha Str. Dokky, Cairo Egypt.